



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر  
عليه  
ص

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

مكتبة جامعة القاهرة  
مكتبة جامعة القاهرة

١٤١٤

# الدراسات الصوتية عند علماء التجويد

دكتور محمد عبد الوهاب محمد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الدراسات الصوتية عند علماء التجويد

كاتب:

غانم قدورى الحمد

نشرت فى الطباعة:

خلود

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٤	الدراسات الصوتية عند علماء التجويد
١٤	اشارة
١٤	«الإهداء»
١٤	مقدمة الطبعة الثانية
١٥	مقدمة الطبعة الأولى
١٧	الفصل الأول مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد (تاريخ و منهج)
١٧	اشارة
١٨	المبحث الأول نشأة علم التجويد
٢٤	المبحث الثاني تعريف بأشهر كتب علم التجويد
٣٨	المبحث الثالث الفكرة التي تستند إليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد
٤٥	المبحث الرابع منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات اللغوية
٤٥	اشارة
٤٥	أولاً- منهج علماء التجويد منهج شامل:
٥٠	ثانياً- منهج علماء التجويد منهج صوتي خالص:
٥٧	المبحث الخامس صلة علم التجويد بعلوم القرآن و علم اللغة
٦٠	الفصل الثاني دراسة الأصوات عند علماء التجويد مفردة (على مستوى التحليل)
٦١	اشارة
٦٢	المبحث الأول وصف أعضاء آلة النطق
٦٢	اشارة
٦٤	١- وصف أعضاء النطق:
٦٩	٢- الاستعانة بعلم التشريح:
٧٠	٣- تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق:

- ٧٠ ..... ٤- الاستعانة بالرسم التوضيحي: .....
- ٧٢ ..... المبحث الثاني إنتاج الأصوات اللغوية .....
- ٧٢ ..... اشارة .....
- ٧٣ ..... النص الأول- قول المازني (أبي عثمان بكر بن محمد ت ٢٤٨ هـ): .....
- ٧٣ ..... النص الثاني- قول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ): .....
- ٧٣ ..... النص الثالث- قول عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): .....
- ٧٤ ..... النص الرابع- قول طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى بن خليل ت ٩٦٨ هـ): .....
- ٧٤ ..... اشارة .....
- ٧٥ ..... ١- النفس و الصوت: .....
- ٧٦ ..... ٢- الحرف، و المقطع، و المخرج، و الصفة: .....
- ٧٨ ..... ٣- الجهر و الهمس: .....
- ٨٦ ..... ٤- الشدة، و الرخاوة، و التوسط: .....
- ٩٠ ..... ٥- الفرق بين الشديد و المجهور و بين الرخو و المهموس: .....
- ٩٣ ..... الخلاصة: .....
- ٩٤ ..... المبحث الثالث تصنيف الأصوات اللغوية إلى جامدة و ذائبة (أو إلى صامتة و مصوتة) .....
- ١٠١ ..... المبحث الرابع تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج .....
- ١٠١ ..... أولا- عدد حروف العربية عند علماء التجويد: .....
- ١٠١ ..... اشارة .....
- ١٠٢ ..... ١- الحروف العربية الأصلية: .....
- ١٠٣ ..... ٢- الحروف العربية الفرعية: .....
- ١٠٥ ..... ثانيا- بيان عدد مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد: .....
- ١٠٥ ..... اشارة .....
- ١٠٦ ..... ١- الاختلاف في عدد المخارج: .....
- ١٠٩ ..... ٢- هل لكل حرف مخرج؟: .....

- ١١٠ ..... ٣- ترتيب الحروف التي تشترك في مخرج واحد:
- ١١٢ ..... ٤- أصول مخارج الحروف:
- ١١٣ ..... ٥- طريقة ترتيب المخارج:
- ١١٥ ..... ثالثا- بيان مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد:
- ١١٥ ..... ١- حروف الحلق:
- ١١٦ ..... ٢- حروف أقصى اللسان:
- ١١٩ ..... ٣- حروف وسط اللسان:
- ١١٩ ..... ٤- حروف حافة اللسان:
- ١٢١ ..... ٥- حروف طرف اللسان:
- ١٢١ ..... اشارة
- ١٢٢ ..... (أ) الراء و النون:
- ١٢٤ ..... (ب) الطاء و الدال و التاء:
- ١٢٥ ..... (ج) الصاد و الزاى و السين:
- ١٢٦ ..... (د) الظاء و الذال و الثاء:
- ١٢٨ ..... ٦- حروف الشفتين:
- ١٢٨ ..... اشارة
- ١٢٨ ..... (أ) الفاء:
- ١٢٨ ..... (ب) الباء و الميم و الواو:
- ١٣٠ ..... ٧- الخياشيم:
- ١٣٢ ..... ٨- حروف الجوف:
- ١٣٤ ..... المبحث الخامس تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات
- ١٣٤ ..... اشارة
- ١٣٥ ..... ١- عدد الصفات التي وضحها علماء التجويد:
- ١٣٦ ..... ٢- أسس تصنيف الصفات:

- ١٣٧ ..... اشارة
- ١٤١ ..... أولا- صفات الأصوات المميزة: .....
- ١٤١ ..... اشارة
- ١٤١ ..... ١- الجهر و الهمس: .....
- ١٤١ ..... اشارة
- ١٤٣ ..... (أ) مشكلة الهمزة: .....
- ١٤٤ ..... (ب) مشكلة الطاء: .....
- ١٤٤ ..... (ج) مشكلة القاف: .....
- ١٥١ ..... ٢- الشدة و الرخاوة و التوسط بينهما: .....
- ١٥١ ..... اشارة
- ١٥٢ ..... (أ) الحروف المتوسطة: .....
- ١٥٤ ..... (ب) مشكلة الضاد العربية: .....
- ١٤٤ ..... (ج) قضية الجيم: .....
- ١٤٧ ..... ٣- الإطباق و الانفتاح، و الاستعلاء و الاستفال، و الترقيق و التفخيم: .....
- ١٧٢ ..... ٤- الذلاقة و الإصمات: .....
- ١٧٤ ..... ثانيا- صفات الأصوات المحسنة: .....
- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٤ ..... ١- القلقلة: .....
- ١٨٠ ..... ٢- الغنة: .....
- ١٨٣ ..... ٣- الصفير: .....
- ١٨٤ ..... ٤- التكرير: .....
- ١٨٤ ..... ٥- التفشى: .....
- ١٨٧ ..... ٦- الاستطالة: .....
- ١٨٨ ..... ٧- الانحراف: .....



- ١٨٩ ..... ٨- صفات أخرى:
- ١٨٩ ..... اشارة
- ١٩١ ..... (أ) الخفاء و الظهور:
- ١٩٢ ..... (ب) القوة و الضعف:
- ١٩٥ ..... ثالثا- وصف الأصوات:
- ١٩٥ ..... اشارة
- ١٩٩ ..... ١- الباء:
- ١٩٩ ..... ٢- الصاد:
- ٢٠٠ ..... ٣- النون:
- ٢٠٠ ..... ٤- الكاف:
- ٢٠٠ ..... ٥- الهاء:
- ٢٠١ ..... المبحث السادس الأصوات الذائبة
- ٢٠١ ..... اشارة
- ٢٠١ ..... أولا- عدد الأصوات العربية الذائبة و العلاقة بينها:
- ٢٠٧ ..... ثانيا: الواو و الياء بين الأصوات الجامدة و الأصوات الذائبة:
- ٢١١ ..... ثالثا- مخارج الأصوات الذائبة:
- ٢١٦ ..... رابعا- أنواع أخرى من الأصوات الذائبة:
- ٢١٩ ..... خامسا- السكون الحى و السكون الميت:
- ٢٢٣ ..... الفصل الثالث دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصل (على مستوى التركيب)
- ٢٢٣ ..... اشارة
- ٢٢٤ ..... المبحث الأول فكرة التأثير و التأثير بين الأصوات فى الكلام المتصل
- ٢٢٧ ..... المبحث الثانى الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة
- ٢٢٧ ..... أولا- تقسيمات علماء التجويد لظواهر التأثير بين الأصوات الجامدة:
- ٢٢٧ ..... اشارة

- ٢٢٧ ..... ١- المقبل و المدبر و المتبادل:
- ٢٢٨ ..... ٢- الإدغام الناقص و الإدغام التام:
- ٢٢٩ ..... ٣- إدغام المتماثلين و المتجانسين و المتقاربين:
- ٢٣٠ ..... ٤- الإدغام الكبير و الإدغام الصغير:
- ٢٣١ ..... ٥- الأقوى و الأضعف:
- ٢٣٢ ..... ثانيا- شوائب «٤» الحروف:
- ٢٣٣ ..... اشارة
- ٢٣٣ ..... أ- الجهر و الهمس:
- ٢٣٥ ..... ب- الإطباق و الانفتاح:
- ٢٣٦ ..... ج- الأنفية (الغنة):
- ٢٣٨ ..... ثالثا- ظواهر الإدغام التي عالجهها علماء التجويد:
- ٢٤١ ..... رابعا- حقيقة الإدغام الناقص:
- ٢٤٤ ..... خامسا- أحكام الأصوات الأنفية (الغن):
- ٢٤٤ ..... اشارة
- ٢٤٥ ..... ١- أحكام النون الساكنة و التنوين:
- ٢٤٥ ..... اشارة
- ٢٤٦ ..... أ- الإظهار:
- ٢٤٩ ..... ب- الإدغام:
- ٢٥٤ ..... ج- القلب:
- ٢٥٦ ..... د- الإخفاء:
- ٢٥٦ ..... اشارة
- ٢٦٠ ..... رأى فى أحكام النون الساكنة و التنوين:
- ٢٦٣ ..... ٢- أحكام الميم الساكنة:
- ٢٦٣ ..... اشارة

- أ- الإدغام: ..... ٢٦٤
- ب- الإظهار: ..... ٢٦٤
- ج- الإخفاء: ..... ٢٦٥
- سادسا- حقيقة النطق بالحرف المشدد: ..... ٢٦٧
- اشارة ..... ٢٦٧
- ١- طول الحرف المشدد: ..... ٢٦٨
- ٢- درجات التشديد: ..... ٢٧١
- سابعا- الترفيق و التفخيم: ..... ٢٧٢
- اشارة ..... ٢٧٢
- ١- تفخيم الراء و ترفيقها: ..... ٢٧٤
- ٢- تفخيم اللام و ترفيقها: ..... ٢٧٨
- اشارة ..... ٢٧٨
- الحالة الأولى: ..... ٢٧٨
- الحالة الثانية: ..... ٢٨٠
- المبحث الثالث الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة ..... ٢٨١
- اشارة ..... ٢٨١
- ١- موقع الحركة من الحرف: ..... ٢٨٢
- ٢- العناية بكيفية نطق الحركات: ..... ٢٨٣
- اشارة ..... ٢٨٣
- أولا- الظواهر النوعية: ..... ٢٨٦
- ثانيا- الظواهر الكمية: ..... ٢٨٩
- اشارة ..... ٢٨٩
- ١- الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالحركات: ..... ٢٨٩
- اشارة ..... ٢٨٩

- أ- الروم و الإشمام: ..... ٢٩٠
- ب- الاختلاس و الإخفاء: ..... ٢٩٢
- ٢- الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بحروف المد: ..... ٢٩٥
- اشارة ..... ٢٩٥
- أ- تعريف المد: ..... ٢٩٦
- ب- سبب المد: ..... ٢٩٨
- ج- تعليل ظاهرة المد: ..... ٢٩٩
- د- أقسام المدود: ..... ٣٠٢
- هـ- مقادير المدود: ..... ٣٠٤
- و- محاذير المدود: ..... ٣٠٨
- اشارة ..... ٣٠٨
- ١- الإفراط في المد: ..... ٣٠٨
- ٢- الترعيد: ..... ٣٠٨
- ٣- إشراب المد غنة: ..... ٣٠٩
- الملحقات ..... ٣١٠
- ملحق رقم (١) علم التجويد في القرن الرابع الهجرى ..... ٣١٠
- اشارة ..... ٣١٠
- ١- ابن مجاهد: ..... ٣١٢
- ٢- أحمد بن جعفر (ورد ذكره في البيت الرابع): ..... ٣١٢
- ٣- ابن أشته (ورد ذكره في البيت السابع عشر): ..... ٣١٢
- ٤- أحمد بن نصر الشذائي (ورد ذكره في البيت الثامن عشر): ..... ٣١٣
- ملحق رقم (٢) أساليب القراءة ..... ٣١٤
- اشارة ..... ٣١٤
- ١- التحقيق: ..... ٣١٥

- ٣١٦ .....: ٢- الترتيل:
- ٣١٧ .....: ٣- الحدز:
- ٣١٧ .....: اشارة
- ٣١٨ .....: العلاقة بين الحدز و التحقيق:
- ٣١٩ .....: تقسيم الأهوازى لأساليب القراءة:
- ٣٢٠ .....: القراءة بالألحان:
- ٣٢١ .....: التنعيم:
- ٣٢٣ .....: ملحق رقم (٣) عيوب النطق
- ٣٢٣ .....: اشارة
- ٣٢٥ .....: ١- أمراض الكلام:
- ٣٢٥ .....: ٢- عيوب الأصوات:
- ٣٢٥ .....: ٣- عيوب الجوارح و الهيئات:
- ٣٢٥ .....: ٤- انحرافات النطق اللهجية:
- ٣٢٦ .....: الخاتمة
- ٣٣١ .....: فهرس الأعلام
- ٣٤٥ .....: المصادر
- ٣٥٤ .....: تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

## الدراسات الصوتية عند علماء التجويد

## إشارة

سرشناسه : حمد، غانم قدورى

Hamad, Ghanim Qaddyri

عنوان و نام پديد آور : دراسات الصوتية عند علماء التجويد / تاليف غانم قدورى الحمد  
مشخصات نشر : ق ١٤٠٦ = م ١٩٨٦ = ١٣٦٥ (بغداد: خلود).

مشخصات ظاهري : ص ٦٤٣

وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی یادداشت : کتابنامه ص ٦٣٣ - ٦١٤

مندرجات : نمایه موضوع : قرآن -- تجويد

موضوع : قرآن -- قرائت موضوع : قرآن -- تجويد -- تاريخ رده بندی كنگره : BP٧٩/٦ ح ٤٥٨ ١٣٦٥

شماره كتابشناسی ملی : م ٨٠-٣٩٥٨٤

## «الإهداء»

بسم الله الرحمن الرحيم إلى علماء الأندلس الخالدين الذين أسهموا في إغناء علم الأصوات العربي:  
مكي، مؤلف كتاب (الرعاية لتجويد القراءة) (ت ٤٣٧ هـ).

و أبي عمرو الداني، مؤلف كتاب (التحديد في الإتقان و التجويد) (ت ٤٤٤ هـ).

و عبد الوهاب القرطبي، مؤلف كتاب (الموضح في التجويد) (ت ٤٦٢ هـ).

و شريح الرعيني الإشبيلي، مؤلف كتاب (نهاية الإتقان في تجويد القرآن) (ت ٥٣٩ هـ).

و ابن الطحان الإشبيلي، مؤلف كتاب (الإنباء في تجويد القرآن) (ت حوالي ٥٦٠ هـ).

و ابن الناظر الغرناطي، مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد) (ت ٦٧٩ هـ).

إلى هؤلاء أهدي رسالتي.

اعتزافا بفضلهم و اعتزازا بأعمالهم و تجديدًا لذكراهم

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥

## مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد، فإن المتأمل لا يخطئ ملاحظة أمرين:

الأول: أن أكثر أصول هذا الكتاب كان مخطوطا وقت كتابته و ظهوره في طبعته الأولى، و اليوم و الكتاب يظهر في طبعته الثانية فإن أكثر تلك الأصول قد حقق و نشر، و الحمد لله.

و الأمر الآخر: ظهور دراسات و أبحاث قامت حول جهود عدد من علماء التجويد الصوتية، بالإضافة إلى ما ظهر من كتب علم الأصوات اللغوية في السنوات الأخيرة.

و بان لي أن متابعة معطيات ذينك الأمرين، مع ما استجد عندي من ملاحظات أمر يصعب استيعابه في هذه الطبعة، و من ثم فإني

آثرت أن يظهر الكتاب بصورته التي ظهر بها في طبعته الأولى، و لكنى حاولت متابعة ما استجد لدى من ملاحظات أو أفكار حول الموضوع في أعمال أخرى، و الحمد لله الذي هدانا لهذا، و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، هو حسبنا و نعم الوكيل.

المؤلف ١٠/٨/٢٠٠١ تكريت

الدراسات الصوتية عند علماء التمجويد، ص: ٧

## مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله، و بعد. فإن اللغة العربية قد حظيت بجهود كبيرة من أجل المحافظة على نطقها بريئا من شوائب اللحن، نقياً من مظاهر اللكنة، و ارتبطت تلك الجهود بيزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب، و كان ظهور القرآن الكريم سبباً في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، منها علوم اللغة التي اتسمت بالشمول لكل جوانب الدرس اللغوي المعروفة: الأصوات، و الصرف، و النحو، و المعجم.

و كانت جهود علماء العربية مثل الخليل و سيويو و ابن جنى في دراسة الأصوات اللغوية يشار إليها دائماً في عصرنا على أنها من الإنجازات المتميزة في الدرس اللغوي، و قامت حولها دراسات ليست قليلة، و لكن أحداً من المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يلتفت إلى كتب علم التمجويد التي تتضمن دراسة للأصوات اللغوية لا- تقل في أهميتها عن جهود علماء العربية، فلم يستخدم أحد منهم تلك الكتب، فظلت مهملة و ظلت مادتها مجهولة، مما حرم الدرس الصوتي العربي من مصدر غني و أصيل.

و كانت هذه القضية، و أعنى بها إهمال دارسي الأصوات العربية المحدثين لكتب علم التمجويد و عدم الاستفادة منها في أبحاثهم، قد لفتت نظري منذ عدة سنوات، و صرت أتتبع كتب علم التمجويد المطبوعة، و أجمع منها ما تقع عليه يدي. و قد انتهيت من ذلك التتبع إلى نتيجة تلخص في أن كتب علم التمجويد المتداولة في أيدي الناس في زماننا معظمها من الكتب المتأخرة أو الحديثة التأليف، التي يغلب عليها إيجاز العبارة غالباً و غموضها أحياناً، مما لا يشجع المشتغلين بعلم الأصوات على دراستها و الاستفادة منها.

و بعد أن انتهيت إلى تلك النتيجة طمحت نفسي إلى معرفة كتب علم التمجويد القديمة، و قد أخذ ذلك مني سنوات أخرى من البحث و التتبع في فهارس المخطوطات، حتى وقفت

الدراسات الصوتية عند علماء التمجويد، ص: ٨

على أسماء عشرات من تلك الكتب، و حصلت على بعض مخطوطاتها، و قد فتحت لي هذه الخطوة عدة جوانب للبحث تتراوح بين البحث في تاريخ علم التمجويد و التعريف بكتبه القديمة المجهولة لدى المعاصرين، و العمل على تحقيق بعض تلك الكتب.

و حاولت أن أقدم خلاصة ذلك التتبع و البحث إلى المهتمين بعلم التمجويد و المشتغلين بدراسة الأصوات العربية، فكتبت بحثاً عن (علم التمجويد: نشأته و معالمه الأولى) «١». و لم يتوقف اهتمامي بكتب علم التمجويد عند هذا الحد، فكان يشغلني التفكير بالقيام بعمل كبير هو تقديم بحث عن (الدراسات الصوتية عند علماء التمجويد)، و لكن كانت تحول دون القيام بهذا العمل عقبات تتمثل في حاجته إلى الوقت الطويل و التفرغ التام، و تتمثل في صعوبة الحصول على مصادره التي لا يزال معظمها مخطوطاً و مفرقاً في بلدان العالم.

و كان التحاقى للدراسة بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد قد وفر لي الوقت الكافي للشروع في ذلك العمل، و قد حصلت الموافقة من القسم على أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة الدكتوراة عن (الدراسات الصوتية عند علماء التمجويد). و من ثم أخذت بجمع المصادر المتصلة بالموضوع، و وقفت على كثير منها في مكتبات العراق، و طلبت عدداً منها من مكتبات البلدان الأخرى، حتى تجمع لدي ما يمكن معه القيام بالبحث على نحو مقبول.

و بعد أن انتهيت من جمع المادة و مراجعتها شرعت في الكتابة على أساس خطة تقسم البحث إلى ثلاثة فصول، و ضمنت إليها ثلاثة ملحقات تعالج موضوعات لا تندرج بشكل مباشر في الفصول الثلاثة.

وقد درست في الفصل الأول (مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد) فجاء هذا الفصل في خمسة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن نشأة علم التجويد و بدء التأليف فيه. و قدمت في المبحث الثاني قائمة تتضمن أشهر كتب هذا العلم من لدن ظهور التأليف فيه إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري. و بينت في المبحث الثالث الفكرة التي تستند إليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، و هي تدور حول اجتناب اللحن الخفي. و وقفت في المبحث الرابع عند منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات اللغوية، و بينت أهم خصائص (١) نشر في مجلة كلية الشريعة في جامعة بغداد سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، في العدد السادس (ص ٣٣١ - ٣٩٦).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩

ذلك المنهج، و ختمت الفصل بمبحث عن صلة علم التجويد بعلوم القرآن و علم اللغة.

إن الأصوات اللغوية تظهر في الاستخدام الحي للغة على شكل مجموعات يضمها الكلام (أو التركيب) و لكن متطلبات الدراسة تقتضى النظر إلى الأصوات من خلال مستويين، المستوى الأول: أن تجرد عن التركيب و تدرس مفردة لمعرفة طريقة نطقها بتحديد مخارجها و صفاتها، و المستوى الثاني: أن تدرس و هي في التركيب لمعرفة ما يلحق خصائصها الصوتية من تغيير بسبب المجاورة، إذ إن المجاورة لها تأثير، و من ثم خصصت فصلا للمستوى الأول و فصلا للمستوى الثاني.

تناولت في الفصل الثاني (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد مفردة) و هو تأليف من ستة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن وصف علماء التجويد لأعضاء آلة النطق، و تحدثت في المبحث الثاني عن إنتاج الأصوات اللغوية، و في الثالث عن تصنيف الأصوات إلى جامدة (صامتة) و ذائبة (مصوتة)، و بينت في المبحث الرابع كيفية تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج، و في الخامس كيفية تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات التي تقسم إلى مميزة و محسنة، و تحدثت في المبحث السادس عن الأصوات الذائبة (حروف المد و الحركات)، فبينت طريقة علماء التجويد في دراسة هذه الأصوات و كيفية تصنيفها و تحديد مخارجها و توضيح العلاقة بين أنواعها.

و تناولت في الفصل الثالث (دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصله) و ذلك في ثلاث مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن فكرة التأثير بين الأصوات في الكلام المتصل، و بينت موقف علماء التجويد من هذه القضية، و خصصت المبحث الثاني لدراسة الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة، و تحدثت في المبحث الثالث عن الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة.

أما الملحقات فقد تحدثت في الملحق الأول منها عن تاريخ علم التجويد في القرن الرابع الهجري، في محاولة لاستكشاف بعض جوانب هذا العلم. و تحدثت في الملحق الثاني عن أساليب القراءة، و بينت فيه موقف علماء التجويد من القراءة بالألحان، و تحدثت فيه أيضا عن ظاهرة التنغيم. و خصصت الملحق الثالث للكلام عن عيوب النطق أو أمراض الكلام عند علماء التجويد.

و قد لخصت أهم نتائج هذا البحث في الخاتمة.

و اتبعت في كتابه هذا البحث خطة تستند على ركيزتين:

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠

الأولى: العناية بالنصوص المقتبسة من كتب علم التجويد، و ذلك لأن هذه النصوص هي المادة التي ينبني عليها البحث، و قد حرصت على إيراد كل نص تضمن فكرة جديدة أو إضافة قيمة في دراسة الأصوات، و ذلك لأن الكتب التي أخذت منها هذه النصوص لا يزال معظمها مخطوطا لا يصل إليه الباحثون بسهولة، فكنت أرجو بعملى هذا أن أضع بين أيدي المشتغلين بعلم الأصوات تلك النصوص النادرة عسى أن تكون دليلا لهم إلى كتب علم التجويد، فينشطوا لدراستها و تحقيقها.

الثانية: الموازنة بين المادة الصوتية المقتبسة من كتب علم التجويد و المادة الصوتية لدى علماء العربية كالخليل و سيويه و ابن جني، و ذلك لأن دراسات هؤلاء العلماء تشكل الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد. و من خلال تلك الموازنة



يمكن معرفة مقدار ما أضافه علماء التجويد إلى الدرس الصوتي العربي. و كنت أضع بجانب ذلك كله نتائج الدرس الصوتي الحديث لكي نتبين المنزلة التي يجب أن نضع فيها جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات، فهذه ثلاث حلقات متصلة لدراسة الأصوات: علماء العربية، و علماء التجويد، و علماء الأصوات المحدثون، لا ينبغي الفصل بينها في أي دراسة عن الأصوات العربية يراد لها أن تكون مفيدة:

و لم يخل العمل في هذا البحث من بعض الصعوبات، فمن ذلك كون أكثر مصادره كتباً مخطوطة، و هذا يعني صعوبة الحصول عليها، لا سيما المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبات خارج العراق، ثم إن ما اطلعت عليه من تلك الكتب يحتاج إلى جهد مضاعف من أجل قراءة النصوص فيه قراءة صحيحة، خاصة إذا كانت المخطوطات رديئة الخط، و كنت أستعين بأكثر من نسخة كلما تيسر ذلك من أجل توثيق النصوص التي أنقلها.

و كنت في بعض الموضوعات أشعر بالحاجة إلى استخدام الأجهزة الحديثة التي أصبحت معروفة لدى المشتغلين بعلم الأصوات، من أجل تقديم نتائج محددة و واضحة، و لكن تلك الأجهزة غير متيسرة الآن، و لم تكن المصادر المكتوبة بالعربية في علم الأصوات كافية في سد تلك الحاجة دائماً، و أرجو أن تتوفر تلك الأجهزة في بلادنا حتى يتمكن الباحثون من المضى في تدقيق نتائج الأبحاث الصوتية العربية القديمة و الحديثة، إلى جانب العمل على كشف أسرار الصوت الإنساني.

و أخيراً فهذا هو البحث الذي شغلت بأمره مدة من الزمن قد تمكنت بفضل الله تعالى من إنجازه على هذه الصورة التي أرجو لها أن تكون حافزاً يدفع الباحثين إلى الاهتمام بكتب علم

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١

التجويد، فلا يمضى وقت طويل حتى نرى أهم كتب هذا العلم قد حُققَت و نشرت، و بدأ المشتغلون بعلم الأصوات يستفيدون من مادتها الصوتية الأصلية.

و في الختام أشكر الأستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان الذي أشرف على إعداد هذه الرسالة، و قام بقراءة أصولها الخطية، و أفادني بملاحظاته القيمة، و كان مثلاً طيباً للأستاذ المخلص للعلم، الحانى على طلبته. و أشكر كل من أسدى إليّ عوناً، لا سيما الذين يسروا لى الاطلاع على بعض المصادر المخطوطة، جزاهم الله كل خير.

و يلزمنى أيضاً توجيه الشكر إلى لجنة إحياء التراث الإسلامى بوزارة الأوقاف و الشؤون الدينية في العراق على قيامها بطبع هذا الكتاب على نفقة الوزارة، وفق الله القائمين عليها.

لخدمته تراثنا الإسلامى الخالد.

و الله تعالى أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه و أن ينفعنى به و بدعاء من نظر فيه يوم لا ينفع مالٌ و لا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم.

غانم قدورى الحمد ٨ / ١١ / ١٩٨٤ بغداد

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣

## الفصل الأول مصادر الدراسة الصوتية عند علماء التجويد (تاريخ و منهج)

### إشارة

إن كتب علم التجويد القديمة تكاد تكون مجهولة لدى معظم المشتغلين بالدراسات الصوتية العربية في الوقت الحاضر «١». و هى تكاد تكون مجهولة أيضاً لدى المتخصصين بدراسة علوم القرآن عامة و علم التجويد خاصة.

ولا يزال معظم تلك الكتب مخطوطا بعيدا عن متناول أيدي الباحثين «٢»، و لعل ذلك هو أحد الأسباب التي حالت بين الباحثين المعاصرين و الاستفادة من المادة الصوتية التي تضمنتها تلك الكتب. و يبدو لى أن الرسائل الموجزة التي كتبها المتأخرون و بعض المعاصرين فى علم التجويد كانت من بين الأسباب التي صرفت الدارسين عن تتبع كتب علم التجويد القديمة و دراستها و الاعتماد عليها، و ذلك لما يغلب على تلك الرسائل من الإيجاز الذى أدى إلى غموض العبارات فى كثير من الأحيان.

و قد كان لإهمال دارسى الأصوات العربية المعاصرين كتب علم التجويد و عدم الاستفادة منها فى بحوثهم نتائج تتمثل فى حرمان تلك البحوث من المادة التي تتضمنها تلك الكتب، (١) لم يستخدم رواد الدراسة الصوتية العربية الحديثة أيًا من كتب علم التجويد. فالذين كتبوا كتبًا مستقلة فى دراسة الأصوات العربية مثل (الدكاترة): إبراهيم أنيس، و عبد الرحمن أيوب، و كمال محمد بشر، و أحمد مختار عمر، لم يعتمدوا على تلك الكتب.

(٢) لم يطبع من كتب علم التجويد القديمة سوى كتاب (الرعاية لتجويد القراءة لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ)، و (شرح الواضحة) لابن أم قاسم المرادى (ت ٧٤٩ هـ)، و (التمهيد) لابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ)، و بعض شروح المقدمة الجزرية، مثل شرح ابن الناظم (كان حيا سنة ٨٢٩ هـ) و شرح الشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) و شرح القاضى زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ) و شرح على القارى (ت ١٠١٤ هـ). و كذلك طبع كتاب (تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين) لأبى الحسن على بن محمد الصفاقسى (ت ١١١٨ هـ).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤

و تتمثل فى عدم الدقة فى تقويم جهود علماء التجويد فى دراسة الأصوات اللغوية «١».

و فى هذا الفصل نحاول التعريف بكتب علم التجويد منذ ظهور التأليف المستقل فيه حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى، مع الوقوف على منهج علماء التجويد فى التأليف و فى طريقة دراسة الأصوات، و بيان ما تميز به ذلك المنهج. ممهدين لذلك بالبحث عن نشأة علم التجويد. و من ثم جاء هذا الفصل فى خمسة مباحث هي:

الأول: نشأة علم التجويد.

الثانى: تعريف بأشهر كتب علم التجويد.

الثالث: الفكرة التي تستند إليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد.

الرابع: منهج علماء التجويد فى دراسة الأصوات العربية.

الخامس: صلة علم التجويد بعلوم القرآن و علم اللغة.

\*\*\*\*\*

(١) قال جان كانتينو (دروس فى علم أصوات العربية ص ١١) فى حق الدراسات الصوتية القديمة عند النحويين: «و لو رجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها»، و هذا القول ينطبق على جهود علماء التجويد على نحو أكثر وضوحا.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥

## المبحث الأول نشأة علم التجويد

لم يعرف مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الذى يعنى بدراسة مخارج الحروف و صفاتها و ما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها فى الكلام المنطوق إلا فى حدود القرن الرابع الهجرى، كذلك لم يعرف كتاب ألف فى هذا العلم قبل ذلك القرن، و معنى هذا أن علم التجويد تأخر فى الظهور علما مستقلا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن و علوم العربية أكثر من قرنين من الزمان.

و قد جاء فى بعض المصادر المتأخرة أن الصحابى عبد الله بن مسعود- رضى الله عنه- قال: «جودوا القرآن...» «١». و استند بعض

المحدثين إلى هذه الرواية في القول بأن نشأة علم التجويد ترجع إلى عصر الصحابة، وقال: «و لسانا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره و وصف المراحل التي قطعها حتى صار علما مستقلا هو (علم التجويد)، و كل الذي يعرف عن مراحل الأولى أن أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: (جودوا القرآن و زينوه بأحسن الأصوات) ... و يبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، و محاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره...» (٢).

و حين تتبع هذه الرواية في المصادر القديمة وجدت أنها تنقل الرواية على نحو آخر لا تصلح معه للاستشهاد في ما نحن بصدده، فقد جاء فيها (جودوا) بالراء بعد الجيم مكان (جودوا) بالواو بعد الجيم (٣)، و يرجح لدى أن الرواية تصحفت في المصادر المتأخرة، لأنها (١) ابن الجزري: النشر ١ / ٢١٠، و السيوطي: الإتقان ١ / ٢٨١.

(٢) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ص ٧٧.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف ٢ / ٤٩٧، و أبو عبيد: غريب الحديث ٤ / ٩٤، و ابن أبي داود:

المصاحف ص ١٣٩. و أبو بكر بن الأنباري: إيضاح الوقف و الابتداء ١ / ١٦، و الداني: المحكم ص ١٠، و أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٥ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦

تنقل النص بإسناد ينتهي إلى أسانيد المصادر القديمة، ثم يختلف النص بعد ذلك في حرف واحد «١». و هذه الرواية تتعلق في الأصل بموضوع تجريد القرآن من الزيادات المتمثلة بالخموس و العشور و أسماء السور و نحو ذلك (٢).

و من المعلوم أنه لم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شيء في وصف القراءة، كذلك لم أجد في (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي يعتمد على تسعة من أشهر كتب الحديث، شيئا من ذلك (٣). و هذا أمر يمكن أن يستدل به على أن كلمة (التجويد) لم تكن مستعملة في عصر النبوة بالمدلول الذي صارت تدل عليه فيما بعد.

و كانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه في معنى كلمة (التجويد)، مثل: الترتيل، و التحسين، و التزيين، و التحبير، و هي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة إلى ذلك حسن الصوت و العناية بالأداء (٤) و لم يرد من هذه الكلمات الأربع في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل (٥).

و لا يعني ذلك أن مفردات مادة (ج و د) لم تكن مستعملة في اللغة العربية، فنجد عددا من الكلمات المشتقة من تلك المادة مثل: الجيد نقيض الرديء، و جاد الشيء جودة و جودة، أي: صار جيدا. و أجاد أتى بالجيد من القول و الفعل. و رجل جواد سخي، و جاد الفرس فهو جواد ... الخ (٦). و التجويد مصدر جودت الشيء. قال الداني: و معناه انتهاء الغاية في إتقانه، و بلوغ النهاية في تحسينه (٧). و أقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي، (١) ذكر ابن الجزري (التمهيد ص ٣) أن عليا رضى الله عنه سئل عن معنى الآية وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا فقال: «الترتيل تجويد الحروف و معرفة الوقوف»، و لكنني وجدت السمرقندي يذكر في روح المريد (١٣٧ و) أن عليا روى عن النبي صلى الله عليه و سلم في معنى الآية قوله: «الترتيل حفظ الوقوف و بيان الحروف»، و هذه الرواية أقرب إلى واقع الاستخدام الاصطلاحي لكلمة (التجويد).

(٢) انظر: الزركشي: البرهان ١ / ٤٧٩.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١ / ٣٩٦-٣٩٧.

(٤) انظر: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى، بحث لكاتب هذه الرسالة في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٩٨٠، ص ٣٧٨-٣٨٢.

(٥) قال الله تعالى: وَرَتَّلْنَا تَرْتِيلًا [الفرقان: ٣٢]. و قال: وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [المزمل: ٤].

(٦) ابن منظور: لسان العرب ٤/ ١١٠ جود.

(٧) التحديد ٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧

في المصادر التي اطلعت عليها، هو قول ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) مؤلف كتاب (السبعة في القراءات)، فقد قال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «حدثني الحسين بن شاعر السمسار، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جليّ و خفيّ. فالجليّ لحن الأعراب، و الخفيّ ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه» (١). و نقل أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٥٠ هـ) الرواية على هذا النحو: «... و الخفيّ ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها، بلا زيادة فيها و لا نقصان» (٢).

إن الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحية هو الوقت الذي ظهر فيه أول مصنف مستقل في علم التجويد، فقد قال ابن الجزري، و هو يترجم لأبي مزاحم موسى ابن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ: «هو أول من صنّف في التجويد فيما أعلم، و قصيدته الرائية مشهورة، و شرحها الحافظ أبو عمرو...» (٣). و المصنّف الذي أشار إليه ابن الجزري هنا على أنه أول مصنف في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، التي يقول في مطلعها:

أقول مقالا معجبا لأولى الحجر و لا فخر، إنّ الفخر يدعو إلى الكبر

و عدد أبياتها واحد و خمسون بيتا، ذكر فيها أبو مزاحم بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءا من علم التجويد، و كان لهذه القصيدة أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد، فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها، و بين معارض لها، أو شارح موضح لمعانيها (٤).

و مع أن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف مستقل ظهر في علم التجويد إلا أن أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة (التجويد) و لا أيا من الألفاظ الأخرى التي تشاركها في المادة اللغوية، و استخدم مكانها كلمة (الحسن) و ما اشتقّ من مادتها. فقد قال في صدر البيت الخامس:

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه (١) التحديد ٢٢ ظ.

(٢) الإيضاح ٦٨ ظ.

(٣) غايه النهاية ٢/ ٣٢١.

(٤) لمعرفة المزيد عن هذه القصيدة و الاطلاع على نصها يراجع بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى لا سيما المبحث الثاني و المبحث الثالث ص ٣٣٩-٣٦٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨

و قال في صدر البيت السابع عشر:

فقد قلت في حسن الأداء قصيدة و عدم استخدام أبي مزاحم لكلمة (التجويد) في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهورا حينذاك، على الرغم من ظهوره في ذلك الوقت، فقد استخدمه معاصره ابن مجاهد، كما مر في النص الذي نقلناه عنه.

و أول من استخدم مصطلح (التجويد) بعد ابن مجاهد هو أبو الحسن علي بن جعفر السعدي المتوفى في حدود ٤١٠ هـ (١) فقد قال في أول كتابه (التنبيه على اللحن الجلي و اللحن الخفي): «سألنتي ... أن أصنّف لك نبذا من تجويد اللفظ بالقرآن». و قال في موضع آخر:

«و يؤمر القارئ بتجويد الضاد من (الضالين) و غيرها» (٢). و شاع استخدام مصطلح (التجويد) بعد عصر السعدي على نطاق واسع (٣).

و إذا وافقنا ابن الجزري في قوله إن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف كتب في علم التجويد فإن هناك قريبا من قرن من السنين بين

تاريخ ظهورها و تاريخ ظهور كتاب السعيدى (التنبية على اللحن الجلى و اللحن الخفى) الذى يتميز بأنه أقدم كتاب معروف لدينا اليوم فى علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية، و هو يمثل بدء التأليف المستقل فى علم التجويد. و حين رجعت إلى كتاب (الفهرست) لابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ على الأرجح، لم أجده يذكر أى كتاب يحمل اسم التجويد أو يمكن أن يكون موضوعه فى هذا العلم، على الرغم من أنه ذكر فى الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه مئات الكتب المؤلفة فى علوم القرآن (٤). و هذا أمر يدل على أن علم التجويد لم يزل فى القرن الرابع الهجرى يخطو خطواته الأولى و لم تشتهر كتبه حين ألف ابن النديم كتابه سنة ٣٧٧ هـ (٥). و لا يزال تاريخ علم التجويد فى القرن الرابع بحاجة إلى نصوص جديدة تلقى مزيدا من البيان على نشأته (٦).

و حين نتقدم خطوة إلى الأمام و ندخل فى القرن الخامس الهجرى نجد أن المؤلفات فى (١) انظر ترجمته: الذهبى: معرفة القراءة ١/ ٢٩٨، و ابن الجزرى: غاية النهاية ١/ ٥٢٩.

(٢) كتاب التنبية ورقة ٤٥ ظ، و ٤٧ ظ.

(٣) ينظر فى ذلك بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى، ص ٣٨٤-٣٨٩.

(٤) انظر: الفهرست ص ٢٧-٤٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٣.

(٦) راجع ملحقا عن علم التجويد فى القرن الرابع الهجرى فى آخر هذه الرسالة.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩

علم التجويد يتتابع ظهورها حتى إننا لنجد أن أعظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت فى هذا القرن، فبعد كتاب (التنبية على اللحن الجلى و اللحن الخفى) للسعيدى الذى ظهر فى نهاية القرن الرابع أو السنين الأولى من القرن الخامس يظهر فى الأندلس كتابان كبيران فى علم التجويد، هما (الرعاية) لمكى بن أبى طالب القيسى (ت ٤٣٧ هـ) و (التحديد) لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ). و نجد فى مقدمة كتاب (الرعاية) لمكى ما يشير إلى أن القرن الخامس هو التاريخ الحقيقى لظهور المؤلفات فى علم التجويد، قال مكي: «و ما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقنى إلى تأليف مثل هذا الكتاب، و لا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف و ألقابها، و لا ما أتبع فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، و التنبية على تجويد لفظه، و التحفظ به عند تلاوته. و لقد تصور فى نفسى تأليف هذا الكتاب و ترتيبه من سنة تسعين و ثلاثمائة، و أخذت نفسى بتعليق ما يخطر ببالي منه فى ذلك الوقت، ثم تركته إذ لم أجد معينا فيه من مؤلف سبقنى بمثله قبلى، ثم قوى الله النية و حدّد البصيرة فى إتمامه بعد نحو من ثلاثين سنة، فسهل الله تعالى أمره، و يسّر جمعه، و أعان على تأليفه» (١).

و جاء فى مقدمة كتاب (التحديد) للدانى ما يشير إلى معنى الذى يفهم من قول مكي السابق من انعدام المؤلفات فى علم التجويد فى وقتها، فقال الدانى: «أما بعد فقد حدانى ما رأيته من إهمال قراء عصرنا و مقرئى دهرنا من تجويد التلاوة و تحقيق القراءة، و تركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه، و حث نبيه صلى الله عليه و سلم و أمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل و الترتيل - أن أعملت نفسى فى رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ فى وصف علم الإتيقان و التجويد، و كيفية الترتيل و التحقيق» (٢).

و إذا كان بإمكاننا أن نقول إن مكي ألف كتاب (الرعاية) سنة ٤٢٠ هـ اعتمادا على النص الذى سبق أن نقلناه من الكتاب، فإننا لا نعلم يقينا السنة التى ألف فيها الدانى كتاب (التحديد)، و لا نعلم هل ألفه قبل أن يظهر كتاب (الرعاية) أو بعد ظهوره؟ (٣).

و مهما يكن من أمر فإن نشأة علم التجويد ترتبط بقصيدة أبى مزاحم الخاقانى، و إن (١) الرعاية ص ٤٢.

(٢) التحديد ورقة ١ ظ.

(٣) ينظر فى ذلك بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى ص ٣٧٥-٣٧٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠

مؤلفاته الأولى تتمثل بكتاب (التنبيه على اللحن الجلي و اللحن الخفي) للسعيدى، و كتاب (الرعاية) لمكى، و كتاب (التحديد) للدانى، ثم تتوالى المؤلفات بعد ذلك متواصلة حتى عصرنا الحاضر.

و ارتباط نشأة علم التجويد بالمؤلفات المذكورة هنا يعنى أن علم التجويد قد تأخر ظهوره بشكله المتميز المستقل أكثر من قرنين من الزمن عن ظهور كثير من علوم القرآن و العربية، و يبدو أن جهود علماء العربية من النحويين و اللغويين و جهود علماء القراءة كانت تقوم بالمهمة التى قام بها علم التجويد بعد ظهوره، فى تعليم الناطقين بالعربية أصول النطق الصحيح، و تحذيرهم من الانحراف فى نطق الأصوات العربية.

و تكاد تتلخص جهود اللغويين و النحاة فى دراسة الأصوات العربية حتى أواخر القرن الرابع الهجرى بما كتبه الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) فى مقدمة كتاب العين عن مخارج الحروف و صفاتها «١»، و سيويوه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ) فى (الكتاب) فى باب الإدغام خاصة «٢». و المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) فى كتاب (المقتضب) فى أبواب الإدغام «٣»، و ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١ هـ) فى مقدمة جمهرة اللغة «٤». و الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٣٧ هـ) فى آخر كتاب الجمل فى باب الإدغام «٥». و الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) فى مقدمة تهذيب اللغة «٦». و أخيراً ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) فى سر صناعة الإعراب «٧». و هناك نتف أخرى متناثرة فى بعض الكتب «٨».

أما كتب القراءات القديمة التى ترجع إلى القرنين الثانى و الثالث فإنه لم يصل إلينا منها شىء يذكر «٩». و أقدم كتاب وصل إلينا من كتب القراءات هو كتاب (السبعة فى القراءات) لأبى (١) العين ١ / ٥٢ - ٦٧.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣١ - ٤٨٥، و مواضع أخر متفرقة.

(٣) المقتضب ١ / ١٩٢ - ٢٣٦.

(٤) جمهرة اللغة ١ / ٤ - ٨.

(٥) الجمل ص ٣٧٥ - ٣٨٢.

(٦) تهذيب اللغة ١ / ٤١ - ٥٢.

(٧) سر صناعة الإعراب ١ / ١ - ٧٥.

(٨) مثل الواضح فى علم العربية لأبى بكر الزبيدى ص ٢٨١ - ٢٨٣.

(٩) ينظر لمعرفة أسماء تلك الكتب: عبد الهادى الفضلى: القراءات القرآنية ص ٢٧ - ٣٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١

بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ)، الذى حققه الدكتور شوقى ضيف، و لا نجد فى هذا الكتاب أبواباً مستقلة تعالج موضوع الأصوات العربية، و إنما جاءت الملاحظات الصوتية متناثرة فى ثناياه.

و قد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين و اللغويين و علماء القراءة، و صاغوا منها هذا العلم الجديد الذى اختاروا له اسم (علم التجويد)، و واصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، و أضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم فى دراسة الأصوات اللغوية.

و بالرغم من استناد علماء التجويد على جهود سابقهم من علماء العربية و علماء القراءة فقد جاء عملهم متميزاً، و لا يمكن أن نعدده جزءاً من تلك الجهود، و إنما جاء عملاً شاملاً للدرس الصوتي، أما علماء العربية فإنهم عالجوا الموضوع فى إطار الدرس الصرفي و هو أمر تجاوزه علماء التجويد و ذلك بالنظر إلى أصوات اللغة نظرة أشمل من ذلك.

أما علماء القراءة فإنهم كانوا مشغولين برواية النص القرآنى الكريم و ضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة حتى



تنتهى إلى طبقه الصحابه رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا يمكن أن تعد الكتب التي ألفها القراء في وصف القراءات القرآنية بدءاً للتأليف في علم التجويد، لأن علم القراءة و علم التجويد، وإن كان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفان في المنهج، أما الموضوع فإن علم التجويد لا يعنى باختلاف الرواء بقدر عنايته بتحقيق اللفظ و تجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء، و أما المنهج فإن كتب القراءات كتب روايه، و كتب التجويد كتب درايه، تعتمد على مقدرة العالم في ملاحظه أصوات اللغه و تحليلها و وصفها.

و يتضح ذلك من عدة نصوص وردت في كتاب (الرعايه) لمكى، منها قوله في مقدمه الكتاب: «و لست أذكر في هذا الكتاب إلا ما لا- اختلاف فيه بين أكثر القراء، فيجب على كل من قرأ بأي حرف كان من السبعه أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ و تجويده، و إعطائه حقه على ما نذكره مع كل حرف من هذا الكتاب» (١). و منها قوله و هو يتحدث عن أحكام تجويد الهمزة:

«و قد تقدم ذكر أصول القراء و اختلافهم في الهمز و تليينه و حذفه و بدله و تحقيقه و غير ذلك من (١) الرعايه ص ٤٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢

أحكامه في غير هذا الكتاب، فلا حاجة بنا إلى ذكر ذلك، و كذلك ما شابهه، فليس هذا كتاب اختلاف، و إنما هو كتاب تجويد ألفاظ و وقوف على حقائق الكلام و إعطاء اللفظ حقه و معرفه أحكام الحروف التي ينشأ الكلام منها، مما لا اختلاف في أكثره» (١). و منها قوله أيضاً و هو يتحدث عن تجويد حرف الذال: «و قد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال و غيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلک الكتب كتب تحفظ منها الروايه المختلف فيها، و هذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوه التي لا خلاف فيها، فتلک كتب روايه، و هذا كتاب درايه» (٢).

و قد لخص محمد المرعشى (الملقب ساج قلى زاده ت ١١٥٠ هـ) ذلك كله في قوله:

«إن قلت: ما الفرق بين علمي التجويد و القراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تميم، إذ لا يتعلق الغرض به. و أما علم التجويد فالغرض منه معرفه ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تميم، كذا حقق في الرعايه» (٣)، و كتاب الرعايه هو من تأليف مكى بن أبى طالب. و قد نقلنا منه عدة نصوص قبل هذا النص.

و قد تحدث المرعشى عن هذا الموضوع في كتابه (ترتيب العلوم) أيضاً، فقال: «اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد لأن المقصود من الثانى معرفه حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلاً يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا و حقيقة الترفيق كذا و في القراءة [يعرف فخمها فلان و رققها فلان. و بهذا يندفع ما عسى أن يقال علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحروف كالإدغام و الإظهار و المد و القصر و التفخيم و الترفيق، و هى مباحث علم التجويد» (٤).

و لا يعنى تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعنى أن علماء التجويد اختلفوا هذه الأصول أو ابتدعوها، فالواقع هو أن قراء القرآن كانوا يعتنون غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ و إعطاء الحروف حقهها منذ (١) المصدر نفسه ص ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٩-٢٠٠، و انظر أيضاً ص ١٧٦ و ٢٠٥.

(٣) جهد المقل ورقة ٢ ظ.

(٤) ترتيب العلوم ص ٦٤-٦٥، طبع مركز إحياء التراث العلمى بجامعة بغداد ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣

عصر الصحابه و هلم جرا حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، و كانوا يستندون في ذلك إلى الروايه الأكيدة و الأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم.

فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقراءهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق، فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان.

ويوضح لنا قول محمد المرعشي الآتي كيفية قراءة القرآن في المرحلة التي سبقت ظهور كتب علم التجويد حيث يقول: «و تجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، وتزيد المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحرير» (١)، فكانت أجيال المسلمين تجود القرآن بالمشافهة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعنى بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن وإتقان اللفظ بحروفه.

\*\*\*\*

(١) جهد المقل ورقة ٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤

### المبحث الثاني تعريف بأشهر كتب علم التجويد

التأليف في علم التجويد لم ينقطع منذ ظهور مؤلفاته الأولى في القرن الرابع الهجري، حتى وقتنا الحاضر، وهذه ظاهرة توضح مقدار ارتباط المسلمين بالقرآن العظيم وحرصهم على تجويد حروفه وإتقان النطق بألفاظه. وقد أنتجت تلك الحركة التأليفية عشرات الكتب على مدى القرون المتتابعة، ويبدو أن تقديم قائمة كاملة بأسماء تلك الكتب أمر غير متيسر للدارسين اليوم، فالمراجع القديمة المتخصصة بالحديث عن العلوم والكتب المؤلفة فيها لا تقدم لنا إلا عددا محدودا من أسماء تلك الكتب، فلم يتجاوز ما ذكره السيوطي عن هذا الجانب في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) السطر الواحد حيث قال: «من المهمات تجويد القرآن، وقد أفرده جماعة كثيرون بالتصنيف، ومنهم الداني وغيره» (١).

وما ذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون)، وهو يتحدث عن علم التجويد، يعد شيئا يسيرا جدا إلى ما هو معروف من كتب هذا العلم، قال: «و أول من صنف في التجويد موسى ابن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقرئ المتوفى سنة خمس وعشرين و ثلاثمائة، ذكره ابن الجزري. و من المصنفات فيه: الدر اليتيم، و شرحه، و الرعاية، و غاية المراد، و المقدمة الجزرية، و شروحه، و الواضحة» (٢).

و المشكلة الأساسية التي تعترض الدارس وهو يحاول استقصاء كتب علم التجويد هي أن ما سلم منها من التلف والضياع لا يزال معظمه مخطوطا، ولا شك في أن معرفة أسماء تلك المخطوطات وتحديد أماكن وجودها أمر غير متيسر دائما، لندرة فهارس المخطوطات، وهي إن توفرت في بلد فلا تتوفر في بلد آخر. وإن توفرت بعضها فقد لا تتوفر بعضها الآخر. أما الحصول على نسخ مصورة من تلك المخطوطات فذلك أمر دونه خرط القتاد. (١) الإتقان ١ / ٢٨١.

(٢) كشف الظنون ١ / ٣٥٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥

وما سذكروه من أسماء كتب علم التجويد هو المحاولة الأولى في هذا السبيل، على ما أعلم، ومن ثم تظل هذه القائمة مظنة النقص والقصور، على أمل أن يكملها النظر المستمر والجهد المتواصل من المهتمين بهذا العلم الذي لم يحظ بما يستحقه من درس إلى اليوم. وقد استخلصت هذه القائمة من فهارس المخطوطات التي تيسر لي الاطلاع عليها، ومن فهارس الكتب مثل (كشف الظنون)، ومن



كتب التراجم، مثل (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، الذي استخلصت منه أسماء جميع الكتب التي تتصل بعلم التجويد، ورتبت هذه القائمة على أساس تاريخي تبعا لوفاء المؤلفين، موردا اسم المؤلف و تاريخ وفاته و اسم الكتاب، مشيرا إلى ما هو مخطوط منها أو مطبوع، من غير أن أستقصى أماكن وجود المخطوط، فإن لذلك مظانه الخاصة، من بدء التأليف في هذا العلم، حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري «١»:

١- أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي (ت ٣٢٥هـ): (١) تضمن عدد من كتب القراءات القرآنية مباحث (لا تتجاوز عشر ورقات) عن مخارج الحروف و صفاتها، و ما يتصل بذلك من موضوعات علم التجويد، و هذه أسماء بعض تلك الكتب، معتمدا في ذكرها على ما أورده المستشرق أوتو برتزل في مجلة إسلاميكا (سنة ١٩٣٤ م) حيث أثبت فهارس موضوعات بعض كتب القراءات المخطوطة:

- أ- شرح الهداية في القراءات السبع المشهورة- أحمد بن عمار المهدي (ت بعد ٤٣٠هـ)، برتزل ص ٢٤.  
 ب- الإقناع في القراءات السبع- أحمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، برتزل ص ٢٨.  
 ج- الموضح في القراءات- نصر بن علي الفارسي (القرن السادس)، برتزل ص ٣٣.  
 د- المصباح الزاهر- المبارك بن الحسن الشهرزوري (ت ٥٠٥هـ)، برتزل ص ٣٩.  
 هـ- روضة القارئ- موسى بن الحسين المعدل (القرن الخامس)، برتزل ص ٤٤.  
 و مما لم يذكره برتزل.

- و- الإيضاح في القراءات- أحمد بن أبي عمر الخراساني (ت بعد ٥٠٠هـ) (انظر الإيضاح ورقة ٤٥-٧٥).  
 ز- النشر في القراءات العشر- أبو الخير محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) (النشر ١/ ٩٨١-٢٢٤).  
 ح- لطائف الإشارات لفنون القراءات- أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) (لطائف ١/ ١٨٢-٢٤٧).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦

القصيدة الخاقانية التي قالها في حسن الأداء «١»، و مطلعها:

أقول مقالا لأولى الحجر و لا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر

و كان لهذه القصيدة تأثير في جهود علماء التجويد الذين عاشوا بعد عصر أبي مزاحم، و يتمثل ذلك التأثير في نواح ثلاث:

أ- المعارضة، مثل قصيدة أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (ت ٣٧٧هـ)، التي مطلعها:

أقول لأهل اللب و الفضل و الحجر مقال مرید للثواب و للثواب و للأجر

«٢» و مثل قصيدة محمد بن أحمد العجلي، التي رواها عنه أبو علي الأهوازي (ت ٤٤٦هـ) في البطائح سنة ٣٨٦هـ، و مطلعها:

لك الحمد يا ذا المنّ و الجود و البرّ كما أنت أهل للمحامد و الشكر

«٣» ب- الشرح، مثل شرح أبي عمرو الداني (انظر رقم ٤ الآتي).

ح- الاقتباس، حيث لا يكاد يخلو كتاب من كتب علم التجويد القديمة من بعض أبيات قصيدة أبي مزاحم «٤».

٢- أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي السعدي، نزيل شيراز (ت في حدود ٤١٠هـ):

أ- التنبيه على اللحن الجلي و اللحن الخفي.

ب- اختلاف القراء في اللام و النون.

و هما كتابان صغيران، الأول قدر عشر ورقات، و الثاني قدر ثلاث ورقات، و لا يزالان مخطوطين «٥». (١) حققت هذه القصيدة و نشرتها في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، في العدد السادس (سنة ١٩٨٠ م)، ضمن بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى (انظر ص ٣٤٨-٣٥٤).

(٢) انظر: ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٧٣-٧٤، و ابن الجزرى: غاية النهاية ٢ / ٦٧.

(٣) ابن الجزرى: غاية النهاية ٢ / ٨٥-٨٦.

(٤) يمكن الاطلاع على أمثلة من تلك الاقتباسات فى بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى ص ٣٥٤-٣٦٥.

(٥) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى ١ / ١٧٠. و قد قمت بتحقيق هذين الكتابين و طبعا فى دار عمار/الأردن.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧

٣- أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى القيروانى ثم القرطبي (ت ٤٣٧ هـ):

الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة- مطبوع «١».

٤- أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ):

أ- التحديد فى الإتقان و التجويد- مخطوط «٢».

ب- شرح قصيدة أبى مزاحم الخاقانى- مخطوط «٣».

ج- كتاب الإدغام الكبير- مخطوط «٤».

د- المنبهة فى الحذق و الإتقان و صفة التجويد للقرآن- مخطوط «٥».

هـ- كتاب البيان و الإدغام «٦».

و- رسالة فى مخارج الحروف- مخطوط «٧».

٥- أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن بندار العجلي الرازى (ت ٤٥٤ هـ):

كتاب فى التجويد «٨».

٦- أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ):

الموضح فى التجويد- مخطوط «٩».

٧- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ):

أ- التجويد و المدخل إلى العلم بالتحديد. (١) طبع فى دار المعارف بدمشق سنة ١٩٧٣ م و فى دار عمار/الأردن، بتحقيق د. أحمد حسن فرحات.

(٢) منه نسخة فى مكتبة وهبى أفندى بتركيا رقمها (١ / ٤٠)، و قد أكملت تحقيقه و طبع فى دار عمار/الأردن.

(٣) مكتبة (رضا) فى رامبور بالهند رقم (٢٧٩) و جسترى بدبلن رقم (١٠ / ٣٦٥٣).

(٤) المتحف البريطانى رقم (مشرقيات ٣٠٦٧)، و منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة (فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٦).

(٥) الخزانة العامة للكتب فى الرباط رقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

(٦) ذكره الدانى نفسه فى كتاب (الإدغام الكبير) ورقة ٢٠ و ٢٨ و.

(٧) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٦١٠).

(٨) ابن الجزرى: النشر ١ / ٢١٢.

(٩) مكتبة (رضا) فى رامبور بالهند رقم (٢٨٣)، طبع فى دار عمار/الأردن.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨

ب- البيان عن تلاوة القرآن «١».

٨- أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن البناء البغدادي (٤٧١ هـ):

أ- كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، و إيضاح الأدوات التي بنى عليها الإقراء- مخطوط «٢».

ب- التجريد في التجويد «٣».

٩- أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت ٥٣٩هـ):  
نهاية الإتقان في تجويد القرآن- مخطوط «٤».

١٠- أبو علي سهل بن محمد بن أحمد الأصبهاني الحاجي (ت ٥٤٣هـ):  
التجريد في التجويد- مخطوط «٥».

١١- أبو حميد (و أبو الأصغ) عبد العزيز بن علي بن محمد الأندلسي المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ):  
أ- الإنباء في تجويد القرآن- مخطوط.

ب- مقدمة في التجويد- مخطوط «٦».

ج- رسالته في مخارج الحروف- مخطوط «٧».

د- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ- مخطوط «٨». (١) الحميدى: جذوة المقتبس ص ٣٤٥. القاضي عياض: ترتيب المدارك  
٨١٠ / ٤

(٢) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل رقم (٥ / ٢٠ مجاميع المدرسة الإسلامية)، وقد قمت بتحقيقه و طبع في دار عمار/الأردن.

(٣) ذكره ابن البناء نفسه في كتابه (بيان العيوب) ورقة ١٧٤ ظ.

(٤) مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية في البنغال بكلكتا بالهند رقم (٧٩٥).

(٥) مكتبة (رضا) في رامبور بالهند رقم (٢٨٥).

(٦) كلاهما في مكتبة جسترمتي في دبلن بإيرلندة رقم (٣ / ٣٤٥٣).

(٧) المكتبة الظاهرة بدمشق رقم (٦٦)، و الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم (٣٩٧)، و قد علمنا أخيرا أن الكتاب طبع  
بمكة المكرمة سنة ١٩٨٤ بعنوان (مخارج الحروف و صفاتها) بتحقيق الدكتور محمد يعقوب تركستاني.

(٨) مكتبة جسترمتي رقم (٤ / ٣٩٢٥)، و الخزانة التيمورية رقم (٣٩٧).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩

١٢- أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني العطار (ت ٥٦٩هـ):  
التمهيد في التجويد- مخطوط «١».

١٣- أبو بكر محمد بن حامد بن محمد الأصفهاني (من علماء القرن السادس) «٢»:

أ- التبيين في شرح النون و التنوين.

ب- الإدغام الكبير بعلة «٣».

١٤- أبو المعالي محمد بن أبي الفرج بن بركة فخر الدين الموصلی ثم البغدادی (ت ٦٢١هـ):  
أ- نبذة المرید فی علم التجويد «٤».

ب- الدر الموصوف (أو المرصوف) في وصف مخارج الحروف- مخطوط «٥».

١٥- أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ):

أ- منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد و التحقيق- و هو باب في كتاب (جمال القراء) للمؤلف «٦».

ب- عمدة المفيد و عدة المجيد في معرفة لفظ التجويد. قصيدة نونية مطلعها:

يا من يروم تلاوة القرآن و يروود شأو أئمة الإتقان

- (١) مكتبة جسترى رقم (٣٩٥٤)، وهو منسوب في فهرس المكتبة إلى أبي بكر جعفر بن محمد المستغفرى (ت ٤٣٢ هـ) و لكنى رجحت في بحث (علم التجويد ص ٣٥٩ هامش ٢). أنه لأبى العلاء، و أعود هنا لتأكيد ذلك بعد أن وازنت بين شيوخ مؤلف (التمهيد) و شيوخ أبى العلاء الذين ذكرهم في كتابه المخطوط (الهادى فى المقاطع و المبادئ) حيث أن أسماء أولئك تتطابق مع أسماء هؤلاء، فدل هذا على أنهما لمؤلف واحد.
- (٢) ذكر جعفر بن إبراهيم السنهورى (ت ٨٩٤ هـ) فى كتاب (الجامع المفيد فى صناعة التجويد) (ورقة ٨٣ و من مخطوطه برلين رقم ١٣٠٧) كتاب: (وسيلة الحفى فى إيضاح اللحن الخفى) لهاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ.
- (٣) ذكرهما ابن الجزرى فى غاية النهاية ١١٤ / ٢.
- (٤) ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤، ق ٣، ص ٣٦٠.
- (٥) مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل رقم (٥ / ٢٠ المدرسة الإسلامية)، و قد أكملت تحقيقه.
- (٦) الأوراق (١٨٩ و- ١٩٥ ظ) من جمال القراء.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠
- و قد ضمها علم الدين السخاوى إلى كتابه (جمال القراء) «١»، و قد تنسخ مفردة «٢»، و عليها عدة شروح «٣».
- ١٦- أبو عبد الله محمد بن عتيق بن على التجيبى الغرناطى (ت ٦٤٦ هـ):
- الدر المكللة فى الفرق بين الحروف المشكلة «٤».
- ١٧- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق الإشبلى (ت ٦٥٤ هـ):
- كتاب فى تجويد القراءه و مخارج الحروف- مخطوط «٥».
- ١٨- أبو على الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص الأندلسى المعروف بابن الناظر (ت ٦٧٩ هـ):
- الترشيد فى علم التجويد «٦».
- ١٩- أبو الحسن على بن يعقوب بن شجاع، عماد الدين الموصلى المعروف بابن أبى زهران (ت ٦٨٢ هـ):
- التجريد فى التجويد «٧».
- ٢٠- أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير الخابورى الحلبي (ت ٦٩٠ هـ):
- الدر النضيد فى التجويد «٨».
- ٢١- أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد المعروف بالديرينى (ت ٦٩٧ هـ): (١) الأوراق (١٩٥ ظ- ١٩٧ و) من جمال القراء.
- (٢) منها نسخه مفردة فى مكتبة المتحف ببغداد ضمن مجموع برقم (٩٤١٤).
- (٣) انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون ١١٧٢ / ٢.
- (٤) البغدادى: هديه العارفين ١ / ١٢٤. و يبدو مما نقله ابن غانم المقدسى منه أن الكتاب أرجوزة (انظر بغية المرئاد ورقة ٦ ظ).
- (٥) مكتبة أيا صوفيا بتركيا رقم (٧ / ٣٩) و مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية فى البنغال رقم (٧٩٥). فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة من نسخه أيا صوفيا (انظر: فهرس المخطوطات المصورة ١ / ١٣).
- (٦) ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٢٤٢.
- (٧) البغدادى: إيضاح المكنون ١ / ٢٢٨، و هديه العارفين ١ / ٧١٣.
- (٨) ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٧٣.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١
- أ- ميزان الوفى فى معرفة اللحن الخفى «١».

ب- منظومة في التجويد- مخطوط «٢».

٢٢- أبو محمد عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن الصعدي (لم أتمكن من تحديد تاريخ وفاته و لكن أباه قد توفي سنة ٦٥٠ هـ):

أ- بغية المرید في معرفة التجويد.

ب- البلغة الراجعة في تقويم الفاتحة.

ج- جزء في مخارج الحروف «٣».

٢٣- أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الخراز (ت ٧١٨ هـ):

المقصد شرح نظم ابن بزي في أصوات القرآن- مخطوط «٤».

٢٤- محمد بن قيصر بن عبد الله، البغدادي الأصل، الشهير بالمارديني النحوي (ت ٧٢١ هـ):

الدر النضيد في معرفة التجويد- مخطوط.

و هو قصيدة لامية في (٢٧١) بيتا، أولها:

بدأت بحمد الله ذي الطول والعلا «٥» ٢٥- إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت ٧٣٢ هـ):

للجعبري عدد من المؤلفات في علم التجويد، وقد ظفرت بفهرس مصنفات الجعبري مخطوطا بمكتبة المتحف ببغداد، و هو من

تصنيف الجعبري نفسه، فكان خير دليل إلى معرفة (١) البغدادي: هدية العارفين ١ / ٥٨٠.

(٢) مكتبة جسترمتي رقم (٣٨٤٦ / ٦). و لا أعلم هل هي ميزان الوفي، أو كتاب آخر.

(٣) ابن الجزري: غاية النهاية ١ / ٤٠١.

(٤) المتحف البريطاني رقم (٧٥٣٣ مشقيات). و غير متيسر القول بأن المقصود بنظم ابن بزي هنا هو (متن ابن بزي في التجويد) الذي

تحتفظ بنسخة منه دار الكتب الوطنية بتونس رقم (٢٧٧) و المكتبة ببرلين رقم (١٧٧٥). و الاطلاع على الشرح و المتن كفيلا وحده

بتوضيح العلاقة بينهما، و هذا ليس في متناول اليد الآن. مع العلم أن ابن بزي هو علي بن محمد بن علي (ت ٧٠٩ أو ٧٣٠) كما جاء

في وصف نسخة برلين، و ليس علي بن بزي اللغوي النحوي (ت ٥٨٢ هـ).

(٥) مكتبة جسترمتي رقم (٣٦٥٣ / ٤).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢

تلك المؤلفات، و هي مقسمة في الفهرس إلى ما كان منها منظوما، و ما كان منها منشورا، أما المنظومة فهي «١»:

أ- عقود الجمان في تجويد القرآن «٢».

ب- حدود الإتيان في تجويد القرآن «٣».

ج- القيود الواضحة في تجويد الفاتحة «٤».

د- المرصاد الفارق بين الظاء و الصاد.

هـ- تحقيق التعليم في التريق و التنخيم «٥».

أما المؤلفات المنشورة فهي «٦»:

أ- المنه في تحقيق الغنة «٧».

ب- حقيقة الوقوف على مخارج الحروف.

ج- إتمام التبيين في أحكام النون الساكنة و التنوين.

٢٦- أبو عبد الله محمد بن بضحان الدمشقي (ت ٧٤٣ هـ):

التذكرة و التبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو أنكره «٨».

٢٧- أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله، بدر الدين المرادى، المعروف بابن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ): (١) الجعبرى: الهبات الهنيات فى المصنفات الجعبريات ورقة ١ ظ.

(٢) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٥٩٣٧) انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون ٢/ ١١٥٤.

(٣) الوادى آشى: برنامجه ص ٤٧، و البغدادى: هدية العارفين ١/ ١٤، و إيضاح المكنون ١/ ٣٩٦.

(٤) و هى قصيدة مشهورة باسم (الواضحة فى تجويد الفاتحة) شرحها جماعة مثل ابن أم قاسم المرادى (انظر رقم ٢٧)، و أحمد بن على المعروف بالمقيني (من شرحه نسخة فى المتحف البريطانى رقم ٤٢٥٣ مشرقيات). كما اختصرها آخرون مثل فضل بن سلمة (كشف الظنون ٢/ ١٩٩٦).

(٥) البغدادى: هدية العارفين ١/ ١٤. و منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الدراسات العليا فى كلية الآداب بجامعة بغداد رقم (٣/ ١٠٠٢).

(٦) الجعبرى: الهبات الهنيات ورقة ٢ ظ.

(٧) نقل منه القسطلانى فى لطائف الإشارات (١/ ١٩٥).

(٨) ابن الجزرى: النشر ١/ ٢١٥، و انظر: غاية النهاية ٢/ ٥٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣

أ- المفيد فى شرح عمدة المجيد فى النظم و التجويد- (و هو شرح نونية علم الدين السخاوى فى التجويد، انظر رقم ١٥) مخطوط «١».

ب- شرح الواضحة فى تجويد الفاتحة- (و الواضحة قصيدة للجعبرى، انظر رقم ٢٥) مطبوع «٢».

ج- أرجوزة فى مخارج الحروف و صفاتها، و شرحها «٣».

٢٨- أبو بكر عبد الله بن أيدغدى بن عبد الله الشهير بابن الجندى (ت ٧٦٩ هـ):

التسديد فى علم التجويد «٤».

٢٩- محمد بن محمود بن محمد بن أحمد السمرقندى الأصل، الهمذانى المولد، البغدادى الدار (ت ٧٨٠ هـ):

أ- التجريد فى التجويد «٥».

ب- العقد الفريد فى نظم التجويد.

ج- روح المرید فى شرح العقد الفريد- مخطوط «٦».

د- القصيدة الفاتحة فى تجويد الفاتحة، و شرحها- مخطوط «٧».

٣٠- موسى بن أحمد بن إسحاق الشهبى (ت ٧٨٤ هـ):

قال ابن الجزرى: «صاحبى الشاب الخير .. مات شهيدا بالطاعون ... و ألف فى (١) مكتبة جسترىتى رقم (٣/ ٣٦٥٣)، و الخزانة التيمورية رقم (٤٦٢).

(٢) صدر حديثا من دار القلم ببيروت (د. ت) بتحقيق د. عبد الهادى الفضلى.

(٣) ذكرها المرادى نفسه فى كتابه (المفيد) ورقة ١٠١، و شرح التسهيل (له) ٣٠٤. و قد ذكر ابن الجزرى (غاية النهاية ١/ ٥٩٥) أن

أبا حفص عمر بن على بن عمر السراج القزوينى شيخ بغداد (ت ٧٥٠ هـ) جمع شيئا فى التجويد.

(٤) ذكره جعفر بن إبراهيم السنهورى (ت ٨٩٤ هـ) فى كتابه (الجامع المفيد فى صناعة التجويد) انظر: ورقة ٥٩ ظ، ٦٢، و ٦٣ ظ، ٧٤

ظ، من مخطوطة مكتبة برلين (رقم ١٣٠٧).

(٥) ابن الجزرى: غاية النهاية ٢/ ٢٦٠.

(٦) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١/ ٩١٨١) و الأوقاف بالموصل رقم (٢/ ٢٢) مجاميع مدرسة الحجيات) و القادريه ببغداد (انظر فهرس

مخطوطات المكتبة القادرية ١/ ١٤٤).

(٧) مكتبة آقائي السيد محمد مشكاه بمكتبة جامعة طهران رقم (١٠٥).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤

التجويد ... و لو عاش لكان آية في هذا الفن» «١». و لم أقف على أى كتاب له.

٣١- على بن عثمان بن محمد، الشهير بابن القاصح (ت ٨٠١هـ):

نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة و التنوين - مخطوط «٢».

و كان قد ألف في هذا الموضوع قبل ابن القاصح أبو بكر محمد بن حامد الأصفهاني (رقم ١٣) و إبراهيم بن عمر الجعبري (رقم ٢٥)،

و ألف فيه بعد ابن القاصح جماعة من العلماء، و ربما ذكروا مع أحكام النون الساكنة موضوعات أخرى، و من تلك المؤلفات:

أ- تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة و التنوين و المد و القصر - للقاضي زكريا ابن محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، و هو مخطوط «٣».

ب- مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة و التنوين - لناصر الدين محمد بن سالم ابن علي الطبلاوي (ت ٩٦٦هـ)، و هو مخطوط «٤».

ج- فتح المبين شرح مرشدة المشتغلين - لمحمد بن محمد بن رجب البهنسي الأصل الدمشقي (ت ٩٨٦هـ)، و هو شرح (مرشدة المشتغلين) للطبلاوي، و لا يزال مخطوطا «٥».

د- العمدة السنية في أحكام النون الساكنة و التنوين، و المد و القصر، و لام الفعل و اللام القمرية و الشمسية - لمحمد بن القاسم بن إسماعيل البقري (ت ١١١١هـ) «٦».

٣٢- خليل بن عثمان بن عبد الرحمن القرافي، المعروف بابن المشبب (ت ٨٠١هـ):

قال ابن الجزري: «و ألف كراسا في التجويد» «٧». و لعله (تحفة الإخوان فيما تصح به تلاوة القرآن) الذي ذكره حاجي خليفة «٨». و

قد سماه جعفر بن إبراهيم السنهوري (تحفة (١) غايه النهاية ١/ ٣١٦-٣١٧).

(٢) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٤/٦٩٠).

(٣) مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد رقم (١٢١٢) و المتحف ببغداد (٢/٢١٣١٢) و الأوقاف ببغداد (٢١/٢٢٨١١ مجاميع).

(٤) مكتبة المتحف ببغداد (٥/٦٩٠) و الأوقاف ببغداد (٣/١٣٥٨٧).

(٥) المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٥٣٣).

(٦) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١١/ ١٣٦.

(٧) غايه النهاية ١/ ٢٧٦.

(٨) كشف الظنون ١/ ٣٦١، و انظر: البغدادي هدية العارفين ١/ ٣٥٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥

الإخوان في تجويد القرآن» «١».

٣٣- أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المشهور بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ):

أ- التمهيد في علم التجويد «٢».

ب- المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، و تعرف بالمقدمة الجزرية.

و هي نظم يتألف من (١٠٧) أبيات و مطلعها:

يقول راجي عفو ربّ سامح محمد بن الجزري الشافعي

وهي من أشهر كتب علم التجويد في العصور المتأخرة، وأكثرها تداولاً، وقد شرحت شروحا عدة، وطبعت مفردة أو مشروحة طبعات كثيرة، كما أنها ترجمت إلى بعض لغات المسلمين الأخرى. وسوف أذكر هنا أشهر ما عثرت عليه من أسماء تلك الشروح على سبيل الاختصار، وهي جديرة ببحث مستقل ودراسة مستفيضة لا يناسبها هذا المكان «٣».

أ- الحواشي المفهومة في شرح المقدمة- لأبي بكر أحمد بن محمد الجزري، وهو ابن المصنف، كان حيا سنة ٨٢٩ هـ، وهو مطبوع «٤».

ب- الطرازات المعلمة في شرح المقدمة- لعبد الدائم بن علي الأزهرى الحديدي (ت ٨٧٠ هـ) «٥».

ج- تحفة المريد لمقدمة التجويد- لبرهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري (من علماء القرن التاسع) «٦». (١) الجامع المفيد في صناعة التجويد ورقة أو (مخطوطة برلين رقم ١٣٠٧).

(٢) طبع في مصر سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م. وقد أعدت تحقيقه، وهو يطبع الآن في مؤسسة الرسالة.

(٣) انظر حول ذلك: حاجي خليفة: كشف الظنون ١٧٩٩ / ٢ - ١٨٠٠، والبغدادى: إيضاح المكنون ٥٤٢ / ٢، و آلود: فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين (بالألمانية) ٢٠١ / ١ وقد ذكر أسماء الشروح بالعربية.

(٤) طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ.

(٥) منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقمها (٢٠١٦٥) وأخرى في المتحف البريطاني رقمها (٩٦).

(٦) منه نسخة مخطوطة في المكتبة الأزهرية رقمها (٣٧) ٢٧٩٤. وأخرى في مكتبة جامعة الرياض رقمها (٢٤١٧).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦

د- الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية- للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) وهو مطبوع «١».

ه- اللئالي السنية في شرح المقدمة الجزرية- لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) «٢».

و- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة- للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) وهو مطبوع «٣»، وعليه عدة حواش «٤».

ز- ترجمة المستفيد لمعاني مقدمة التجويد- لمحمد بن عمر بن مبارك الحضرمي الملقب ب (بحرق) (ت ٩٣٠ هـ) «٥».

ح- شرح الدلجى (شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ٩٤٧ هـ) «٦».

ط- شرح المقدمة الجزرية- لعصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) «٧».

ي- الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية- لمحمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي (١) طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر (د. ت) مع متن الجزرية.

(٢) سماه حاجي خليفة (كشف الظنون ١٧٩٩ / ٢) (العقود السنية) ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد رقمها (٢٤٠٢).

(٣) طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م مع متن الجزرية.

(٤) منها حاشية زين العابدين بن محيي الدين الأنصاري (ت ١٠٦٨ هـ) (انظر البغدادى: إيضاح المكنون ٥٤٢ / ٢) وحاشية أبي الضياء

نور الدين علي بن علي الشبراملسى القاهري (ت ١٠٨٧ هـ) ومنها نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة برنستون رقمها (٦٢٣). وحاشية أبي

السعود أحمد بن عمر الأسقاطى (ت ١١٥٩ هـ) ومنها نسخة في مكتبة (رضا) برامبور بالهند رقمها (٣١٨). وحاشية أبي النصر عبد

الرحمن النحراوى، ومنها نسخة في مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا رقمها (خ ١١ د ١٣٩٧) وأخرى في جامعة برنستون رقمها (٦٣٤).

(٥) منه نسخة في مكتبة (رضا) برامبور رقمها (٣٣٥).

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٧٩٩ / ٢.

(٧) منه نسخة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب رقمها (٣ / ٦٢١) وثلاث نسخ أخرى في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، أرقامها



(٢٨٠٨-١٧٤٠٣-٢٩٨٠٦)، و نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل رقمها (١ عبد الله مخلص).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧

(ت ٩٧١ هـ) «١».

ك- المنح الفكرية على متن الجزرية- لعلی بن سلطان محمد القارى (ت ١٠١٤ هـ)، و هو مطبوع «٢».

ل- الجواهر المضية على المقدمة الجزرية- لأبى الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي البصير (ت ١٠٢٠ هـ) «٣».

م- شرح الجزرية- لعمر بن إبراهيم المسعدى (كان حيا سنة ٩٩٩ هـ) «٤».

ن- الدرّة المنظمة البهية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية- لمنصور بن عيسى بن غازى الأنصارى السمنودى (كان حيا سنة ١٠٨٤ هـ) «٥».

٣٤- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن داود الدمشقى المعروف بابن النجار (ت ٨٧٠ هـ) «٦»: (١) منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس رقمها (٤٥٣١) و أخرى في مكتبة جامعة الرياض رقمها (٢٤١٦).

(٢) طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ.

(٣) منه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة رقمها (٢/٢٤٠٢) و قد فات واضح فهرس مخطوطات المكتبة ذكر هذه النسخة. و اعتبر المخطوطة المرقمة ٢٤٠٢ كتابا واحدا هو: اللثائي السنية للقسطلانى. و الواقع أن المخطوط المذكور مجموع يضم كتاب (اللثائي)، و كتاب (الجواهر) (انظر عبد الله الجبورى: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ١/ ٣٤) و من كتاب (الجواهر المضية) نسخة أخرى في مكتبة عشر أفندى رقمها (٨).

(٤) نقل منه ملا- حسين بن اسكندر الحنفى (ت فى حدود ١٠٨٤ هـ) فى كتابه (لباب التجويد) (انظر: ١ ظ- ٦ ظ- ١٧ و). و فى الظاهرية جاءت باسم (الفوائد المسعدية) الرقم ٣٩٦٦. و أنه ألفها سنة ٩٩٩ هـ.

(٥) كحالة: معجم المؤلفين ١٣/ ١٨. و إلى جانب ما ذكرناه توجد فى دار الكتب الوطنية بتونس (رقم ٢٨٧): الدرّة المنظمة فى شرح المقدمة لأحمد بن يحيى السوسى (?). و فى المكتبة الوطنية بباريس (رقم ٤٨٠٤ و ٦٠٦): ضياء المعنوى على المقدمة الجزرية لمحمد ضياء أبى البقاء (?). و قد ذكر حاجى خليفة (كشف الظنون) (٢/ ١٨٠٠): أن الشيخ محمد بن عمر المعروف بقورد أفندى شرحها بالتركية. و أن محمد بن أحمد الشهير بصوفى زاده (ت ١٠٢٤ هـ) ترجمها إلى التركية، و لا يصح ما نسبته البغدادى فى إيضاح المكنون (٢/ ٥٤٣) و نقله كحالة فى معجم المؤلفين (١١٦/ ١١) إلى محمد بن أبى الفتح البعلى (ت ٧٠٩ هـ) أنه شرح المقدمة، لأنه توفى قبل أن يولد ابن الجزرى بأكثر من أربعين عاما! و فى الظاهرية شرح المقدمة لعلاء الدين الطرابلسى (ت ١٠٣٢ هـ) رقمها ٣٣٤.

(٦) هناك كتاب (موجز فى التجويد) ليوסף بن على بن محمد الحلالى (?). فى مجموع تحتفظ به مكتبة جسترى برقم (١١/ ٣٦٥٣) و لم نجد ترجمة للمؤلف، كما أن الكتاب لم يؤرخ، فرأيت أن أشير إليه

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨

غاية المراد فى إخراج الضاد «١»- مخطوط «٢».

و هناك عدد من الكتب المؤلفة بعد عصر ابن النجار عالجت الموضوع نفسه منها:

أ- بغية المرتاد لتصحيح الضاد- لعلی بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسى (ت ١٠٠٤ هـ) و هو مخطوط «٣».

ب- رسالة فى كيفية النطق بالضاد- لعلی بن سليمان المنصورى (ت ١١٣٤ هـ)- مخطوط «٤».

ج- رد الإلحاد فى النطق بالضاد- لعلی بن سليمان المنصورى السابق (ت ١١٣٤ هـ)- مخطوط «٥».

د- رسالة فى كيفية أداء الضاد- لمحمد المرعشى الملقب ساجقلى زاده (ت ١١٥٠ هـ)- مخطوط «٦».

هـ- السيف المسلول على من ينكر المنقول فى حق أداء الضاد- لأبى بكر بن محمد البروسى (ت ١١٨٧ هـ)- مخطوط «٧».

و- رسالة في الرد على المرعشي في الضاد- لمحمد بن إسماعيل الإزميري- مخطوط «٨».

و تحتفظ مكتبة الغازي (خسرو) في مدينة (سرايفو) بيوغسلافيا بمجموع مخطوط رقمه (٢٦٢٦) يضم ثلاث عشرة رسالة في علم التجويد، إحدى عشرة منها في موضوع نطق الضاد، في الهامش الآن، مع احتمال أن يكون تاريخ كتابته هو نفس تاريخ الرسائل الأخرى في المجموع و هو سنة ٨٥٩هـ.

(١) انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٩٣/٢.

(٢) دار الكتب الشعبية كيريل و ميتودي بصوفيا رقم (مج ١٦٣٣).

(٣) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٧/١١٠٦٨) و الأوقاف بالموصل (١٣/١٩ مخطوطات جامع النبي شيت).

(٤) مكتبة الغازي خسرو بسرايفو بيوغسلافيا رقم (٨/٢٦٢٦).

(٥) مكتبة الغازي خسرو رقم (١٠/٢٦٢٦). و انظر: البغدادي: إيضاح المكنون ١/٥٥٢.

(٦) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٦/١١٠٦٨).

(٧) مكتبة الغازي خسرو رقم (١/٢٦٢٦).

(٨) الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم (٢٣١).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩

بضمها الرسائل السابقة عدا (غاية المراد). و ليس متيسرا الآن الحديث عن الرسائل الأخرى التي يضمها المجموع، لأن ذلك يحتاج إلى الاطلاع على المخطوط نفسه، لغموض المعلومات التي يقدمها فهرس المكتبة، لا سيما أن أكثر تلك المعلومات مكتوب بغير العربية «١».

٣٥- الحسن بن شجاع بن محمد بن الحسن التوني (عاش قبل سنة ٨٧٨هـ) «٢».

المفيد في علم التجويد- مخطوط «٣».

٣٦- محمد بن أحمد بن مفلح (كان حيا سنة ٨٨٢هـ).

غنية المرید لمعرفة الإتقان و التجويد- فرغ من تأليفه سنة ٨٨٢هـ- مخطوط «٤».

٣٧- أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ):

القول المفيد في أصول التجويد- مخطوط «٥».

٣٨- أحمد بن عبد اللطيف البركوي (من رجال القرن العاشر):

الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد- مخطوط «٦».

٣٩- شهاب الدين أحمد بن أحمد بن الطيبي (ت ٩٧٩هـ):

المفيد في علم التجويد، أرجوزة- مخطوط «٧».

٤٠- محمد بن بير على البركوي (ت ٩٨١هـ): (١) انظر: قاسم دوبراجا: فهرس المخطوطات العربية و التركية و الفارسية في مكتبة

الغازي خسرو ١/٩٨.

(٢) لم أقف على ترجمه للمؤلف و لا تاريخ وفاته، و استفدت التاريخ المذكور من نسخة مخطوطة من كتاب (المفيد) مكتوبة في

شوال سنة ٨٧٨هـ في مكتبة جامعة طهران رقم (١٤١).

(٣) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٣/٢٤٠٨٣). و مكتبة الحرم المكي (٤٣ دهلوي).

(٤) مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة رقم (١٣٩٣) ٥٣٠٣٥.

(٥) الخزانة العامة للكتب بالرباط رقم ٦٣٤ (د ٥٠٣).

- (٦) مكتبة الجامع الأزهر رقم (٣٠٥) ٢٢٣١٢. و دار الكتب المصرية (٢٤٣٤٣ ب). وقد اطلعت بعد كتابه هذا البحث على مخطوط كتاب (الجامع المفيد في صناعة التجويد) لجعفر بن إبراهيم السنهورى (ت ٨٩٤ هـ) و هو فى مكتبة برلين برقم ١٣٠٧.
- (٧) مكتبة (رضا) برامبور رقم (٢٩٥)، و جسترى رقم ٤٤٣٢ / ٥. و قال حاجى خليفة (كشف الظنون ٢ / ١٧٧٧): «و شرحه بعضهم و سماه: نزهة المرید فى حل ألفاظ المفيد».
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠
- الدر اليتيم فى علم التجويد- مخطوط «١».
- و قام الشيخ أحمد فائز الرومى؟؟؟ بشرحه شرحا ممزوجا- و هو مخطوط «٢».
- ٤١- محمد بن بدر الدين بن عبد القادر الشهير بابن بلبان الحنبلى (ت ١٠٨٣ هـ):  
بغية المستفيد فى علم التجويد- مخطوط «٣».
- ٤٢- منصور بن عيسى بن غازى الأنصارى السمنودى (كان حيا سنة ١٠٨٤ هـ):  
أ- تحفة الطالبين فى تجويد كتاب رب العالمين- مخطوط «٤».
- ب- الدرّة المنظمة البهية فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية- و قد سبق ذكرها (رقم ٣٣).
- ٤٣- ملا حسين بن إسكندر الرومى الحنفى (ت فى حدود ١٠٨٤ هـ):  
أ- مختصر فى التجويد.
- ب- لباب التجويد للقرآن المجيد. و هو شرح المختصر السابق.
- ج- بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد «٥». و الكتب الثلاثة مخطوطة «٦».
- ٤٤- محمد بن القاسم بن إسماعيل البقرى (ت ١١١١ هـ):  
أ- غنية الطالبين و منية الراغبين- مخطوط «٧».
- ب- العمدة الستية فى أحكام النون الساكنة و التنوين- سبق ذكرها (رقم ٣١). (١) دار الكتب المصرية رقم (٢٣٠٤٧ ب).
- (٢) مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد رقم (٦١٠). و انظر: حاجى خليفة: كشف الظنون ١ / ٣٧٧.
- (٣) مكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٥٤٣٧ / ١١ مجاميع).
- (٤) مكتبة الأوقاف بالموصل (٣ / ١٩ مخطوطات جامع النبى شيت).
- (٥) انظر: البغدادي: هدية العارفين ١ / ٣٢٣.
- (٦) مكتبة المتحف ببغداد: لباب التجويد رقم (٢ / ١٠١٠٤) و هناك ثمانى نسخ مخطوطة من (بيان المشكلات) و لكنها خالية من اسم المؤلف. و فى مكتبة الأوقاف بالموصل نسخة من (بيان المشكلات) منسوبة إلى ملا حسين (انظر فهرس مخطوطات المكتبة ١٥١ / ٦) و توجد فى بانكى نور فى الهند الكتب الثلاثة مخطوطة و منسوبة إليه، أرقامها ٩٧-١٦٥-١٦٦.
- (٧) مكتبة المتحف ببغداد رقمها (١٢٩٧٥). و فى المكتبة نفسها رساله رقمها (١٠١٠٤) بعنوان (نهاية المبتدى و تذكرة المنتهى) لمحمد بن على المرشدى، يبدو أنها تلخيص لغنية الطالبين للبقرى، كما انضح لى من الموازنة بين عبارات الكتابين.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١
- ٤٥- أبو الحسن على بن محمد بن سليم النورى الصفاقسى (ت ١١١٨ هـ):  
تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين- مطبوع «١».
- ٤٦- محمد بن عمر بن عبد القادر الكفيري الدمشقى (ت ١١٣٠ هـ):  
بغية المستفيد فى أحكام التجويد «٢».

٤٧- عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسي (ت ١١٤٣ هـ):

كفاية المستفيد في علم التجويد - مخطوط «٣».

٤٨- محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلى زاده (ت ١١٥٠ هـ):

أ- جهد المقل (في علم التجويد).

ب- بيان جهد المقل (شرح و حاشية على جهد المقل).

ج- رسالة في كيفية أداء الضاد.

د- رسالة في مخارج الحروف.

هـ- رسالة في التغنى و اللحن «٤».

٤٩- حسن بن إسماعيل بن عبد الله الدر كزلى الموصلى (ت ١٣٢٧ هـ) «٥»: (١) طبع في المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٧٤ م بتقديم و تصحيح محمد الشاذلى النيفر.

(٢) البغدادى: إيضاح المكنون / ١ / ١٩٠ و هدية العارفين ٢ / ٣١٤.

(٣) مكتبة المتحف ببغداد رقم (١٠٨٩٥).

(٤) فى الخزنة التيمورية مجموعة مخطوط (رقم ١٧٣) يضم الكتب الخمسة. و فى مكتبة المتحف ببغداد مخطوط برقم (١١٠٦٨) يضم الكتب الثلاثة الأولى. و كان الكتابان الأولان قد طبعوا فى الأستانة سنة ١٢٨٨ هـ كما طبعوا فى الهند طبعة قديمة.

(٥) ليس له ترجمة فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. و قد أخذت تاريخ وفاته عن فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل (٢ / ٢٥١). و قد جاء فى آخر كتاب (خلاصة العجالة): «و كان الفراغ منه يوم السبت يوم الثلاثين من شهر ذى القعدة ... سنة ألف و مائتين و ست و ستين من الهجرة».

و هذا يعنى أن المؤلف عاش بعد تأليفه الكتاب أكثر من ستين سنة. و فى مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل شرح للقصيدة الياثية للشيوخ عبد القادر الجيلانى، شرحها سنة ١٢٧٢ هـ. (انظر: فهرس مخطوطات المكتبة ٧ / ١٢٧). و كل ما يمكن قوله هنا الآن أن الدر كزلى عمر عمرا طويلا.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢

خلاصة العجالة فى بيان مراد الرسالة - مخطوط «١».

و هذا الكتاب شرح لرسالة مختصرة فى علم التجويد، و قد ذكر الدر كزلى أنه لخص هذا الشرح من شرحه المسمى (العجالة)، بعد أن استطاله «٢».

و هذا الكتاب أكبر كتب علم التجويد التى اطلعت عليها حجما، على الرغم من قول المؤلف أنه اختصره من أصل له أكبر منه، إذ بلغت أوراقه (٢١٧) ورقة.

و هناك غموض كبير يحيط بمؤلف الرسالة المختصرة التى شرحها الدر كزلى، فقد جاء فى أول هذا الشرح أنها لموفق الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الرحبي، و إذا كان قد حصل تصحيف فى اسم (عبد الله) و أن الصواب (محمد بن على بن محمد) فهو الرحبي صاحب الأرجوزة المسماة (بغية الباحث فى جمل الموارث) المشهورة بالرحبية، المتوفى سنة ٥٧٧ هـ «٣». و يبدو أن الدر كزلى قد عناه. فقد ذكر فى آخر الكتاب المصادر التى اعتمد عليها، و قال: «هذا تنبيه وضع لبيان أسماء الكتب التى نقل منها ما له تعرض بلفظ الرسالة الرحبية فى التجويد» «٤» و ذكر مائة و ستة من أسماء تلك الكتب، و ذكر من بينها (شرح السلامى «٥» على منظومة المؤلف الشهيرة بالرحبية فى الفرائض).

و يعارض نسبة هذه الرسالة إلى الرحبي أن مؤلفها ينقل عن الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) و ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) «٦». و هناك عدد من

نسخ هذه الرسالة في مكتبة المتحف ببغداد كلها مجهولة المؤلف «٧» إلا اثنتين ذكر فيهما اسم المؤلف. ولكنه عالم آخر غير الرحبي. فقد جاء في الأولى «٨»: «وهذه الرسالة في علم التجويد من تأليف العلامة فريد دهره ووحيد عصره (١) مكتبة المتحف ببغداد رقم (٢٣٥١٣).

(٢) خلاصة العجالة ورقة ١ ظ - ٢ و.

(٣) انظر: كحالة: معجم المؤلفين ١١ / ٤٧.

(٤) خلاصة العجالة ورقة ٢١٦ ظ.

(٥) لعله محمد بن إبراهيم بن محمد السلامي المتوفى سنة ٨٧٩ هـ (كحالة: معجم المؤلفين ٨ / ٢١٧).

و شرحه يعرف باسم: الأنوار الإلهية في شرح فرائض الرحبية (البغدادى: هدية العارفين ٢ / ٢٠٨).

(٦) انظر: الرسالة في علم التجويد (مكتبة المتحف ببغداد الرقم ١٦٢٩٠ / ٤). ورقة ١٣ ظ، ١٥ ظ.

(٧) أرقامها: ١٢٦٨٦ - ١٥٢٥٠ - ٣٤٢٨ - ١٠٦٠١ - ٥٢٩٥ - ٥٣٢٨ - ٦٨٨٧ - ٢٠٢٠ - ٢٣١٤٢ - ٢٤١٨٦ - ٢٧١٩٣ - ٢٧١٣٤ - ٣٣٣١ -

٢٢٥٠٥ - ٨٣٥٣ - ٢٣٨٦٤ - ٢٥١٠٩ - ٢٤٩٠٠ - ١٥٥٦٩ - ١٥٩١٤ - ١٦٨٧٨.

(٨) رقمها (١٦٢٩٠).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣

محمد جلبى الشهير بحكيم زاده» و جاء فى الثانية «الشهير بالحكيم» «١» فقط. و لعله محمد جلبى بن على بن على الرومى المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ، المذكور فى (هدية العارفين) للبغدادى «٢».

تلك هى أشهر كتب علم التجويد المؤلفه منذ القرن الرابع الهجرى، حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، و قد أهملت ذكر الرسائل التى كتبت بعد ذلك، لأنها إما ملخصة عن الرسائل المتأخرة فى علم التجويد، أو أن مؤلفيها تأثروا أو نقلوا من كتب (علم الأصوات اللغوية) المؤلفه حديثا، مما يجعلها خارج ميدان البحث، و إن كانت فى ذاتها قيمة نافع «٣». (١) رقمها (٢٦٤٧٤).

(٢) هدية العارفين ٢ / ٢٧٦.

(٣) و أذكر هنا أشهر تلك الكتب مما اطلعت عليه أو عرفت اسمه:

١- إرشاد الإخوان شرح منظومة هداية الصبيان - محمد بن على بن خلف الحسينى الحداد، القاهرة ١٣٢٠.

٢- أصوات القرآن: كيف نتعلمها و نعلمها - يوسف الخليفة أبو بكر، الخرطوم ١٣٩٢ هـ ١٩٧٣ م.

٣- البرهان فى تجويد القرآن - محمد الصادق قماوى، القاهرة (د. ت).

٤- التجويد الواضح - أحمد فروخى، الجزائر ١٩٧٢.

٥- التجويد و آداب التلاوة - داود العطار، بغداد ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م.

٦- التجويد و الأصوات - د. إبراهيم محمد نجا، القاهرة (د. ت).

٧- حق التلاوة: حسنى شيخ عثمان، ط ٢ مؤسسه الرسالة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

٨- خلاصة فى علم التجويد - الحاج محمد عواد حمودى العانى، بغداد ١٩٧٩ م.

٩- الرائد فى تجويد القرآن - محمد سالم محيسن، القاهرة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

١٠- رسالة فى قواعد التلاوة - كمال الدين الطائى، ط ٢، بغداد ١٣٩٤ هـ ١٩٧٣ م.

١١- عمدة المفيد و عمدة المجيد فى أصول التجويد - عبد المجيد الخطيب، الموصل ١٩٧٧ م.

١٢- فتح الأفعال بشرح متن تحفة الأطفال - سليمان الجمزورى، طبعة الحلبي، القاهرة ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م.

١٣- فن الترتيل - عبد الله توفيق الصباغ، دمشق ١٩٦٥ م.

١٤- قواعد التلاوة و علم التجويد- فرج توفيق الوليد.

١٥- كفاية الراغبين في تجويد القرآن المبين- محيي الدين عبد القادر الخطيب، ط ١ بغداد ١٩٥٧ م.

١٦- ملخص العقد الفريد في فن التجويد- علي أحمد صبره، القاهرة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م.

١٧- نظرات في علم التجويد- إدريس الكلاك، بغداد ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

١٨- نهاية القول المفيد في علم التجويد- محمد مكي نصر، القاهرة ١٣٢٣ هـ.

١٩- هداية المستفيد في أحكام التجويد- محمد محمود المشهور بأبي ريمه حلب (د.ت).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤

إن مجموع ما ورد في هذه القائمة من أسماء كتب علم التجويد يتجاوز مائة كتاب، و لا أزعج أن ما اطّلت عليه هو كل ما كتب في هذا العلم، فلا أكاد أشك في أن تتبع فهراس المخطوطات التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها، وكذلك كتب الفهارس و التراجم، يمكن أن يكشف عن أسماء كتب أخرى في علم التجويد، كما يبدو لي أن عددا من تلك الكتب قد طواه النسيان فلا هو مخطوط و لا هو مذكور في الكتب.

و يمكن أن نميز في ذلك العدد الكبير من كتب علم التجويد اتجاهين في التأليف، هما:

الاتجاه العام الذي يعالج جميع الموضوعات المتصلة بعلم التجويد، و هو الاتجاه الغالب في التأليف. الاتجاه الخاص الذي يعالج موضوعا واحدا، فيتعمق في دراسته و يستفيض في شرحه بشكل أكثر مما نجده في المؤلفات العامة. و من أمثلة هذا الاتجاه الخاص في التأليف الكتب المؤلفة في أحكام النون الساكنة و التنوين (انظر رقم ٣١ في قائمة الكتب) و كذلك الكتب المؤلفة لمعالجة موضوع الضاد (انظر رقم ٣٤). و يمكن أن ندرج في هذا الاتجاه الكتب المؤلفة في تجويد الفاتحة (انظر رقم ٢٢ و ٢٥ و ٢٩).

\*\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥

### المبحث الثالث الفكرة التي تستند إليها الدراسة الصوتية عند علماء التجويد

إن توجه علماء قراءة القرآن إلى دراسة الأصوات اللغوية و انتظام هذه الدراسة في علم مستقل هو علم التجويد لا بد أن يكون مستندا إلى فكرة معينة فما تلك الفكرة؟.

سوف نهمد لبيان هذه القضية بالبحث في دوافع الدراسة الصوتية عند علماء العربية، الذين سبقوا علماء التجويد في دراسة الموضوع بأكثر من قرن و نصف من الزمان، لكي نبين هل كانت وجهة علماء التجويد في هذا الموضوع امتدادا لوجهة علماء العربية فيه، أو كانت لهم فكرة خاصة يستندون إليها في معالجته؟.

كان علماء العربية من النحاة و اللغويين قد سبقوا علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، و كان دراستهم لها تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، فالذي يقرأ مقدمة معجم (العين) للخليل بن أحمد، و هي الجزء الذي لا يختلف اللغويون حول صحته نسبته إلى الخليل، كما قال الأزهرى قديما «١»- يجد أن دراسة الخليل للأصوات كانت لأغراض تتعلق بالمعجم و تنظيمه و بالكلمات و أبنيتها، فانشغاله بترتيب الحروف في أول المعجم، و تقديمه طريقة لاختبار مخارجها كان لتوضيح منهجه الذي سار عليه في الكتاب «٢».

و كذلك كلامه عن الحروف الذلقية كان مرتبطا بأبنية الكلمات الرباعية و الخماسية «٣». و مثل ذلك كلامه عن تقسيم الحروف إلى صحاح و معتلة كان مرتبطا بتوزيع الكلمات في أبواب المعجم، فإنه كان يؤخر المعتل و يقدم الصحيح من الأبنية «٤». و بالجملة كانت دراسة الخليل للأصوات ترتبط بمنهجه في بناء (العين) الذي اختار له طريقة تعتمد في جوهرها على أسس (١) تهذيب اللغة ١ / ٤١.

(٢) العين ١/ ٤٧-٤٨.

(٣) العين ١/ ٥١-٥٢.

(٤) العين ١/ ٥٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦

صوتية محضة.

أما دراسة سيويه للأصوات في (الكتاب) فكانت ترتبط بموضوع الإدغام، فقد قال:

بعد أن ذكر عدد حروف العربية و بين مخارجها و صفاتها: «و إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام و ما يجوز فيه، و ما لا يحسن فيه ذلك و لا يجوز فيه، و ما تبدله استتقالا كما تدغم، و ما تخفيه و هو بزنة المتحرك» (١). و ردد المبرد و ابن يعيش ما قاله سيويه حين درسا موضوع الأصوات العربية (٢). و قال ابن جنى في مقدمته كتابه (سر صناعة الإعراب) و هو يبين خطته في الكتاب: «و أذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها و مدارجها و انقسام أصنافها، و أحكام مجهورها و مهموسها و شديدها و رخوها ... ثم أفرد، فيما بعد، لكل حرف منها بابا اغترق فيه ذكر أحواله و تصرفه في الكلام، من أصلية و زيادته، و صحته و علتة، و قلبه إلى غيره، و قلب غيره إليه» (٣). و كان ما ذكره ابن جنى في هذه الأبواب المفردة التي تغلب عليها الدراسة الصرفية أضعاف ما ذكره في دراسة الأصوات في مقدمته الكتاب.

كانت دراسة الأصوات عند علماء العربية إذن ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا يبحثونها، و لم تكن تتبع نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية و ما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق. و ليس هذا الكلام من باب النقد أو الطعن على جهود علماء العربية، و إنما هو من باب تقرير الحقائق لنحدد بالموازنة اتجاهات علماء التجويد في دراسة الأصوات. على أننا نلاحظ أن اتجاها جديدا برز لدى بعض النحاة المتأخرين، و إن ظلت دراسة الأصوات تسير عندهم في نفس الإطار، ذلك الاتجاه مو أنهم جعلوا من أسباب البحث في الأصوات أن ينطق غير العربي بالأصوات العربية مثل ما ينطق العربي، و هو اتجاه تعليمي محض لا أستبعد تأثرهم فيه بجهود علماء التجويد.

و يبدو أن أبا حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) هو أول من ذهب هذا المذهب الجديد في تحديد غاية الدراسة الصوتية عند النحاة، و لم نطلع على كلامه بصورة مباشرة، و لكن عن طريق من نقلوا كلامه من تلامذته و غيرهم. و قد وجدت المقدسي (على بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم ت ١٠٠٤هـ) يقول في كتابه (بغية المرتاد لتصحيح (١) الكتاب ١/٤) ٤٣٦.

(٢) انظر: المقتضب ١/ ١٩٦، و شرح المفصل ١٠/ ١٢٢، و انظر: الزجاجي: الجمل ص ٣٧٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٣-٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧

الضاد): «قال الأستاذ أبو حيان في شرح التسهيل: إنما ذكر النحويون صفات الحروف لفائدتين: إحداهما لأجل الإدغام. ثم قال: و الفائدة الثانية و هي الأولى في الحقيقة بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي، فهو كيان رفع الفاعل و نصب المفعول، فكما أن نصب الفاعل و رفع المفعول لحن، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما روى من العرب في النطق بها لحن» (١).

و كان قد نقل كلام أبي حيان تلميذه الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه (شرح التسهيل) (٢). دون أن يصرح باسمه، و فعل السيوطي مثله في (همع الهوامع) (٣).

و ينبغي أن أشير هنا إلى أن أبا حيان الأندلسي لم يكن نحويا كبيرا فحسب و إنما كان أيضا عالما كبيرا من علماء القراءات و



التجويد، وقد وصفه ابن الجزرى فى كتابه (النشر) بأنه (شيخ التجويد) «٤» وإنه (أستاذ العربية والقراءات) «٥» وقال عنه فى كتابه (غاية النهاية): (شيخ العربية والآداب والقراءات) «٦»، ومن ثم فإنى لا أستبعد أن يكون هذا الاتجاه الجديد عند أبى حيان متأثراً من تأثره بعلم التجويد الذى كان ينحو هذا المنحى فى دراسة الأصوات العربية لا سيما أن أبى حيان كان قد عكف على دراسة علم التجويد دراسة عميقة على يد شيخه ابن الناظر (ت ٦٧٩ هـ) وأخذ عنه مؤلفه فى التجويد، قال ابن الجزرى وهو يترجم لابن الناظر: «ألف كتاباً كبيراً حسناً فى التجويد، سماه الترشيده، قال أبو حيان: رحلت إليه قصداً من غرناطة لأجل الإتقان والتجويد... قلت (ابن الجزرى): وقرأ عليه أيضاً كتابه الترشيده وهو الذى أدخله القاهرة» «٧».

أما علماء التجويد فإن دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسى بمعالجة ما سموه باللحن الخفى، فقد قسّموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجلى، وهو الخطأ الظاهر فى الحركات خاصة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النحاء والصرفيين. واللحن الخفى وهو الخلل (١) بغية المراد لتصحيح الضاد ورقة ٦ و- ٦ ظ.

(٢) المرادى: شرح التسهيل ٣٠٤ ظ.

(٣) همع الهوامع ٦/٢٩٦-٢٩٧.

(٤) النشر ١/٢١٠.

(٥) النشر ١/٢١٦.

(٦) غاية النهاية ٢/٢٨٥.

(٧) غاية النهاية ١/٢٤٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨

الذى يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها فى الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وهو يستلزم فى نظرهم دراسة ثلاثة أمور: مخارج الحروف، و صفاتها، وأحكامها التركيبية.

وهذه هى عناصر علم التجويد الأساسية.

و كان ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) هو صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلى وخفى، فقد قال الدانى: «حدثنى الحسين بن شاکر السمسار، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن فى القرآن لحنان: جلى وخفى، فالجلى لحن الإعراب، والخفى تركب إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه»، وفى بعض المصادر «تركب إعطاء الحروف حقه من تجويد لفظها» «١».

وقد تضمن كتاب (السبعة فى القراءات) معنى الرواية السابقة، التى قد تكون فى أحد كتب ابن مجاهد المفقودة أو أن تلميذه أحمد بن نصر الشذائى تلقفها عن أستاذه مشافهة، فقد قال ابن مجاهد فى كتاب السبعة: «كذلك ما روى من الآثار فى حروف القرآن، منها المعرب السائر الواضح، ومنها المعرب الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى فى الإعراب غير أنه قد قرئ به. ومنها ما توهم فيه فغلط به - فهو لحن غير جائز - عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير. ومنها اللحن الخفى الذى لا يعرفه إلا العالم النحرير» «٢». فابن مجاهد إذن هو مؤسس فكرة تقسيم اللحن إلى جلى وخفى «٣».

و كانت هذه الفكرة فى تقسيم اللحن قد عرفت فى أعمال علماء التجويد منذ مراحل (١) التحديد ٢٢ ظ، وانظر: شرح قصيدة أبى مزاحم للدانى أيضاً ورقة ١٣٥ ظ، وأحمد بن أبى عمر:

الإيضاح ٥٧ ظ، والمرادى: المفيد ١٠١ و، شرح الواضحة له ص ٣١.

(٢) كتاب السبعة ص ٤٩.

(٣) يبدو لى أن ما ورد فى كتاب (إبراز المعانى) لأبى شامة المقدسى من إسناد هذا التقسيم إلى مكى بن أبى طالب القيسى (ت ٤٣٧



ه) غير صحيح، قال أبو شامة (صفحة ١ من باب مخارج الحروف): «قال مكى: اللحن لحنان جلى و خفى...». وكذلك وردت هذه النسبة فى كتاب (موجز فى التجويد) ليوست بن على بن محمد الحلالى حيث قال (١٥٢ ظ): «قال أبو محمد مكى: اللحن لحنان...». فلم أجد لهذا القول أثرا فى كتاب (الرعاية) لمكى، كما أنى لم أجده يستخدم مصطلح (اللحن) فى كتابه على الإطلاق، وإذا احتاج إلى التعبير عن معناه استخدم كلمة (تصحيح) انظر الرعاية ص ١٩٩، وهو استخدام يحتمل المناقشة، ولكنه يكشف لنا هنا عن أن مكيا لم يطلع على فكرة اللحن الخفى عند ابن مجاهد، ولم يستخدمها، فكيف يمكن أن تنسب إليه؟.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩

الأولى، و كانت مستندهم فى بناء منهج كتبهم و طريقة معالجتهم للظواهر الصوتية. قال أبو مزاحم الخاقانى (ت ٣٢٥ هـ) و هو معاصر لابن مجاهد فى قصيدته مشيرا إلى اللحن «١»:

فأول علم الذكر اتقان حفظه و معرفة باللحن فيه إذا يجرى

فكن عارفا باللحن كيما تزيله فما للذى لا يعرف اللحن من عذر

و أشار إلى فكرة تقسيم اللحن أبو الحسن السعيدى (ت فى حدود ٤١٠ هـ) حتى إنه سمي كتابه (التنبيه على اللحن الجلى و اللحن الخفى)، و قد قال فى مقدمته: «ينبغى لقارئ كتاب الله عز و جل بعد معرفته باللحن الجلى أن يعرف اللحن الخفى لأن اللحن لحنان، لحن جلى و لحن خفى».

«فباللحن الجلى هو أن يرفع المنصوب و ينصب المرفوع أو يخفض المنصوب و المرفوع، و ما أشبه ذلك، فاللحن الجلى يعرفه المقراءون و النحويون و غيرهم ممن قد شم رائحة العلم».

«و اللحن الخفى لا- يعرفه إلا- المقرئ المتقن الضابط الذى قد تلقن من ألفاظ الأستاذين المؤدى عنهم، المعطى كل حرف حقه غير زائد فيه و لا- ناقص منه، المتجنب عن الإفراط فى الفتحات و الضمات و الكسرات و الهمزات و تشديد المشدات، و تخفيف المخففات، و تسكين المسكنات، و تطنين النونات، و تفریط المدات و ترعيدها، و تغليظ الرءاءات و تكريرها، و تسمين اللامات و تشريبها الغنة، و تشديد الهمزات و تلكيزها...» «٢».

و تحدث الدانى (ت ٤٤٤ هـ) عن موضوع اللحن الخفى فى كتابيه (التحديد فى الإتقان و التجويد) و (شرح قصيدة أبى مزاحم الخاقانى) «٣»، و الدانى هو الذى نقل لنا الرواية التى تحكى لنا تقسيم ابن مجاهد للحن إلى جلى و خفى كما سبق قبل قليل، و إذا كنا نلاحظ أن الدانى لم يطل الوقوف عند هذه القضية فإن عبد الوهاب القرطبى (ت ٤٦٢ هـ) قد جعلها أساس كتابه (الموضح فى التجويد) و لهذا سنقف عنده هنا وقفه أطول مما وقفنا عند غيره. (١) انظر: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى- مجلة كلية الشريعة، العدد السادس سنة ١٩٨٠ ص ٣٥١.

(٢) كتاب التنبيه ٤٥ ظ- ٤٦ ظ. و قد طبق السعيدى فكرة اللحن الخفى فى كتابه و هو يعالج صورا نطقية معينة فكان يقول (٤٨ و): (و ذلك لحن غير جائز عند أهل التحقيق) أو يقول (٥٠ ظ): (و هو لحن خفى) و انظر أيضا ٥١ و، ٥٢ و.

(٣) التحديد ٢٢ ظ و شرح قصيدة أبى مزاحم ١٣٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠

يتكوّن كتاب (الموضح) من ثلاثة أبواب رئيسية مع مقدمته تتكون من خمسة فصول قصيرة، و قد ذكر المؤلف فى أول الكتاب السبب الذى دفعه إلى التأليف فقال: «و لما رأيت الناشئين من قرأة هذا الزمان و كثيرا من منتهيههم قد أغفلوا إصلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفى، و أهملوا تصفيته من كدره و تخليصها من درنه، حتى مرت على الفساد ألسنتهم، و ارتاضت عليه طباعهم، و صار لهم عادة، بل تمكن منهم تمكن الغريزة... رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك و عظم الغناء به أن أقتضب مقالا يهز عطف الفاتر، و يضمن غرض الماهر، و يسعف أمل الراغب، و يؤنس وسادة العالم» «١».

ثم بين المنهج الذى سوف يسير عليه فقال: «أذكر معنى اللحن فى موضوع اللغّة و حدّه، و حقيقته فى العرف و المواضع، و السبب الذى من أجله علق بالألسنة و فشا فى كلام العرب، و أبين ما المقصود بالتنبيه عليه، و المراد من الإعلان بالتحذير منه، و ما الفائدة الحاصلة بذلك و الثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل و التقسيم، و أبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها و يستحسن و يختار منها و يستهجن، بقدر الطاقة و منتهى الوسع و الإمكان» (٢).

أما الفصول الخمسة التى ذكرها عبد الوهاب القرطبي فى المقدمة فهذه عناوينها:

- ١- فصل: فى بيان معنى اللحن فى موضوع اللغّة.
  - ٢- فصل: فى اللحن و حقيقته فى العرف و المواضع و ذكر السبب الموجب لانتشاره و استمراره.
  - ٣- فصل: فى بيان المراد بالتنبيه على اللحن الخفى و المقصود بالحض على اجتناب الألفاظ المستهجنة.
  - ٤- فصل: فيما يستفاد بهتذيب الألفاظ و ما ذا تكون الثمرة الحاصلة عند تثقيف اللسان.
  - ٥- فصل: فى الكلام على اللحن الخفى و الألفاظ المستكرهه من جهة التفصيل و على وجه التقسيم.
- و قد قال عبد الوهاب القرطبي فى أول الفصل الخامس: «قد بينا أن اللحن الخفى خلل يطرأ على الألفاظ، و إذ قد وضح ذلك فبنا حاجة إلى تبين حقيقته ما تتركب منه الألفاظ بالحد، (١) الموضح ١٤٤ و (٢) الموضح ١٤٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١

و إيضاحه بالقسمه و الحصر، ليكون الخلل الطارئ عليها منقسما بانقسامها، مستوعبا باستيعابها. فنقول: الألفاظ بأسرها إنما تتركب من حروف و حركات و سكون، و هذه الأشياء الثلاثة لكل منطوق به كالمادة، عنها يأتلف، و منها ينشأ...» (١).

ثم مضى يتحدث عن كيفية إنتاج الحروف و الحركات حتى قال: «و إذ قد وضح ما ذكرناه و بان حقيقه الحروف و الحركات و السكون و جب من أجل ذلك أن تكون قسمه ما نحن بصدده على وفقه و بمقتضاه و حسبه، فنجعل الكلام عليه من ثلاثة أوجه، نودع كل وجه منها بابا نتقصى فيه ذكر ما نضمنه إياه، و نستوعب إيراد ما به.

فنستوفى فى الباب الأول الكلام على بسيط الحروف، فنحقق مخارجها و ما يتبع ذلك من أحكامها، و ننبه على ما يطرأ عليها من الخلل المستكره فيها.

و فى الباب الثانى الكلام على ما يلزم هذه الحروف عند الائتلاف و ما يحدث فيها لذلك، مما يكره و يختار.

و فى الباب الثالث الكلام على الحركات و السكون، و ما الواجب معرفته من ذلك» (٢).

و نضيف إلى ذلك أن المؤلف ختم الكتاب بفصل (فى ذكر كيفية القراءة، و بيان ما يستقبح منها و يستحسن و يختار منها و يستهجن). تحدث فيه إلى جانب كيفية القراءة عن عيوب النطق.

و لعل ما ذكرته هنا عن كتاب (الموضح فى التجويد) لعبد الوهاب القرطبي كاف فى توضيح أثر نظرية اللحن الخفى على منهج المؤلف فى تبويب الكتاب، و (الموضح) بعد ذلك جدير بوقفه أطول، فهو متميز فى كثير من نواحي الدراسة الصوتية، و أرجو أن أتمكن خلال فصول هذا البحث من توضيح جانب من تلك النواحي بقدر ما يتيسر.

و إذا كنا نلاحظ أن عبد الوهاب القرطبي كان أكثر علماء التجويد عناية بفكرة اللحن الخفى و بيانها، و الاعتماد عليها فى رسم منهج كتابه (الموضح)، فإن هذه الفكرة ظلت موضع عناية علماء التجويد من بعده حتى العصور المتأخرة، و سوف أذكر هنا بعض الأمثلة التى توضح أنها كانت الأساس الذى تستند إليه دراسة الأصوات عند علماء التجويد، مع ملاحظة أن من بين ذلك العدد الكبير من مؤلفات التجويد لا يستبعد أن نجد من العلماء من يهمل (١) الموضح ١٤٩ ظ - ١٥٠ و

(٢) الموضح ١٥١ ظ - ١٥٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٢

الإشارة إلى هذه الفكرة و يكتفى بدراسة الأصوات و يعالج مشكلاتها و ظواهرها التركيبية.

فوجد أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٥٠ هـ) يكتب عدة أبواب عن التجويد في كتابه (الإيضاح في القراءات العشر و اختيار أبي عبيد و أبي حاتم) و كان لموضوع اللحن بها جزء واضح. و هذه عناوين تلك الأبواب:

الباب السادس و العشرون: في ذكر الحدر و الترتيل و غير ذلك مما يحتاج إليه القارئ (ورقة ٦٥ ظ).

الباب السابع و العشرون: في ذكر اللحن الخفي و مقالات أرباب الصناعة في ذلك (٦٨ ظ).

الباب الثامن و العشرون: في ذكر مخارج الحروف (٧٢ و).

الباب التاسع و العشرون: في ذكر أجناس الحروف و أصنافها و صفاتها و ألقابها (٧٣ و - ٧٥ و).

و قد قال في مطلع الباب الخاص باللحن الخفي: «و اعلم أن اللحن الخفي لا يعرفه إلا النحارير الماهرين من القراء و الحذاق المحققون من العلماء بالقرآن، بلغنا عن أبي بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد - رحمه الله - أنه قال: اللحن في القرآن لحنان جلي و خفي، فالجلي لحن الإعراب، و الخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها بلا زيادة فيها و لا نقصان» (١)، ثم مضى يتحدث في هذا الباب عن عشرات الصور النطقية التي تدرج تحت موضوع اللحن الخفي (٦٨ ظ - ٧٢ و).

و نجد أبا العلاء الهمداني العطار (ت ٥٦٩ هـ) يتحدث عن الموضوع في الباب السابع من كتابه (التمهيد) الذي خصصه لبيان موضوع الإعراب، و يقسم اللحن الخفي على قسمين، فمما قاله بعد أن تحدث عن حد الإعراب و أصله: «و إذ قد ثبت ما ذكرناه فاعلم أن اللحن لحنان جلي و خفي. فأما الجلي فهو الظاهر الذي يستوى في معرفته المبتدئ و المنتهى، و هو تصحيف الحروف و تغيير الحركات و السكون، و ما يجري مجراها. و قد سقنا في كراهة ذلك الأخبار و الآثار التي مرت.

و أما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء و مشاهير العلماء، و هو على ضربين. (١) الإيضاح ٦٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٣

أحدهما: لا تعرف كلفيته و لا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة و بالأخذ من أفواه أولى الضبط و الدراية، و ذلك نحو مقادير المدات، و حدود الممالات، و الملطفات، و المشبغات و المختلصات، و الفرق بين النفي و الإثبات، و الخبر و الاستفهام، و الإظهار و الإدغام، و الحذف و الإتمام، و الروم و الإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، و اللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان و الضبط» (١).

ثم تحدث عن الضرب الثاني و قال: «فأما الضرب الثاني من ضربى اللحن الخفي فإنه يتقيد بالخط و يدرك وصفه بالشكل و النقط، و يحتاج مبتغيه أولاً إلى معرفة مخارج الحروف و مدارجها» (٢). و يلاحظ هنا أن أبا العلاء أدرك في الضرب الأول من ضربى اللحن الخفي ظواهر نطقية دقيقة تدرج في باب التنعيم الصوتي للجملة المنطوقة، و ذلك مثل (الفرق بين الخفي و الإثبات، و الخبر و الاستفهام).

و تحدث الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) عن موضوع اللحن و تقسيمه إلى جلي و خفي في كتابه (المفيد في شرح عمدة المجيد) و (شرح الواضحة) (٣). و خصص ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) الباب الرابع من كتابه (التمهيد في علم التجويد) لذكر معنى اللحن و بيان أقسامه و الحض على اجتنابه (٤). و قد لخص فيه كلام عبد الوهاب القرطبي عن اللحن في مقدمته كتابه (الموضح في التجويد). و تحدث محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه (جهد المقل) عن موضوع اللحن في الفصل الثاني من الفصول الخمسة التي تتألف منها مقدمة الكتاب، و حدد كلا من قسمي اللحن الجلي و الخفي تحديدا جيدا، و خلص في نهاية الفصل إلى أن اللحن بقسميه يتناول دراسته و معالجة ظواهره عدد من علوم العربية على هذا النحو: «أقول فاللحن يعرف:

بعضه بالاطلاع على علم التجويد، و هو الخطأ في المبني و الصفات.

و بعضه بالاطلاع على علم اللغة، و هو الخطأ في حركات الأوائل و حركات الأواسط و سكناتها. (١) التمهيد ١١٩ ظ - ١٢٠ و.  
(٢) التمهيد ١٤١ و.

(٣) المفيد ١٠١ و، شرح الواضحة ص ٣١.

(٤) التمهيد في علم التجويد ص ١٢ - ١٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٤

و بعضه بالاطلاع على علم النحو، و هو الخطأ في حركات الأواخر و سكناتها.

و بعضه بالاطلاع على علم الصرف، و هو الخطأ في الإعلال مثل القلب و الحذف و النقل «١».

و قول المرعشى في موضوع علم التجويد أنه (الخطأ في المبنى و الصفات) يقصد بقوله (المبنى) الحروف، فقد قال في بداية الفصل: «و المراد من المبنى حروف الكلمة، و من الخطأ فيه تبديل حرف بحرف، كتبديل الطاء دالاً بترك إطباقها و استعلائها، أو تاء بتركهما و بإعطائها همساً» «٢». و كأن المرعشى يريد أن يقول أن موضوع علم التجويد هو دراسة ما يتعلق بأصوات اللغة العربية، و معالجة ما يلحق تلك الأصوات من انحراف عند نطقها في كلام متصل.

و قد عالج حسن بن إسماعيل الدر كزلى موضوع اللحن في خاتمة كتابه (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة) الذي فرغ من تأليفه سنة ١٢٦٦ هـ، و هو آخر من عالج هذا الموضوع، و كتابه آخر كتب علم التجويد التي وقفنا عندها، و هو مع إفاضته في الكلام لم يأت بجديد في الموضوع «٣».

و قد كانت لفكرة اللحن الخفى تأثيرها الكبير على دراسة علماء التجويد، سواء أ كان ذلك في المنهج أم في التفصيلات، حتى إن تعريف (التجويد) كان انعكاساً لتلك الفكرة، فإذا كان اللحن الخفى هو (ترك إعطاء الحروف حقوقها) كان التجويد (إعطاء الحروف حقوقها) و يبدو لنا هذا المعنى واضحاً في قول أبي مزاحم الخاقاني في قصيدته «٤»:

فدو الحذق معط للحروف حقوقها إذا رتل القرآن أو كان ذا حدر

و في قول السعيدى: «و اللحن الخفى لا يعرفه إلا المقرئ الضابط الذى قد تلقن من ألقاظ الأستاذين المؤدى عنهم، المعطى كل حرف حقه غير زائد فيه و لا ناقص منه» «٥».

و في قول مكى بن أبى طالب: «ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله (١) جهد المقل ٣ و- ٣ ظ.  
(٢) جهل المقل ٣ و.

(٣) خلاصة العجالة ١٩٥ ظ - ٢٠٨ ظ.

(٤) انظر بحث: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى (مجلة كلية الشريعة العدد السادس ١٩٨٠) ص ٣٤٩.

(٥) التنبيه ٣٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٥

الكريم، و عوناً لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه و إحكام النطق به، و إعطاء كل حرف حقه من صفته و إخراجها من مخرجه» «١».

و قول الدانى: «فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها» «٢».

و قول أبى العلاء الهمذانى العطار: «و تزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها» «٣».

و قول علم الدين السخاوى: «لأن المراد بالتجويد إعطاء الحروف حقوقها، و إخراجها من مخرجها و اجتناب اللحن الخفى» «٤».

و قول المرادى: «إن التجويد هو إعطاء كل حرف حقه من مخرجه و صفته» «٥».

و قول ابن الجزرى في المقدمة في تعريف التجويد «٦»:

و هو إعطاء الحروف حَقَّها من صفة لها و مستحقَّها  
 و قد شرح ابنه أبو بكر أحمد في (الحواشى المفهمة) هذا التعريف و بيّن الفرق بين حق الحرف و مستحقه، حيث قال: «و الفرق بين  
 حق الحرف و مستحقه: أن حق الحرف صفته اللازمة له من همس و جهر و شدة و رخاوة و غير ذلك من الصفات الماضية، و  
 مستحقه ما ينشأ عن هذه الصفات كترقيق المستقل و تفخيم المستعلى و نحو ذلك» (٧). و قد ردد شرح المقدمة هذه الفكرة نقلا عن  
 ابن الناظم أبى بكر أحمد و هم يشرحون قول ابن الجزرى السابق «٨». و يبدو لى أن أساس التفرقة يحتمل المناقشة، و لعل ابن  
 الجزرى لم يقصد من كلمه (مستحقها) سوى توكيد معنى (حقها) و إقامة الوزن للنظم.

و يتضح مما سبق أن ملاحظة اللحن الخفى فى قراءة القرآن و محاولة معالجتها و تصحيح النطق بها كانت السبب الذى يقف وراء  
 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، و أنهم درسوا (١) الرعاية ص ٤١.

(٢) التحديد ٢ و.

(٣) التمهيد ١١ ظ.

(٤) جمال القراء ١٨٩ ظ.

(٥) المفيد ١٠٠ ظ، و انظر شرح الواضحة (له) ص ٢٩.

(٦) انظر: ابن الجزرى: متن الجزرية ص ١٥.

(٧) الحواشى المفهمة ٢٦ ظ.

(٨) انظر مثلا: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٢٣ و. و خالد الأزهرى: الحواشى الأزهرية ص ١٧. و القسطلانى: اللتالى السنية  
 ١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٦

أصوات اللغة و حددوا صور نطقها الصحيحة، و رصدوا الانحرافات المتوقعة فى نطقها مما سموه باللحن الخفى، ليحترز الناطق منها و  
 يجتنبها، و قد تحققت لعلماء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تتحقق للنحاة الذين كانت تشغلهم دراسة  
 الأصوات لمعالجة بعض القضايا الصرافية.

\*\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٧

## المبحث الرابع منهج علماء التجويد فى دراسة الأصوات اللغوية

### إشارة

يتميز منهج علماء التجويد، أعنى طريقتهم فى دراسة الأصوات اللغوية، بأنه منهج شامل استغرق جميع المباحث المتعلقة بعلم الأصوات  
 النطقى، و بأنه منهج صوتى خالص لم تختلط فيه الدراسة الصوتية بما عداها من الموضوعات.

### أولا- منهج علماء التجويد منهج شامل:

أما كون منهج علماء التجويد شاملا للمباحث الصوتية فإن ذلك يتمثل بشكل واضح فى قول الحسن بن قاسم المرادى (ت ٧٤٩ هـ)  
 فى كتابيه (المفيد فى شرح عمدة المجيد) و (شرح الواضحة فى تجويد الفاتحة) الذى لخص فيه منهج علماء التجويد فى دراسة  
 الأصوات، و هو:

«إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

و الثاني: معرفة صفاتها.

و الثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

و الرابع: رياضة اللسان بذلك و كثرة التكرار.

و أصل ذلك كله و أساسه تلقيه من أولى الإتيان، و أخذه عن العلماء بهذا الشأن، و إن انضاف إلى ذلك حسن الصوت و جودة الفك و ذراية اللسان، و صحة الأسنان كان الكمال» (١).

و قد تضمن النص السابق إلى جانب الأمور الأربعة الإشارة إلى أمرين مهمين في تعليم (١) شرح الواضحة ص ٣٠ من المطبوع، و لكون النسخة المطبوعة منشورة على نسخة مخطوطة واحدة رجعت في توثيق النص إلى النسخة المخطوطة المحفوظة في مكتبة جسترنتي تحت رقم (٤٧٤١) و هي منسوبة في فهرس المكتبة إلى محمد بن علي بن طولون، و هي في الحقيقة للمرادى، و ابن طولون هو الناسخ. و انظر: المفيد ١٠٠ ظ - ١٠١ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٨

الأصوات، و سلامة النطق، الأول: التلقى عن المعلم المتمن. و الثاني: السلامة من عيوب الكلام مع صحة أعضاء النطق.

و لم يكن المرادى أول من حدد هذا الإطار العام للدراسة الصوتية عند علماء التجويد، و لا آخر من تحدث عنه، و لكنه أول من حدده على هذا النحو من الوضوح، فوجد الداني (ت ٤٤٤ هـ) يقول عن الأمرين الأولين: «اعلموا أن قطب التجويد و ملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف و صفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، و إن اشترك في المخرج» (١).

و يقول أبو العلاء المهداني العطار (ت ٥٦٩ هـ) في كتابه (التمهيد في التجويد): «الباب الثامن: في معرفة أسماء الحروف و مخارجها و مجاريها و مدارجها و مستحسن فروعها و مستقبجها. اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة و أهم فصول التلاوة، و ذلك أن الحروف أصل الكلام كله و عليها مدار تأليفه، ثم من يقرأ القرآن و يتعاطى هذا الشأن متى ما لم يتقن مخارج الحروف و أجناسها لم يقف على الخلل الواقع فيها، و لم يهتد إلى تجويد القراءة و تهذيبها، و كان كمن رام قطع تيه بلا دليل، و إصعاد قنن نيق بلا ما سبيل، فإذا عرف الحروف و أتقنها، و لاحظ أجناسها و أحكامها، ثم انضاف إلى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن، و يمتزج به أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة و الألفاظ القويمه، بعون الله و منه» (٢).

و يقول أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤ هـ) عن الأمر الثالث: «ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف في التجاور، و يستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج...» (٣).

و يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) عن ذلك كله: «أول ما يجب على مرید إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه، و توفيه كل حرف صفته المعروفة به، توفيه تخرجه عن مجانسه. يعمل لسانه و فمه بالرياضة في ذلك إعمالا يصير ذلك له طبعاً و سليقة، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركته إلا بالصفات، و كل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج... فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفّق حقّه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه (١) التحديد ١٦ و.

(٢) التمهيد ١٤١ ظ.

(٣) نقلا عن: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٨ ظ، و انظر ٦٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٩

ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد، و ذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة و لا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من



مجانس و مقارب، و قوئى و ضعيف، و مفخم و مرقق، فيجذب القوى الضعيف، و يغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا- بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصيلاً حقيقة التجويد بالإتقان و التدريب» (١).

أما الأمر الرابع، و هو (رياضة اللسان بذلك و كثرة التكرار) فكان علماء التجويد قد أولوه عناية كبيرة، فكانوا يعتمدون على التلقى بالمشاهدة، و يحضون على رياضة اللسان، أى تدريبه، على نطق الحروف و توفية حقوقها من المخارج و الصفات حالة إفرادها، و توفيتها أحكامها الخاصة بها عند تركيبها.

قال أحمد بن نصر الشذائى، و هو من تلامذة ابن مجاهد: «كان ابن مجاهد، رحمه الله، لعلمه بتفاوت الناس فى العلم بالقراءة، و قصور أفهامهم، يستثبت كثيرا ممن يقرأ عليه...» (٢).

و قال الدانى بعد تعريف التجويد: «و ليس بين التجويد و تركه إلا رياضة من تدبره بفكّه» (٣). و قد أخذ ابن الجزرى هذا المعنى و صاغه بقوله فى المقدمة «٤»: (١) النشر ١/ ٢١٤-٢١٥.

(٢) نقلا عن الدانى: التحديد ٢٢ ظ.

(٣) التحديد ٢ و. و نقله عن الدانى: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٩ و. و ابن الجزرى: التمهيد ص ٦ و النشر (له) ١/ ٢١٣. و قد ذكر أحمد بن أبى عمر (الإيضاح ٦٦ ظ): «و قال الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى، رحمه الله: التجويد أفضل من الجوهر، و أعز عند العلماء من الكبريت الأحمر، و هو حلية التلاوة و زينة القراءة، و هو إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها مراتبها... و ليس بين التجويد و تركه إلا رياضة من تدبره بقلبه». و فى إسناد هذا النص إلى أبى الفضل الخزاعى (ت ٤٠٨ هـ) إشكال كبير، لأنه يتطابق إلى حد كبير مع النص الوارد عند الدانى (ت ٤٤٤ هـ) و نقلنا بعضه هنا. و المشهور عند علماء التجويد أنه للدانى. و لا يمكن اعتمادا على تاريخ وفاة الخزاعى، و هو مشرقى، أن يكون نقل عن الدانى، و هو أندلسى، و تبقى بعد ذلك أربعة احتمالات:

١- أن يكون الدانى نقل عن الخزاعى، و لم يصرح، و هو بعيد.

٢- أن يكون كلاهما نقل عن مصدر واحد أقدم.

٣- أن يكون مؤلف الإيضاح غلط فى نسبة النص إلى الخزاعى.

٤- أن يكون ما نقله عن الخزاعى ينتهى عند قوله (الكبريت الأحمر) و نقل ما بعده عن الدانى دون أن يصرح بذلك، لا سيما أن مؤلف الإيضاح توفى بعد ٥٠٠ هـ.

(٤) ابن الجزرى: متن الجزرية ص ١٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٠

و ليس بينه و بين تركه إلا رياضة امرئ بفكّه

و قال ابنه أبو بكر أحمد فى شرحه: «أى ليس بين التجويد و تركه فرق إلا رياضة امرئ، أى مداومته على القراءة و التكرار و السماع من أفواه الحذاق، لا مجرد الاقتصار على النقل، و قوله: بفكّه، أى: بفمه» (١).

و قد ردد الدانى هذا المعنى فى حاجة القارئ إلى المشاهدة فى التلقى، و الرياضة فى الأداء كثيرا (٢).

و وضع مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) حاجة المتعلم إلى الأخذ عن الشيخ المتقن، و حاجة الشيخ أيضا إلى إتقان تجويد الحروف بالاعتماد على الأصول التى يسطرها علماء التجويد فى كتبهم، و ذلك حيث قال: «و المقرئ إلى جميع ما ذكرناه فى كتابنا هذا أحوج من القارئ، لأنه إذا علمه علمه، و إذا لم يعلمه لم يعلمه، فيستوى فى الجهل بالصواب فى ذلك القارئ و المقرئ، و يضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر. فمعرفة ما ذكرنا لا يسع من انتصب للإقراء جهله و به تكمل حاله، و تزيد فائدة القارئ الطالب و يلحق بالمقرئ.

و ليس قول المقرئ أنا أقرأ بطبعي و أجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئا مما ذكرته - بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما، لأن من كانت هذه حجته يصيب و لا يدرى، و يخطئ و لا يدرى، إذ علمه و اعتماده على طبعه و عدة لسانه، يمضى معه أين ما مضى به من اللفظ، و يذهب معه أين ما ذهب، و لا يبني على أصل و لا يقرأ على علم، و لا يقرئ عن فهم. فما أقربه من أن يذهب عنه طبعه، أو تتغير عليه عادته، و تستحيل عليه طريقته، إذ هو بمنزلة من يمشى في ظلام في طريق مشتبه، فالخطأ و الزلل منه قريب، و الآخر بمنزلة من يمشى على طريق واضح معه ضياء، لأنه يبني على أصل، و ينقل عن فهم، و يلفظ عن فرع مستقيم و علة واضحة فالخطأ منه بعيد، فلا يرضين امرؤ لنفسه في كتاب الله - جل ذكره - و تجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور و أسلمها من الخطأ و الزلل، و الله الموفق للصواب» (٣). (١) الحواشي المفهومة ٣١ ظ. و انظر أيضا: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٢٥ و. و على القارى:

المنح الفكرية ص ٢١.

(٢) انظر: التحديد ١٦ و، ٤١ ظ.

(٣) الرعاية ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦١

و مما يوضح مقدار عناية علماء التجويد بالتدريب العملي لنطق الأصوات، و مكابدتهم ذلك مع الطلبة قول مكى أيضا: «و كل ما ذكرته من هذه الحروف لم أزل أجد الطلبة تزل بهم ألسنتهم إلى ما نهت عليه، و تميل بهم طباعهم إلى الخطأ فيما حذرت منه، فبكثره تتبعى لألفاظ الطلبة بالمشرق و المغرب و قفت على ما حذرت منه، و وصيت به من هذه الألفاظ كلها، و أنت تجد ذلك من نفسك و طبعك» (١).

و قد جعل ابن الجزرى التدريب و رياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد، فقال:

«و لا أعلم سببا لبلوغ نهاية الإتقان و التجويد، و وصول غاية التصحيح و التسديد مثل رياضة الألسن و التكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن ...» (٢).

و هناك قضية تتصل بالاتجاه التعليمي للأصوات العربية عند علماء التجويد، و هى أنهم مع تأكيدهم ضرورة التلقى من فم الشيخ المحسن ينصون على ضرورة استخدام الحس النقدي عند التلقى، و اجتناب التقليد المحض، فيجب على الطالب أن يعرض ما يتلقاه عن شيخه على الأصول المقررة فى كتب علم التجويد، خشية أن يكون شيخه قد وهم فى بعض ما يلقيه إياه.

قال الدانى: «و قراء القرآن متفاضلون فى العلم بالتجويد و المعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياسا و تمييزا، و هو الحاذق النبيه، و منهم من يعلمه سماعا و تقليدا، و هو الغبى الفهيه (٣). و العلم فطنة و دراية أكد منه سماعا و رواية، و للدراية ضبطها و نظمها، و للرواية نقلها و تعلمها، و الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم» (٤).

و ينازع الدانى هذا النص عالم آخر، و هو معاصره مكى بن أبى طالب، فقد نقله فى كتابه (الرعاية) بنصه تقريبا، مع تصريحه فى أول النص بأنه نقله من غيره، حيث قال: «و قد وصف من تقدمنا من المقرئين و القراء، فقال: القراء يتفاضلون فى العلم بالتجويد ...» (٥).

و قد ناقش تلك القضية، أعنى التدقيق فى التلقى عن الشيوخ، الأستاذ محمد المرعى الملقب ساج قلى زاده (ت ١١٥٠ هـ) فى كتابيه (جهد المقل) و (بيان جهد المقل). فقال فى الكتاب الأول: «و تجويد القرآن قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ الموجود بدون معرفة مسائل (١) الرعاية ص ١٤٤.

(٢) النشر ١ / ٢١٣.

(٣) الفهيه: هو الكليل اللسان العيى عن حاجته (انظر: ابن منظور: لسان العرب ١٧ / ٤٢١ مادة فهه).

(٤) التحديد ٢ و.



(٥) الرعاية ص ٦٩ - ٧٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٢

هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، ويزيد به المهارة، ويسان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف كما صرح به في الرعاية» (١).

وشرح محمد المرعشي قوله هذا في كتابه الثاني (بيان جهد المقل) بكلام دقيق، جدير بأن ننقله لأنه يمس جوهر القضية التي ناقشها هنا، ولأنه يعبر عن موقف متميز من عالم عاش في العصور المتأخرة التي غلبت فيها نزعة التقليد وجمود العبارة، لكن المرعشي كان واضحا في رأيه سلسا في عبارته مستقلا في تحليله وموقفه، قال في توضيح النص السابق والتعليق عليه:

«وقوله (بمشافهة الشيخ)، قال في الصحاح: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه، انتهى. أقول: فإضافة المشافهة إلى الشيخ من قبيل إضافة المصدر إلى الفاعل، أي بمشافهة الشيخ الموجود إياه. قوله (هي العمدة) يجيء بمعنيين: بمعنى المقصود، وبمعنى ما يعتمد عليه، والمراد الثاني، لأن الإنسان كثيرا ما يعجز عن أداء الحروف بمجرد معرفته مخارجها وصفاتها من المؤلفات، ما لم يسمعه من فم الشيخ، لكن لما طالت سلسلة الأداء تخلل أشياء من التحريفات في أداء كثير من شيوخ الأداء. الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر!.

فوجب علينا أن لا نعلم على أداء شيوخنا كل الاعتماد، بل نتأمل فيما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن، ونقيس ما سمعنا من الشيوخ على ما أودع في الكتب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فالحق ما في الكتب. كما صرح به في الرعاية، وهذه عبارتها:

القرء يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يعلمه رواية وقياسا وتميزا، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعا وتقليدا، فذلك الوهن الضعيف، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيح إذ لم يبين على أصل، ولا نقل عن فهم، انتهى.

قوله: رواية، يعني: رواية عن شيخه.

وقوله: قياسا، يعني: استنباطا من قواعده.

وقوله: تميزا، يعني: تمييز صحيح الأداء عن فاسده لعلمه بقواعده الكلية» (٢). (١) جهد المقل ٢ ظ.

(٢) بيان جهد المقل ٣ ظ، وقد لخص المرعشي ذلك وأثبتته في رسالته في (كيفية أداء الضاد) انظر ورقة ٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٣

ولم يكتف المرعشي بالقول بامتحان المتلقى عن الشيوخ بعرضه على كتب العلم، بل ذهب إلى حد القول بضرورة التدقيق فيما نجده في الكتب، فليس بعيدا أن يعثر المدقق على قصور في عبارات المصنفين، قال في أول كتابه (بيان جهد المقل): «لما ختمت رسالتي المسماة بجهد المقل، شرحتها وأظهرت مواضعها المبهمة ليتنفع بها أدنى الطلبة، وسميته بيان جهد المقل، وأوصيتهم أن لا يعجلوا بتخطئتي بسبب مخالفة ما ذكرته في هذه الرسالة ظاهر ما يفهم من كلمات المؤلفين في هذا الفن، فإن كلماتهم قل ما خلت عن المسامحات، ولا يستبعدوا أن أعثر على الخطأ في كلمات بعضهم، فأثبت المسألة في هذه الرسالة على وجه الصواب. ثم إنى وجدت هذا الفن من أصعب الفنون، ووجدت كثيرا من مسائله لم يكشف عن وجوها «١» القناع، فأتعبت نفسي وبذلت جهدي في إيضاح المسألة و تتميم القاعدة بجميع (لعله بجمع) ما تفرق في الكتب المؤلفة بقدر طاقتي و منتهى حرفتي، بحول الله وقوته، إنه حسبي والمستعان في أمورى» (٢).

ونجد المرعشي يستخدم كلمة (المسامحات) للإشارة إلى قصور العبارة عند المصنفين في علم التجويد، فقد استخدمها في النص السابق. واستخدمها في أول كتابه (جهد المقل) حيث قال: «فعملت فيه رسالة محتوية على عامة مسائله بعبارات سهلة، خالية من مسامحات المصنفين» (٣).

وقد وضع المرعشى قصده من ذلك في كتابه (بيان جهد المقل) حيث قال: «قوله:

(خالية من مسامحات المصنفين). قال في الصحاح: المسامحة المساهلة. أقول هي من السهولة ضد العسرة، فكأن معنى المساهلة اختيار

العبارة السهلة الموجزة وإن خفي معناها اعتمادا على فهم المخاطب» (٤).

و القضية الأخيرة التي تضمنها قول المرادى الذي سقناه في أول هذا المبحث عن شمول منهج علماء التجويد في دراسة الأصوات هي حديثه عن (حسن الصوت و جودة الفك و ذرابة اللسان و صحة الأسنان)، و هي تعنى السلامة من عيوب النطق و أمراض الكلام، و

هذا الموضوع و إن لم يكن لغويا محضا فإنه من مكملات الدراسة الصوتية اللغوية. و قد عالج (١) في الأصل (وجوههم).

(٢) بيان جهد المقل ١ ظ.

(٣) جهد المقل ١ ظ.

(٤) بيان جهد المقل ٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٤

بعض علماء التجويد هذا الموضوع بفصل مستقل ضمن كتب علم التجويد، كما فعل عبد الوهاب القرطبي في آخر كتابه (الموضح)، أو برسائل مفردة كما فعل ابن البناء برسائله (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء).

كان منهج علماء التجويد إذن شاملا، استغرق الكلام على الموضوعات الأساسية في (علم الأصوات النطقى)، و هي:

١- إنتاج الأصوات اللغوية و تقسيمها، و يتضمن ذلك دراسة آلة النطق و مخارج الحروف و صفاتها.

٢- دراسة ما ينشأ عنها من الأحكام، أى الظواهر الصوتية، عند تركيبها فى الكلام المنطوق. و شمل أيضا دراسة موضوعات تكميلية هي:

أ- رسم منهج تعليمى للأصوات يتمثل فى التلقى المباشر عن المعلم المتقن أولا، ثم التدريب المستمر على نطق الأصوات ثانيا، و هو ما عبر عنه علماء التجويد، برياضة اللسان.

مع إخضاع ذلك المنهج التعليمى لإطار نقدى متعدد الاتجاهات، يتمثل فى أن القاعدة المدونة فى الكتب تحرس الأداء عن الانحراف فى النطق من جانب، و أن الدراية تعمل على تدقيق القاعدة المدونة و السمو بها دائما نحو الدقة فى وصف جوهر العملية النطقية المراد التعبير عنها.

ب- معالجة عيوب النطق أو أمراض الكلام.

### ثانيا - منهج علماء التجويد منهج صوتى خالص:

إن علماء التجويد كانوا دائما من المتخصصين فى علم القراءات، و من المشتغلين بعلوم القرآن، كما أن الكثير منهم كانوا لغويين و نحاة، أو كانوا على جانب كبير من الثقافة اللغوية:

النحوية و الصرفية. فهل استطاعوا أن يرسموا حدودا واضحة لعلم التجويد، متميزة عن العلوم الأخرى التى كانوا يشتغلون بها، لا سيما أن بعض تلك العلوم له ارتباط وثيق بعلم التجويد من بعض الوجوه، خاصة علم القراءات، و علم الوقف و الابتداء، و علم رسم المصحف، و علم الصرف؟ إن الإجابة عن هذا السؤال سوف تحدد لنا أ كان منهج علماء التجويد منهجا صوتيا خالصا أو لا؟.

إن أول قضية بارزة تواجهنا فى البحث عن إجابة للسؤال السابق هي أن علماء التجويد قد خصصوا كتبا مستقلة لبحوثهم الصوتية، هي التى تعرف بكتب علم التجويد، و قد ذكرنا فى المبحث الثانى من هذا الفصل أشهر تلك الكتب منذ أقدمها و هو قصيدة أبى مزاحم الخاقانى،

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٥

حتى أحدثها و هو (خلاصة العجلة في بيان مراد الرسالة) للدركزلى الموصلى.

و استطاع علماء التجويد بذلك أن يجردوا المباحث الصوتية المبعثرة في كتب النحو و الصرف و القراءات و يجمعوها في كتب مستقلة، و هذا من أول شروط كون المنهج واضح المعالم محدد الأبعاد غير مختلط بما سواه من كتب العلوم الأخرى.

و القضية الثانية البارزة في ذلك الصدد هي أن علماء التجويد قد ميزوا أبحاثهم الصوتية بتسمية جديدة، فلم يدعوها تحمل اسم علم النحو، أو علم الصرف، أو علم القراءات، و إن كانت ذات صلة بهذه العلوم، و لكنهم استخدموا لتلك المباحث تسمية جديدة مبتكرة هي (علم التجويد)، و قد استقرت هذه التسمية في وقت مبكر من تاريخ هذا العلم، و قد ذكرنا أن مطلع القرن الرابع الهجرى قد شهد مصطلح (التجويد) في ميدان الأبحاث الصوتية المتصلة بقراءة القرآن «١»، و شهد ظهور مطلع القرن الخامس على أقرب تقدير اختيار هذا المصطلح اسما لمجموع تلك الأبحاث، و لم يمض وقت طويل من ذلك القرن حتى استقرت هذه التسمية الجديدة.

و إذا كنا نجد أن أول مصنف في علم التجويد، و هو قصيدة أبى مزاحم (ت ٣٢٥ هـ) جاء خاليا من استخدام مصطلح (التجويد) و أن الكتاب الثانى و هو كتاب (التنبية على اللحن الجلى و اللحن الخفى) للسعيدى (ت فى حدود ٤١٠ هـ) استخدم ذلك المصطلح فى مادة الكتاب دون عنوانه، فإن مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) استخدم المصطلح على الصعيدين معا، فقد قال عن تسمية الكتاب: «و سميت ما ألفت من ذلك بكتاب الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف و مخارجها و صفاتها و ألقابها» «٢».

و يبدو هنا أن مكيا كان مترددا فى التسمية بين (علم التجويد) و (علم مراتب الحروف و مخارجها و صفاتها)، كما يبدو ذلك من العنوان الطويل الذى اختاره لكتابه، و قد أظهر مكى تعلقا بالاسم الثانى فى ثنايا كتابه الرعاية، فقال و هو يتحدث عن دور المخارج و الصفات فى اختلاف وقع الأصوات فى السمع: «و اعلم أنه لو لا اختلاف المخارج لم يفرق فى السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة. و قد تقدم منه جملة فافهمه، فعليه مدار علم مخارج الحروف و صفاتها و قوتها و ضعفها و تقاربها و تباعدها و إدغام بعضها فى (١) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) الرعاية ص ٤٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٦

بعض» «١».

أما الدانى (ت ٤٤٤ هـ)، و هو أحد رواد هذا العلم الأوائل، فإنه سمي كتابه (التحديد فى الإتقان و التجويد) «٢»، كما أنه صرح فى مقدمة الكتاب بقوله: «أعملت نفسى فى رسم كتاب خفيف المحمل قريب المأخذ فى وصف علم الإتقان و التجويد و كيفية الترتيل و التحقيق» «٣». و لكننا نلاحظ أن كلمة (الإتقان) التى قرنها الدانى بكلمة (التجويد) لم تعد تظهر فى عناوين كتب هذا العلم اللاحقة مثل (الموضح فى التجويد) لعبد الوهاب القرطبى (ت ٤٦٢ هـ)، و كتاب (التجويد فى التجويد) لابن البناء (ت ٤٧١ هـ)، و إذا ما ظهرت فى بعض العناوين مثل (نهاية الإتقان فى تجويد القرآن) لشريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩ هـ) فإنها لا يقصد بها التسمية الاصطلاحية لهذا العلم و إنما يفهم منها المعنى اللغوى.

و إذا كانت قد صارت لمباحث علماء التجويد الصوتية تسمية متميزة و هي (علم التجويد)، و صارت لتلك المباحث تضمها كتب مستقلة هي كتب علم التجويد، فلننظر الآن فى الموضوعات التى عالجه علماء التجويد فى كتبهم، أ كانت صوتية خالصة أو الطت بها مباحث العلى شىء و م الأخرى؟.

لا شك فى أن تتبع تلك الكتب كلها و إثبات موضوعاتها و التمييز بين ما يدخل فى علم التجويد منها و بين ما لا يدخل فيه أكبر من أن تتمكن من القيام به فى هذا البحث، لا لصعوبة فيه و لكن لأنه يؤدى إلى ازدياد حجم البحث أكثر مما يسمح به المنهج الذى نسير عليه. و لهذا سوف نتناول هذا الموضوع من خلال نظرة عامة تركز على علاقة كتب علم التجويد ببعض العلوم الأخرى التى أشرنا قبل

قليل إلى ارتباطها بمباحث هذا العلم من بعض النواحي.

و أول تلك العلوم التي ترتبط بعلم التجويد هو علم القراءات، فكلاهما يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم، ولكن كل منهما يعنى بجانب معين من جوانب ذلك النطق، وقد ميز (١) الرعاية ص ١٩١-١٩٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٣٥٥.

(٣) التحديد ١ ظ. وقد جاء عنوان الكتاب في النسخة الخطية التي تحتفظ بها مكتبة وهبي أفندي (١/ ٤٠) (التحديد في صنعة الإتيان و التجويد) و قد ترددت كلمة (الصناعة) في بعض كتب التجويد، فاستخدم الداني في شرح قصيدة أبي مزاحم (١٣٦ و): (الأكابر من علماء هذه الصناعة) و استخدم في المنبهة (ص ١٦): (هذه الصناعة)، كما استخدم أحمد بن أبي عمر في الإيضاح (٦٨ ظ). (أرباب الصناعة) و (٧١ و): (أهل الصناعة). و هذا استخدام يشبه إطلاق كلمة (الفن) على علم التجويد.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٧

علماء التجويد بشكل واضح بين العلمين من حيث المنهج و من حيث الموضوع. أما المنهج فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية، و أن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشاهدة و رياضة الألسن، و أما الموضوع فكتب القراءات تعنى برواية وجوه القراءات في نطق كلمات القرآن، بينما كتب التجويد تعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها و إعطائها حقها من صفاتها، مما لا اختلاف في أكثره بين القراء. و سبق أن نقلنا في المبحث الأول من هذا الفصل عددا من النصوص التي وضح فيها علماء التجويد الفرق بين مباحث علم التجويد و علم القراءات، و نكتفى هنا بنقل نص واحد يلخص هذا الموضوع بشكل واضح، و هو قول مكى في كتاب (الرعاية) و هو يتحدث عن تجويد حرف الذال: «و قد ذكرنا في غير هذا الكتاب ما تدغم فيه الذال و غيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب. فتلك الكتب كتب تحفظ منها الرواية المختلف فيها، و هذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، و هذا كتاب دراية» (١).

و كان علماء التجويد يستحضرون ذلك الفرق بين العلمين أثناء بحثهم موضوعات ذات طرفين، أحدهما يرتبط بعلم التجويد، و الآخر يرتبط بعلم القراءات مثل موضوع الإدغام، فالبحت في ظاهرة الإدغام و تفسيرها من الناحية الصوتية و الحديث عن أنواع الإدغام كل ذلك يدخل في مجال علم التجويد، أما اختلاف القراء في إدغام بعض الحروف فهذا يدخل في علم القراءات. و من أمثلة ذلك قول السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ): «و اختلفوا في لام هل و بل عند ثمانية أحرف. و بيان ذلك في كتب القراءات». و قال في مناسبة أخرى: «و تحقيق ذلك في كتب القراءات» (٢). و قال أبو الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠ هـ) في شرحه على المقدمة الجزرية:

«و لم يمثل الناظم رحمه الله تعالى للإدغام الكبير نحو الرَّحِيمِ\* مالِك [الفاحة: ٣-٤]، الكِتَابَ بِالْحَقِّ [البقرة: ١٧٦] لأن محله كتب القراءات» (٣). و ذكر عبد الغنى النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) أن الإدغام على نوعين كبير و صغير، و قال عن الإدغام الكبير: «و ليس هذا محل بيانه، بل موضعه كتب القراءات». و ذكر أن الإدغام الصغير متفق عليه و مختلف فيه، ثم قال: «أما الإدغام المختلف فيه فله تفاصيل كثيرة مبسوطه في كتب القراءات» (٤). (١) الرعاية ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) انظر: روح المريد ١٢٣ و، ١٣١ ظ.

(٣) الجواهر المضية ٥٤ ظ.

(٤) كفاية المستفيد ١٥ ظ، ١٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٨

و هكذا ينص علماء التجويد في كل مناسبة يجرى بهم سياق الكلام فيها إلى ذكر شيء من ظواهر القراءات المختلف فيها بين القراء، سواء أ كان ذلك في المدود (١)، أم الراءات (٢)، أم اللامات (٣)، أم غيرها.

و كان علماء القراءات يدركون الحدود الفاصلة بين موضوعات العلمين، لذلك نجد شراح الشاطبية ينصون على أن (باب مخارج

الحروف و صفاتها) الذي ختم به الشاطبي قصيدته (حرز الأمانى) ليس من موضوعات القراءات، قال شعله الموصلى (ت ٦٥٦ هـ) عن ذلك الباب «هذا من الفوائد التي زادت على ما فى التيسير ... و لا- بد من إيراده و إن لم يكن له تعلق بعلم القراءة، لثلا يلحن فى القرآن، لأن اللحن لحنان ...» (٤) و قال أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) عن الموضوع نفسه: «و لا تعلق له بعلم القراءات إلا من جهة التجويد، و هو علم مخارج الحروف» (٥).

أما علاقته علم التجويد بعلم التصريف فتتجلى بشكل خاص بموضوعات معينة مثل الكلام عن حروف العلة و البدل و القلب و الزيادة، و قد صرح علماء التجويد أن استقصاء تلك المباحث ليس موضعه علم التجويد و إنما كتب التصريف و اللغة، و هذه نصوص توضح حقيقة ذلك.

قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) فى الموضح: «و قد يجعل بعضهم الثاء فاء، فيقول فى ثلاثة: فلافه، و هو لثغ قبيح، فضلا أن يقال إنه لحن خفى. فأما ما ذكر أهل اللغة من أن بعض العرب يبدل الثاء فاء فيقولون فى جدث: جدف، و فى ثوم: فوم، فإن ذلك غير مطرد، بل هو موجود فى أحرف يسيرة خاصة، و منقول نقلا يحفظ و لا يتجاوز» (٦).

و قال أيضا: «و هذه المزية التى لهذه الحروف، أعنى بالمزية اختصاصها بالإبدال و الزيادة لا تعلق لها باللفظ، فمن حقها ألا تذكرها هنا إلا أنا أوردناها لتكون القسمه شامله (١) انظر: ابن الجزرى: التمهيد ص ٥٥.

(٢) السمرقندى: روح المريد ١٣٢ ظ.

(٣) على القارى: المنح الفكرية ص ٢٣.

(٤) كنز التهاني (باب مخارج الحروف) ص ١.

(٥) إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ١.

(٦) الموضح ١٦١ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٦٩

حاضرة» (١).

و قال: «فأما القلب فإنه يجب فى حروف كثيرة و مواضع عدة، مثل انقلاب حروف العلة بعضها إلى بعض، لما توجه أحكام التصريف، و تحول الحروف الصراح بعضها إلى بعض للإدغام الذى يوجه تقارب الحروف، و كناء افتعل فى انقلابها طاء فى مثل (اضطرب) و (اضطروا) و دالا فى مثل (ازدان) و (يزدرى). و كانبقلاب الهمزة إلى الواو و الياء و الألف، و غير ذلك من المواضع التى يبدل فيها بعض الحروف ببعض. و ليس استيعاب ذلك مما يليق بهذا الموضوع، لأنه لا- حاجة تدعو إليه فى لأن الحفظ و التلقين يحصلان لقارئ القرآن اللفظ بالمقلوب و المبدل، كما يحصلان له اللفظ بالأصل» (٢).

و قال أحمد بن أبى عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ): «فأما حروف الزيادة و حروف الإبدال فليست مما نحن فيه بشىء، غير أنى أذكرها ليكون الباب أجمع» (٣).

و قال الفخر الموصلى (ت ٦٢١ هـ) بعد أن ذكر حروف الإبدال: «و البدل موقوف على السماع» (٤). و قال بعد أن ذكر حروف العلة و انقلاب بعضها إلى بعض: «و هذا يستقصى فى كتب التصريف» (٥).

أما علاقته علم التجويد بعلم الوقف و الابتداء فيبدو أنها ترجع إلى ما اتبعه الدانى (ت ٤٤٤ هـ) فى كتابه التحديد حيث ألحق بالكتاب (باب ذكر الوقف و أقسامه) و قال فيه: «اعلموا أن التجويد لا- يتحصل لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف و مواضع القطع على الكلم» (٦). و قد أدرك علماء التجويد الفرق بين العلمين مع ما بينهما من علاقة، قال المرعشى (ت ١١٥٠ هـ) عن علم الوقف و الابتداء: «و هذا فن مستقل مغاير لفن التجويد، و لكن جرت عادة بعض العلماء بجعل قواعد الكلية جزءا من كتب التجويد» (٧). و لهذا نجد كثيرا من علماء التجويد لم يتطرقوا إلى ذكره، و ربما تحدثوا عن موضوع كيفية الوقف على أواخر الكلم، و هذا (١) الموضح ١٥٧ و.

(٢) الموضح ١٧٨ ظ - ١٧٩ و.

(٣) الإيضاح ٧٤ ظ.

(٤) الدر الموصوف ١٧٠ ظ.

(٥) الدر الموصوف ١٧١ ظ.

(٦) التحديد ٤٣ ظ.

(٧) جهد المقل ٤٥ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٠

موضوع تجويدى له تعلق بعلم الوقف و الابتداء.

و ربما كان لصنيع ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) فى (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه) من إلحاقه لمباحث الوقف، و بعض مباحث الرسم فى آخر المقدمة، تأثير فى اتجاه المؤلفين المتأخرين إلى التعرض إلى هذه المباحث فى كتب علم التجويد، بينما كان قصد ابن الجزرى أن يجمع ابتداء هذه العلوم الثلاثة فى مقدمته، كما صرح بذلك فى أولها «١». و قد قال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) فى شرحه على المقدمة: «اعلم أن الناظم كما أشار إليه فى صدر كتابه جعل هذه الأرجوزة مبنية على ثلاثة أمور: التجويد، و الوقوف، و رسوم المصحف» «٢».

من كل ما ذكرناه هنا نخلص إلى هذه النتيجة، و هى أن علماء التجويد كانوا مدركين للحدود التى تفصل علم التجويد عن العلوم الأخرى التى تتصل به من بعض الجوانب، و أنهم كانوا حين يضطرون إلى ذكر بعض المباحث ترجع إلى هذا العلم أو ذاك حرصا منهم من أن تظل موضوعات علم التجويد متميزة عن مباحث العلوم الأخرى، خالصة من شوائبها، مع الملاحظة أن بعض المؤلفين، لا سيما من المتأخرين رشى شى بما حشروا بعض المباحث غير الصوتية فى كتب علم التجويد رغبة منهم فى إفادة القارئ ببعض الأمور التى لها ارتباط بعلم التجويد من بعيد مثل مباحث الوقف، أو مباحث رسم المصحف.

و لعل من تمام الكلام عن منهج علماء التجويد فى كتبهم أن نقل هنا أمثلة توضح كيفية تبويب تلك الكتب، لا سيما أن معظمها مخطوط يصعب على الكثير الاطلاع عليه، و أكتفى هنا بكتابين يمثلان عصرين متباعدين، الأول من القرن الخامس الهجرى، و الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى.

أما الكتاب الأول من الكتابين اللذين نريد أن نتحدث عنهما فهو (التحديد فى الإتقان و التجويد) لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ)، و سوف أتعلم على نسخة مكتبة (وهبى أفندى) المرقمة (١ / ٤٠) و هى تقع فى أربع و أربعين ورقة من القطع المتوسط. و هو يبدأ بمقدمة تستغرق صفحة و نصفاً فى بيان السبب الذى دفع المؤلف إلى تأليف الكتاب و ذكر بعض الأمور المتعلقة بخطته فى تناول موضوعات الكتاب (١ ظ - ٢ و). ثم تبدأ أبواب الكتاب (١) انظر: ابن الجزرى: متن الجزرية ص ١٦ (اقرأ الآيات ٥ - ٨). (٢) شرح المقدمة الجزرية ٣٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧١

على هذا النحو:

١- باب: فى ذكر البيان عن معنى التجويد و حقيقة الترتيل و التحقيق و ما جاء من السنن و الآثار فى الحث على استعمال ذلك و الأخذ به (٢ و - ٥ ظ).

٢- باب: فى قراءة التحقيق و تجويد الألفاظ و رياضة الألسن بالحروف (٥ ظ - ٨ ظ).

٣- باب: ذكر الأخبار الواردة عن أئمة القراءة فى استعمال التحقيق (٨ ظ - ٩ و).

٤- باب: ذكر الإفصاح عن مذاهب الأئمة فى حد التحقيق و نهاية التجويد، و ما جاء عنهم من الكراهة فى التجاوز عن ذلك (٩ و - ١٢



(ظ).

٥- باب: ذكر البيان عن حقائق الألفاظ و حدود النطق بالحروف (١٢ ظ - ١٦ ظ).

قال الداني في أول هذا الباب: «اعلموا أن التجويد لا يتمكّن و التحقيق لا يتحصل إلا بمعرفة حقيقة النطق بالمرحك، و المسكن، و المختلس، و المرام، و المشمّ، و المهموز، و المسهّل، و المحقق، و المشدد، و المخفف، و الممدود، و المقصور، و المبيّن، و المدغم، و المخفى، و المفتوح، و الممال. و أنا أبين ذلك كله...».

٦- باب: ذكر مخارج الحروف المعجمة و تفصيلها (١٦ و- ١٧ ظ).

٧- باب: ذكر أصناف هذه الحروف و صفاتها (١٧ ظ - ٢٠ و).

قال الداني في أول هذا الباب: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بينها ستة عشر صنفاً: المهموسة، و المجهورة، و الشديدة، و الرخوة، و المطبقة، و المنفتحة، و المستعيلة، و المستقلة، و حروف المد و اللين، و حروف الصفير، و المتفشى، و المستطيل، و المتكرر، و المنحرف، و الهاوى، و حرفا الغنة» ثم وضح الداني هذه الصفات.

٨- باب: ذكر أحوال النون الساكنة و التنوين (٢٠ و- ٢٢ و).

٩- باب: ذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها و عمّد بيانها و تخليصها لتفصل بذلك من مشبهها على مخارجها (٢٣ ظ - ٤١ ظ).

و هذا الباب هو أطول أبواب الكتاب، قسمه الداني إلى فصول على عدد حروف المعجم، مرتباً لها على المخارج، و تحدث في كل فصل عن حرف من الحروف ذا كرا صفاته الصوتية، مبيناً الأحكام التي تخصه عند تركيبه في الكلام المنطوق، موضحاً ذلك بالأمثلة الكثيرة من كلمات القرآن الكريم.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٢

١٠- باب: ذكر أحوال الحركات في الوقف، و بيان الروم و الإشمام (٤١ ظ - ٤٣ و).

١١- باب: الوقف و بيان أقسامه (٤٣ ظ - ٤٤ ظ). و هو آخر أبواب الكتاب.

و أما الكتاب الثاني فهو (كفاية المستفيد في علم التجويد) لعبد الغنى بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣ هـ). و سوف نعتمد على نسخة مكتبة المتحف ببغداد المرقمة (١٠٨٩٥) في وصف أبواب الكتاب الذي يتألف من أربع و عشرين ورقة متوسطة الحجم. و الكتاب يبدأ بمقدمة تستغرق من الكتاب الأوراق (١ ظ - ٣ و) قال في نهايتها: «و اعلم أن أحكام التجويد تنحصر في ثلاثة أصول، كل أصل تحته أربعة فصول. و وجه الانحصار في الثلاثة لأن الكلام على الحروف الهجائية إما أن يكون من حيث أفرادها أو من حيث تركيبها، و الثاني هو الأصل الثالث. و الأول إما أن يكون من حيث كميتها، و هو الأصل الأول، أو من حيث كيفيتها، و هو الأصل الثاني». هذه هي الفكرة النظرية لمنهج النابلسي في تبويب الكتاب، و هي متماسكة في هيكلها الثلاثي العام، لكنها لا تخلو من بعض التحكم في محاولة تقسيم كل أصل من الأصول الثلاثة إلى فصول أربعة لا تزيد و لا تنقص.

و بعد المقدمة تبدأ أبواب الكتاب التي سماها المؤلف أصولاً على هذا النحو:

الأصل الأول: معرفة مخارج الحروف (٣ و- ٥ و).

الفصل الأول: في الجوف، و يتولد منه ثلاثة حروف.

الفصل الثاني: في الحلق، و فيه ثلاثة مخارج، يتولد منها ستة حروف.

الفصل الثالث: في اللسان، و له أربعة مواضع: أقصى و وسط و حافتان و طرف، و فيها عشرة مخارج لثمانية عشر حرفاً.

الفصل الرابع: في الشفتين، و فيهما مخرجان لأربعة حروف.

الأصل الثاني: معرفة صفات الحروف (٥ و- ١٢ ظ).

الفصل الأول: في الصفات التي لها أضداد تضادها وهي خمس صفات.

الفصل الثاني: في الصفات التي لا أضداد لها، وهي ثمانى صفات.

الفصل الثالث: في انقسام الصفات المذكورة إلى صفات قوية و متوسطة و ضعيفة.

الفصل الرابع: في معرفة الحروف الواجبة التفخيم و الحروف الواجبة الترقيق أبداً، و الحروف التي على التفصيل في ذلك.

الأصل الثالث: في معرفة أحكام تعترى الحروف في حالة تركيبها، وهي ثمانية أشياء:

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ٧٣

مد و قصر، و إدغام و إظهار، و إخفاء و إقلاب، و وقف و ابتداء، فانحصر كلامنا على هذا الأصل في أربعة فصول أيضا (١٢ ظ - ٢٤ و).

الفصل الأول: المد و القصر.

الفصل الثاني: الإدغام و الإظهار.

الفصل الثالث: الإخفاء و الإقلاب.

الفصل الرابع: الوقف و الابتداء (يتضمن كفيات الوقف و أقسام الوقف).

هذان مثالان لتبويب الموضوعات في كتب علم التمجيد، تقدّم عليهما مثال ثالث من قبل هو كتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي، و هناك عشرات الأمثلة الأخرى، منها ما يخص المؤلفات العامة لكتب علم التمجيد، و منها ما يتعلق بموضوعات خاصة على نحو ما عرضنا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

و لا نكاد نجد كتابين من تلك الكتب يتطابقان في التبويب، اللهم إلا إذا كانا شرحا لنص واحد، مثل شروح المقدمة الجزرية، و نجد في كثير من تلك الكتب أمثلة تعبر عن دقة في تبويب بعض الموضوعات، و ما اختلاف مناهج المؤلفين في تبويب كتبهم، مع كون الموضوعات واحدة في أغلب الأحيان، إلا تعبير عن أصالة التفكير و التحرر من صفة الجمود و التقليد.

و لنا في نهاية حديثنا عن منهج علماء التمجيد و كيف كان ذلك المنهج شاملا أولاً، و خالصا ثانياً، ملاحظة عامة عن أساليب هؤلاء العلماء في معالجة موضوعاتهم، و علاقتهم بغيرهم من سابقهم، و هي ملاحظة ليست نهائية، لأنها تفتقر إلى الاستقراء الكامل لكتب علم التمجيد، و مع ذلك فلدينا أمثلة كافية و متعددة عن كل عصر من العصور التي يمتد إليها ميدان هذا البحث.

و تتلخص تلك الملاحظة في القول بأن مؤلفات القرن الرابع الهجرى التي تمثل مرحلة النشأة لهذا العلم و التي يمكن أن نمثل لها بقصيدة أبى مزاحم (ت ٣٢٥ هـ) و كتاب (التنبيه على اللحن الجلى و الخفى) للسعيدى (ت فى حدود ٤١٠ هـ) كانت تفتقر إلى المنهج المتكامل أو الشامل، فهى كتب رائدة لم ينسج مؤلفوها على مثال، و إنما ابتدعوها ابتداء و صارت أمثلة للمؤلفين من بعد ينظرون فيها و يكملون نقصها، و يتمثلون بعباراتها.

و كانت مؤلفات القرن الخامس الهجرى تمثل مرحلة النضج لهذا العلم، منهجا

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ٧٤

و موضوعا، متمثلة بكتاب (الرعاية) لمكى (ت ٤٣٧ هـ) و (التحديد) للدانى (ت ٤٤٤ هـ)، و (الموضح) للقرطبي (ت ٤٦٢ هـ). و ربما امتدت هذه المرحلة إلى القرن السادس أيضا.

و تمثل مؤلفات القرن السابع و الثامن الهجريين مرحلة جمع الآراء و الموازنة بينها مع خفوت نزعة الإبداع فى كثير من الأحيان، و يمثل هذه المرحلة (منهاج التوفيق إلى معرفة التمجيد و التحقيق) فى كتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوى (ت ٦٤٣ هـ)، و (المفيد فى شرح عمدة المجيد) للحسن بن قاسم المرادى (ت ٧٤٩ هـ)، و (التمهيد فى علم التمجيد) لابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ)، الذى ألفه سنة ٧٦٩ هـ.



و كانت أرجوزة ابن الجزرى المسماة (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه) بدايةً لمرحلة جديدة في وجهه التأليف في علم التجويد، فقد شغلت المقدمة معظم علماء التجويد على مدى أربعة قرون تقريباً، فكانوا يعتنون بشرحها، وربما كتب بعض العلماء حواشى على تلك الشروح، و دخل علم التجويد بذلك مرحلة أقل ما يقال فيها أنه كثر فيها المكتوب مع قلة الجديد فيه بشكل عام. و ظهرت في النصف الأول من القرن الثانى عشر حلقة علمية متميزة على ما سبقها، و على ما لحقها، تتمثل في عالَمين: أولهما: عبد الغنى النابلسى (ت ١١٤٣ هـ) الذى كتب (كفاية المستفيد فى علم التجويد) الذى فصّل لنا القول فى منهجه قبل قليل، و الثانى: تلميذ النابلسى: محمد المرعشى الملقب ساج قلى زاده (ت ١١٥٠ هـ) الذى كتب (جهد المقل) و (بيان جهد المقل) و غيرهما. و قد تميز النابلسى بالمنهج الذى وضعه لكتابه، و تميز المرعشى بالمادة الصوتية التى قدمها فى كتبه و التى تتسم بالتحليل العميق و الدقيق إلى حد كبير.

أما آخر كتب علم التجويد التى وقفنا عندها فهو كتاب (خلاصة العجالة فى بيان مراد الرسالة) للدركزلى الموصلى الذى فرغ من تأليفه سنة ١٢٦٦ هـ، و هو من أكبر كتب علم التجويد حجماً (٢١٧ ورقة)، و لكن كبر حجمه كان ناتجاً عن تراكمات و استطرادات كثير منها لا يمت إلى علم التجويد بصله، و إنى ألاحظ فيه مع ذلك اتجاهات جديدة تتمثل فى ما يأتى:  
أولاً: رجوع المؤلف إلى كتب التشريح لوصف أعضاء النطق، و ثانياً: قائمة المصادر الطويلة التى ذكر فيها أسماء (١٠٦) كتب، و ألحقها فى آخر كتابه. و هذان الاتجاهان، و إن كان الثانى منهما شكلياً جديران بالذكر.

\*\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٥

### المبحث الخامس صلة علم التجويد بعلم القرآن و علم اللغة

كان لعلم التجويد موضوعه المتميز المحدد، و هو دراسة مخارج الحروف و صفاتها و أحكامها التركيبية، مما نسميه الآن (علم الأصوات اللغوية)، و كان هذا الموضوع يحظى بعناية علماء القراء، كما كان يحظى بعناية علماء العربية من النحاة و اللغويين، قبل أن يظهر علم التجويد بشكله المستقل، و جاءت مرحلة تركزت فيها الدراسة الصوتية فى كتب علم التجويد و ضعفت عند النحاة، فكان كتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جنى العمل الوحيد للنحاة الذى أخذ شكلاً مستقلاً، و لكنه لم يكن صوتياً خالصاً، كما أنه كان عملاً منقطعاً لم يظهر بعده عمل مستقل للنحويين يعالج هذا الموضوع، فظل يدرس فى أواخر بعض كتب النحو أو الصرف كما نجد فى (المفصل) للزمخشري، و شروحه و (الشافية) لابن الحاجب و شروحها، و (التسهيل) لابن مالك و شروحه.

و هناك ظاهرة تبدو فى دراسة النحويين المتأخرين للأصوات العربية، و هى أنهم صاروا يعتمدون على آراء علماء التجويد و مذاهبهم فى تحليل الظواهر الصوتية و وصفها، و تعليها، مثلما كان علماء التجويد يعتمدون على دراسات النحويين الصوتية فى بدء أمرهم. قال الدانى فى أول باب مخارج الحروف: «و أنا أذكر ذلك على مذهب سيويه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه» (١) و صرنا نجد فى كتب متأخرى النحاة رأى النحوى إلى جانب رأى عالم التجويد، و هذه ثلاثة أمثلة توضح لنا ذلك التداخل الحاصل فى الدراسة الصوتية بين علماء العربية و علماء التجويد:

قال أبو حيان فى كتابه (ارتشاف الضرب): «المخرج الثانى: وسط الحلق، و هو العين و الحاء. و ظاهر كلام سيويه أن الحاء بعد العين، و هو نص كلام مكى بن أبى طالب. و يظهر (١) التحديد ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٦

من كلام المهدي أن العين بعد الحاء، و هو نص أبى الحسن شريح» (١).

و قال الحسن بن قاسم المرادى فى كتابه (شرح التسهيل) و هو يتحدث عن إدغام النون الساكنة: «و الميم تدغم فيها بغنة، و اختلف

فيها، فذهب المحققون إلى أن الغنة للميم المبدلة من النون و هو إدغام تام صحيح، و ذهب ابن كيسان و ابن المنادى و ابن مجاهد في أحد قوليهِ إلى أن الغنة للنون، و هو إدغام غير مستكمل، و التشديد غير بالغ. و قد ذهب إلى ذلك أبو محمد مكي بن أبي طالب، و زاد أن إدغام النون في النون إدغام غير مستكمل لبقاء الغنة، و الصحيح قول الجمهور. و قال ابن أبي الأحوص: إدغامها في مثلها و في الميم بغنة لا خلاف في ذلك...» (٢).

و قال السيوطي في كتابه (همع الهوامع): «و قال (أبو) محمد القيرواني صاحب الرعاية:

اختلاف مخرج اللام و الراء و النون كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، و هو مخرج الشين و الجيم و الياء، و لم يجعل ثلاثة مخارج، بل جعل مخرجا واحدا، فكذلك هذه الحروف ينبغي أن تجعل كذلك، و قال ابن أبي الأحوص: ما ذهب إليه سيبويه من أنها ثلاثة مخارج هو الصواب...» (٣).

و ليس غرضنا من نقل هذه النصوص الثلاثة مناقشة مضمونها هنا، و إنما غرضنا توضيح امتزاج الدراسة الصوتية عند علماء العربية بالدراسة الصوتية عند علماء التجويد، فقد ورد في تلك النصوص أسماء عدد من كبار علماء التجويد و هم:

١- ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) و ابن المنادى (ت ٣٣٦ هـ) من الطبقة الأولى التي لم تصل إلينا منها كتب في علم التجويد.

٢- المهدي (أبو العباس أحمد بن عمار المهدي ت بعد ٤٣٠ هـ) مؤلف كتاب (الهداية في القراءات السبع المشهورة) و قد شرحه أيضا. و في هذا الكتاب فصول عن مخارج الحروف و أصنافها (٤).

٣- مكي بن أبي طالب أبو محمد القيرواني (ت ٤٣٧ هـ) مؤلف كتاب (الرعاية) (١) ارتشاف الضرب ص ٢.

(٢) شرح التسهيل ٣٠٨ ظ.

(٣) همع الهوامع ٢٩٣/٦.

(٤) انظر: برتزل: علم القراءات (بحث في مجلة إسلاميكا) ص ٢٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٧

لتجويد القراءة).

٤- أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني (ت ٥٣٩ هـ) مؤلف كتاب (نهاية الإتقان في تجويد القرآن).

٥- ابن أبي الأحوص أبو علي الحسين بن عبد العزيز، المعروف بابن الناظر (ت ٦٧٩ هـ) و هو مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد). فدراسة الأصوات العربية إذن كان يتقاسمها علماء العربية و علماء التجويد، و كان كل فريق يأخذ من الآخر، و الفرق بينهما أن علماء العربية لم يخصصوا للموضوع كتبا مستقلة، و كانت دراستهم الصوتية مرتبطة بقضايا صرفية. أما علماء التجويد فقد جعلوا دراستهم مستقلة في كتب خاصة، كما أنها كانت عندهم على نحو أشمل. و لكن ذلك كله لا يغير من حقيقة جوهريته هي أن دراسة الأصوات العربية موضوع لغوي أساسا، سواء أقام بها النحاة أم قام بها علماء القرآن، و سواء ارتبطت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم، أم كانت تعني بنص لغوي يشمل القرآن و نصوص لغة العرب من شعر و نثر، في عصر محدد أو غير محدد.

و من ثم إذا نظرنا إلى مادة علم التجويد أمكننا أن نقول: إن علم التجويد من علوم العربية، كما أننا إذا نظرنا إلى كون هذا العلم يرتبط بقراءة القرآن، و يستمد أمثلته من ألفاظ القرآن أمكننا أن نقول: إنه من علوم القرآن. فهذا العلم إذن لا يمكن أن نقطع ارتباطه بهذين الحقلين الواسعين من حقول المعرفة (علوم العربية) و (علوم القرآن). و ليس علم التجويد هو الوحيد الذي يتخذ هذه الصفة. فنجد (علم الوقف و الابتداء) تنطبق عليه هذه الظاهرة المزدوجة في ارتباطه بعلم النحو من جانب و بعلوم القرآن من جانب آخر، و ليس هذا الذي نقوله جديدا، فقد أدرك المشتغلون بتاريخ علوم العربية مقدار ارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم، و كذلك صار واضحا منذ وقت مبكر حاجة المشتغلين بعلوم القرآن، لا سيما المتعلقة بضبط نصه، إلى إتقان علوم العربية.

فهذا أبو عمرو الداني يقول في نهاية كتابه (التحديد في الإتقان و التجويد): «فهذا كله و سائر ما ذكرناه قبل لا تتمكن معرفته للقراء إلا

بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من أكد ما يلزمهم تعلمه و التفقه فيه، إذ به يفهم الظاهر الجلى، و يدرك الغامض الخفى، و به يعلم الخطأ من الصواب و يميز السقيم من الصحيح» (١). (١) التحديد (٤٤ و- ٤٤ ظ).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٨

و قال أبو العلاء الهمداني العطار في كتاب (التمهيد في التجويد): «ثم اعلم أن ما ذكرناه من الحذق بالأداء و ما لم نذكره من مذاهب القراء لا يوقف على حقيقته و لا يوصل إلى كفيته إلا بإتقان العربية و مقاييسها، و معرفة وجوه القراءات و رواياتها» (١).

و قد ذكر القسطلاني في (لطائف الإشارات) العلوم التي يحتاج إليها دارس القراءات، و جعل علم العربية ثانياً تلك المهمات بعد (الأسانيد) (٢). و قد قال: «و أما الجزء الثاني: و هو علم العربية، فاعلم أنه لما كان إنزال القرآن العزيز إنما وقع بلسان العرب، توقف الأمر في أدائه على معرفة ما يجوز عندهم النطق به و ما لا يجوز، و هو قسمان: معرفة الإعراب المميز للخطأ و الصواب، و الثاني: معرفة كيفية نطقهم بكل حرف، ذاتا و صفة، و هو معرفة مخارج الحروف و صفاتها» (٣).

و نتيجة لذلك الارتباط بين علم التجويد و علوم العربية، و خاصة النحو و الصرف، وجدت الشيخ محمدا المرعشى (ت ١١٥٠ هـ)، و هو الوحيد الذي اطلعت على رأى له في هذا الموضوع، يميل إلى اعتبار علم التجويد من علوم العربية من غير أن ينكر صلته بعلوم القرآن، قال في (جهد المقل) و هو يعلق على قول على القارى (موضوعه الكلمات القرآنية، يعنى حروفها): «و فيه نظر، لأنه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من العلوم العربية، و داخل في التصريف، و لذلك جعل جزءا من بعض كتبه كالشافية. و لما أفرزه العلماء عن كتب التصريف لمعرفة أحوال حروف القرآن لا يبعد أن يصطلحوا على أنها موضوعه» (٤).

و قال المرعشى في (بيان جهد المقل) موضحا أشياء في قوله السابق: «قوله (فلعله من العلوم العربية) الباحث عن أحوال اللفظ العربى سواء وقع في القرآن و فى غيره، و ليس من العلوم الشرعية الباحث عن أحواله الشرعية الخاصة، و قوله (و داخل في التصريف) لأنه علم يبحث فيه عن هيئات الكلمات التي ليست بإعراب، و مخارج الحروف و صفاتها المذكورة في هذا العلم من هيئات الكلمات، لأن الكلمات مركبة من حروف» (٥).

فالمرعشى إذن يرجح أن يكون علم التجويد من العلوم العربية، باعتباره جزءا من علم (١) التمهيد ٨٩ ظ.

(٢) لطائف الإشارات ١ / ١٧٢.

(٣) لطائف الإشارات ١ / ١٨٢.

(٤) جهد المقل ٢ و- ٢ ظ.

(٥) بيان جهد المقل ٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٧٩

التصريف (أى الصرف). و يبدو أن المرعشى يتوسع هنا بمفهوم علم الصرف الذى يختص بأحوال الكلمة التي ليست بإعراب و لا بناء المتمثلة ببنية الكلمة ليشمل الأجزاء التي تتكون منها الكلمة و هى الحروف.

و إذا كنت من الموافقين للمرعشى على عدّه التجويد من العلوم العربية، أى اللغوية، فإن واقع الدراسات اللغوية المعاصرة يأبى أن نلحقه بعلم الصرف، فالتجويد علم مستقل بذاته يعنى بدراسة أصوات اللغة العربية مخارجها و صفاتها و أحوالها التركيبية، و ليس بضائر بعد ذلك أن نسميه علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية.

و مع أننا ندرس في هذا البحث جهود علماء التجويد في قرون مضت و نقرر ما قالوه و ناقشه في ضوء معارفنا الصوتية المعاصرة، تظل أبصارنا تتطلع إلى الأمام ترمى المكان الذى ينبغى أن يحتله هذا العلم فى المستقبل، و الدور الذى يمكن أن يقوم به فى دراسة أصوات العربية و فى تعلمها أيضا، و من ثم يجب أن نركز على الجانب اللغوى فى علم التجويد، لأن دراساتنا اللغوية و واقع اللغة العربية المنطوق بحاجة إلى معطيات هذا العلم النظرية و التطبيقية، مستفيدين إلى أقصى حد مما حققه علم الأصوات اللغوية فى الوقت

الحاضر، هذا من غير أن نقطع صلة علم التجويد بنص القرآن الكريم، فقد كانت لتلك الصلة أهميتها في الماضي و يمكن أن تنال ذات الأهمية في الحاضر والمستقبل.

و هناك قضية أخيرة تتصل بهذا المبحث، و هي بيان أثر ارتباط علم التجويد بنص القرآن الكريم على دراسة الأصوات العربية لدى علماء التجويد، و هل كان ذلك الارتباط سببا لتقييد تلك الدراسة أو كان عاملا في إغنائها و ديمومتها؟

إن القرآن الكريم نص لغوي عربي منقطع النظر في سمو فصاحته و بلاغته، يحرص المسلمون على ترتيب كلماته، أي نطقها مبيّنة مجوّدة، على نحو ما كان يحرص صلّى الله عليه و سلّم و أصحابه يرتلون، و كان ذلك النطق هو المثال الذي ظل المسلمون يتلقونه جيلا بعد جيل بالمشافهة و الرياضة، و كان ذلك النطق موضوع (علم التجويد) دراسة، و تحليلا، و تعليما، و من ثم انحصرت أمثلة علماء التجويد و شواهدهم التي يدرسونها في ألفاظ القرآن الكريم بشكل أساسي، بخلاف النحاة الذين استمدوا شواهدهم من القرآن أولا ثم من كلام العرب شعره و نثره ثانيا. لكن علماء التجويد لم يخسروا شيئا حين حصروا اهتمامهم بألفاظ القرآن الكريم، بل أفادهم ذلك من عدة نواح:

أولا: كان هدف علماء التجويد تعليميا بالدرجة الأولى، و يناسب ذلك الهدف حصر

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٠

الدراسة في ميدان محدد، و هو ما يتحقق في نص القرآن الكريم، فلم ينشغلوا بتتبع وجوه النطق اللهجية و إقبال المتعلمين بها، بل تركوا ذلك لجهود علماء العربية، و ركزوا جهودهم في ذلك الميدان المحدد، مما سهل عملية التلقى، و تحققت لعلماء التجويد درجة كبيرة في ضبط صورة النطق على نحو لا- يفوقه إلا استخدام وسائل التسجيل الصوتي الحديثة، التي يجب أن يستعان بها في خدمة ذلك الجهد المتواصل لعلماء التجويد في المحافظة على صورة النطق العربي الأصيل متمثلا بنطق ألفاظ القرآن الكريم. و حرصا من علماء التجويد على حصر ميدان جهودهم ميزوا موضوع القراءات عن موضوع التجويد، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ثانيا: إن ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد جعل منه علما شعبيا، بالتعبير المعاصر، في المجتمع الإسلامي على اختلاف البلدان و الأزمان، يحرص المسلمون على اختلاف مستوياتهم الثقافية و المادية، و على تباين ألسنتهم و أجناسهم، على دراسته و تطبيق أحكامه، لأن تلاوة القرآن من أفضل أنواع الذكر عند المسلمين، و من شروطها أن تكون مرتلة. و قد انعكست تلك الحالة على استمرار التأليف في هذا العلم من غير انقطاع، في مختلف بلاد المسلمين.

ثالثا: ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطاه قوة معنوية تجعل المشتغلين به يقبلون على البحث فيه دون كلل، و يصبرون على متاعب البحث و التعليم حتى يتحقق لدى المتعلم المستوى النطقى المطلوب، و يحتسبون ذلك الجهد عند الله تعالى، و قد أثمرت تلك الجهود التي حظى بها علم التجويد في ترسيخ النطق العربي الفصح على مدى العصور التي أعقبت نزول القرآن الكريم، حتى عصرنا الحاضر، و لو لا ذلك الارتباط بين اللغة العربية و القرآن، و بالتحديد بين علم التجويد و القرآن لكان حال اللغة العربية اليوم على غير ما هي عليه، و ثبات العربية الفصحى المستمر، خلاف كل اللغات الأخرى، لم يتحقق إلا- بفضل تلك العلاقة بين علم التجويد، ممثلا لجوهر النطق العربي الأصيل و بين نص القرآن الكريم. و إن الواقع اليوم ليشهد أنه حيثما أهمل علم التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، و لو كان ذلك في قلب بلاد العرب، و حيثما نال هذا العلم العناية الكافية درسا و تطبيقا صفا ذلك النطق و سما، و لو كان ذلك في أطراف آسيا أو في قلب إفريقيا. إنها حقيقة كبيرة، و مهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة و لكننا نغفل عنها في كثير من الأحيان.

\*\*\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨١

## الفصل الثاني دراسة الأصوات عند علماء التجويد مفردة (على مستوى التحليل)

## إشارة

الصوت المنطوق هو مادة اللغة الإنسانية، و لكل لغة من لغات البشر نظام صوتي يتكون من عدد من الوحدات الصوتية، و لا توجد لغة تستخدم الأصوات اللغوية في السلسلة الكلامية بشكل مفرد و إنما تتداخل و تأتلف في مجموعات، يكون المعنى هو الوسيلة الأساسية لمعرفة حدود تلك المجموعات الصوتية التي تسمى بالكلمات. و لكن علماء الأصوات اللغوية يلجئون إلى تحليل تلك السلسلة الكلامية إلى وحداتها الأساسية المفردة لمعرفة عدد الوحدات الصوتية التي يتكون منها نظام لغة معينة، و لتيسير دراسة تلك الوحدات، و بيان كيفية إنتاجها، و توضيح خصائصها و صفاتها الصوتية.

و يقوم علماء الأصوات اللغوية بوصف أعضاء النطق، و توضيح الدور الذي يقوم به كل عضو في إنتاج الصوت، ثم يصنفون الأصوات على وفق اعتبارات متعددة من أجل توضيح الخصائص الصوتية لكل صوت حين ينطق منفردا، ثم يدرسون أثر انتظام الصوت اللغوي في السلسلة الكلامية المنطوقة على صفاته النطقية و الظواهر الصوتية التي تنشأ عن ائتلاف الأصوات و تجاوزها.

و كان علماء التجويد قد درسوا أصوات اللغة العربية على أساس هذا المنهج الذي يقتضى مستويين من الدرس: مستوى التحليل، و مستوى التركيب، و نقلنا في أول المبحث الرابع من الفصل الأول قول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) الذي يلخص وجهة نظر علماء التجويد في دراسة الأصوات، و هو: «إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

و الثاني: معرفة صفاتها.

و الثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٢

و الرابع: رياضة اللسان بذلك، و كثرة التكرار «١».

و يمثل الأمر الأول و الثاني في هذا القول ما سميناه بمستوى التحليل في دراسة الأصوات اللغوية، و يمثل الأمر الثالث المستوى الثاني في تلك الدراسة و هو مستوى التركيب، و يتعلق الأمر الرابع بالناحية التعليمية للأصوات.

و سوف أدرس في هذا الفصل جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية على مستوى التحليل الذي يعنى بالنظر إلى الأصوات مفردة مستقلة عن السلسلة الكلامية، فيدرس صفاتها الصوتية، و يصنفها تبعا لتلك الصفات إلى مجموعات، كل مجموعة تشترك في صفة معينة تميزها عن المجموعات الأخرى. و هذه الدراسة هي الأساس لفهم الظواهر الصوتية التي تنشأ من اتصال الأصوات في السلسلة الكلامية المنطوقة، مما سماه علماء التجويد بالأحكام الناشئة عن التركيب، التي سوف ندرسها في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

و نحن في هذا المنهج نسير في خطى علماء التجويد، و نرضى متطلبات الدرس الصوتي الحديث في الوقت نفسه، و كان عبد الوهاب القرطبي قد سار على أكمل منهج في دراسة الأصوات العربية في كتابه (الموضح في التجويد) و ذلك حين قسم مباحث الكتاب الرئيسية إلى أبواب ثلاثة و هي:

الباب الأول: في الكلام على بسيط الحروف (في مخارج الحروف و صفاتها).

الباب الثاني: في الكلام على ما يلزم هذه الحروف عند الائتلاف (التركيب).

الباب الثالث: في الكلام على الحركات و السكون «٢».

و نحن نكتفى بتقسيم بحث الأصوات العربية إلى قسمين: الأول: في دراسة مخارج الحروف و صفاتها، حروفا و حركات. و الثاني: في دراسة الأحكام الناشئة عن التركيب، التي تتعلق بالحروف و الحركات أيضا.

و سوف نتناول في هذا الفصل المباحث المتعلقة بالحروف و الحركات من حيث بيان مخارجها و صفاتها، على هذا النحو:

المبحث الأول: وصف أعضاء آلة النطق. (١) شرح الواضحة ص ٣٠.

(٢) انظر: الموضح ١٥٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٣

المبحث الثاني: إنتاج الأصوات اللغوية.

المبحث الثالث: تصنيف الأصوات اللغوية إلى جامدة و ذائبة.

المبحث الرابع: تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج.

المبحث الخامس: تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات.

المبحث السادس: الأصوات الذائبة (مخارجها و صفاتها).

\*\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٤

## المبحث الأول وصف أعضاء آلة النطق

### إشارة

أول واجب على دارس الأصوات هو معرفة ما يسمى (أعضاء النطق) من حيث تكوينها، و من حيث كيفية استعمالها في تكوين الأصوات الكلامية، و لكن هذا لا- يعني أنه في حاجة إلى الإلمام بكل التفاصيل التي يقدمها علم (وظائف الأعضاء) و علم (التشريح) عن أعضاء النطق، إذ إن الكثير من هذه المعلومات لا يقدم له نفعاً، و لكن هناك قدراً ضرورياً من المعرفة بهذه الأعضاء عليه أن يحصله، لأن هذه المعرفة هي الحجر الأساسي لوصف الأصوات و تصنيفها «١».

و من ثم نجد معظم الباحثين الذين درسوا الأصوات اللغوية يحرصون على كتابة مقدمة في وصف أعضاء النطق، و كذلك فعل علماء التجويد من قبل فكانوا قد عرفوا كل تلك الأعضاء و أدركوا دورها في تكوين الأصوات، و لم يغب عن إدراكهم منها شيء سوى ما لا- يقع تحت النظر و الملاحظة الذاتية، و إن كانوا قد أحسوا بأثره الصوتي و ميزوه عن غيره. و وجود تباين في التفاصيل بين كلام علماء التجويد و كلام اللغويين المحذنين أمر متوقع لسببين:

الأول: تقدم مناهج البحث.

الثاني: ازدياد المعرفة العامة.

و يمكن أن يعمل هذان السببان عملهما في تفسير التباين في دراسة أية ظاهرة عند جيلين من العلماء يعيشان في عصرين مختلفين. و قد جعلت عنوان هذا المبحث (وصف أعضاء آلة النطق) لأمر يتعلق بطبيعة استخدام علماء التجويد للمصطلحات المعبرة عن ذلك، فليس من خطة هذا البحث الخروج على مصطلحاتهم من غير ما سبب واضح. فالمحدثون من علماء الأصوات منقسمون على قسمين (١) انظر: محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ص ١٤٠-١٤١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٥

في استخدام المصطلح المعبر عن موضوع هذا المبحث، فبعضهم يستخدم كلمة (جهاز) فيقول: (جهاز النطق) «١»، أو (الجهاز النطقى)

«٢»، أو (جهاز التصويت) «٣»، و بعضهم يستخدم كلمة (أعضاء) فيقول (أعضاء النطق) «٤»، أو (الأعضاء الصوتية) «٥».

و قد وجدت أن بعض علماء التجويد يميل إلى استخدام عبارة (آلة النطق)، خاصة عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) في كتابه



(الموضح في التجويد)، حيث ردها خمس مرات، من ذلك قوله: «فأما وجوب إظهار النون عند حروف الحلق فلأن حروف الحلق تباعدت عن مخرج النون، وهي محتاجة إلى تمكن آلة النطق بها» (٦).

و استخدم ابن البناء (ت ٤٧١ هـ) (آلة المنطق) (٧)، بينما استخدم طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) في شرحه على المقدمة الجزرية كلمة (آلات) و (الآلات) (٨). و كان الأسترآبازى (ت ٦٨٦ هـ) و هو من علماء العربية، قد استخدم (آلة الحروف) و (آلة الصوت) (٩). و استخدم مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) كلمة (عضو) و جمعها (أعضاء) حيث قال:

«و لا يعتمد اللسان عند خروجها على عضو من أعضاء الفم» (١٠). و استخدم علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣ هـ) كلمة (العضو) مریدا بها أى جزء يشترك فى تكوين الصوت، كما يفهم ذلك من قوله: «و معنى الإدغام أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك مماثل له، يرتفع العضو عنهما ارتفاعاً واحدة، و إنما قلت: العضو، و لم أقل اللسان كما قال غيرى لأن مثل (ثوب) (١) كمال محمد بشر: علم اللغة العام (القسم الثانى): الأصوات ص ٨١.

(٢) تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٦٤، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٨٠.

(٣) جان كانتينو: دروس فى علم أصوات العربية (ترجمة صالح القرمادى): ص ١٧.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٦، و محمود السمران: علم اللغة ص ١٤٠.

(٥) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٤٠.

(٦) الموضح ١٧٨ و. و انظر: ١٦٩ ظ، ١٧٤ و، ١٨٣ و، ١٨٨ و. كذلك استخدم أبو شجاع محمد بن على المعروف بابن الدهان (ت ٥٩٢ هـ) عبارة (آلة النطق) فى كتابه (تقويم النظر فى الأدلة و اختلاف الفقهاء ٢ و) و ابن الدهان هذا لغوى نحوى و أصولى فقيه (انظر: كحالة: معجم المؤلفين ١١/١٥).

(٧) كتاب بيان العيوب ١٨٣ ظ.

(٨) شرح المقدمة الجزرية ١١ ظ.

(٩) شرح الشافية ٢/ ٢٥١ و ٢٧٢.

(١٠) الرعاية ص ١٠٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٦

بكر) لا يقال فيهما ارتفاع اللسان عنهما ارتفاعاً واحدة» (١).

و من هنا رأيت أن استخدام (آلة النطق) أو (أعضاء آلة النطق) فى بحث يكتب لبيان جهود علماء التجويد فى الموضوع أولى من استخدام المصطلحات التى نجدها عند المحدثين لا- سيما أن الرجوع إلى المعاجم يؤيد أصالة ما استخدمه دون ما استخدمه المحدثون (٢).

و أعضاء آلة النطق التى وصفها المحدثون هى: الرئة، و القصبة الهوائية، و الحنجرة، و الحلق، و الخيشوم، و الفم، و اللسان، و سقف الفم، و الأسنان و الشفتان. و تفاوتت هذه الأعضاء فى الدور الذى تقوم به فى عملية التصويت، كما أن أكثرها له وظائف أخرى لا تقل أهمية بالنسبة للجسم عن عملية النطق.

و ينبغى أن نذكر هنا أن علماء العربية منذ الخليل و سيويه قد أوردوا فى أثناء حديثهم عن مخارج الحروف معظم أسماء أعضاء آلة النطق (٣). و لكن علماء التجويد قد تميزوا فى دراسة هذا الموضوع عن علماء العربية بنواح هى:

١- وصف أعضاء النطق.

٢- الاستعانة بعلم التشريح.

٣- تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق.

٤- الاستعانة بالرسم التوضيحي.

و هذا بيان لهذه الأمور الأربعة التي تميز بها علماء التجويد في كلامهم عن أعضاء النطق.

### ١- وصف أعضاء النطق:

لم يكتف علماء التجويد بذكر تلك الأعضاء في أثناء تحديد مخارج الحروف، وإنما قدموا وصفا لها و تحديدا لمدلولاتها، و قد حدد بعضهم أعضاء آلة النطق إجمالاً، مثل قول مكى: «و رتب- تبارك و تعالى اسمه- لها مخارج تخرج منها عند النطق بها، من آخر الصدر الأعلى، و ما يليه من الحلق، و الفم، و أطراف الشفتين، و إلى الخياشيم» (٤). و قول (١) جمال القراء ١٧٥ ظ.

(٢) انظر استخدام كلمة (جهاز) و (آلة) في: لسان العرب، و المعجم الوسيط، مادة (جهاز) و (أول).

(٣) انظر: الخليل: العين ١ / ٥١- ٥٢ و ٥٧- ٥٨. و سيويه: الكتاب ٤ / ٤٣٢- ٤٣٦.

(٤) الرعاية ص ٤٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٧

عبد الوهاب القرطبي: «فحيث ما عرض ذلك المقطع سمي حرفاً، و سمي ما يسامته و يحاذيه من الحلق و الفم و اللسان و الشفتين مخرجا» (١). و كان الأسترآباذى أكثر تحديدا في قوله:

«فلولا- اختلاف أوضاع آلة الحروف- و أعنى بآلتها مواضع تكونها في اللسان و الحلق و السن و النطق» (٢) و الشفة، و هي المسماة بالمخارج- لم تختلف الحروف» (٣). و قد نقلت قول الأسترآباذى هنا مع أنه من علماء العربية لأنه عاش بعد مكى و عبد الوهاب القرطبي، و لأن قوله يكمل كلامهم، و لا يناقض ذلك منهج البحث، لأنى أجد فى أكثر الأحيان أن كلام علماء التجويد فى دراسة الأصوات العربية يتكامل مع كلام علماء العربية.

(أ) الرئة:

ذكر بعض علماء التجويد (الرئة) التي تقوم بدفع الهواء الذي يعتبر مادة الصوت الأساسية (٤). و قد وصفها الدر كزلى بأنها «لحم رخو متخلخل كالزبد إلى بياض اسفنجى ...

خلقت محيطه بالقلب كالقراش للترويح عليه بالهواء المستنشق من القصبة» (٥).

(ب) القصبة:

تشعب القصبة الهوائية من الأسفل إلى شعبتين كل شعبة ترتبط برئة، و تنتهى من الأعلى بالحنجرة. و قد سماها ابن البناء (قصبة الحلق) (٦). و سماها الدر كزلى (قصبة الرئة) (٧).

(ج) الحنجرة:

و هى من أهم أعضاء آلة النطق، لأنها تضم الوترين الصوتيين اللذين لهما القدرة على إنتاج النغمة الصوتية الى تسمى بالجهر، و كان علماء العربية و علماء التجويد قد أحسوا بأثر الوترين فى نطق الأصوات و إعطائها صفة الجهر، كما سنوضح لاحقا إن شاء الله، لكنهم لم يتمكنوا من وصفها بشكل محدد لأنها تقع فى نقطة لا يدركها النظر.

و كان أبو على الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) قد خصص الفصل الثالث من رسالته (١) الموضح ١٥٠ و.

(٢) النطق: الغار الأعلى فى الفم، أى سقف الفم (انظر: لسان العرب ١٠ / ٢٣٥ نطق).

(٣) شرح الشافية ٣ / ٢٥١.

(٤) القسطلانى: لطائف الإشارات ١ / ١٨٣.

(٥) خلاصة العجالة ١٣٢ ظ.



(٦) بيان العيوب ١٧٥ ظ.

(٧) خلاصة العجالة ١٣٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٨

(أسباب حدوث الحروف) لتشريح الحنجرة و اللسان «١»، و لكن يبدو أن تأثير كلام ابن سينا كان محدود الأثر في الدراسات الصوتية العربية القديمة. و مع ذلك فقد وجدت ابن البناء يذكر (الحنجرة) في كتابه (بيان العيوب) حيث قال: «و من العيوب الترعيد، و صفته تعليق الصوت بترديد الحنجرة...» «٢». و لعل ابن البناء يريد بقوله (ترديد الحنجرة) صفة الجهر، و هي النغمة الصوتية الناشئة عن اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة، التي تشكل جوهر أصوات المد، لا- سيما الألف، التي يعرض لها العيب الصوتي المسمى بالترعيد، و هو اضطراب الصوت كأن الناطق يرتعد من برد أو مرض.

(د) الحلق:

و يقصد به الفراغ الواقع بين الحنجرة و أقصى اللسان. و يقسمه علماء العربية و التجويد إلى ثلاثة أقسام: أقصاه و وسطه و أدناه. و يفهم من قولهم أن أقصى الحلق مخرج للهمزة و الهاء أنهم يجعلون الحنجرة جزءا من الحلق «٣».

(ه) اللهاة:

قال مكى (ت ٤٣٧ هـ): «اللهاة بين الفم و الحلق» «٤». و قال أبو العلاء الهمداني العطار (ت ٥٦٩ هـ): «و هي اللحمة المسترخية كالزئمة في أقصى الحلق تكتنفها النغمة، و هي لحمة في أصل الأذن من باطن، و الجمع نغانغ» «٥». و قال السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ): «و اللهاة اللحمة المسترخية بين الفم و الحلق تكتنفها النغمة، و هي لحمة في أصل الأذن من داخل» «٦».

و قول السمرقندي (بين الفم و الحلق) أدق من قول الهمداني (في أقصى الحلق). و قد زاد السمرقندي على ما ذكره الهمداني بتقسيمه اللهاة إلى: الغلصمة و العكدة. حيث قال:

«و من اللهاة حرفان القاف و الكاف، فالقاف غلصمية، و الغلصمة أول اللهاة من جانب الحلق.

و الكاف عكدية، و العكدة آخر اللهاة من جانب الفم» «٧». (١) انظر: أسباب حدوث الحروف ص ٩.

(٢) بيان العيوب ١٧٥ ظ.

(٣) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٣. و الداني: التحديد ١٦ و.

(٤) الرعاية ص ١١٤. و الفم هو الفراغ الذي يسترخى فيه اللسان.

(٥) التمهيد ١٤٤ ظ.

(٦) روح المرید ١٢٥ و.

(٧) المصدر نفسه ١٢٥ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٨٩

و تقسيم اللهاة عند السمرقندي على ذلك النحو شيء انفرد به، فالغلصمة نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة بصورة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع، و قد سماها بعض المحققين (لسان المزمار) «١». و ما ورد في معجم (لسان العرب) يؤيد هذا المعنى «٢». أما العكدة، بضم العين و سكون الكاف، أو بفتحات متواليات، فلم يستخدمها المحققون، و هي في المعجم بمعنى أصل اللسان «٣». و قد استخدمها الخليل بهذا المعنى في كتاب (العين) فقال: «و أما الجيم و القاف و الكاف فمن بين عكدة اللسان و بين اللهاة في أقصى الفم» «٤». و إذا تجاوزنا إدراج الخليل للجيم مع القاف و الكاف أمكننا أن نقبل وصف الكاف بأنها (عكدية) باعتبار أن العكدة تدل على أقصى اللسان، و ليس على آخر اللهاة من جهة الفم. و كذلك وصف القاف بأنها (غلصمية) باعتبار أن (الغلصمة) تدل على شيء يقع في أصل اللسان، و هو لسان المزمار، و ليس على أول اللهاة من جهة الحلق، كما ذهب السمرقندي إلى ذلك في النص

السابق.

و يبدو أن الدركرزلى قد أدرك دور اللهاة فى عملية التصويت، إلى جانب كونها تشكل مخرج القاف الفصيحة، حيث قال: «اللهاة لحم مستدير رخو، يشكل الصوت و يعدل الهواء» (٥)، فلهذا يريد بذلك اشتراك اللهاة مع ما يحيط بها من الحنك اللين فى فتح مجرى الهواء إلى الخياشيم أو غلقه.

(و) الحنك (الغار) الأعلى، و اللثة:

يستخدم علماء التجويد مصطلح (الحنك الأعلى)، و قد سبقهم علماء العربية إلى ذلك الاستخدام (٦). و قد وضحه علماء التجويد بأنه سقف الفم، قال مكى: «نطح الغار الأعلى، و هو سقفه» (٧). و قال السمرقندى: «نطح الفم، و هو الغار الأعلى، أى سقف الفم» (٨). (١) انظر: محمود السمران: علم اللغة ص ١٤٥. و عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٤٩. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٨٤.

(٢) انظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٣٧/١٥ مادة (غلمصم).

(٣) انظر: ثابت: خلق الإنسان ص ١٨١، و ابن منظور: لسان العرب ٢٩٢/٤ مادة (عكد).

(٤) العين ٥٢/١.

(٥) خلاصة العجالة ١٤٢ و.

(٦) انظر: الدانى: التحديد ١٧ و، و سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٧) الرعاية ص ١١٤.

(٨) روح المريد ١٢٥ ظ و قال ثابت: (خلق الإنسان ص ١٦١): «و فى الفم الحنك، و هو سقف أعلى الفم».

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٠

و يذهب المحدثون من علماء الأصوات إلى أن الحنك الأعلى يشمل: «اللثة، و الجزء الصلب من سقف الفم، ثم الجزء اللين، بما فى ذلك اللهاة» (١). لكن بعض علماء التجويد نص على أن اللثة ليست من الحنك، قال أبو الفتوح الوفائى: «اللثة ليست من الحنك الأعلى، بل أسفل منه حول الأسنان» (٢). و اللثة عندهم، و هى بكسر اللام و تخفيف المثثة (٣)، «اللحم المركب فيه الأسنان» (٤). أو هى «اللحم الذى فيه منبت الأسنان» (٥).

(ز) اللسان:

نقل الدركرزلى تعريفا للسان بأنه «اللحم المتخلخل بين بياض و حمرة حال الصحة».

و قال أيضا: «و هو مؤلف من لحم رخو أبيض و أوردة و شريانات صغار و أعصاب كثيرة» (٦).

و لم أنقل هذا التوضيح لأجل تقديم تعريف علمى للسان بقدر ما أردت أن أعرض وجهة نظر بعض علماء التجويد فى هذا الموضوع. و يقسم المحدثون من علماء الأصوات اللسان إلى ثلاثة أقسام، هى: أقصاه، و وسطه، و طرفه، و هم يجعلون نهاية اللسان أو ذلقة داخلا فى طرفه (٧). أما علماء التجويد فإنهم يقسمون اللسان أربعة أقسام، بإضافة (حافة اللسان) إلى أقسامه الثلاثة السابقة، و هذا أمر سبقهم إليه علماء العربية من قبل (٨).

قال الدانى (ت ٤٤٤ هـ): «اعلم أن حروف اللسان ثمانية عشر حرفا، و لها عشرة مخارج، و ينقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان، و وسطه، و طرفه، و حافته» (٩).

و قال أبو الفتوح الوفائى (ت ١٠٢٠ هـ): «و للسان حافتان من أصله إلى رأسه كحافتي (١) محمود السمران: علم اللغة ص ١٤٢، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٨٤.

(٢) الجواهر المضئية ٢١ ظ.

(٣) الدركرزلى: خلاصة العجالة ١٣٨ ظ، لكن على القارى قال: (المنح الفكرية ص ١١): «بضم فتحخفيف مثلثة» و جاء فى لسان العرب

(مادة لثى ٢٠/١٠٧): «و اللثة بالكسر و التخفيف».

(٤) الرعاية ص ١١٥.

(٥) العطار: التمهيد ١٤٥، و، السمرقندى: روح المريد ١٢٥ ظ.

(٦) خلاصة العجالة ١٣٤ ظ - ١٣٥ و.

(٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٨، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٨٧.

(٨) سيويو: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٩) الإدغام الكبير ١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩١

الوادى، و هما جانباه «١». و قال ابن غانم المقدسى (ت ١٠٠٤ هـ): «إن بين طرف اللسان و حافته مشابهة من حيث إن كلا منهما نهاية مساحة جرم اللسان، فالطرف نهايته من جهة مقدم الفم، و الحافة نهايته من جهة يسار الفم أو يمينه» «٢».

و نجد مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) يسوى بين طرف اللسان و أسلته اللسان، و ذلق اللسان «٣». و هو ما يفهم من قول الدانى السابق. لكن بعض علماء التجويد يخصصون أسلته اللسان بمستدق طرفه «٤». و هو ما نص عليه الخليل فى كتاب العين، حيث قال عنها: «و هى مستدق طرف اللسان» «٥». و هو اتجاه ذهب إليه بعض المحديثين و استخدم له كلمة (حد اللسان) «٦». و كان العطار (ت ٦٥٩ هـ) قد قال من قبل: «ذلق اللسان و هو حدّه» «٧».

و قد سمى مكى المجال الذى يسترخى فيه اللسان فى لحظة هدوئه (قاع الفم) «٨». و سماه ابن البناء بالحنك الأسفل «٩». و روى عن أبى زيد اللغوى أنه يسمى (الفراش) «١٠».

و يبدو أن كلمة (الفم) حين تطلق يراد بها اللسان و ما يحاذيه من الحنك الأعلى، قال أبو شامة: «إن مخارج الحروف ستة عشر مخرجا. و هى دائرة على ثلاثة: الحلق و الفم و الشفة، و يقال: الحلق و اللسان و الشفتان، و المعنى واحد» «١١».

و كان الخليل قد وصف الجيم و الشين و الضاد بأنها شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أى مفرج الفم «١٢». و نقل بعض علماء التجويد ذلك، و قد فسر مكى كلمة مفرج الفم بقوله: (١) الجواهر المضئية ١٩ ظ.

(٢) بغية المرتاد ٨ و.

(٣) الرعاية ص ١١١، ١١٤، ١١٥.

(٤) العطار: التمهيد ١٤٥، و، السمرقندى: روح المريد ١٢٥ ظ.

(٥) العين ١/٥٨.

(٦) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٨٦.

(٧) التمهيد ١٤٤ ظ.

(٨) الرعاية ص ٩٩.

(٩) بيان العيوب ١٧٦ ظ. و انظر: ابن الطحان ١٢٩ و.

(١٠) انظر ثابت بن أبى ثابت: خلق الإنسان ص ١٦١.

(١١) إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٣.

(١٢) العين ١/٥٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٢

أى مفتحه «١». و إذا رجعنا إلى قول سيويو بأن الجيم و الشين و الياء تخرج من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى «٢».

أمكننا القول بأن (الشجر) هو وسط اللسان.

(ح) الخياشيم:

استخدم عدد من المحدثين عبارة (الفراغ الأنفي) «٣» و (التجويف الأنفي) «٤»، بدل كلمة الخياشيم، و هم يقصدون بذلك التجويف الذى يندفع خلاله الهواء حتى يخرج من الأنف.

و كان سيويه أول من استخدم كلمة الخياشيم، و وضح أن الهواء يأخذ طريقه فيها عند نطق النون و الميم «٥». و لكنه لم يبين المقصود منها. و تابع علماء التجويد سيويه فى استخدام كلمة الخياشيم «٦». لكنهم قدموا لنا توضيحا مناسباً لها، فقال مكى: «و الخيشوم الذى تخرج منه هذه الغنة، هو المركب فوق غار الحنك الأعلى» «٧». و جاء تعريف الدانى للخيشوم أكثر وضوحاً، و ذلك حيث قال: «و الخيشوم خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم» «٨».

(ط) الشفتان:

يبدو أن بروز الشفتين للعيان جعل علماء الأصوات المحدثين يكتفون فى حديثهم عنهما ببيان الوظيفة التى تقومان بها فى إنتاج بعض الأصوات «٩». و هو عين السبب الذى جعل علماء العربية و التجويد يسلكون الطريق نفسه، فاكتفوا ببيان دور الشفتين فى إنتاج الأصوات اللغوية «١٠». إلا أن الدر كزلى ذكر بعض خصائصهما الحركية، فقال: «... بالشفتين (١) الرعاية ص ١١٤، و انظر: العطار: التمهيد ١٤٤ ظ.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨.

(٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ٨٩.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٤، و انظر أيضا ٤/٤٥٢ و ٤/٤٥٦.

(٦) انظر مثلاً: الدانى: التحديد ١٧، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ.

(٧) الرعاية ص ٢١٤. و انظر: العطار: التمهيد ١٤٦ ظ، و السمرقندى: روح المرید ١٢٨ و.

(٨) التحديد ٢٢، و كذلك ١٩ و.

(٩) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨، و محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٩، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٨٩.

(١٠) انظر سيويه: الكتاب ٤/٤٣٣ و ٤/٤٣٦، و الدانى: التحديد ١٧، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٣

المشملمتين على انطباق و انفتاح و حركة محكمة» «١».

(ى) الأسنان:

للأسنان دور بارز فى إنتاج عدد من الأصوات، و اختلالها يؤثر على إنتاج تلك الأصوات، و من ثم اهتم بها علماء العربية و علماء التجويد، و كذلك علماء الأصوات المحدثون. و كان سيويه قد ذكر أقسامها دون أن يعددها، فذكر منها الأضراس و الضاحك و الناب و الرباعية و الثنية «٢». و يبدو لى أن الأسترآباذى (ت ٦٨٦ هـ) هو أول من أحصاها ممن درسوا الأصوات «٣». فقال: «إن الأسنان اثنتان و ثلاثون سناً: ست عشرة فى الفك الأعلى، و مثلها فى الفك الأسفل.

فمنها الثنايا: و هى أربع من قدام، ثنتان من فوق، و مثلهما من أسفل: ثم الرباعيات، و هى أربع أيضاً: رباعيتان من فوق يمنة و يسرة، و مثلهما من أسفل.

و خلفهما الأنياب الأربع: نابان من فوق، يمنة و يسرة، و مثلهما من أسفل. و خلف الأنياب الضواحك، و هى أربع: ضاحكتان من فوق يمنة و يسرة، و مثلهما من أسفل. و خلف الضواحك الأضراس، و هى ست عشرة، ثمان من فوق، أربع يمنة و أربع يسرة، و مثلها من

أسفل.

و من الناس من يثبت له خلف الأضراس النواجذ، و هي أربع من كل جانب: ثنتان من فوق، و ثنتان من أسفل، فيصير ستا و ثلاثين سنا «٤».

و لم يتجاوز علماء التجويد الأوائل ما فعله سيويه، حيث ذكروا أنواع الأسنان عند كلامهم على مخارج بعض الحروف «٥». و سلك المتأخرون منهم مسلك الأسترآبازى، فذكروا أنواع الأسنان و أعدادها «٦». أما علماء الأصوات المحدثون فمنهم من أشار إليها إشارة (١) خلاصة العجالة ١٤١ ظ.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٣) كان علماء اللغة الذين ألفوا في (خلق الإنسان) قد سبقوا دارسى الأصوات إلى ذلك. انظر: ثابت بن أبى ثابت: كتاب خلق الإنسان ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) شرح الشافية ٣ / ٢٥٢. و انظر: الجاربردى: شرح الشافية ص ٢٤٣.

(٥) انظر مثلا: الدانى: التحديد ١٦ ظ- ١٧ و.

(٦) خالد الأزهرى: الحواشى الأزهرية ص ٩، و طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٩ و. و أبو الفتوح الوفاى: الجواهر المضية ٢٠ ظ، و على القارى: المنح الفكرية ص ١١، و أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ٧ ظ، و المرعشى: جهد المقل ٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٤

عامه «١»، و منهم من فضل فيها القول تفصيلا «٢».

و كان بعض علماء التجويد قد تنبه إلى أثر الخلل الذى يصيب الأسنان على سلامة النطق، فقال أبو العلاء الهمذانى العطار: «و لا سبيل إلى ما سقناه ... إلا- بالمواظبة على القراءة و رياضة اللسان و الأخذ من أفواه أولى العلم و الإتقان، و إن انضاف إلى ذلك حسن الصوت و جودة الفك و ذرابة اللسان و صحة الأسنان كان الكمال» «٣».

(ك) الجوف:

ذهب الخليل بن أحمد فى كتاب (العين) إلى أن الواو و الياء و الألف تخرج من الجوف «٤»، و لم يذكر سيويه هذا المخرج، لكن علماء التجويد ذكروه و جعلوه خاصا بحروف المد: الألف، و الواو المضموم ما قبلها، و الياء المكسور ما قبلها «٥». و ليس الجوف نقطة محددة، بل هو على ما يبدو التجويف الممتد من فوق الحنجره إلى الشفتين، المسامت للحلق و اللسان، عند ما يفتح الناطق فاه. قال ابن بلبان: «فأما الجوف، و هو الخلاء داخل الفم و الحلق، فهو مخرج لثلاثه أحرف» «٦». و قال المرعشى: «جوف الحلق و الفم، و هو الخلاء الداخلى فيهما» «٧».

## ٢- الاستعانة بعلم التشريح:

الناحية الثانية التى تميز بها علماء التجويد فى كلامهم عن أعضاء آلة النطق هى الاستعانة بكتب الطب، خاصة كتب التشريح، و بالرغم من أن معظم علماء التجويد كانوا يعتمدون على الملاحظة الذاتية فى وصف تلك الأعضاء نجد من بين المتأخرين من يستعين بكتب الطب، فقد استعان الدر كزلى فى (خلاصة العجالة) بأكثر من كتاب من كتب الطب فى وصف أعضاء النطق. (١) محمود السعران: علم

اللغة ص ١٤٩. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٨٩.

(٢) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٨٢.

(٣) التمهيد ٨٩ و.

(٤) العين ١ / ٥٧.

(٥) العطار: التمهيد ١٤٥ و. وابن الجزري: النشر ١ / ١٩٨.

(٦) بغية المستفيد ٥٤ ظ.

(٧) جهد المقل ١٠ و. على أن أبا الفتوح الوفاي اعتبر الجوف الخلاء الداخل في الفم فقط (انظر: الجواهر المضية ١٨ و).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٥

وهذه ظاهرة جديدة تستحق الذكر، وهي تبين منهجا صحيحا في دراسة هذا الموضوع، فإن كلمة علماء التشريح و وظائف الأعضاء تظل هي المستند العلمي الذي ينبغي أن يستعين به دارسو الأصوات اللغوية في وصف أعضاء آله النطق، فيأخذون القدر النافع لدراساتهم لأن كثيرا من تفصيلات الموضوع التشريحية لا تفيد دارس الأصوات فائدة مباشرة.

فكان الدرگزلي الذي فرغ من تأليف (خلاصة العجالة) سنة ١٢٦٦ هـ، ينقل من بعض كتب داود بن عمر الأنطاكى، المولود بأنطاكية، والمتوفى بمكة سنة ١٠٠٨ هـ «١». وذلك حين تكلم عن الرئة، والقصبه، والحلق، واللسان، والفك الأعلى، والأسنان. والثئة، والشفيتين، واللهاة، فكان يقول: قال داود صاحب التذكرة، أو: قال داود الحكيم «٢».

و كتاب التذكرة هو: «تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب»، قال عنه حاجي خليفة بأنه تأليف عظيم في الطب «٣». ويبدو أن الدرگزلي كان ينقل من كتاب آخر من كتب داود الحكيم، وهو (النزهة المبهجة)، فقد ذكر هذا الكتاب في قائمه مصادره دون كتاب التذكرة، قال: «و النزهة المبهجة في الطب لداود، ومختصر المسيحي فيه» «٤». ومختصر المسيحي مصدر آخر من المصادر الطبية التي نقل منها الدرگزلي.

و أهمية هذه الظاهرة لا تنبع من قيمة المادة التي نقلها مؤلف (خلاصة العجالة) من الكتب الطبية الموجودة في عصره، وإنما تتركز في المنهج الذي سار عليه، وهو منهج لم يسبقه إليه سوى ابن سينا في رسالته (أسباب حدوث الحروف) مع العلم أن ابن سينا نفسه كان طبيبا و لغويا و من ثم جاء كلامه أكثر مساسا بحاجة دارس الأصوات، و سار المحدثون على هذا المنهج، كما يبدو جليا فيما كتبه الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه (أصوات اللغة) في الباب الذي سماه (الوسيلة التشريحية) «٥».

### ٣- تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق:

يحرص دارسو الأصوات من المحدثين على كتابة فصل في صدر أبحاثهم الصوتية لوصف أعضاء آله النطق، و لم يكن علماء العربية يفعلون ذلك، بل كانوا يكتفون بتسمية تلك (١) انظر مصادر ترجمته: كحالة: معجم المؤلفين ١٤٠ / ٤.

(٢) انظر: خلاصة العجالة ١٣٢ و، ١٣٦ ظ، ١٣٨ ظ.

(٣) كشف الظنون ١ / ٣٨٦.

(٤) خلاصة العجالة ٢٢١ و.

(٥) أصوات اللغة ص ٣٩ - ٩١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٦

الأعضاء في أثناء كلامهم عن مخارج الحروف، و تبعمهم في ذلك متقدمو علماء التجويد، و لكنهم تميزوا عنهم بوصف تلك الأعضاء عند ما يرد ذكرها في أثناء الحديث عن المخارج، على نحو ما بينا ذلك قبل قليل.

و قد خصص محمد المرعشى (ت ١١٥٠ هـ) الفصل الرابع من فصول مقدمته كتابه (جهد المقل) الخمسة لبيان الأسنان في الإنسان «١». و هو اتجاه جديد يقرب مما نجده عند المحدثين من تخصيص فصل مستقل لوصف أعضاء آله النطق.

### ٤- الاستعانة بالرسم التوضيحي:

الرسوم التوضيحية إحدى الوسائل التي يستعين بها المحدثون من علماء الأصوات، لتوضيح أعضاء آله النطق أو لبيان الحالة التي تتخذها تلك الأعضاء عند نطق صوت معين.

و كان علماء التجويد قد استخدموا هذه الوسيلة في بيان مخارج الحروف و توزيعها على أعضاء النطق، فوضّحو تلك الأعضاء و بينوا توزيع مخارج الحروف عليها في آن واحد.

و أقدم ما اطلعت عليه من تلك الرسوم عند علماء التجويد هو الرسم الذي أورده ابن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤هـ) في كتاب له في علم التجويد. فقد قال بعد أن ذكر حروف العربية: «و هذه صورة الحروف المتقدمة كما ترى: صورة ما بين الرأس متصل بأول اللسان» (٢). و أورد رسماً تخطيطياً مبسطاً يمثل الحلق و اللسان و الشفتين، و كتب على أجزائه:

صورة الحلق و حروفه، هذا أول اللسان و حروفه، الحنك الأعلى، و الحنك الأسفل، الشفة العليا، الشفة السفلى، مقدم الرأس، العنقون، و هو الذقن، و قد وّزع ابن وثيق الحروف العربية على أجزاء هذه الصورة.

و كان السكاكي (يوسف بن أبي بكر ت ٦٢٦هـ) و هو من علماء العربية، و معاصر تقريباً لابن وثيق، قد أورد صورة لمخارج الحروف في كتابه (مفتاح العلوم) (٣). و هو الوحيد من بين علماء العربية الذي استعان بالرسم التوضيحي.

و هناك نماذج أخرى من الرسوم التوضيحية في بعض الرسائل المتأخرة في علم (١) جهد المقل ٤ و.

(٢) ابن وثيق: كتاب في تجويد القراءة ٧٨ ظ.

(٣) مفتاح العلوم ص ٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٧

التجويد (١). لعل أكثرها تدقيقاً الرسم الوارد في كتاب اسمه (أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن) لمحمد حسين الأصفهاني (٢)، و هو متأخر ينقل عن خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) (٣).

فقد جاء في آخر الكتاب، و هو نشر و ليس نظماً كما يفهم من العنوان، صورة لمخارج الحروف (٤)، و هي على شكل مقطعين: الأول يمثل اللسان و ما يتصل به من الشفتين و الأسنان، و الثاني يمثل الحلق. و قد كتبت على هذا الرسم كل أعضاء النطق، مع الحروف التي تتكون عندها.

و جاءت في هذا الرسم كلمتان لم تردا في كتب علم التجويد الأخرى التي اطلعت عليها، و هما (الطنطنة أو الطلطنة) حيث كتبتا في الجزء الواقع بعد أقصى اللسان، و كأنهما تشيران إلى عضو معين. و حين رجعت إلى لسان العرب لابن منظور لأتبع ما قاله عن الكلمتين، وجدت أن أقرب الألفاظ دلالة على الموضع الذي كتبتا فيه هي كلمة (الطلاطة) التي قال عنها: «لحمه في الحلق، قال الأصمعي: الطلاطة: اللحم السائلة على طرف المسترط» (٥).

إن كلام علماء التجويد في وصف أعضاء آله النطق صحيح و تام بالنسبة لأكثر الأعضاء، و كانت (الحنجرة) هي العضو الوحيد الذي لم يتمكن علماء التجويد من وصفه و صفاً كاملاً، لأنها لا تقع تحت النظر، مع أنهم عرفوها و أدركوا تأثيرها في إنتاج الأصوات. و لم تكن معرفتهم بتلك الأعضاء نظرية، بل كانت مقترنة بإدراك تام لعملية إنتاج الأصوات و تمايزها.

على نحو ما سنذكر في المبحث الآتي و المباحث التي تليه، إن شاء الله تعالى. (١) منها الرسائل المرقمة في مكتبة المتحف ببغداد ٢٣٣٤٨ - ٢٠١٦٥ - ١٠٨٤٥ - ١٦٥٧٩ - ١٨٧٢١، و الثلاثة الأخيرة بالفارسية. و في مكتبة الأوقاف بالموصل مجموع رقمه (٢/ ٢٢) مدرسة الحجيات) يضم ورقة فيها رسم توضيحي رقمها (١٢٣) و) من المجموع.

(٢) توجد في مكتبة المتحف ببغداد نسختان من الكتاب أرقامهما (١٠١٩ و ١٠٨٣٤) لم يكتب عليهما اسم المؤلف. و في دار الكتب المصرية نسخة من الكتاب تحت رقم (٢١٣٢٦ ب) جاء فيها أن مؤلفها هو محمد حسين الأصفهاني، و هو مجهول لنا.

(٣) أرجوزة البيان ص ٤١.



(٤) المصدر نفسه ص ٦٦.

(٥) لسان العرب ١٣/٤٣٣ مادة (طلل). وقد ذكر جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية ص ١٨) أن الطلاطة هي اللهاء.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٨

صورة آلة النطق عليها مخارج الحروف من كتاب في تجويد القراءة و مخارج الحروف لابن وثيق الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ. وقد كتبت مخطوطة الكتاب سنة ٦٩٤ هـ. و هي محفوظة بمكتبة أيا صوفيا بتركيا رقم (٧/٣٩).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٩٩

صورة آلة النطق عليها مخارج الحروف جاءت في ورقة مفردة في آخر كتاب الطرازات المعلمة في شرح المقدمة لعبد الدائم بن علي الأزهرى المتوفى سنة ٨٧٠ هـ. و هو مخطوط بمكتبة المتحف ببغداد رقم ٢٠١٦٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٠

صورة آلة النطق عليها مخارج الحروف وردت في كتاب أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن لمحمد حسين الأصفهاني، الذي تحتفظ بمخطوطته مكتبة المتحف ببغداد رقم ١٠١٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠١

## المبحث الثاني إنتاج الأصوات اللغوية

### إشارة

أدرك علماء التجويد أن الهواء هو المادة لإنتاج الأصوات اللغوية، فقالوا: «و الصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموج، فيصدم الهواء الساكن، فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفغ من الرئة» (١).

وقد نص محمد المرعشي على أن هواء الزفير المندفغ من الرئتين هو الذي تتشكل منه الأصوات اللغوية في الأكثر، وذلك حيث قال: «ثم إن الغالب تلفظ الكلم مع إخراج النفس.

و أما تلفظها مع إدخاله فيعسر و يقبح به الصوت عند الجهر، فلا شك في كراهته، بخلاف ذلك عند الإخفاء. و لم أجد تصريحاً في هذا الباب» (٢).

و يبدو أن المرعشي هو أول من ذكر هذه القضية، كما صرح هو بذلك، و قد نص عليها علماء الأصوات المحدثون، فقد قال الدكتور أحمد مختار عمر: «و لا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق في إنتاج الصوت، و إن أمكن أن تنتج أصوات خلال عملية الشهيق أيضاً، و لكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط، و مثل هذه الأصوات تسمع من الأطفال، و نحن نستعملها في حالة النشيج أو الانتحاب» (٣).

و هذه القضية قد تبدو من الأمور البديهية و لكن تقريرها مع ذلك ينم عن إدراك صحيح لعملية إنتاج الأصوات اللغوية، و ينبغي أن ينسب تقريرها إلى محمد المرعشي المتوفى سنة ١١٥٠ هـ ١٧٣٧ م، مع ملاحظة أن الدكتور أحمد مختار عمر نقل هذه القضية مترجمة عن (١) القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٨٣ و قال أحمد بن الجزري (الحواشي المفهومة ١٣ ظ): «مادة الصوت الهواء الخراج من داخل (الإنسان)». و انظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ١٠.

(٢) جهد المقل ١١ و.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ص ٩١-٩٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٢

مصدرين من مصادر الدراسة الصوتية المكتوبة باللغة الإنكليزية (١). و هذا مثال، و إن كان في قضية صغيرة، يوضح لنا ما يمكن أن



تقدمه كتب علم التجويد في دراسة الأصوات.

إن معرفة دور الهواء المندفح من الرئة في إنتاج الصوت اللغوي لا يكفي وحده في تفسير تعدد الأصوات و تباينها، فلا بد أن تكون هناك عمليات معينة تحدث في بعض أعضاء آلة النطق، تعترض الهواء فتكيفة بكيفيات خاصة، تؤدي إلى تمايز صوت عن آخر. فما مدى إدراك علماء التجويد لتلك العمليات التي تحدث للهواء في أثناء مروره على آلة النطق فتجعله أصواتا متباينة؟.

هناك عدد من النصوص وضح فيها علماء التجويد العمليات النطقية التي تؤدي إلى إنتاج الأصوات اللغوية، وبعض هذه النصوص منقول عن علماء العربية المتقدمين وبعضها جديد، صاغه بعض علماء التجويد لتوضيح تلك العمليات، ولدينا أربعة نصوص أساسية في هذا الموضوع، ونصوص أخرى في مناقشة بعض الجزئيات. وسوف نعرض أولا النصوص الأربعة، ثم نحاول تحليلها مستفيدين من النصوص الأخرى.

### النص الأول – قول المازني (أبي عثمان بكر بن محمد ت ٢٤٨هـ):

لم نطلع على هذا النص في كتاب للمازني، وإنما أورده مكى بن أبى طالب فى كتابه (الرعاية لتجويد القراءة) على هذا النحو: «فصل: قال المازني: إن الذى فصل بين الحروف التى ألف منها الكلام سبعة أشياء: الجهر، والهمس، والشدة، والإرخاء، والإطباق، والمد، واللين. قال: لأنك إذا جهرت، أو همست، أو أطبقت، أو شددت، أو مددت، أو لينت اختلفت أصوات الحروف التى من مخرج واحد، فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد. قال:

ولو كانت المخارج واحدة والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التى لها مخرج واحد، و صفة واحدة لا تفهم» (٢).

### النص الثانى – قول مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧هـ):

قال مكى فى كتابه (الرعاية): «فالحروف تكون من مخرج واحد وتختلف صفاتها، (١) هما المرجعان ٦١ و ٣٠ من قائمة مراجعه، كما أشار إلى ذلك فى هامش (١) ص ٩٢، والأول هو كتاب (علم الأصوات) لمالمبرك، وهو مطبوع فى نيويورك سنة ١٩٦٣ م، والثانى (مقدمة فى علم الأصوات) لمالمبرك نفسه مع عالم آخر، وهو مطبوع فى كمبريج سنة ١٩٧٠ م. (٢) الرعاية ص ١١٧، وانظر: المرادى: المفيد ١٠٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٣

فيختلف لذلك ما يقع فى السمع من كل حرف، وهذا تقارب بين الحروف من جهة المخرج، و تباين من جهة الصفات. و تكون الحروف من مخرجين، و هى مختلفة الصفات فهذا غاية التباين، إذ قد اختلفت فى المخارج والصفات. و تكون من مخرجين متفقه الصفات فهذا أيضا تقارب بين الحروف من جهة الصفات، و تباين من جهة المخرج، فافهم هذا فعليه مدار الحروف كلها. و لا تجد أحرفا من مخرج واحد متفقه الصفات البتة، لأن ذلك يوجب اتفاقها فى السمع، فلا تفيد فائدة، فتصير كأصوات البهائم التى لا اختلاف فى مخارجها و لا فى صفاتها، فلا بد أن تختلف الحروف إما فى المخارج و إما فى الصفات» (١).

### النص الثالث – قول عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ):

قال فى كتابه (الموضح فى التجويد): «الألفاظ بأسرها إنما تتركب من حروف و حركات و سكون. و هذه الأشياء الثلاثة لكل منطوق به كالمادة، عنها يأتلف و منها ينشأ.

فالحروف هى مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتدا مستطيلا فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيث ما عرض ذلك المقطع سُمى حرفا، و سُمى ما يسامته و يحاذيه من الحلق و الفم و اللسان و الشفتين مخرجا.

ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج واختلاف صفاتها، أعنى به الجهر والهمس والشدة والرخاوة والانطباع والانفتاح وغير ذلك. وهذا الاختلاف هو خاصية حكمه الله تعالى المودعة في هذا الشخص، إذ بها يحصل التفاهم، ولو لا ذلك لكان الصوت واحدا بمنزلة أصوات البهائم التي هي من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة، فلم يتميز الكلام ولا علم المراد، فبالاختلاف يعلم، وبالانفاق يعدم» (٢).

وهذا القول في الواقع صياغة للقولين السابقين بالإضافة إلى قول آخر لابن جنى، فالمقطع الأول من هذا القول تلخيص لقول ابن جنى في كتابه (سر صناعة الإعراب): «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والشم والشفيتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفتنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك. ألا ترى أنك تبدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما، فإن انتقلت (١) الرعاية ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) الموضح ١٥٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٤

عنه راجعا عنه أو متجاوزا له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين» (١).

### النص الرابع - قول طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى بن خليل ت ٩٦٨ هـ):

#### إشارة

قال في كتابه (شرح المقدمة الجزرية): «فائدة مهمة: اعلم أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يسمى نفسا، بفتح الفاء، وإذا خرج بالإرادة و عرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتا.

و إذا عرض للصوت كصفات مخصوصة بسبب آلات مخصوصة يسمى حروفا، وإذا عرض للحروف كصفات أخرى عارضة بسبب الآلات تسمى تلك الكيفيات صفات.

ثم إن النفس الخارج الذي هو وظيفة (٢) حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوى كان الحرف مجهورا، وإن بقي بعضه بلا صوت يجرى مع الحرف كان الحرف مهموسا.

و أيضا إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصارا تاما فلا يجرى يسمى شدة (٣)، كما في (الحج)، فإنك لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكدا محصورا، حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك.

و أما إذا جرى الصوت جريا تاما ولا ينحصر أصلا يسمى رخوة كما في (الطش) فإنك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جاريا تمده إن شئت.

و أما إذا لم يتم الانحصار ولا الجرى يكون متوسطا بين الشدة والرخاوة. كما في (الخل) فإنك إذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجرى مثل جرى (الطش)، ولا ينحصر مثل انحصار (الحج)، بل يخرج (٤) على اعتدال بينهما. والله أعلم» (٥). (١) سر صناعة الإعراب ١/ ٦.

(٢) في المنح الفكرية لعلى القارى ص ١٤ (صفحة).

(٣) في المنح الفكرية ص ١٤ (شديدا).

(٤) في نسخ شرح المقدمة لطاش كبرى زاده الموجودة في مكتبة المتحف ببغداد (يجرى).

(٥) شرح المقدمة الجزرية ١١ ظ - ١٢ ظ. وقد راجعت في توثيق هذا النص خمس نسخ من شرح المقدمة لطاش كبرى زاده هي: نسخة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد رقم (٣/٦٢١) و هي -

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٥

وقد نقل على القارى (ت ١٠١٤ هـ) في (المنح الفكرية على متن الجزرية) هذا النص دون أن ينسبه إلى أحد «١». و نقل محمد المرعشى مقاطع منه في كتابه (جهد المقل) عن على القارى «٢».

و يبدو لى أن استخلاص عناصر مكونة لنظرية واضحة لإنتاج الأصوات اللغوية عند علماء التجويد من النصوص السابقة يتوقف على مناقشة جملة أمور وردت في تلك النصوص، يمكن إجمالها على النحو الآتى:

١- النفس، و الصوت.

٢- الحرف، و المقطع، و المخرج، و الصفة.

٣- الجهر، و الهمس.

٤- الشدة، و الرخاوة، و التوسط.

و هذه الأمور التى تضمنتها النقاط الأربع هى العناصر الأساسية لإنتاج الصوت اللغوى، و لا نريد أن نذكر هنا كل ما يتعلق بها، فلا نريد أن نحصى مخارج الحروف العربية و صفاتها، فإن لذلك مكانا آخر، و إنما نريد أن نبين هنا المقصود بالمخرج و الصفة، دون الدخول فى التفصيلات، كذلك بالنسبة للجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة و التوسط، لا نريد هنا أكثر من توضيح وجهة نظر علماء التجويد فى بيان مدلولاتها و علاقة ذلك بإنتاج الأصوات و تمايزها.

على أننا سندرس نقطة خامسة تتعلق بتصور علماء التجويد للفرق بين المجهور و الشديد و المهموس و الرخو، و للعلاقة بينها.

### ١- النفس و الصوت:

النفس - بفتح الفاء - هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بدفع الطبع، و الصوت: هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بقوة الإرادة، و يعرض له فى مجراه تموج بسبب تضيق مجراه أو غلقه كلياً ثم إطلاقه. هذا ما قرره طاش كبرى زاده فى قوله السابق (النص الرابع).

وقد عرّف محمد المرعشى الصوت من جهة أخرى، فقد قال: «اعلم أن النفس الذى هو المعتمدة فى هذا البحث. ثم ثلاث نسخ فى مكتبة المتحف ببغداد أرقامها: ٨٢٠٨ - ١٧٤٠٣ - ٢٩٨٠٦. و نسخة مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل المرقمة (١ عبد الله مخلص).

(١) المنح الفكرية ص ١٤.

(٢) جهد المقل ٥ ظ، ١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٦

الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً فهو صوت، و إلا فلا» «١». و قال فى مكان آخر: «حقيقة الصوت هى النفس المسموع» «٢». و قال أيضاً: «إن النفس ركن الصوت» «٣».

و هذا تصور لحقيقة الصوت لا مزيد عليه فى الوضوح.

و تعريف طاش كبرى للصوت يعتمد على طبيعة مصدره و منشئه، فهو عنده النفس الخارج بالإرادة، لا بالطبع، و بالطبع هنا يقصد به عملية التنفس المشتملة على شهيق و زفير يقوم بها الإنسان بفطرته لا بإرادته و إن كان بإمكانه التحكم فيها إلى حد ما. و أما تعريف

المرعشى فيعتمد على أثر الصوت السمعى، فإن كان النفس مسموعاً فهو صوت، و إلا فلا.

و هذا التعريف أوضح فى تحديد طبيعة الصوت اللغوى، و هو الذى يقرره المحذثون من علماء الأصوات، قال الدكتور كمال محمد بشر: «الصوت اللغوى أثر سمعى يصدر طواعية و اختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق» «٤».

و نلاحظ في النص الثالث معنى للصوت لا- يتفق تماما مع ما سلف هنا من تعريف للصوت، فقول ابن جنى: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا». و قول عبد الوهاب القرطبي، الذي هو في الواقع صياغة جديدة لقول ابن جنى: «الحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتدا مستطيلا»- يشير إلى أن الصوت شيء آخر غير النفس: وهذا معنى يتردد في كثير من مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة، حتى إنا لنجد الأسترآبادي يصرح بأن النفس هو مركب الصوت، حيث قال: «لأن النفس الخارج من الصدر- و هو مركب الصوت- يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف» (٥).

و يبدو أن التمييز بين الصوت و النفس قديم، يرجع إلى ما قاله سيبويه في الكتاب عن المجهور و الشديد من الأصوات، فجعل النفس مرتبطا بتعريف المجهور، و الصوت مرتبطا بتعريف الشديد (٦). و لا نريد أن نتبع هذه القضية في هذا المكان، لأننا سنناقش تعريف المجهور و الشديد في مكان قريب إن شاء الله تعالى، و سوف نتعرض لقضية الصوت و النفس (١) جهد المقل ٥ ظ.

(٢) جهد المقل ١٢ ظ، و بيان جهد المقل (له) ١٦ ظ.

(٣) بيان جهد المقل ١٥ و.

(٤) الأصوات ص ٨١. و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦ و ١٣.

(٥) شرح الشافية ٣/ ٢٥٩.

(٦) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٧

من خلال محاولة توضيح الفرق بين المجهور و الشديد عند علماء العربية و علماء التجويد، في النقطة الخامسة.

## ٢- الحرف، و المقطع، و المخرج، و الصفة:

الحرف كما يقول على القارى: «هو صوت معتمد على مقطع محقق، و هو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق و اللسان و الشفة، أو مقطع مقدر و هو هواء الفم، إذ الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث أنه ينقطع في ذلك الجزء» (١). و المقطع: هو المخرج، قال المرعشى: «و مراده من المقطع هو المخرج، لأن الصوت ينقطع في المخرج» (٢). و هذا التعريف للحرف و المقطع ينطبق على قول عبد الوهاب القرطبي (النص الثالث): «الحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتدا مستطيلا، فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيثما عرض ذلك المقطع سمى حرفا، و سمى ما يسامته و يحاذيه من الحلق و الفم و اللسان و الشفتين مخرجا».

أما المخرج فقد قال الدانى في تعريفه: «و معنى المخرج أنه الموضع الذى ينشأ منه الحرف» (٣). و قال أحمد بن الجزرى: «و هو عبارة عن الحيز المولد للحرف» (٤). و قد جمع القسطلانى بين التعريفين بقوله: «المخارج جمع مخرج، اسم للموضع الذى ينشأ منه الحرف، و هو عبارة عن الحيز المولد له» (٥). لكن على القارى قال: «و الأظهر أنه موضع ظهوره و تمييزه عن غيره» (٦). (١) المنح الفكرية ص ٨. و انظر القسطلانى: لطائف الإشارات ١/ ١٨٣. و يلاحظ هنا أن مصطلح (الحرف) صارت له دلالة صوتية، إلى جانب استخدامه للتعبير عن الرمز المكتوب. و قد قال المستشرق الألماني أ. شاده: «و لكن هذا التقصير هو خلل في الاصطلاح أكثر من كونه خللا في الإدراك» (انظر علم الأصوات عند سيبويه و عندنا. صحيفة الجامعة المصرية ١٩٣١ العدد الخامس ص ٦).

(٢) جهد المقل ٥ ظ.

(٣) التحديد ١٦ و. و انظر: أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٢ و.

(٤) الحواشى المفهمة ١١ ظ.

(٥) لطائف الإشارات ١/ ١٨٢.

(٦) المنح الفكرية ص ٨. و كان ابن يعيش قد عزف الحرف بأنه (صوت مقروع في مخرج معلوم) و عرف المخرج بأنه (المقطع الذى ينتهى الصوت عنده) (شرح المفصل ١٠ / ١٢٤).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٨

و هذه التعريفات للمخرج لا تناقض بينها و هى متفقة فى أن المخرج هو النقطة المعينة من آله النطق التى ينشأ منها الحرف أو يظهر فيها و يتميز، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثم إطلاقه، و هى تعريفات تتطابق مع وجهة نظر علماء الأصوات المحدثين، يقول برجستراسر: «و المخرج أو المخرج هو الموضع من الفم و نواحيه الذى يخرج أو يخرج منه الحرف» (١). و يقول ماريوباي: «و إن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفى أو الفموى يعتمد على استمرار الصوت و درجة إسماعه، و قوة إنتاجه، و فوق كل هذا على المخرج.

و كلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة فى الجهاز النطقى التى يتم عندها تعديل وضعه» (٢).

و قد وضح محمد المرعشى تعريف الحرف من أنه صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدر، و قال بأن المراد من المقطع هو المخرج لأن الصوت ينقطع فى المخرج، ثم قال:

«سبب انقطاع الصوت فى المخرج المحقق انضغاط الصوت فيه، فجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها فى موضع انضغاطا ينقطع به الصوت، بل يمتد بلين بلا تكلف إلى أن تقطعه بإرادتك...» (٣).

و كذلك وضح معنى اعتماد الصوت على المخرج فقال: «و معنى اعتماد الصوت على المخرج تضيق المخرج و ضغط الصوت فيه، و معنى قوة الاعتماد عليه شدة تضيقه، و قد يذكرون الاعتماد على الحرف و مرادهم الاعتماد على مخرجه، و الحروف كلها ما عدا الألف المدية متشاركة فى أصل الاعتماد على المخرج و متفاوتة فى قوة الاعتماد، فالحروف الشديدة أقوى اعتمادا من الحروف الرخوة، و كلما كان الاعتماد أقوى كان صوت الحرف أقوى...» (٤).

و علماء التجويد يتبعون فى تعيين مخرج الحرف طريقه النحاة فى ذوق الحروف، و ذلك أن يسكن الحرف و تدخل همزة الوصل عليه، ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك فى موضعه فيتبين مخرجه «٥». (١) التطور النحوى ص ٥-٦.

(٢) أسس علم اللغة ص ٧٨.

(٣) جهد المقل ٥ ظ- ٦ و.

(٤) جهد المقل ٦ ظ.

(٥) انظر: الخليل: العين ١ / ٤٧، و الأزهرى: التهذيب ١ / ٤١، و ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٧. و انظر: الدانى: التحديد ١٦ و، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٠٩

و قد أضاف على القارى بعض العناصر إلى تلك الطريقة، و إن لم تتبدل من حيث الجوهر، و ذلك حيث قال: «و إذا أردت أن تعرف مخرج حرف صريحا بعد تلفظك به صحيحا، فسكّنه، أو شدّده، و هو الأظهر، و أدخل عليه همزة الوصل بأى حركة، و أصغ إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، و حيث يمكن انقطاع الصوت فى الجملة كان مخرجه المقدر، فتدبر» (١).

و قد وضح محمد المرعشى بعض عبارات على القارى، و صحح بعضا، فقال: «قوله:

(فسكّنه أو شدّده و هو، أى التشديد، الأظهر) هذا يدل على أن ضغط المخرج فى السكون أقوى منه فى الحركة، و فى التشديد أقوى منه فى السكون. و إنما اختير السكون أو التشديد فى معرفة المخرج لأن المخرج موضع الانضغاط فما لم يكن الانضغاط قويا لا يظهر محله».

ثم قال: «قوله: (و أصغ إليه السمع) الظاهر أن يقال بدله: و ارجع إلى وجدانك فتأمل و تحرّ موضع انقطاع الصوت فحيث انقطع

الصوت كان مخرجه المحقق، و ذلك لأن معرفة المخرج بالسمع عسير» (٢).

أما الصفة فقد عرّفها طاش كبرى زاده بقوله: «و صفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، و تتميز بذلك الحروف المتحددة بعضها عن بعض» (٣). و هذا التعريف للصفة ينسجم مع تصور طاش كبرى لعملية إنتاج الأصوات التي أوردناها في النص الرابع، و هو ينسجم مع وجهة الدرس الصوتي الحديث أيضا، فالصوت ينتج عن عملية مركبة في الغالب من تدخل بعض أعضاء آلة النطق في تيار النفس في نقطة معينة هي التي تسمى (المخرج)، و هذه هي العملية الأساسية في إنتاج الصوت، و هناك عمليات أخرى مصاحبة تحدث في بعض أعضاء النطق كعملية اهتزاز الوترين الصوتيين التي تسمى الجهر (٤). فهذه العمليات المصاحبة لما يحصل للصوت في المخرج هي التي تسمى بالصفات.

فصفات الحروف إذن هي كصفات مصاحبة لتكون الحروف في المخرج، سواء كانت تبين كيفية مرور الهواء في نقطة المخرج أم توضح عملية نطقية ثانوية تشكل جزءا مهما في تكون الصوت و تميزه عن غيره. «و لم يريدوا بالصفة معنى النعت كما أراد النحويون، مثل اسم (١) على القارى: المنح الفكرية ص ٨.

(٢) جهد المقل ٥ ظ.

(٣) شرح المقدمة الجزرية ١١ و.

(٤) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٢-١٠٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٠

الفاعل و اسم المفعول، أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو مثل و شبه» (١).

### ٣- الجهر و الهمس:

ظاهرة الجهر من الظواهر الصوتية التي لها شأن كبير في تمييز الأصوات اللغوية، و تقابلها ظاهرة الهمس. و قد حظيت هاتان الظاهرتان بعناية علماء العربية و علماء التجويد، في القديم، كما حظيت بعناية علماء الأصوات المحدثين. و كان لرأى سيويه في تفسير هاتين الظاهرتين سلطان قاهر على أجيال العلماء، كما كان لآرائه الصوتية الأخرى تأثير مستمر و احترام كبير. و لم تنل الدراسات الصوتية الحديثة من تلك المكانة التي يحتلها سيويه في مجال الدرس الصوتي العربي إلا في جوانب محدودة، لعل من أوضحها تعريف المجهور من الأصوات و المهموس.

و لكي تتضح وجهة علماء التجويد في فهم ظاهرتي الجهر و الهمس نحتاج إلى بيان رأى سيويه في ذلك، لأنه ظل الأساس الذي تستند إليه جهودهم في هذا الموضوع الدقيق الذي كان خارج ميدان الملاحظة الذاتية المباشرة. و لكنني أجد من المفيد ذكر تفسير المحدثين لظاهرتي الجهر و الهمس، ذلك التفسير الذي غدا حقيقة ثابتة لا تحتمل التبدل، و ذلك لكي تكون مناقشتنا للموضوع تستند إلى مقياس ثابت أكيد.

إن من الانجازات المهمة لعلم الأصوات الحديث إدراك دور الحنجرة في عملية التصويت، و ذلك بعد اطلاع علماء الأصوات على تشريح الحنجرة، و تقدم وسائل دراسة الأصوات، و الحنجرة تكوّن الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، و هي أشبه بصندوق غضروفي، أو بحجرة صغيرة ذات اتساع معين، و مكونة من عدد من الغضاريف. و في الحنجرة يمتد الوتران الصوتيان، و هما في الواقع ليسا و ترين، و إنما عبارة عن شفتين أو شريطين من العضلات يتصل بهما نسيج، و هما يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية، و يمتدان بالحنجرة نفسها أفقيا من الخلف إلى الأمام، حيث يلتقيان عند البروز الناتج في منتصف الرقبة من أمام، و يسمى الفراغ الكائن بين الوترين بالمزمار، و تقوم (الغليصة) التي قد تسمى بلسان المزمار، و الكائنة فوق الحنجرة، بحماية طريق التنفس أثناء عملية البلع من دخول الطعام إلى القصبة ثم إلى الرئتين (٢). (١) طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ١٠ ظ- ١١ و.



(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٧. و محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٤-١٤٥.

و كمال محمد بشر: الأصوات ٨٤-٨٥. و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٨٠-٨٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١١

إن فتحة المزمار الكائنة بين الوترين الصوتيين يمكن أن تتسع و ذلك بتجافى الوترين عن بعضهما، و يمكن أن تضيق إلى حد كبير و ذلك بتضام الوترين نحو بعضهما، و يمكن أن تزول و ذلك بانطباق الوترين الصوتيين. و هذه هي الأوضاع المؤثرة في إنتاج الأصوات اللغوية التي يتخذها الوتران الصوتيان، فالصوت يختلف تبعاً لاختلاف تلك الأوضاع على النحو الآتي «١»:

(١) قد يتجافى الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر في أثناء مرور الهواء بهما من الرئتين، بحيث يسمح له بالخروج دون أن يقابله اعتراض في طريقه، و يظل الوتران صامتين. فيحدث في هذه الحالة ما يسمى بالهمس، و الصوت اللغوي الذي ينطق عند ما يتخذ الوتران هذا الوضع يسمى مهموساً. فالصوت المهموس إذن هو الصوت الذي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به. و الوضع الذي يتخذه الوتران الصوتيان في حالة الصوت المهموس هو نفس الوضع الذي يتخذانه في حالة التنفس العادي.

(٢) قد يتضام (أو يقترب) الوتران الصوتيان أحدهما نحو الآخر بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما و يغلقهما بانتظام و بسرعة فائقة، فتحدث من ذلك التتابع لعملية الفتح و الغلق السريع و المستمرة، بسبب ضغط التيار الهوائي الصاعد من الرئتين، ذبذبات أو اهتزازات منتظمة، تكون نغمة صوتية تسمى بالجهر، و يسمى الصوت الذي تصحبه هذه النغمة مجهوراً. فالصوت المجهور إذن هو الصوت الذي يتذبذب «٢» الوتران الصوتيان حال النطق به.

(٣) قد ينطبق الوتران انطباقاً تاماً، فلا يسمح للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي مدة انطباقهما، و عند ما ينفرج الوتران، بعد انطباقهما مدة، يسمع صوت انفجاري (شديد) نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً فيما دون الوترين الصوتيين، و هذا الصوت هو ما نسميه في العربية بالهمزة.

أما تعريف سيويه (أبي بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ) للمجهور و المهموس فهو قوله: «فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، و منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى (١) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٤٥-١٤٧. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٠٩-١١٠، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٦-١٠٨.

(٢) استخدم الدكتور إبراهيم أنيس كلمة (تهتز الأوتار) في حالة الصوت المجهور، و (لا تهتز الأوتار) في حالة الصوت المهموس. (انظر الأصوات اللغوية ص ٢٠) و استخدم الأستاذ صالح القرماذي في ترجمته لكتاب (دروس في علم أصوات العربية) لجان كانتينو (ص ٢٥): (تنز الأوتار) في حالة الصوت المجهور: و (لا تنز للأوتار) في حالة الصوت المهموس.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٢

الاعتماد عليه و يجرى الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق و الفم، إلا أن النون و الميم قد يعتمد لهما في الفم و الخياشيم فتصير فيهما غنة. و الدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما.

و أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه. و أنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس. و لو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه.

فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين و المد. أو بما فيها منها، و إن شئت أخفيت «١».

و كان سيويه أول من قدّم هذا التعريف للمجهور و المهموس من علماء العربية «٢». و ظل له تأثير كبير في موقف الذين درسوا الموضوع من بعده سواء أ كانوا من علماء العربية أم علماء التجويد، و لم يتمكنوا من الخروج عليه، أو الزيادة فيه إلا في جوانب ضيقة لم تصل إلى حد تقديم تعريف آخر لهما يحل محل تعريف سيويه «٣». و سوف نجعل من تلك الإضافات التي (١) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٢) من النصوص النادرة أن الزجاج نسب هذا التعريف إلى الخليل بن أحمد، فقال في كتابه (معاني القرآن و إعرابه ١/ ٤١٩): «... و



هذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة و المهموسة. و هي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه، و منع النفس أن يجرى معه، و المهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه و جرى معه النفس». و نحن أمام هذا النص بين احتمالين:

الأول: أن أصل التعريف، أو التقسيم إلى مجهورة و مهموسة على الأقل، هو للخليل، و أخذه سيويه عنه.

و الثاني: أن الزجاج و هم في النسبة و أنه أراد أن يقول: فيما زعم سيويه، فقال فيما زعم الخليل، لا سيما أننا لا نجد للمجهور و المهموس في كتاب العين أى أثر. و لكنى وجدت الدكتور إبراهيم أنيس ينقل من شرح السيرافي على كتاب سيويه نصا منقولاً عن أبي الحسن الأخفش، يتعلق بالمجهور و المهموس، و يرد فيه ذكر الخليل، و هو: قال الأَخْفَش: «سألت سيويه عن الفصل بين المهموس و المجهور، فقال: المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، و أما المجهور فلا- يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيويه التاء بلسانه و أخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن. و كرر الطاء (؟) و الدال و هما من مخرج التاء فلم يمكن. و أحسبه ذكر ذلك عن الخليل». (انظر: الأصوات اللغوية ص ١٢١). و قول الأَخْفَش (و أحسبه ذكر ذلك عن الخليل) يقوى الاحتمال الأول. (و انظر: السيرافي: شرح كتاب سيويه ٦/ ٤٦١).

(٣) انظر مثلاً: من علماء العربية: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/ ٦٩. و ابن عصفور: المقرب ٢/ ٦،

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٣

قدمها علماء التجويد خاصة مداراً للمناقشة لتلمس مقدار اقتراب علماء التجويد نحو الوضوح في تعريف الصوت المجهور و الصوت المهموس، و إدراكهم لجوهر هذه الظاهرة الصوتية.

و لكن أجد من الضروري الوقوف عند تعريف سيويه و البحث في جوانبه قبل أن نخطو تلك الخطوة.

توقف بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين أمام تعريف سيويه للصوت المجهور محاولين تفسيره بموجب الفهم المعاصر لظاهرة الجهر، و هم لا يخفون حيرتهم في بعض جوانبه، و لكنهم يقررون أن سيويه حين قسم الأصوات إلى مجهورة و مهموسة كان يريد بالمجهور الصوت الذى يهتز معه الوتران الصوتيان، و يريد بالصوت المهموس الصوت الذى لا يهتز معه الوتران، على الرغم من اعترافهم بأن سيويه لم يعرف الوترين الصوتيين، و لكنه أدرك أثرهما، و على الرغم من أنه عدّ كلا- من الطاء و القاف و الهمزة أصواتاً مجهورة، و هى ليست كذلك فى نطقنا المعاصر، و لا يهمننا كثيراً الدخول فى تفصيل تلك المحاولات «١».

و لكن عنصراً جديداً فى تعريف الصوت المجهور لم يرد فى تعريف سيويه السابق، و لكنه نقل عنه فى أماكن أخرى، جدير بالوقوف عنده، لأنه يدل على إدراك سيويه لدور الوترين الصوتيين فى إحداث الجهر، و يوضح أيضاً تعريفه السابق للصوت المجهور و المهموس، ذلك العنصر هو ما سماه سيويه بصوت الصدر و صوت الفم.

و قد نقل الدكتور إبراهيم أنيس النص الذى تضمن تلك الفكرة من شرح السيرافي على كتاب سيويه فى كتابه (الأصوات اللغوية). و أعاد هنرى فليش نشر القسم الثانى من النص الذى يبدأ (بقال سيويه) فى كتابه (العربية الفصحى). و قد جاء فى النص أن السيرافي (الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨ هـ) ذكر أن أبا الحسن الأَخْفَش (سعيد بن مسعدة ت ٢١٥ هـ على خلاف) قال: «سألت سيويه عن الفصل بين المهموس و المجهور فقال: المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك. و أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيويه التاء بلسانه و أخفى، فقال:

ألا- ترى كيف يمكن، و كرر الطاء (؟) و الدال، و هما من مخرج التاء، فلم يمكن. و أحسبه ذكر و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/

١٢٩. و من علماء التجويد: مكى: الرعاية ص ٩٣، و الدانى:

التحديد ١٧ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ و.

(١) انظر: أ. شاده: علم الأصوات عند سيويه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٠-١٤. و إبراهيم أنيس:

الأصوات اللغوية ص ١٢٠-١٢٦. و تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها ص ٦٠-٦٢. و عبد الصبور شاهين: فى التطور اللغوى ص ٢٣٠-٢٣٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١١٤

ذلك عن الخليل.

قال سيويه: و إنما فرّق بين المجهور و المهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذى يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر و يجرى فى الحلق، غير أن الميم و النون تخرج أصواتها من الصدر و يجرى فى الحلق «١» و الخيشوم (فيصير ما جرى فى الخيشوم) «٢» غنة تخالط ما جرى فى الحلق. و الدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما.

و أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، و ذلك مما يزجى الصوت، و لم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم فى المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفا. و الدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، و لا تصل إلى ذلك فى المجهور. فإذا قلت: شخص، فإن الذى أزجى هذه الحروف صوت الفم، و لكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يزجىها صوت الفم ليبلغ و يفهم بالصوت «٣». فالصوت الذى من الصدر هاهنا نظير ذلك الصوت الذى ترفعه بعد ما يزجى صوت الصدر، ألا ترى أنك تقول: قام فإن شئت أخفيت، و إن شئت رفعت صوتك، فإذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتا آخر «٤».

و هذا النص يتضمن وسيلة جديدة، إلى جانب صوت الصدر، لتمييز المجهور من المهموس و ذلك عن طريق إخفاء الصوت مع المحافظة على الهمس فيظل الصوت المهموس محافظا على جرسه حين الإخفاء كما هو حين رفع الصوت، أما إخفاء الصوت مع المجهورات فغير ممكن لأنه يترتب عليه زوال صفة الجهر و اختلال جرس الصوت، لأن ذلك يفضى به إلى نظيره المهموس. و لعل هذا هو مراد سيويه من قوله فى التعريف الذى نقلناه آنفا: «و أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه، و أنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس. و لو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه». (١) فى الأصل المخطوط (و يجرى فى الصدر) و كذلك نقلها الدكتور إبراهيم أنيس، و قد صححها هنرى فليش إلى (الحلق)، و هو ما يناسب السياق.

(٢) ما بين القوسين، ساقط من كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس.

(٣) إلى هنا ينتهى ما نقله الدكتور إبراهيم أنيس.

(٤) السيرافى: شرح الكتاب ١/٦ ٤٦١-٤٦٣. و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٢١-١٢٢، و هنرى فليش: العربية الفصحى ص ١٩٩-٢٠٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١١٥

أما (صوت الصدر) الوارد فى النص، و هو ما جعله سيويه جوهر الأصوات المجهورة و يقابله ما سماه (صوت الفم) الذى تتكون منه الأصوات المهموسة فلعل المقصود به هو تلك النغمة الصوتية الناتجة عن اهتزاز و ذبذبة الوترين الصوتيين حال النطق بالأصوات المجهورة، فأدرك سيويه أثرها الصوتى و لم يدرك مصدرها، فنسبها إلى الصدر لأن صداها يتردد هناك، و هو ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس فى تفسير (صوت الصدر) حيث قال: «و لعل هذا الصوت هو صدى الذبذبات التى تحدث فى الوترين الصوتيين بالحنجرة، و هذا الصدى نحس به و لا شك فى الصدر، كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع، أو حين نضع الكف على الجبهة. فهو الرنين الذى نشعر به مع المجهورات، و سببه تلك الذبذبات التى فى الحنجرة» «١».

و هذا يعنى أن للأصوات المجهورة مصدرين للتصويت، الأول صوت الحنجرة الناتج عن ذبذبة الوترين، و الثانى مخرج الصوت حيث يضيق مجرى النفس أو ينغلق. أما الصوت المهموس فليس له إلا- مصدر واحد للتصويت، و هو مخرج الصوت فقط. و هو ما سماه

سيبويه بصوت الفم، أى الصوت الحاصل فى مخرج الحرف دون أن يصاحبه صوت آخر منبعث من الصدر، أى الحنجرة. ولدينا نصوص أخرى تؤيد رواية أبى الحسن الأخفش عن سيبويه حول صوت الصدر و صوت الفم، التى نقلها السيرافى، و أول تلك النصوص ما ورد فى الكتاب لسيبويه نفسه، حيث قال فى (باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكرهيتهم التقاء الساكنين):

«و اعلم أن من الحروف حروفا مشربةً ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت و نبا اللسان عن موضعه، و هى حروف القلقلة ... و من المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، و لم تضغط ضغط الأولى، و هى الزاى و الظاء و الذال و الضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره، و قد فتر، من بين الثنايا لأنه يجد منفذا، فتسمع نحو النفخة ... أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر، و إنما تنسل معه ... و اعلم أن هذه الحروف التى يسمع معها الصوت و النفخة فى الوقف، لا يكونان فيهن فى الوصل إذا سکن، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك، و لا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتا، و كذلك المهموس، لأنك لا تدع الفم يطول (١) الأصوات اللغوية ص ١٢٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٦

حتى تبتدئ صوتا» (١).

و قد ورد فى هذا النص مصطلح (صوت الصدر)، و (صوت الفم)، و هما مستعملان فى المعنى نفسه الذى استعملناه فى رواية السيرافى، إلا أن هاهنا مصطلحا ثالثا هو (الحروف المشربة)، و قد ورد فى سياق يقابل (الحروف المهموسة)، و هو أمر يجعلنى أرجح أن مراد سيبويه من قوله: (الحروف المشربة) هو الحروف المجهورة، و لأمر ما لم يستخدم سيبويه كلمة (المجهورة) فى هذا المكان من الكتاب، و هو متقدم كثيرا على باب الإدغام الذى درس فيه الأصوات العربية، و استخدم هناك مصطلح (المجهور و المجهورة)، و يكون بذلك معنى (المشربة) هو الحروف التى أشربت صوت الصدر، أى تخرج مع صوت الصدر، أخذا من قول سيبويه فى ذات المكان عن الحروف المهموسة (يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر).

و نقل بعض علماء العربية و التجويد فكرة (صوت الصدر و صوت الفم) المميزة بين المجهور و المهموس عند سيبويه، و لكن دون نسبتها إليه، من ذلك ما قاله مؤلف تفسير (المباني لنظم المعانى) و هو أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام (كان حيا سنة ٤٢٥) (٢): «و الحروف المهموسة عشرة ... سميت مهموسة لأن الاعتماد يضعف فى موضعها فيجرب النفس قبل انقضاء الاعتماد، و يخرج الصوت مهموسا، أى خفيا. و الحروف كلها سوى هذه العشرة مجهزة، و إنما سميت مجهزة لأن الاعتماد يسمع فى موضع الحرف منها، فلا يجرب النفس حتى ينقضى الاعتماد، و خرج صوت الصدر مجهزة» (٣). و كذلك نقل عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) فى كتابه (الموضح فى التجويد) نص كلام سيبويه فى الكتاب حول الحروف المشربة، لكن دون أن ينسبه إليه (٤).

و قد لخص الأسترآبازى (ت ٦٨٦ هـ) الفكرة فى كتابه شرح شافية ابن الحاجب على هذا النحو: «قيل: و المجهزة تخرج أصواتها من الصدر، و المهموسة تخرج أصواتها من مخارجها فى الفم» (٥). (١) الكتاب ٤ / ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) كان مؤلف هذا التفسير مجهولا، و قد كتبت بحثا رجحت فيه أن يكون المذكور هو المؤلف (انظر: مجلة الرسالة الإسلامية، بغداد، العددان ١٦٤ - ١٦٥ ص ٢٤٣ - ٢٥٥).

(٣) انظر مقدمة كتاب المباني، ضمن: مقدمتان فى علوم القرآن ص ١٤٨.

(٤) الموضح ١٥٧ ظ.

(٥) شرح الشافية ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٧

تلك هى فكرة سيبويه عن الصوت المجهور و الصوت المهموس. و قد ردها من بعده علماء العربية و علماء التجويد، و يمكن القول

بأن سيويه تمكن من تصنيف الأصوات إلى مجهورة و مهموسة استنادا إلى إدراكه للفرق بين طبيعته القسمين الناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين، التي سماها سيويه صوت المجهورة، أثناء نطق الأصوات المجهورة، و عدم اهتزازهما في أثناء نطق الأصوات المهموسة، و كان هذا التقسيم في جملته صحيحا.

و لم يكتف علماء التجويد بترديد أفكار سيويه في المجهور و المهموس، بل نجد بعض الإضافات الصحيحة، كما نجد بعض المحاولات لتقديم تعريف أوضح من تعريف سيويه.

و تتركز ملاحظات علماء التجويد حول المجهور و المهموس على الأثر السمعي لا- على توضيح مصدر الجهر، فهم يقررون أن المجهور أوضح في السمع من المهموس، و هذا ما يفهم من وصف مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) للصوت المجهور بأنه أقوى من المهموس و أن المهموس أضعف من المجهور، ثم هو يقول: «و إنما لقب هذا المعنى بالجهر لأن الجهر: الصوت الشديد القوى، فلما كانت في خروجها كذلك لقبته به، لأن الصوت يجهر بها لقوتها» (١).

و ركز الداني (ت ٤٤٤ هـ) في توضيح المجهور و المهموس على المعنى اللغوي للكلمتين، فقال في كتاب (التحديد): «الهمس الإخفاء، و الجهر الإعلان» (٢). و قال في كتاب (الإدغام الكبير): «الهمس إخفاء الصوت، و الجهر الإعلان» (٣). و ذكر ذلك أيضا عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) فقال: «إن المهموس ما خفى، و المجهور ما أعلن» (٤). و قد صرح ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) بأن الهمس هو (الصوت الخفى) و الجهر هو (الصوت العالى) (٥). و هذه النصوص كلها تشير إلى معنى واحد هو أن المجهور أوضح في السمع من المهموس، و إذا لم يكن ذلك معناها فبأى شيء يمكن أن تفسر هذه الكلمات: القوة- الإعلان- العلو؟.

و كان ابن كيسان (محمد بن أحمد ت ٢٩٩ هـ على خلاف) قد صرح بهذه الحقيقة، حيث قال: «و معنى المهموس منها أنه حرف لأن مخرجه دون المجهور و جرى معه النفس، (١) الرعاية ص ٩٢.

(٢) التحديد ١٧ ظ.

(٣) الإدغام الكبير ٩ ظ.

(٤) الموضح ١٥٦ و.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٤٩٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٨

و كان دون المجهور في رفع الصوت» (١)، و ابن كيسان نحوى و مقري (٢). و كان الداني قد أشار إليه في كتاب (التحديد في الإتيان و التجويد) مرتين (٣). و ذهب الأسترآباذى هذا المذهب حيث صرح بأن «الجهر رفع الصوت بالحرف» (٤).

و نقل أحمد بن أبى عمر (ت في حدود ٥٠٠ هـ) مؤلف كتاب (الإيضاح في القراءات) عن على بن عيسى (لعله الرمانى ت ٣٨٤ هـ أو الربعى ت ٤٢٠ هـ) (٥)، أن المجهور يتميز (بشدة الوقع) لقوة الاعتماد فيه (٦). و نقل عنه توضيحا لمعنى قوة الاعتماد و ذلك حيث قال:

«و قال على بن عيسى:

معنى مجهور: حرف قوى الاعتماد فى موضعه، فقوى الصوت لقوة الاعتماد.

و معنى مهموس: حرف ضعف الاعتماد فى موضعه فضعف الصوت لضعف الاعتماد.

و أنت إذا اعتبرت ذلك وجدته: تقول: أص، فترى الاعتماد للصاد ضعيفا، ثم تقول:

أز، فترى الاعتماد للزاي قويا، و الصوت بالزاي أقوى من الصوت بالصاد، و هما من مخرج واحد.

و كذلك تقول: أث، فتعتمد للثاء اعتماد ضعيفا، و تقول: أذ، فتعتمد للذال اعتمادا قويا، و الصوت بالذال أقوى من الصوت بالثاء، و

هما من مخرج واحد» (٧).

وقد أشار المحدثون من علماء الأصوات إلى هذه الخاصية للصوت المجهور وللصوت المهموس، و أن الأصوات المجهورة أشد بروزا و وضوحا في السمع من الأصوات المهموسة «٨».

و كان طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) قد حاول صياغة تعريف جديد للمجهور و المهموس يعتمد على نظريته في إنتاج الأصوات، التي سبق أن ذكرناها (النص الرابع)، (١) ابن منظور: لسان العرب ٧/١.

(٢) انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٨٩.

(٣) التحديد ١٧، و ٢١ ظ.

(٤) شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

(٥) انظر: كحالة: معجم المؤلفين ٧/ ١٦٢ و ١٦٣.

(٦) الإيضاح ٧٣ ظ.

(٧) الإيضاح ٧٣ ظ.

(٨) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٢٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١١٩

و ذلك حيث يقول: «إن النفس الخارج، الذي هو وظيفته حرف، إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوى كان الحرف مجهورا، و إن بقي بعضه بلا صوت يجرى مع الحرف كان الحرف مهموسا» (١).

و هذا التعريف، و إن كانت بعض أجزائه تفتقر إلى الوضوح، لكنه يتقدم على تعريف سيبويه خطوة نحو التعريف الكامل للمجهور و المهموس الذي نجده عند المحدثين. فهو يبين أن المجهور أقوى من المهموس لا بسبب قوة الاعتماد و إنما بسبب تكيف النفس كله بكيفية الصوت، و لكن كيف يحصل ذلك؟ التعريف يقف عند هذا الحد، و إن كنا الآن ندرك أن ذلك يتم باهتزاز الوترين الصوتيين في أثناء مرور النفس بهما. و الصوت المهموس لا يتكيف بهذه الكيفية.

و ناقش محمد المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) هذا التعريف ناقلا إياه عن علي القاري الذي أورده في (المنح الفكرية على متن الجزرية) دون أن ينسبه لأحد «٢». و ذلك حيث قال:

«و تحقيق الفرق هنا ما قال (علي القاري): إن نفس الحرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوى كان الحرف مجهورا، و إن بقي بعضه بلا صوت يجرى مع الحرف كان الحرف مهموسا، انتهى.

أقول [المرعشي]: هذا الفرق يتحقق في القراءة جهرا، فالمراد من الصوت القوى الجهر، و قوله: بلا- صوت يعني بلا- صوت جهري يجرى مع مبدأ الحرف. فإذا قلت: اذ بالمعجمة، و مددتها تجد نفسها كله متكيفا بصوت جهري. و إذا قلت: اص بالمهمل، و مددتها تجد مبدأ نفسها متكيفا بصوت جهري و آخره خاليا عن ذلك الجهر بل متكيفا بصوت خفي، و قس عليهما. فالصا الممهلة بعض صوتها مجهور و بعضه مهموس لكن الاصطلاح وقع في أنها مهموسة، و كذا سائر حروف الهمس.

و أما في القراءة إسرا فلا يتحقق هذا الفرق، و هو نظر! «٣».

و نجد في تحليل المرعشي للتعريف السابق ما يزيل بعض الغموض الذي فيه، فتفسيره لكلمة (الصوت) بأن المراد منها (الصوت الجهرى) أن النغمة المتولدة من ذبذبة الوترين (١) شرح المقدمة الجزرية ١١ ظ.

(٢) المنح الفكرية ص ١٤.

(٣) جهد المقل ١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٠

الصوتيين جعل تعريف المجهور و المهموس أقرب إلى الوضوح و الدقة، فالمجهور حينئذ الحرف (الصوت) الذي يصاحب نطقه

اهتزاز الوترين الصوتيين، و ما يترتب على ذلك من نغمة صوتية، هي التي ذكرت في التعريف بأنها (صوت قوى). و المهموس هو الذى لا يصاحب نطقه ذلك الصوت. و هنا نقرب من تعريف المحدثين للمجهور بأنه الصوت الذى يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به، و للمهموس بأنه الصوت الذى لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به.

و تبقى بعد ذلك قضيتان فى كلام المرعشى السابق جديرتان بالمناقشة، الأولى: اعتقاده بأن الصاد تبدأ بصوت جهرى ثم تنتهى بصوت خفى (أى مهموس) و هكذا بقية الحروف المهموسة. فهذا العبقرى الذى ختم الدراسات التجويدية بأرائه و تحليلاته القيمة وقع فى و هم ما كان له أن يقع فيه، فاعتقاده هنا غير صحيح، و يبدو أن الذى أوقعه فى ذلك الوهم أسلوب التجربة الذاتية التى أجراها على الصاد فحين نطق بها على هذا النحو (اص) فإننا نبدأ بالهمزة، و هى ليست مجهورة، و لكننا نطق بعد الهمزة بكسرة و هى مجهورة، ثم نطق بعد ذلك بالصاد. و لعل قول المرعشى أن الصاد تبدأ بصوت جهرى جاء نتيجة لتأثره بذاك الجهر الناشئ من كسرة همزة الوصل.

الثانية: هى تمييزه بين القراءة بصوت مرتفع و القراءة المخافتة، و لاحظ أن التفريق بين المجهور و المهموس لا- يتم إلا- فى القراءة بصوت مرتفع، أما فى القراءة إسرا فلا- يتحقق هذا الفرق، لأن الوترين الصوتيين يكفان عن الاهتزاز حينئذ، فلا- يتميز الصوت المجهور عن المهموس على النحو الذى يحصل فى القراءة المرتفعة.

و من الإضافات القيمة لعلماء التجويد فى سبيل توضيح المجهور و المهموس ما ذكره محمد المرعشى فى كتابه (جهد المقل) من «أن نفس الحرف المجهور قليل، و نفس الحرف المهموس كثير» (١). و أكد هذه الفكرة فى (بيان جهد المقل) فقال: «لكن جرى النفس فى المهموس الرخو أكثر من جريه فى المجهور الرخو» (٢). و قال فى موضع آخر: «فالرخو المصحوب بنفس كثير هو الرخو المهموس كالسين و الصاد المهملتين» (٣). (١) جهد المقل ١٢ ظ.

(٢) بيان جهد المقل ١٥ و.

(٣) المصدر نفسه ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢١

و المرعشى يشير بذلك إلى أن إنتاج الصوت المهموس يحتاج إلى كمية من هواء النفس أكثر مما يحتاج إليه إنتاج الصوت المجهور. و يلاحظ ذلك فى نطق الذال و الثاء مثلا، فنقول:

إذ، و نمد الصوت، و نقول: اث و نمد الصوت، فنشعر بوضوح إلى الحاجة إلى نفس قوى فى الثاء بينما نحتاج إلى أقل من ذلك فى الذال، و هكذا فى كل مجهور و مهموس.

و هذه ملاحظة يؤيدها علماء الأصوات المحدثون، فقد قال الدكتور محمود السمران:

«و مما هو جدير بالملاحظة أن الصوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من إخراج النفس (الزفير) أعظم من التى يتطلبها نطق الصوامت المجهورة. و يمكن أن نلمس هذا الفارق فى قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم و نحن نطق صامتا مهموسا متلوا بنظيره المجهور مثل ث، ذ/ت، د/س، ز ... الخ» (١).

و يمكن أن نضيف إلى ذلك وسيلة ثانية تؤكد حاجة الصوت المهموس إلى نفس أقوى من حاجة الصوت المجهور، و هى أن يملأ الناطق رثيه هواء ثم ينطق صوتا مهموسا مثل اس أو اث و يمد الصوت حتى ينفد الهواء، ثم يعيد ملء رثيه هواء و ينطق صوتا مجهورا مثل از أو اذ و يمد الصوت حتى ينفد الهواء، فسنجد أن مدة نطق الصوت المجهور قد تصل إلى ضعف مدة الصوت المهموس، إذا حاول نطقهما بطريقة واحدة، و هو أمر يؤكد فعلا ما قرره محمد المرعشى و أيدته الدراسة الصوتية الحديثة من أن المهموس يحتاج إلى نفس أكثر من المجهور.

و ربما تكون هذه الظاهرة مرتبطة بحقيقة لاحظها علماء التجويد و أيدتها أيضا الدراسات الحديثة، و هى أن المجهور أوضح فى



السمع من المهموس، وذلك راجع إلى النغمة التي تتولد من ذبذبة الوترين الصوتيين، وهو ما يفتقده الصوت المهموس و زيادة دفع الهواء من الرئتين لزيادة لزيادة وضوح السمعى.

تلك هي جهود علماء التجويد فى دراسة ظاهرتى الجهر و الهمس، و هى تمثل مرحلة بين ما قاله سيويوه و علماء العربية و ما توصل إليه المحدثون من دور الوترين الصوتيين فى ذلك، و قد أدرك علماء التجويد كل خصائص الصوت المجهور و الصوت المهموس إلا أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة الوترين الصوتيين و تحديد دورهما فى ظاهرتى الجهر و الهمس، و ليس كثيرا ألا يتوصلوا إلى ما لم يتوصل إليه المحدثون إلا بالوسائل الآلية الدقيقة. فيكفيهم أنهم (١) علم اللغة ص ١٦٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٢

أدركوا بالملاحظة الذاتية جوانب كثيرة من خصائص الأصوات دلت على عمق النظرة و المواظبة على البحث من أجل اكتشاف أسرار الصوت الإنسانى.

#### ٤- الشدة، و الرخوة، و المتوسط:

من الجوانب الأساسية فى إنتاج الأصوات اللغوية تحديد درجة انفتاح مخرج الصوت أثناء مرور الهواء به، لأن ذلك من العوامل المؤثرة فى تنوع الأصوات و اختلاف جروسها.

و علماء الأصوات، سواء منهم علماء العربية و علماء التجويد المتقدمون، أو علماء الأصوات المحدثون يقسمون الأصوات تبعا لهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

١- الصوت الرخو «١»، و يسميه المحدثون الاحتكاكى.

٢- الصوت الشديد، و يسميه المحدثون الانفجارى.

٣- الصوت المتوسط.

و سوف أتبع فى مناقشة هذا الموضوع المنهج الذى اتبعته فى مناقشة موضوع الجهر و الهمس. فأعرض أولا- رأى علماء الأصوات المحدثين، ثم أورد رأى سيويوه و علماء العربية من بعده، و أخيرا أذكر رأى علماء التجويد، مركزا على الاتجاهات الجديدة لديهم فى الموضوع، مبينا موقعها من الدرس الصوتى الحديث.

فالصوت الشديد (الانفجارى) لدى علماء الأصوات المحدثين هو الذى ينحبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن فى مخرجه، و ذلك بالتقاء عضوين من أعضاء آلة النطق، ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثا صوتا، انفجاريا، مثل الباء و التاء و الدال و غيرها.

و الصوت الرخو (الاحتكاكى) هو الذى لا ينحبس الهواء فى مخرجه حسبا تاما، و ذلك بأن يضيق مجرى النفس باقتراب عضوين من أعضاء آلة النطق نحو بعضهما فى مخرج الحرف، دون أن يقفلا- المجرى، فيحدث النفس فى أثناء مروره بمخرج الصوت حفيفا مسموعا تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى. و ذلك مثل صوت السين و الزاى و الحاء و غيرها.

أما الأصوات المتوسطة فهى التى يجد النفس له فيها منفذا يتسرب منه إلى الخارج على الرغم من التقاء العضوين فى مخرج الصوت المنطوق، و ذلك مثل اللام و الميم و النون (١) قال أبو الفتوح الوفاى (الجواهر المضية ٢٦ ظ): «و الرخوة بثلاث الراء و الكسر أشهر»، و ما جاء فى لسان العرب لابن منظور (٢٨ / ١٩ رخو) يؤيد هذا القول.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٣

و غيرها، و من هنا سميت هذه الأصوات بالمتوسطة أى التى ليست شديدة (انفجارية) و لا رخوة (احتكاكية) «١».

و قد عرّف سيويوه (الشديد) بأنه «الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه، و هو الهمزة، و القاف، و الكاف، و الجيم، و الطاء، و التاء، و



الذال، و الباء، و ذلك أنك لو قلت (الحج) ثم مددت صوتك لم يجر فيه» (٢).

ثم عدّد الحروف الرخوة، و قال: «و ذلك إذا قلت: الطس، و انقض، و أشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت» (٣). و قال ابن جنى: «و الرخو هو الذى يجرى فيه الصوت» (٤).

و لم يستخدم سيويه مصطلح (المتوسطة) و لكنه قال بعد أن ذكر الحروف الشديدة و الرخوة: «و أما العين فبين الرخوة و الشديدة» ثم عدّد أصنافا من الحروف هي: الأنفية و المكرر، و اللينة، و الهاوى (٥). ثم جاء ابن جنى فنص أن كل ما عدا الشديدة و الرخوة فهو من التى بين الشدید و الرخو، و هى ثمانية و حصرها فى (لم يرونا) (٦)، و لا نريد أن ندخل هنا فى مناقشة عددها، لأننا سنعود إلى ذلك فى مكان لاحق إن شاء الله، و لكننا نريد هنا أن نقف على التصور العام فى إنتاج هذه الأصوات.

و يبدو أن استعمال مصطلح (المتوسطة) تأخر كثيرا، و ظلت عبارة (بين الشديدة و الرخوة) هى المستعملة حتى القرن السابع و ربما إلى الثامن. فلا نجده فى المفصل للزمخشري، و لا فى شرحه لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) (٧). و ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) (٨). و كذلك لا نجده فى الشافية لابن الحاجب، و لا فى شرحها للاسترابادى (ت ٦٨٦ هـ) (٩).

و للجاربردى (ت ٧٤٦ هـ) (١٠). (١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٣-٢٤، و جان كاتينو: دروس ص ٢٤.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٧٠.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٦) سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩.

(٧) شرح المفصل ١٠ / ١٢٩.

(٨) الإيضاح فى شرح المفصل ٢ / ٤٨٦.

(٩) شرح الشافية ٣ / ٢٦٠.

(١٠) شرح الشافية ص ٢٤٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٤

و أقدم من وجدته يستخدم مصطلح (المتوسطة) هو أبو حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ) فى كتابه (ارتشاف الضرب) (١). و كذلك استخدمها تلميذه الحسن بن قاسم المرادى (ت ٧٤٩ هـ) فى كتابه (شرح التسهيل) (٢). و لكنه لم يستخدمها فى كتابه (المفيد فى شرح عمدة المجيد فى علم التجويد) (٣). و هذه قضية لا يمكن تقديم رأى قاطع فيها، فمن غير المستبعد أن توجد نصوص أخرى لم نطلع عليها يمكن أن ترجع باستخدام مصطلح (المتوسطة) قرونا، لكن المتيسر من النصوص الآن يشير إلى ما ذكرته.

و لعنا لا نجد عناء كبيرا فى فهم كلام سيويه عن الصوت الشديد و الرخو و المتوسط، و أنه يريد بمنع الصوت من الجريان فى الشديد حصر الصوت فى مخرجه، و قد استخدم سيويه نفسه كلمة الحصر، فهو يقول: «لأن الذال ليس فيها إطباق، فإنما تغلب على الطاء لأنها من موضعها، و لأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرت الذال» (٤). فاستخدم سيويه عبارة (حصر الصوت فى الموضع أى المخرج) يدل بوضوح على أنه يبنى تقسيمه للحروف إلى شديدة و رخوة على أساس واضح يعتمد على حالة المخرج فى أثناء مرور النفس خلاله، فإذا حصر النفس فهو شديد، و إذا لم يحصره فهو رخو، و المتوسط حالة بينهما، و يكون معنى قوله (يمنع الصوت أن يجرى فيه) فى تعريف الشديد هو أنه يحصر الصوت فيمنعه من الجريان حتى ينقضى الاعتماد فى المخرج فينطلق النفس بالحرف.

و نجد أن بعض النحاة استخدم كلمة (الحصر) فى تعريف الشديد، و ترك كلمة (المنع) الواردة فى كتاب سيويه، فيقول ابن

الحاجب: (و معنى الشدة أن ينحصر صوت الحرف في مخرجه فلا يجرى، و الرخاوة بخلافها، و ما بينهما هو ألا يتم له الانحصار، و لا يتم له الجرى) «٥».

أما علماء التجويد فقد كان الأوائل منهم حول تعريف سيبويه يدورون، فلا يبتعدون عنه و لا يغيرون في ألفاظه إلا الشيء القليل، فكأنهم يشرحونه.

قال مكى: «و معنى الحرف الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، و قوى فيه، حتى منع (١) ارتشاف الضرب ص ٥.

(٢) شرح التسهيل ٣٠٥ و.

(٣) المفيد ١٠١ ظ.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٦٠.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ٤ / ٤٨٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٥

الصوت أن يجرى معه عند اللفظ به» «١».

و قال الداني: «و معنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت أن يجرى معه» «٢».

و قال عبد الوهاب القرطبي: «و معنى الحرف الشديد أنه حرف لزم موضعه، فمنع الصوت أن يجرى فيه» «٣».

و نجد اتجاهات جديدة في تعريف الحرف الشديد و قسيميه عند علماء التجويد الذين عاشوا بعد الجيل الأول. و قبل أن نتابع تلك الاتجاهات أشير إلى نص يتضمن عنصرا جديدا، ورد في تفسير (المباني لنظم المعاني) لأبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام (كان حيا سنة ٤٢٥هـ) و هو: «و إنما سميت رخوة لأن الاعتماد يضعف في موضع الحرف، و لا يضغط ضغطا يمنع الصوت من أن يخرج، فيخرج الحرف رخوا لذلك» «٤». الجديد في هذا النص عبارة (يضغط ضغطا) و كلمة الضغط تساوى الحصر، و استخدامها في هذا السياق استخدام سديد.

و كان أبو العلاء الهمداني العطار (ت ٥٦٩هـ) حين عرّف الشديد و الرخو ركّز على إمكانية مد الصوت مع الرخو و عدمها في الشديد، فقال: «و الشديد ما لزم مخرجه فلا- يمكنك مد الصوت به لتمكّنه، ألا- ترى أنك إذا قلت: الشج و الشط، ثم رمت مدّ الصوت بالجيم و الطاء، امتنع عليك ... و الرخو ما لم يلزم مخرجه لزوم الشديد فيمكن مد الصوت به، ألا ترى أنك إذا قلت: الهزّ و المسّ و الرشّ و نحو ذلك، امتد به صوتك جاريا مع الزاي و السين و الشين» «٥».

و ملاحظة امتداد الصوت في الرخو و عدم امتداده مع الشديد ملاحظة صحيحة، و صف بعض المحدثين من علماء الأصوات على أساسها الأصوات الشديدة بأنها (آتية) و الأصوات الرخوة بأنها (متمادة) «٦». (١) الرعاية ص ٩٣.

(٢) التحديد ١٧ ظ.

(٣) الموضح ١٥٦ و.

(٤) انظر: مقدمة كتاب المباني، ضمن: مقدمتان في علوم القرآن ص ١٤٨.

(٥) التمهيد ١٤٥ ظ.

(٦) انظر: محمود السعراي: علم اللغة ١٦٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٦

و قد جمع طاش كبرى زاده بين ملاحظة حصر الصوت في الشديد و مده في الرخو في تعريف المصطلحات الثلاثة، و هو جزء من قوله الذي نقلناه آنفا (النص الرابع)، و نقله هنا لنضعه إلى جانب النصوص الأخرى التي عالجت الموضوع، قال: «إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصارا تاما فلا يجرى يسمى شدة، كما في (الحج) فإنك لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكدا

محصوراً، حتى لو رمت مدّ صوتك لم يمكنك.

و أما إذا جرى الصوت جرياً تاماً و لا ينحصر أصلاً يسمّى رخوة، كما فى (الطش)، فإنك إذا وقفت عليه وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت.

و أما إذا لم يتم الانحصار و لا الجرى يكون متوسطاً، بين الشدة و الرخوة، كما فى (الخل) فإنك إذا وقفت عليه وجدت الصوت لا يجرى مثل جرى (الطش) و لا ينحصر مثل انحصار (الحج) بل يخرج على اعتدال بينهما» (١).

و نختم الكلام عن وجهه علماء التجويد فى هذا الموضوع برأى محمد المرعى الذى كانت بين يديه جهود أجيال من علماء العربية و علماء التجويد، فناقش النصوص المتعلقة بتعريف المصطلحات الثلاثة التى تضمنتها المصادر التى اعتمد عليها (٢). و لكنه كان فى أثناء تلك المناقشات يصوغ رأيه بعبارة دقيقة موجزة، مثل قوله: «إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف و نفسه إما أن يحتبس بالكلية فيحصل صوت شديد، و هو فى الحروف الشديدة، أو لا يحتبس أصلاً بل يجري جرياناً كاملاً و هو (فى) الحروف الرخوة. أو يتوسطا بين كمال الاحتباس و كمال الجرى، و هو فى الحروف البينية» (٣).

و يلاحظ هنا أن المرعى استخدم كلمة (البينية) مكان (المتوسطة) و هو اتجاء ذهب إليه بعض علماء التجويد، قال أبو الفتوح الوفايى (ت ١٠٢٠ هـ) عن الحروف المتوسطة:

«و تسمى هذه الحروف البينية» (٤).

و قد تضمن النص السابق للمرعى كلمة (يحتبس) و هى ليست قديمة فى الاستخدام فى هذا الموضوع، فالسابقون غالباً ما كانوا يستخدمون (المنع) و (اللزوم) و (الحصر) و جاءت كلمة (١) شرح المقدمة الجزرية ١١ ظ- ١٢ و، و انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ١٤، و أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ١٠ ظ.

(٢) انظر: جهد المقل ١١ ظ- ١٢ و.

(٣) جهد المقل ١٢ ظ- ١٣ و.

(٤) الجواهر المضية ٣٠ و، و انظر: أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ١٠ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٧

(الحبس) عند المرعى أوضح فى الدلالة على حقيقة الصوت الشديد من كل الكلمات الأخرى، فهى تشير إلى القفل التام لمجرى النفس. و قد استخدم بعض علماء الأصوات من المحدثين كلمة (الحبس) و ما اشتق منها فى وصف عملية تكون الأصوات الانفجارية (أى الشديدة) (١).

و لما كانت الحروف الشديدة تتميز بحبس النفس ثم إطلاقه فجأة، نجد المرعى يتبنى فكرة تسمية الشديدة بمصطلح (آنية) و تسمية الرخوة بمصطلح (زمانية)، فينقل الفكرة عن السيد الشريف على بن محمد الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) فى شرحه لكتاب (المواقف فى علم الكلام) لعضد الدين عبد الرحمن بن محمد الإيجى (ت ٧٥٦ هـ) (٢). قال المرعى: «قال فى شرح المواقف: إن الحروف الشديدة آنية، لا توجد إلا فى آن حبس النفس، و ما عداها زمانية يجرى فيه الصوت زماناً. انتهى.

أقول (المرعى): و ما عداها متفاوتة فى الجريان، إذ حروف الرخوة أتم جرياناً من الحروف البينية، و حروف المد أطول زماناً من سائر حروف الرخوة» (٣). و قد ردد المرعى هذه الفكرة فى مواضع أخرى (٤). و قد أخذ بعض المحدثين بتسمية الأصوات الشديدة (آنية) (٥).

و أدرك علماء التجويد كما نص علماء العربية من قبل أن من الحروف المتوسطة ما يأخذ النفس معه مجراه من الأنف، فيقول المرعى: «و اعلم أن جريان الصوت فى البينية دون جريانه فى الرخوة لكن جريانه فى ثلاثة منها ليس فى المخرج، هى النون و الميم و اللام. و أما الأوليان فالجارى فيهما الغنة، و هى تجرى فى الخيشوم و اللسان لاصق فيهما لموضع الحرف، فإذا أمسكت أنفك لم

يجر فيهما صوت البتة، كذا قاله على القارى، و أما اللام فاللسان لاصق فيها لموضع الحرف، و إنما يجرى الصوت من الطرفين المجاورين للمخرج» (٦). و قوله: (فاللسان لاصق فيهما لموضع الحرف) الحقيقة أن هذا ينطبق على (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٣-٢٤، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٢٧.

(٢) انظر شرح المواقف، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م، ج ٥، ص ٧٢.

(٣) جهد المقل ١٢ و.

(٤) جهد المقل ١٧ ظ.

(٥) جان كانتينو: دروس ص ٣٥.

(٦) بيان جهد المقل ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٨

النون، أما الميم فالشفتان هما موضع الميم. و أصل هذه الفكرة عند سيبويه (١). و عنه نقلها علماء التجويد و غيرهم (٢).

### ٥- الفرق بين الشديد و المجهور و بين الرخو و المهموس:

أصبح الفرق واضحاً لدى دارسى الأصوات من المحدثين بين هذه المصطلحات الأربعة، فالمجهور و المهموس مصطلحان يستخدمان لوصف الصوت تبعاً لحالة الوترين الصوتيين عند النطق، فإذا تذبذب الوتران حال النطق بالصوت و وصف بأنه مجهور، و إذا ظلا ساكنين و النفس يمر بينهما دون أن يتذبذبا حال النطق بالصوت و وصف بأنه مهموس.

أما الشديد و الرخو فمصطلحان يعبران عن كيفية مرور الهواء فى مخرج الصوت، فإذا حبس النفس فى المخرج لحظة ثم أطلق و وصف الصوت بأنه شديد، و إذا مر النفس فى مخرج الصوت مع تضيق مجراه دون أن يحتبس فى المخرج و وصف الصوت بأنه رخو.

و من ثم فإن الصوت المجهور يمكن أن يكون شديداً مثل: د، ب، و يمكن أن يكون رخواً مثل: ذ، ز. و كذلك الصوت المهموس يمكن أن يكون شديداً مثل: ك، ت، و يمكن أن يكون رخواً مثل: ث، س. و لا تناقض فى ذلك أبداً.

و كذلك كان موقف علماء العربية و علماء التجويد من هذا الموضوع، إلا أن بعض جوانبه ظلت غامضة لدى نفر قليل جداً منهم، فخلطوا بين المجهور و الشديد، و أساس ذلك الغموض ينبع من تعريف سيبويه للمجهور و الشديد، فالمجهور عند سيبويه: (حرف أشبع الاعتماد فى موضعه، و منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه و يجرى الصوت) و الشديد عنده: (هو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه) (٣).

فالمجهور (منع النفس أن يجرى معه) و الشديد (يمنع الصوت أن يجرى فيه). و قد فهم العلماء بعد سيبويه أن (النفس) و (الصوت) لهما دلالة خاصة و متميزة عنده، فكانوا حريصين على الدقة فى استخدام كلمة (النفس) مع المجهور، و استخدام كلمة (الصوت) مع الشديد.

و جعلوا ذلك جوهر الفرق بينهما، فقال الأسترآبازى (ت ٦٨٦ هـ): «و الفرق بين الشديدة و المجهورة أن الشديدة لا يجرى الصوت عند النطق بها، بل إنك تسمع به فى آن ثم ينقطع، (١) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٢) انظر: الدانى: التحديد ١٨ و. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ ظ.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٢٩

و المجهورة لا اعتبار فيها بعدم جرى الصوت بل الاعتبار فيها بعدم جرى النفس عند التصويت بها» (١).

و قال أبو الفتوح الوفائى (ت ١٠٢٠ هـ): «التحقيق أن بين المجهورة و الشديدة فرقا باعتبار عدم جرى النفس فى المجهورة، و عدم

جرى الصوت في الشديد، كما نص عليه الرضى في شرح الشافية» (٢).

و هذا الاتجاه في تحقيق الفرق بين المجهور و الشديد يسير موازيا و موافقا لتعريف سيويه لكل منهما، دون أن يأخذ بالحسبان عدم الوضوح في تحديد ذلك الفرق، و من ثم برز إلى جانبه اتجاه آخر في توضيح الفرق بين المجهور و الشديد، و ضديهما المهموس و الرخو.

و يتمثل ذلك الاتجاه فيما نقله أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) في كتابه (الإيضاح في القراءات) و هو أن «الفرق بين المجهور و الشديد أن المجهور يقوى الاعتماد فيه بشدة الوقع، و الشديد يشتد الاعتماد فيه بلزوم موضعه لا بشدة الوقع» (٣).

و أخذ ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) هذه الفكرة و حاول أن يشرحها و يجعلها شاملة في بيان الفرق بين هذه المصطلحات الأربعة فقال: «و الفرق بين المجهورة و الشديدة أن المجهورة يقوى الاعتماد فيها، و الشديدة يشتد الاعتماد فيها بلزومها موضعها لا بشدة الوقع. و هو ما ذكرناه من الضغط، ألا ترى أن الذال و الطاء مجهورتان غير مضغوطتين، فنقول: اذ، اظ، فيجرى معها صوت ما.

و الفرق بين المهموسة و الرخوة أن المهموسة هي التي تردد في اللسان بنفسها أو بحرف اللين الذي معها، و لا- يمتنع النفس. و الصوت الذي يخرج معها نفس، و ليس من الصدر. و أما الرخوة فهي التي يجرى النفس فيها من غير ترديد، و هو صوت من الصدر» (٤).

و مع أننا نلاحظ اقتراب ابن يعيش من دائرة الوضوح في تصور الموضوع و تجاوزه لعقدة (الصوت و النفس) إلى حد ما، يظل كلامه عن (الرخو) بحاجة إلى ما يوضحه، و لا أستبعد أن يكون هناك خلل أو تصحيف في العبارة، لا سيما في جزئها الأخير الذي يتحدث فيه عن (١) شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

(٢) الجواهر المضية ٢٩ ظ.

(٣) الإيضاح ٧٣ ظ.

(٤) شرح المفصل ١٠/ ١٢٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٠

الرخوة، خاصة قوله: (... من غير ترديد، و هو صوت من الصدر).

و كان السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ت ٦٢٦ هـ) الوحيد بين العلماء المتقدمين و المتأخرين من علماء العربية و علماء التجويد، الذي لم يستطع تجاوز الغموض في تعريف سيويه المشهور للمجهور و الشديد، فأحس أن فيه تناقضا، فلم تسعفه خبرة طويلة في ممارسة دراسة الأصوات العربية، فخلط في المقدمة الموجزة التي كتبها في أول كتابه (مفتاح العلوم) عن الأصوات العربية، بين المجهور و الشديد، و المهموس و الرخو.

قال و هو يتحدث عن حروف العربية: «اعلم أنها عند المتقدمين تنوع إلى مجهورة و مهموسة. و هي عندي كذلك، لكن على ما أذكره و هو أن الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف، و الهمس جرى ذلك فيه. و المجهور عندي الهمزة و الألف و القاف و الكاف و الجيم و الياء و الراء و النون و الطاء و الدال و التاء و الباء و الميم و الواو، و يجمعها قولك: قدك اترجم و نطايب. و المهموسة ما عداها.

ثم إذا لم يتم الانحصار و لا الجرى كما في حروف قولك (لم يروعا) سميت معتدلة و ما بين الشديدة و الرخوة.

و إذا تم الانحصار كما في حروف قولك (أجدك قطبت) سميت شديدة، و إذا تم الجرى كما في الباقية من ذلك سميت رخوة» (١).

إن ما يمكن قوله هنا إن السكاكي أراد أن يعبد صياغة تصنيف الأصوات العربية من حيث الجهر و الهمس و من حيث الشدة و الرخوة، و لكن خبرته في الموضوع لم تسعفه. و كان يدفعه إلى ذلك على ما يبدو صعوبة اعترضته في فهم كلام سيويه و علماء

العربية الذين سبقوه في دراسة الموضوع، فاختلف عليه الأمر فجعل الكاف و التاء من المجهورة، و هو ما لم يقل به أحد من المتقدمين و لا المتأخرين، على اعتبار أن الجهر عنده هو (انحصار النفس في مخرج الحرف).

و لم يمض إلا وقت قصير حتى تصدى لتصحيح الوهم الذي وقع السكاكي فيه عدد من علماء العربية الذين كانوا يدركون حقيقة دلالة المصطلحات الصوتية «٢».

و نجد أن دلالة (النفس) و (الصوت) أخذت تتحدد عند جيل من علماء التجويد (١) مفتاح العلوم ص ٥.

(٢) انظر: الأسترآباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٧. و الجاربردي: شرح الشافية ص ٢٤٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣١

المتأخرين على نحو واضح، و من ثم أخذت تتحدد مفاهيم المجهور و الشديد، و المهموس و الرخو، على نحو واضح أيضا. و نلمس ذلك عند طاش كبرى زاده في قوله السابق (النص الرابع) الذي ميز فيه بوضوح بين النفس و الصوت، فالنفس هو الهواء الخارج من داخل الإنسان بدفع الطبع، و الصوت هو ذات الهواء (النفس) الخارج من داخل الإنسان بالإرادة و عرض له في مخارج الحروف تموج بسبب تضيق مجراه في المخارج، و قد درسنا هذا الموضوع من قبل في الفقرة الخاصة بالنفس و الصوت، و الذي يعيننا هنا أن نبين أثر تحديد دلالة مصطلحي النفس و الصوت على الوضوح في تصور المصطلحات الأربعة التي عقدنا هذه الفقرة لدراسة العلاقة بينها. و يتضح من كلام طاش كبرى زاده أنه يستخدم مصطلح الصوت مع الأنواع الأربعة:

المجهور و المهموس و الشديد و الرخو. لكن الذي ميز بينها هو طريقة تكونها، و نكتفي هنا بما أوردناه من قبل عند تحليل فقرات النص المذكور.

و كان محمد المرعشي أكثر المتأخرين وضوحا في إدراك العلاقة بين النفس و الصوت، و وضوحا في التعبير عن العلاقة بين الأنواع الأربعة المذكورة. فحقيقته الصوت عنده هي (النفس المسموع)، و هذه مقولة كررها كثيرا «١». و هو يقول إلى جانب ذلك (إن النفس ركن الصوت) «٢». و هو معنى قول علماء الصوت المحدثين: «إن تيار النفس هو أساس كل صوت لغوي مهما كان نوعه» «٣». و قد عقد محمد المرعشي فصلا في كتابه (جهد المقل) لبيان علاقة النفس و الصوت بالحروف المجهورة و المهموسة، و الشديدة و الرخوة رأيت أن أنقل جزءا منه، لكونه يتضمن وجهة نظر متكاملة و واضحة، و لأن دارسى الأصوات العربية المعاصرين بحاجة إلى الاطلاع على هذه النصوص النادرة المجهولة جدا لديهم، قال محمد المرعشي:

«اعلم ... أن صوت الحرف، و إن كان مجهورا، فهو لا- يتحقق بدون النفس، لأن حقيقة الصوت هي النفس المسموع، كما سبق، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه، و جريه جريه، و أن نفس الحرف و إن كان مهموسا فهو لا- ينفك عن الصوت، لأن حقيقة (١) جهد المقل ٥ ظ، ١٢ ظ، و بيان جهد المقل ١٦ ظ.

(٢) بيان جهد المقل ١٥ و.

(٣) أ: شاده: الأصوات عند سيويه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية، ١٩٣١ م العدد الخامس ص ٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٢

الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج، كما سبق. و أن نفس الحرف المجهور قليل، و نفس الحرف المهموس كثير ... إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف و نفسه:

إما أن يحتبس بالكلية فيحصل صوت شديد، و هو في الحروف الشديدة. أو لا يحتبس أصلا بل يجريا جريانا كاملا، و هو في الحروف الرخوة. أو يتوسطا بين كمال الاحتباس و كمال الجري، و هو في الحروف البيئية.

فهذه ثلاثة أنواع:

ففي النوع الأول: إن جرى بعد ذلك الاحتباس نفس كثير فالحرف شديد مهموس، و إن لم يجر فالحرف شديد مجهور.



و في النوع الثاني: إن كان صوت الحرف جاريا كله مع نفس قليل فالحرف رخو مجهور، و إن كان جاريا كله مع نفس كثير فالحرف رخو مهموس.

و النوع الثالث: مجهور كله... «١».

و يبدو لي أن الدرس الصوتي عند المرعشي خاصة في كتابيه (جهد المقل) و (بيان جهد المقل) جدير ببحث مستقل لأنه يتميز دائما بدقه تحليله للظواهر الصوتية و عمق نظريته في فهمها و وصفها. و نحن لا نملك في هذا البحث سوى أن نقطف بعض النصوص و نضعها مواضعها من المباحث و الفصول إلى جانب نصوص أخرى لا تقل أهمية عنها في كثير من الأحيان.

### الخلاصة:

يتضح مما سبق أن علماء التجويد عرفوا حقيقة عملية النطق، و أدركوا العناصر الأساسية المكونة للأصوات اللغوية، و يمكن أن نلخص وجهة نظرهم في إنتاج الصوت اللغوي بالنقاط الآتية، مقتبسة من النصوص الأربعة و من المناقشة بعدها:

١- إن النفس (الهواء المندفع من داخل الرئتين) هو ركن الصوت، و أنه لا يسمى صوتا حتى يكون مسموعا و ذلك إذا أخرج بالإرادة و قوة الدفع، و تعرض في أجزاء من آله النطق إلى تموج، نتيجة حبس كامل أو تضيق لمجره، و أن الأصوات اللغوية تنتج من النفس (١) جهد المقل ١٢ ظ- ١٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٣

الخارج من الرئتين لا الداخل إليها.

٢- أدرك علماء التجويد دور الحنجرة في تكوين الصوت اللغوي، و عرفها بعضهم، و إن لم تصل تلك المعرفة إلى معرفة الوترين الصوتيين و طبيعة عملهما. و قد سموا النغمة الصوتية التي يصدرها الوتران مع بعض الأصوات بصوت الصدر، اقتداء بسبويه، و سماها ابن البناء (ترديد الحنجرة) و سماها طاش كبرى زاده و المرعشي (الصوت القوي)، أو (الصوت الجهري). و قد سموا الحرف الذي تصاحب إنتاجه تلك النغمة مجهورا، و الحرف الذي لا تصاحب إنتاجه تلك النغمة مهموسا.

٣- ثم إن الذي ميز بين الأصوات بعد أن يجتاز النفس الحنجرة هو اختلاف مواضع القطع، أي اختلاف المخارج، و قد بلغ علماء التجويد في تحديد تلك المخارج درجة كبيرة من الدقة، و سوف نوضح في مبحث لاحق تفصيل ذلك، إن شاء الله تعالى.

و أدرك علماء التجويد أثر حالة ممر الهواء عند المخرج و مقدار درجة انفتاحه في اختلاف الأصوات و تنوعها، و قرروا أنه إذا احتبس الصوت في مخرج الحرف بالكلية كان شديدا (انفجاريا) و إذا لم يحتبس الصوت كان رخوا (احتكاكيا)، و يكون متوسطا (أو بينيا) إذا كان بين صفة الشديد و الرخو.

٥- سمي علماء التجويد تلك الكيفيات المصاحبة لتكوّن الصوت في مخرجه من جهر و همس و شدة و رخاوة و توسط، صفات، اقتداء بتسمية علماء العربية من قبلهم، و قد ذهب علماء التجويد إلى أن اختلاف هذه الصفات هو أساس تمايز الحروف المتحددة المخرج، كما أن اختلاف المخرج هو أساس تمايز الحروف المتفكدة الصفات، كما ورد ذلك واضحا في النص الأول و النص الثاني. و قد أخرجت الكلام على صفة لها دور في التمييز بين بعض الأصوات، و هي صفة الإطباق، و ذلك لأن أثرها لا يشمل إلا عددا محدودا من الأصوات، و إنما قصدت في هذا المبحث توضيح الفكرة العامة لعلماء التجويد عن كيفية إنتاج الأصوات، دون أن ندخل في التفاصيل أو نستقصي الجزئيات، إذ سوف نتناول ذلك في مباحث لاحق على نحو مفصل، إن شاء الله تعالى.

٦- أدرك علماء التجويد أن بعض الأصوات يعتمد له في الفم أو الشفتين و لكن الهواء يتخذ مجراه من الأنف (أو الخيشوم)، و هي الأصوات التي تسمى بالأنفية أو الخيشومية، و هي النون و الميم خاصة. و قد أفاض علماء التجويد في بحث هذا الموضوع من خلال بحث (الغنة) التي هي مرور النفس من الخيشوم.



الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٤

و نختم هذا المبحث بإيراد نصين موجزين لتصور المحدثين لكيفية إنتاج الأصوات اللغوية، لندرك مدى ما حققه علماء التجويد بوسائلهم الذاتية المحدودة، قياسا بما حققه علماء الأصوات المحدثون بأجهزتهم الآلية الدقيقة، في ذلك الموضوع. قال: أ. شاده: «إن الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النفس الخارج من الرئة يعرض له في الحنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض يضيق طريقه أو يقطعه. فلا يحدث صوت إلا بعاملين، أحدهما النفس، و ثانيهما العارض» (١). و قال جان كانتينو: «فهناك إذن في عملية التصويت عنصران لازمان و كافيان لإحداث الأصوات أو لإحداث أى دوى آخر، هما:

- ١- إخراج النفس من الرئتين.
- ٢- تفصيل النطق في الفم. و من المفروغ منه أن المدى الفموى يمكن أن تتغير هيئته و حجمه حسب إرادة الناطق. و هناك عنصران آخران قد يضافان إلى العنصرين الأولين أو لا يضافان إليهما و هما:
- ١- نزيز الأوتار الصوتية (يعنى ذبذبة الأوتار).
- ٢- الغنة الخيشومية، التي تحدث إذا تنزل غشاء الحنك و تنعدم إذا ارتفع» (٢).

\*\*\*\*\*

(١) علم الأصوات عند سيويه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية- العدد الخامس ص ٣.

(٢) دروس في علم أصوات العربية ص ١٩ - ٢٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٥

### المبحث الثالث تصنيف الأصوات اللغوية إلى جامدة و ذائبة (أو إلى صامتة و مصوتة)

يصنف علماء الأصوات المحدثون الأصوات اللغوية تصنيفات متعددة، تبعا للمعنى الذى ينظرون إليها من خلاله، و ذلك لأجل تيسير دراستها و تحليلها ثم وصفها. و أول تصنيف يتصدر كتب علم الأصوات اللغوية الحديثة هو تصنيفها إلى (صامتة و مصوتة) (١). و هذا هو المصطلح الذى كنت قد آثرت استخدامه للتعبير عن هذين الصنفين حين كتبت بحثا عن هذا الموضوع قبل خمس سنوات (٢). و هو الذى آثر استخدامه أيضا عدد من الدارسين (٣). من بين عدد من المصطلحات التى حاول دارسو الأصوات العربية المحدثون أن يترجموا إليها المصطلحين الأوربيين المعبرين عن ذينك الصنفين (٤).

و اليوم، و بعد أن درست عددا من كتب علم التجويد، أرجح استخدام مصطلحين آخرين، و هما (الجامد) و (الذائب)، و تسمى أيضا (الجامدة و الجوامد)، و (الذائبة و الذوائب). و هذه مصطلحات جديدة لا نعلم أن أحدا من دارسى الأصوات العربية استخدمها أو أشار إليها، بينما كان علماء التجويد قد استخدموها قبل ما يقرب من ألف سنة، و هى أكثر المصطلحات تعبيرا عن المعنى الذى يقوم عليه هذا التصنيف للأصوات اللغوية، على نحو ما سنوضح فى هذا المبحث. (١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٦، و محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٠، و جان كانتينو: دروس ص ٢٠، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٩١. و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ١١٣.

(٢) هو (المصوتات عند علماء العربية) مجلة كلية الشريعة (جامعة بغداد) العدد الخامس ١٩٧٩.

(٣) انظر: المصوتات عند علماء العربية ص ٣٩٥ - ٤٠٤.

(٤) و هما: tnanosnoC (صامت) و LEWOV (مصوت).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٦

و هذه المصطلحات لعلماء التجويد خاصة لم يشركهم فى استخدامها أحد من علماء العربية، و هى تعكس اتجاها يتسم بعمق النظرة

فى تحليل الأصوات و إدراك خصائصها الصوتية، و إن لم يكن غالباً، فقد كان الغالب عليهم و على علماء العربية أيضاً الاكتفاء بمصطلحى (الحروف و الحركات)، و هما لا ينطبقان على ذلك التصنيف و لا يعبران عنه بدقة.

و تلخص الفكرة التى يقوم عليها هذا التصنيف فى قول المستشرق الفرنسى جان كاتينو، مع ملاحظة أن مترجم الكتاب يستخدم مصطلح (الحرف) و (الحركة). حيث يقول:

«و يمكن تحديد الحروف و الحركات تحديداً و جيزاً هكذا:

١- خاصية الحرف هى أن يقوم حاجز فى جهاز التصويت، ثم أن يجتاز النفس ذلك الحاجز.

٢- خاصية الحركة هى بالعكس، أن لا يقوم حاجز فى جهاز التصويت، فيجرى النفس حراً طليقاً» (١).

و يضيف بعض الدارسين خاصية أخرى تميز الحروف عن الحركات، و هى قوة الوضوح السمعى للحركات، قياساً بالحروف «٢». و لعل ذلك بسبب كونها مجهورة، و لا يعترض طريق الهواء حال نطقها عائق.

و هاهنا ظاهرة نشير إليها دون أن نتقصى أمثلتها و هى أن معظم دارسى الأصوات العربية من المحدثين نسبوا إلى علماء العربية التقصير فى دراسة الأصوات العربية وفقاً لهذا التصنيف، و هم لم يطلعوا على جملة أقوالهم، و لا عرفوا شيئاً مما قاله علماء التجويد فى ذلك «٣».

و كنت قد كتبت بحث (المصوتات عند علماء العربية) لمناقشة هذه القضية، و أوردت فيه عدداً من أقوال علماء العربية فى مناقشة الموضوع، توضح الخطأ الكبير الذى وقع فيه أولئك نفر من المحدثين، فى دعواهم تلك، و أكتفى هنا بذكر بعض تلك الأقوال بأوجز عبارة لنتظر بعد ذلك فى رأى علماء التجويد فى الموضوع.

فمن ذلك قول الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ): «فى العربية تسعة و عشرون حرفاً: منها خمسة و عشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء و مدارج، و أربعة أحرف جوف، و هى: الواو و الياء (١) دروس ص ٢٠.

(٢) محمود السمران: علم اللغة ص ١٦٢، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٩٣.

(٣) يمكن الاطلاع على بعض تلك الدعاوى فى بحث (المصوتات) ص ٣٩٢-٣٩٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٧

و الألف اللينة (و الهمزة)، و سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان، و لا من مدارج الحلق، و لا من مدرج اللهاة، و إنما هى هاوية فى الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. و كان يقول كثيراً: الألف اللينة و الواو و الياء هوائية، أى أنها فى الهواء» (١).

و قال سيويه (ت ١٨٠ هـ) فى (باب الوقف فى الواو و الياء و الألف): «و هذه الحروف غير مهموسات، و هى حروف لين و مد، و مخارجها متسعة لهواء الصوت، و ليس شىء من الحروف أوسع مخارج منها، و لا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة و لا لسان و لا حلق كضم غيرها، فيهبى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة، و إذا تفتنت وجدت مس ذلك» (٢).

و قال المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «فمن حروف البديل حروف المد و اللين المصوتة، و هى الألف و الواو و الياء» (٣). و قال عن هذه الحروف فى مكان آخر: «و هى حروف بائنة من جميع الحروف ... فحروف المد حيز واحد على حدة» (٤).

و كان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قد وصف هذه الحروف بصفة (المصوتة) أيضاً «٥»، و مما قاله عن مخارجها: «و الحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو ...» (٦).

و كان أبو على الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) قد صنف الحروف إلى صامتة و مصوتة «٧».

و كذلك فعل أبو شجاع محمد بن على بن الدهان (ت ٥٩٢ هـ) «٨». و أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازى (ت ٦٠٦ هـ) «٩».

(١) العين ٥٧/١.

- (٢) الكتاب ١٧٦ / ٤.
- (٣) المقتضب ٦١ / ١.
- (٤) المقتضب ٢١١ - ٢١٠ / ١.
- (٥) الخصائص ١٢٥ / ٣.
- (٦) سر صناعة الإعراب ٨ / ١.
- (٧) أسباب حدوث الحروف ص ٤٢ - ٤٣، وانظر: ص ١٩.
- (٨) تقويم النظر في الأدلة و اختلاف الفقهاء ٢ و.
- (٩) التفسير الكبير ٢٩ / ١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٨

وقد ورث علماء التجويد تلك الجهود في تصنيف الأصوات، ولكنهم لم يقفوا عند حد ترديد مقولات علماء العربية، بل نجد لديهم اتجاهًا جديدًا في التعبير عن التصنيف السابق للأصوات، لم يأخذه عن غيرهم كما يبدو، وكان هذا الاتجاه قد ظهر في القرن الخامس، ولكنه لم يستمر أبعد من القرن السادس للهجرة، وارتبط بعدد محدود من علماء ذينك القرنين، ويتمثل ذلك الاتجاه بالتعبير عن صنفى الأصوات المذكورين باستخدام كلمة (جامد) و كلمة (ذائب).

وكان الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيدت ٤٤٤ هـ) أول من استخدم مصطلح (الحرف الجامد) و (الحروف الجامدة)، من المصادر التي اطلعت عليها، لكنه لم يستخدم مصطلح (الذائبة)، واستعاض عنه بمصطلح حروف المد. وهو لم يستخدم مصطلح (الجامدة) في كتابه (التحديد في الإتقان و التجويد) إلا مرة واحدة، حيث قال: وهو يتحدث عن الواو و الياء إذا كانت قبلهما حركة من جنسهما: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، و انبسط اللسان بهما، و صارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة، و ألقى عليهما حركات الهمزات في مذهب من رأى ذلك، و أدغما في مثلهما بإجماع» (١).

و نجد الداني يستخدم مصطلح (الحرف الجامد) خمس مرات في كتابه (الإدغام الكبير) و يستخدم في مقابله (حرف مد و لين)، و سوف أنقل هنا النصوص الخمسة و ذلك لتوضيح استخدام هذا المصطلح الجديد، و لندرة مثل هذه النصوص أيضا.

١- قال الداني و هو يتحدث عن إدغام الهاء في مثلها عند أبي عمرو بن العلاء في مثل قوله تعالى فيه هُدًى [البقرة: ٢] و إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ [البقرة: ٣٧]: «فإن قال قائل: فقد جمع فيما قبل الهاء فيه ساكن من ذلك بين ساكنين. قيل له: الساكن الأول إذا كان حرف مد و لين فالمد فيه مقام حركة، فامتنع الجمع بين الساكنين لذلك بإجماع النحويين، فإن كان حرفا جامدا أخفى و لم يدغم، فلم يلتق ساكنان» (٢).

٢- «و كذلك جميع ما يدغمه من المثلين و المتقاربين مما قبل المدغم فيه ساكن جامد غير حرف مد و لين» (٣). (١) التحديد ٢٩ و- ٢٩ ظ. و كنت قد نقلت هذا النص وحده في بحث (المصوتات) ص ٤٢٥.

(٢) الإدغام الكبير ١٠ و.

(٣) الإدغام الكبير ١٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٣٩

٣- «و أما النون فكان يدغمها في مثلها، و لا يراعى ما قبلها من حركة أو سكون، و فى اللام و الراء إذا تحرك ما قبلهما لا غير ... فإن سكن ما قبل النون، حرف مد و لين كان ذلك الساكن أو حرفا جامدا، لم يدغمها فيهما» (١).

٤- «و أما الراء فكان يدغمها في مثلها و فى اللام لا غير ... و إن تحركت الراء بالفتح و سكن ما قبلها، حرفا جامدا كان ذلك الساكن أو حرف مد و لين، لم يدغمها» (٢).

٥- «و أما الميم فإنه كان يدغمها في مثلها ... و كان يخفيها عند الباء إذا تحرك ما قبلها لا غير ... فإن سكن ما قبل الميم لم يخفها و أظهر حركتها، اكتفاء بخفة الساكن عن خفة الإخفاء، و سواء كان الساكن حرف مد و لين أو كان حرفا جامدا» (٣).  
 و هذه النصوص تبين بوضوح المقابلة التامة في الاستخدام بين (الحرف الجامد) و (حرف المد و اللين)، و سوف أناقش الدلالة الصوتية لهذه المصطلحات في نهاية المبحث، بعد أن أستوفي تتبع استخدام هذا المصطلح الجديد في النصوص الأخرى، و قبل أن نترك الأندلس، بلد الداني، نشير إلى عالم آخر من تلك البلاد استخدم مصطلح (الجوامد) في مقابل (حروف المد و اللين)، و هو عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) في كتابه (الموضح في التجويد) لكنه لم يستخدمه إلا مرتين، و في نص واحد هو في أصله نص الداني الذي أورده في كتاب (التحديد) (٤).

و إذا و لنا جوهنا قبل بلدان المشرق الإسلامي وجدنا عددا من العلماء يستخدمون مصطلح (الحروف الجامدة) لكننا نجد مصطلحا جديدا آخر يستخدم في مقابلة بدلا من (حروف المد و اللين) و هو (الحروف الذائبة)، و كان استخدام هذا المصطلح خطوة كملت و جهة نظر علماء التجويد في تصنيف الحروف العربية وفق منظور صوتي خالص.

و كان الشيخ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤ هـ) «٥» أقدم من استخدم دينك المصطلحين من علماء المشرق، ممن وقفت على أقوالهم، و لكني لم أطلع على النصوص المتعلقة بذلك في واحد من كتبه، و إنما عثرت عليها في كتاب (الإيضاح في (١) الإدغام الكبير ١٩ و.

(٢) الإدغام الكبير ١٩ ظ.

(٣) الإدغام الكبير ٢٤ و.

(٤) الموضح ١٦٤ ظ.

(٥) ترجمته: ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٣٦١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٠

القراءات) لأحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) في الأبواب التي خصصها لعلم التجويد، و لعل مؤلف الإيضاح نقلها من كتاب التجويد لأبي الفضل الرازي المفقود (١).

١- قال أبو الفضل الرازي: «و لا يخلص للقارئ التجويد و الترتيل إلا بمعرفة مخارج الحروف، و إعطائه إياها من المخارج حدها، و من الحركات حظها، و من السكون حقها، و فزق بين مهموسها و مجهورها ... و جامدها و ذائبتها» (٢).

٢- «و عن أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، رحمه الله، أنه قال: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يحدث في بعض الحروف من النقصان، لاستطالة حرف على حرف في التجاور، و يستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج بالألفاظ البشعة و الطباع الجافية، و ذلك أن يحترز من المدات الطويلة الرعشة المطيطة التي نهى عنها، و الهمزات الملكزة، و تشريب الألفات النبرة في الوقف، و تنبير الذوائب حتى توازي الجوامد سيما المدود من ذلك و الممكن» (٣). و كلمة (تنبير) هنا من النبر أى الهمز، و تنبير الذوائب يعنى همزها، و هذا النص يوضح أن الهمز من الحروف الجوامد، لأن الحروف الذائبة، و هى حروف المد، إذا همزت لحقت بالجوامد.

و كان أحمد بن أبي عمر قد بين في كتابه «الإيضاح» دلالة مصطلح (الجامد) و (الذائب) بشكل واضح و محدد حيث قال: «و الحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، و الواو المضموم ما قبله، و الألف و لا يجيء إلا مفتوحا ما قبله، و هذه الحروف حروف المد و اللين، سميت بذلك لأنها تذوب و تلين و تمتد.

و ما عداها جامد لأنه لا يلين و لا يذوب و لا يمتد» (٤).

و قد ورد مصطلح (الذوائب) في مواضع أخرى من كتاب (الإيضاح) (٥). كما استخدمه أبو العلاء الهمداني العطار (ت ٥٦٩ هـ) مرة واحدة في كتابه (التمهيد في التجويد) بنفس المعنى السابق (٦). و ذكره جعفر بن إبراهيم السنهورى (ت ٨٩٤ هـ) في كتابه (الجامع

المفيد (١) ذكره ابن الجزري في النشر ١/ ٢١٢.

(٢) الإيضاح ٦٧ ظ.

(٣) الإيضاح ٦٨ ظ.

(٤) الإيضاح ٧٤ ظ.

(٥) انظر: الإيضاح ٧٢، و ٧٣ ظ.

(٦) التمهيد ١٥٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤١

في صناعة التجويد) حيث قال: «و حروف المد و اللين الثلاثة تسمى الذوائب» (١).

و لا أستبعد أن تكون هناك نصوص أخرى استخدم فيها مصطلح (الجامدة) و (الذائبة)، و لكن ذهاب كثير من الكتب القديمة، و عدم اطلاعنا على مخطوطات قسم منها حرم البحث من فرصة تتبع ذلك الاستخدام، و لكني أجد أن الأمر أصبح واضحاً من خلال النصوص السابقة، و لم يبق إلا أن ننظر في هذا الاستخدام الجديد و الفريد لتلك المصطلحات للتعبير عن صنفى الأصوات، و أن نقرر هل كان هذا الاستخدام موفقاً، بحيث يمكن أن يسعف دارسى الأصوات العربية اليوم و يقدم لهم مصطلحاً مطمئن إليه نفوسهم، فيخرجون من تلك الحيرة المطبقة عليهم و الاضطراب و الفوضى إلى استخدام مصطلح موحد ذى دلالة واضحة؟.

و سوف أكتفى هنا بالموازنة بين أربعة مصطلحات (الصامت و المصوت) و (الجامد و الذائب)، لأن ما عدا هذه الأربعة لا ينسجم مع الدرس الصوتي الخالص.

أما (الصامت و المصوت) فإن استعمالهما قديم فى الدلالة على صنفى الأصوات، على نحو ما ذكرنا من استخدامهما أو أحدهما عند المبرد و ابن جنى و ابن سينا و ابن الدهان و الفخر الرازى، قبل قليل. و كذلك استخدمهما بعض علماء اللغة من المحدثين «٢». و إذا كان مصطلح (مصوت) يمكن أن نربط بين دلالاته على زيادة التصويت و التمطيط «٣»، و استخدامه فى الدلالة على تلك الأصوات التى يتم إنتاجها من غير أن يقوم فى ممر الهواء عائق، على اعتبار أن هذه الأصوات هى أكثر الأصوات قابلية لمد الصوت بها، فإن من غير اليسير الربط بين دلالة كلمة (الصامت) على السكوت «٤»، و بين استخدامها فى الدلالة على تلك الأصوات التى يقوم فى طريق النفس عند إنتاجها عائق كامل أو جزئى.

و قد تشكك بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين فى صلاحية ذلك الاستخدام لكلمة (الصامت)، فهو يرى أن «فيها شيئاً من الغرابة و التناقض، إذ كيف يسمى الصوت (١) الجامع المفيد ١٠٤ ظ، و انظر ٩٨ ظ من نسخة برلين رقم ١٣٠٧.

(٢) عبد الصور شاهين (مترجم): العربية الفصحى لهنرى فليش ص ١٩ - ٢٠ و ٢٣ و ٣٥. و قد استخدم محمود السعران الصامتة و الصائتة (علم اللغة ص ١٦٠) و كذلك فعل برجستراسر (التطور النحوى ص ١٢ و ٣٣).

(٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٣٦١ (صوت).

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٩ (صمت).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٢

صامتاً؟! «١» و يرى غيره أن استخدام كلمة (صامت) لا تخلو من مأخذ، إذ قد يلتبس هذا (الصمت) بمعنى (الهمس) المستعمل فى مقابل (الجهر) «٢».

و يظهر أن المعنى اللغوى لكلمة (الصامت) يقرب من معنى كلمة (الأخرس) فالعرب تقول: هذه لبنة خرساء، يريدون اللبن الخاثر الذى لا يسمع له صوت إذا أريق «٣». و الصامت من اللبن: الخاثر «٤». و قالت العرب: ماله صامت و لا ناطق، يريدون بالصامت الذهب و الفضة، و بالناطق الحيوان من الإبل و الغنم «٥». فالصامت إذن هو ضد الناطق، و هو معنى الأخرس. و من هنا يظهر التناقض الذى

أشار إليه بعض المحدثين من استخدام هذه الكلمة في الدلالة على المعنى المذكور.

و يؤيد هذا التفسير لكلمة (الصامت) الذي يبين قصور استخدامها في مقابل كلمة (المصوت) للدلالة على قسمي الأصوات السابقى الذكر أن الفراء (أبا زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ) استخدم كلمة (الأخرس) في مقابل (المصوت) للدلالة على (الشديد) و (الرخو) من الأصوات «٦». و يبدو أن هذا الاستخدام أوضح من حيث أصل الدلالة اللغوية و البعد عن اللبس، فالصوت الرخو له قابلية على الامتداد و التصويت به فهو (مصوت)، بعكس (الشديد) الذي لا يوجد إلا في لحظة النطق به فهو إذن أخرس أى غير قابل للتصويت أى للتخطيط و زيادة المد. و قد ذكر المرعشى: «أن الحروف الشديدة آنية، لا توجد إلا في آن حبس النفس، و ما عداها زمانية يجرى فيه الصوت زمانا» «٧». و قال: «الحروف الرخوة ما عدا حروف المد يمكن تمديدتها كحروف المد لكن بتكلف، بخلاف حروف المد فإن مدها بمقتضى السليقة (١) محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة ص ١٤٦ هامش (١).

(٢) عبد الصبور شاهين (مترجم): العربية الفصحى لهنرى فليش ص ١٩.

(٣) لسان العرب ٧ / ٣٦٣ (خرس).

(٤) لسان العرب ٢ / ٣٥٩ (صمت).

(٥) لسان العرب ٢ / ٣٦٠ (صمت).

(٦) ذكر ذلك السيرافى فى آخر شرحه لكتاب سيبويه (انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافى، تحقيق صبيح حمود الشاتى. مجلة المورد، بغداد ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م المجلد ١٢- العدد الثانى ص ١٣٢ و ١٣٥). و نقل ذلك عبد الوهاب القرطبي فى كتابه (الموضح ١٥٢ و)، و نص قوله: «قسم الفراء الحروف إلى مصوت و إلى أخرس، و كأنه أراد بالمصوت الرخو من الحروف، و أراد بالأخرس الشديد». و انظر: السيرافى: شرح كتاب سيبويه ٦ / ٦٠٦.

(٧) جهد المقل ١٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٣

المستقيمة بلا تكلف» «١».

أما مصطلح (الجامد) و (الذائب) فإن أصل استخدامها اللغوى يتعلق بحالة الأشياء السائلة كالماء و غيره، لا بموضوع الأصوات. فيقال: جمد الماء جمدا و جمودا، فهو جامد:

إذا صلب (ضد ذاب). و يقال: ذاب الشحم و الثلج و نحوهما ذوبا و ذوبانا إذا سال عن جمود «٢». و قد قالت العرب: (لك جامد المال و ذائبه) كما قالت (ما له صامت و لا ناطق) «٣».

و هذا يرينا التقابل بين (جامد و ذائب)، بينما نجد أن مقابل (صامت) هو (ناطق) و ليس (مصوت).

و مهما يكن من أمر فإن استخدام (جامد و ذائب) فى الدلالة على قسمي الأصوات المذكورين أوضح و أكثر لصوقا بالمعنى اللغوى من (صامت و مصوت)، فالخاصية الأساسية التى ميزت بين قسمي الأصوات هى أن منها ما يجرى فيه النفس حرا طليقا فيمتد فى مخرجه، فكأنه يذوب و يسيل فيه، و ذلك فى حروف المد، و منها ما يتعثر النفس فى مخرجه، فربما حبس حسبا تاما، و ربما حصل تضيق فى مجراه، فلا يمكن تمديد هذا النوع من الأصوات أصلا أو يمكن ذلك و لكن بتكلف، فكأنه جمد فى مخرجه فلا يذوب فيه و لا يسيل، و ذلك فى كل حروف العربية ما عدا حروف المد.

و قد نقلنا من قبل تعليل أحمد بن أبى عمر لتسمية حروف المد بالحروف الذائبة، «لأنها تذوب، و تلين، و تمد. و ما عداها جامد لأنه لا- يلين، و لا- يذوب، و لا- يمتد» فكلمة (تذوب) تعبر عن مرور الهواء حرا طليقا من غير عائق مؤثر تأثيرا بينا، و كلمة (تلين) تؤكد ذلك المعنى، لأن اللين ضد الخشونة «٤»، و لما كانت هذه الأصوات تذوب فهى إذن (تمتد). و ذلك كله لا يتحصل فى الأصوات الجامدة.



و من ثم فإنني أجد أن استخدام مصطلح (الصوت الجامد) و يقابله (الصوت الذائب) أكثر تعبيراً عن صنفى الأصوات عن صنفى الأصوات من جميع المصطلحات التي استخدمت قديماً و حديثاً. و لكن المشكلة الأساسية تتركز في أن هذه المصطلحات كانت مجهولة كلياً لدى الدارسين المحدثين، و أن المصطلحات الأخرى الأقرب إلى الدرس الصوتي مثل (صامت و مصوت) (١) جهد المقل ٦ و- ٦ ظ.

(٢) لسان العرب ١٠٣/٤ و ٣٨١ و المعجم الوسيط ١٣٣/١ و ٣١٧ مادة (جمد) و (ذوب).

(٣) لسان العرب ١٠٣/٤ (جمد).

(٤) لسان العرب ١٧/ ٢٨٠ (لين).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٤

أحسن حظاً من حيث الاستخدام. و لكن ما دام البحث الصوتي العربي غير متوقف، فإن هناك فرصة للخروج من دائرة الاضطراب إلى حيز الاستقرار باستخدام مصطلحي (الجامد و الذائب)، لا سيما إذا أدرك الدارسون ما يتميز به هذان المصطلحان قياساً بالمصطلحات الأخرى المستخدمة في مكانهما.

و إذا كنا قد تحققنا من دقة استخدام علماء التجويد لمصطلح (الجامد و الذائب) فينبغي أن نبين أنهم أدركوا بوضوح كيفية إنتاج (الأصوات الذائبة) و تميزها بحرية مرور الهواء أثناء النطق بها، يقول المرعشي و هو يستخدم مصطلح (حروف المد) في مقابل (الحروف الذائبة):

«فجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطا ينقطع به الصوت، بل تمتد بلين بلا تكلف إلى أن تقطعه بإرادتك، و لذا قبلت الزيادة في الامتداد على مقدار يحصل به ذوات هذه الحروف» (١).

و قال على القاري عن حروف المد الثلاثة: «ثم إنهم بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، و يتميزن عن الصوت المجرد بتصعد الألف و تسفل الياء و اعتراض الواو» (٢).

و الصوت المجرد يقصد به الصوت الذي ينتج حين يفتح الناطق فاه، و يدفع بالهواء إلى الخارج مع ذبذبة الوترين الصوتيين، و سماه ابن جنى (الصوت الساذج) (٣).

و قد أتى ابن الطحان (أبو الأصبع عبد العزيز بن علي الإشبيلي ت بعد ٥٦٠ هـ) بتشبيه طريف يصور حالة أعضاء آلة النطق حين إنتاج الأصوات الذائبة فقال و هو يتحدث عن الواو و الياء الواقعتين بعد حركة من جنسهما: «إنما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب» (٤).

و يتضح من هذه النصوص المحددة أن المسافة بين علماء التجويد و علماء الأصوات المحدثين قد تضيق جداً أو تنعدم في كثير من الموضوعات، فغاية ما قاله المحدثون عن المصوت (الذائب): «بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً خلال الحلق و الفم دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، و دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً» (٥). و هذا لا يتعد كثيراً عما قاله علماء التجويد (١) جهد المقل ٦ و.

(٢) المنح الفكرية ص ٩، و انظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٨٩.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٩، و انظر: الأسترآبادي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٠.

(٤) مرشد القارئ ١٣٦ و.

(٥) كمال محمد بشر: الأصوات ص ٩٢، و انظر: محمود السعرا: علم اللغة ص ١٦٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٥

قبل مئات السنين.

و إذا كانت الأصوات العربية تنقسم إلى ذائبة، و هي حروف المد، و جامدة و هي ما عداها، فما موقع الحركات العربية: الفتحة و



الكسرة و الضمة، من قسمة الأصوات العربية تلك، و هل هي من الجامدة أو الذائبة؟.

النصوص الواردة عن علماء التجويد تؤكد أن الحركات مأخوذة من حروف المد، قال الداني و هو يتحدث عن حروف المد: «و إن الحركات مأخوذة منها:

فالفتحة من الألف.

و الكسرة من الياء.

و الضمة من الواو» «١».

و هذه قضية قررها علماء العربية قديما «٢»، و أخذها عنهم علماء التجويد و استدلوا عليها و صارت لديهم من الحقائق المقررة حتى قال عبد الوهاب القرطبي: «و هذا الأمر لا مزيد عليه من الوضوح» «٣». و قال ابن الجزري: «و الجمهور على أن الفتحة من الألف و الضمة من الواو و الكسرة من الياء» «٤».

و مع أنى لم أعتز على نص صرح فيه علماء التجويد بأن الحركات من الأصوات الذائبة لكن ذلك هو معنى النصوص السابقة، لأن كل واحدة من الحركات مأخوذة من أحد الأصوات الذائبة، و ما ينطبق على الأصل ينطبق على الفرع.

\*\*\*\*\*

(١) التحديد ١٨ ظ.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ١٠١ / ٤ و ٢٤١ و ٣٠٩ و ٣١٨. و المبرد: المقتضب ١ / ٥٦، و ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ١٩، و الخصائص ٢ / ٣١٥ و ٣٢٧.

(٣) الموضح ١٥٠ و.

(٤) النشر ٢ / ٢٠٤، و انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٦

## المبحث الرابع تصنيف الأصوات الجامدة بحسب المخارج

### أولاً- عدد حروف العربية عند علماء التجويد:

#### إشارة

يقسم علماء العربية و علماء التجويد الحروف العربية إلى أصول و فروع. و هذه القسمة ترجع إلى ما أورده سيبويه فى الكتاب، حيث قال: «فأصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفاً: الهمزة و الألف و الهاء، و العين و الحاء ...

و تكون خمسة و ثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، و أصلها من التسعة و العشرين، و هى كثيرة يؤخذ بها و تستحسن فى قراءة القرآن و الأشعار، و هى:

النون الخفيفة.

و الهمزة التى بين بين.

و الألف التى تمال إمالة شديدة.

و الشين التى كالجيم.

و الصاد التى كالزاي.

و ألف التفخيم، يعنى بلغه أهل الحجاز فى قولهم: الصلاة و الزكاة و الحياة.

و تكون اثنين و أربعين حرفا بحروف غير مستحسنه و لا- كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، و لا- تستحسن في قراءة القرآن و لا- في الشعر، و هي:

الكاف التي بين الجيم و الكاف، و الجيم التي كالكاف «١».

و الجيم التي كالشين. (١) قال أبو حيان (ارتشاف الضرب ص ٤): «و عد سيبويه هذا حرفا واحدا، لأن النطق لا يختلف، و راعى ابن جنى الأصل فعَدَّ ذلك حرفين، و تبعه ابن عصفور و ابن مالك». و على هذا الأساس جعل ابن جنى مجموع حروف العربية أصليها و فرعها ثلاثة و أربعين (انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٥١).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٧

و الضاد الضعيفة.

و الصاد التي كالسين.

و الطاء التي كالتاء.

و الظاء التي كالتاء.

و الباء التي كالفاء.

و هذه الحروف التي تمتها اثنين و أربعين جديدها و رديتها أصلها التسعة و العشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة... «١».

و قد اقتفى معظم دارسى الأصوات العربية من المتقدمين خطى سيبويه في تقسيم الأصوات إلى أصلية و فرعية، و حاول كثيرون توضيح كلام سيبويه و إيراد الأمثلة عليه و شرحها، و ربما استدرك بعضهم على سيبويه حرفا أو مثالا، و ليس من غرضنا استقصاء كل ذلك هنا، و سوف نكتفى بتوضيح موقف علماء التجويد من تلك القسمة، و بيان عدد حروف كل قسم، مؤكداً النواحي التي تمكن فيها علماء التجويد من أن يضيفوا شيئاً جديداً إلى ما قرره سيبويه. و يمكن أن نتبع ذلك بالنظر إلى الموضوع من طرفيه: أعني الحروف الأصلية و الحروف الفرعية.

## ١- الحروف العربية الأصلية:

ذكر سيبويه في النص السابق أن أصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفا، و صار ما ذكره سيبويه أساساً استند عليه معظم علماء العربية، و لم يشذ منهم أحد إلا أبو العباس المبرد، قال ابن جنى: «اعلم أن أصل حروف المعجم عند الكافة تسعة و عشرون حرفا، فأولها الألف و آخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبو العباس فإنه كان يعدها ثمانية و عشرين حرفا، و يجعل أولها الباء، و يدع الألف من أولها، و يقول هي همزة، و لا- تثبت على صورة واحدة، و ليست لها صورة مستقرة، فلا- اعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة. و هذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضى منه عندنا...» «٢». و قد أفاض ابن جنى في الرد على المبرد إخراجهم همزة من جملة الحروف. (١) الكتاب ٤ / ٤٣١-٤٣٢.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٤٦ و ما بعدها. و انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٢٦، و ابن عصفور:

الممتع في التصريف ٢ / ٦٦٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٨

و النص الوارد في كتاب (المقتضب) للمبرد لا يتضح منه بشكل قاطع أن المبرد لا يعد همزة من حروف العربية الأصلية، فهو يقول: «اعلم أن الحروف العربية خمسة و ثلاثون حرفا، منها ثمانية و عشرون لها صور»، لكنه يقول بعد ذلك مباشرة: «فمنها للحلق ثلاثة مخارج: فمن أقصى الحلق مخرج همزة، و هي أبعد الحروف، و يليها في البعد مخرج الهاء، و الألف هاوية هناك» «١». فغاية ما يمكن قوله هنا أن المبرد لاحظ أن صور الحروف العربية ثمانية و عشرون «٢»، و هو يريد الرموز المكتوبة، و همزة من بين أصوات

العربية لم يكن لها رمز محدد لأسباب لغوية تاريخية، أما إنها أحد أصوات العربية لديه فيكفي في تقرير ذلك كلامه عن مخارج حروف الحلق الذي نقلنا جزءا منه هنا.

و كان بعض المحدثين قد أخذ على سيبويه أنه حين جعل الحروف العربية تسعة و عشرين ذكر الألف إلى جانب الهمزة، و هو يريد بها المدة التي في نحو (كان)، و لكنه لم يذكر الواو و الياء إلا مرة واحدة و هو يريد بهما الواو في (ثوب) و الياء في (بيت)، فلم يذكر واو المد في (تقول) و لا ياء المد في نحو (تبع)، و كان ينبغي - حسب رأيه - أن يكون عدد الحروف العربية الأصلية واحدا و ثلاثين حرفا «٣».

و كان علماء التجويد يسيرون باتجاه القول بأن حروف العربية الأصول واحد و ثلاثون حرفا منذ وقت مبكر، و يتمثل ذلك بحديثهم عن الطبيعة المزدوجة لكل من الواو و الياء حين يكونان حرفي مد (من الحروف الذائبة) مرة، و حين يكونان حرفي لين (من الجامدة) مرة أخرى، على نحو ما يوضح ذلك قول عبد الوهاب القرطبي: «الواو و الياء تكون تارة من حروف المد و اللين بأن تسكنا و يكون ما قبلهما منهما، و تارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا و يفتح ما قبلهما، و متى وجد ذلك زال عنهما معظم المد و بقى اللين و انبسط اللسان بهما، و صارتا بمنزلة الحروف الجوامد» «٤». و سوف نتحدث عن تلك الصفة لكل من الواو و الياء في مبحث لاحق، إن شاء الله تعالى، و لكن الذي يعيننا هنا هو أن نقرر أن تلك النظرة المزدوجة إلى كل من الواو و الياء قد انتهت عند علماء التجويد إلى القول بأن (١) المقتضب ١ / ١٩٢.

(٢) و لعل هذا هو قصد الفراء بقوله (معاني القرآن ١ / ٣٦٨): «أب ت ث ثمانية و عشرون حرفا».

(٣) انظر: كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ١ / ٨١ - ٨٢، و تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٠.

(٤) الموضح ١٦٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٤٩

الحروف العربية الأصلية واحد و ثلاثون حرفا و ذلك على يد محمد المرعشي.

كان المرعشي قد بحث في الفصل الخامس، و هو آخر فصول مقدمة كتابه (جهد المقل) مسائل يتوقف عليها بيان المخارج، و جعل ذلك في مقالتين، الأولى في عدد الحروف الأصلية و الفرعية. و الثانية في عدد المخارج. و مما ذكره في المقالة الأولى عن عدد الحروف قوله:

«أما الحروف الأصلية فهي تسعة و عشرون، باتفاق البصريين، فهم يجعلون الألف المدية غير الهمزة، و يجعلون الواو و الياء حرفين سواء كانا مديين أو لا، و المبرد منهم جعل الألف و الهمزة حرفا واحدا، و لذا جعل الحروف الأصلية ثمانية و عشرين ...

أقول (المرعشي): و كذلك ينقسم كل من الواو و الياء إلى مديّة و غير مديّة» «١».

و قال المرعشي في كتابه (بيان جهد المقل) موضحا عبارة و ردت في النص السابق:

«قوله: (سواء كانا مديين أو لا)، أقول: و لو جعلوا الواو و الياء المديين غير الواو و الياء الخاليين من المد كما هو مقتضى قياس الألف المدية غير الهمزة، تصير الحروف الأصلية واحدا و ثلاثين» «٢». و قوله هنا (الحروف) يعنى بها الأصوات المنطوقة لا الرموز المكتوبة.

## ٢- الحروف العربية الفرعية:

الحرف الفرعي هو الصوت الأصلي الذي تتغير صفة من صفاته الصوتية أو ينتقل مخرجه إلى مخرج صوت مجاور له. و ذلك التغير ناتج عن واحد من ثلاثة أسباب:

١- المجاورة، مثل الصاد التي كالزاي في نحو (مصدر)، و الشين التي كالجيم في نحو (أشوق) فقد لحق الجهر كلاً من الصاد و الشين المهموستين لمجاورة الدال المجهورة.

٢- لغات القبائل، مثل همزة بين بين، و ألف الإمالة، و ألف التفخيم.

٣- اللكنة الأعجمية، مثل الطاء التي كالتاء، و الباء التي كالفاء.

و قد أدرك علماء التجويد حقيقة الأصوات الفرعية، فقال مكى (ت ٤٣٧ هـ) أن مخرج الحرف الفرعى «متوسط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه» (٣). و قال أحمد بن أبى عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ): «و إنما كانت فروعاً لا متراجهاً بغيرها، و كانت مستحسنة لما يستفاد (١) جهد المقل ٤ ظ.

(٢) بيان جهد المقل ٦ ظ.

(٣) الرعاية ص ٨٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٠

بالامتزاج من تسهيل اللفظ و تحسينه فى المسموع» (١). و قال المرادى (ت ٧٤٩ هـ): «المراد بالفروع حروف ترددت بين مخرجين، و تولدت من حرفين» (٢). و قال المرعى (ت ١١٥٠ هـ): «و وجه تفرع هذه الحروف أنها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين» (٣).

و أدرك علماء التجويد أن الحروف الفرعية لا تدرک إلا بالمشافهة، لأنها لا صورة لها فى الكتابة، فنصوا على ما نص عليه سيويه فى قوله السابق من أنها (لا- تتبين إلا- بالمشافهة)، فقال أبو العلاء الهمذانى العطار (ت ٥٦٩ هـ): «و لا- يوقف على حقيقة هذه الحروف المتفرعة إلا بالشفاه» (٤).

و يظهر من كلام سيويه أن أساس تقسيم الحروف الفرعية إلى مستحسنة و مستقبحة هو كثرة الاستخدام و قلته، فما كثر استخدامه منها فى لغة من ترضى عربيته كان (مستحسناً)، و ما قل استخدامه كان (مستقبحاً)، و سيويه يستخدم كلمة (غير مستحسن) و لم يستخدم كلمة (مستقبح) التى استخدمها بعده عدد من علماء العربية و علماء التجويد، لكنه استخدم كلمة (ردىء) (٥).

و كان سيويه قد عد من الحروف المستحسنة ستة، و من الحروف غير المستحسنة سبعة باعتبار الكاف التى بين الجيم و الكاف، و الجيم التى كالکاف حرفاً واحداً، فتكون عدة الحروف العربية أصليها و فرعيها، جيدها و رديتها اثنين و أربعين حرفاً. و لما كان الأساس الذى استند إليه سيويه فى بيان عدد الحروف العربية هو السماع من قراء القرآن و العرب فمن المتوقع إذن أن يروى غيره حروفاً أخرى، إما لأنه لم يسمعها أو أنه اعتبرها حرفاً واحداً، و عدّها غيره أكثر من حرف. و من ثم زاد بعض علماء العربية و بعض علماء التجويد فى عدد حروف العربية حتى بلغ بها عبد الوهاب القرطبى اثنين و خمسين حرفاً (٦). أى بزيادة عشرة أحرف على ما ذكره سيويه. (١) الإيضاح ٧٢ و.

(٢) المفيد ١٠١ ظ.

(٣) جهد المقل ٥ و.

(٤) التمهيد ١٤٣ ظ.

(٥) انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٤، و السيوطى: همع الهوامع ٦/ ٢٩٥. و أحمد بن أبى عمر:

الإيضاح ٧٢ ظ. و العطار: التمهيد ١٤٣ و.

(٦) الموضح ١٥٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥١

و الحروف الفرعية المستحسنة التى زادها عبد الوهاب القرطبى على ما ذكره سيويه هى:

اللام المفخمة التى هى فرع على المرققة، و الراء المرققة التى هى فرع على المغلظة، و الواو التى ينحى بالضممة التى قبلها نحو الكسرة، و الياء التى ينحى بالكسرة التى قبلها نحو الضمة، و عد الهمزة المسهلة بين بين ثلاثة أحرف، و كان سيويه قد عدّها حرفاً واحداً، فتلك ستة أحرف (١).

والحروف الفرعية غير المستحسنة التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي زيادة على ما ذكره سيويوه هي: السين التي كالزاي، والجيم التي كالزاي، والقاف التي بين القاف والكاف وهي تأتي مثل لفظ الكاف التي بين الجيم والكاف، واعتبر عبد الوهاب القرطبي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، حرفين، بينما عددهما سيويوه حرفا واحدا «٢». و اعتبرهما حرفين هو مذهب ابن جني و ابن عصفور و ابن مالك «٣». فذلك أربعة أحرف. و نقل أبو العلاء الهمداني العطار أن الأخفش أضاف حرفا آخر هو الذال التي كالطاء «٤». و ذكر أبو حيان الأندلسي القاف التي كالكاف، كقولهم في القمح: الكمح «٥». و قد أورد علماء التجويد أمثلة تلك الحروف الفرعية و وضحو صفاتها الصوتية، و كيفية حصولها، و نكتفي هنا بما ذكرناه عنها، و سوف نستوفي الكلام عنها مقرونا بالكلام على الحروف العربية الأصول، حين نحدد مخارجها و نبين صفاتها و أحوالها، ليكون الحديث مترابطا متكاملا على صعيد واحد.

### ثانياً - بيان عدد مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد:

#### إشارة

المخرج هو الموضوع الذي ينشأ منه الحرف، و كلمة (المخرج) هي الغالبة في الاستخدام عند علماء التجويد، و سبق القول في موقفهم من تعريفها. و كان قدماء النحويين قد استخدموا إلى جانب كلمة (المخرج) عددا من الكلمات للتعبير عن مكان تكوّن الحرف من آلة النطق، فكان الخليل بن أحمد قد استخدم في مقدمته كتاب العين كلمة (حيز، و جمعها أحياز) «٦». (١) الموضح ١٥٣ ظ - ١٥٤ ظ. (٢) الموضح ١٥٥ ظ. و انظر: السيرافي: شرح كتاب سيويوه ٦ / ٤٤٨ و ٤٥١. (٣) انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٤، المرادي: شرح التسهيل ٣٠٤ ظ. (٤) التمهيد ١٤٣ ظ. (٥) ارتشاف الضرب ص ٤. (٦) العين ١ / ٤٨ و ٥٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٢

و كلمة (مدرجة، و مدرج، و مدارج) «١»، و استخدم أقل من ذلك كلمة (المخرج) «٢». أما سيويوه فإن كلمة (المخرج) هي المستخدمة لديه أكثر من غيرها «٣». حيث ترد عنده كلمة (حيز) «٤». و كلمة (موضع) «٥» على نحو أقل. و يغلب أن يكون استخدام هذه الكلمات بمعنى واحد «٦». و هو استخدام لم يجد المحذوثون عنه محيدا و لم يجدوا له بديلا و لا مزيدا «٧».

و كان أقدم بيان متقن لمخارج الحروف العربية هو الذي أورده سيويوه في كتابه، أما ما ورد في مقدمته كتاب العين للخليل بن أحمد فإنه كان موضع نقد من بعض جوانبه. و كان متقدمو علماء التجويد يعتمدون على بيان سيويوه لمخارج الحروف. قال الداني و هو يتحدث عن مخارج الحروف: «و أنا أذكر ذلك على مذهب سيويوه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه» «٨». و قال عبد الوهاب القرطبي: «أما تحقيق ذواتها و ذكر مخارجها و تبين أجناسها و ذكر مراتبها في الاطراد فنذكره على ما ذكره سيويوه - رضى الله عنه - و رتبته في نسخة أبي بكر مبرمان، و تلاه أصحابه و غيرهم من المتأخرين عليه، لأنه المعتمد» «٩».

و لا - يعني ذلك أن علماء التجويد، سواء منهم المتقدمون أم المتأخرون، قنعوا بما ذكره سيويوه، و ردوا كلماته دون أن يوضحوا غامضا أو يزيدوا شيئا، و ما كان تمسكهم بما أورده سيويوه إلا لشعورهم بدقته و إتقانه. كيف لا و المحذوثون يشهدون لسيويوه

بذلك، مثل قول المستشرق الألماني أ. شاده عن سيبويه: «بلغ في تعيين مواضع الحروف و مخارجها من الصحة و الدقة ما يعسر علينا الزيادة و الإصلاح، و إن كانت عباراته تحتاج في بعض الأمكنة إلى (١) العين ١ / ٥١ و ٥٧، و انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة ١ / ٥٠ و ٥١.

(٢) العين ١ / ٥١ و ٥٢.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٤) انظر: الكتاب ٤ / ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٨.

(٥) انظر: الكتاب ٤ / ٤٥٣ و ٤٦١ و ٤٧٩.

(٦) يفهم من قول سيبويه (الكتاب ٤ / ١٠١): (و الحروف المرتفعة حيز واحد) و قول المبرد (المقتضب ١ / ٢٠٩): (ثم نذكر حروف الفم، و هى حيز على حدة) أن كلمة (حيز) قد تستخدم بمعنى أعم من كلمة (مخرج).

(٧) قال الدكتور محمود السعران (علم اللغة ص ١٩٩): إن ما يسميه العرب (مخرج الحرف) سماه المحذثون في الغرب (موضع النطق).

(٨) التحديد ١٦ و.

(٩) الموضح ١٥٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٣

التفسير» (١). و يمكن أن ندرس ما تناوله علماء التجويد من قضايا تتعلق بمخارج الحروف في عدة نقاط، و ذلك قبل أن ندقق في المخارج مخرجا مخرجا، و نوازن بين ما قاله سيبويه و علماء العربية فيها و ما قاله علماء التجويد، و ما قاله المحذثون من بعدهم.

## ١- الاختلاف في عدد المخارج:

قال سيبويه: «و لحروف العربية ستة عشر مخرجا» (٢). و هذا هو الذى جرى عليه أكثر علماء العربية (٣)، و كثير من علماء التجويد (٤)، و لكن نجد إلى جانب ذلك من يذهب من علماء العربية المتقدمين إلى جعل المخارج أربعة عشر مخرجا، و من يذهب من علماء التجويد المتأخرين إلى جعلها سبعة عشر مخرجا.

قال الدانى: «و زعم الفراء و قطرب و الجرمى و ابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجا، فجعلوا اللام و الراء و النون من مخرج، و هو طرف اللسان، و جعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج» (٥). و قد أضاف المرادى إلى هؤلاء (ابن دريد)، و قال عن ابن كيسان (بخلاف عنه) (٦). و لكن ما ورد في كتاب الجماهرة لابن دريد لا يؤيد إضافة المرادى له إلى الأربعة الذين ذكرهم الدانى. فابن دريد يقول: «إن هذه التسعة و العشرين حرفا لها ستة عشر مجرى»، أى مخرجا. ثم قال عن الحروف الثلاثة موضع الخلاف: «ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الأيمن، و اللام قريبة من ذلك، و الراء أدخل بطرف، إلا أن الراء أدخل بطرف اللسان فى الفم». و هذا الكلام يفهم منه أن ابن دريد يذهب إلى أن لكل حرف من هذه الحروف الثلاثة (١) علم الأصوات عند سيبويه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٥. و من العجيب المؤسف قول الدكتور تمام حسان (مناهج البحث فى اللغة ص ٨٥): «و لقد خلط النحاء العرب خلطا كبيرا فى تحديد المخارج»، ثم هو بعد ذلك لا ينقل إلا من كتاب لابن الجزرى و يخلط فيفهم نصوصه خلطا كبيرا!!.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٣) انظر: الزبيدى: الواضح فى علم العربية ص ٢٨١، و ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢، و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٢٣-

١٢٤، و ابن عصفور: المقرب ٢ / ٥، و الأسترآبازى: شرح الشافية ٣ / ٢٥٠.

(٤) انظر: مكي: الرعاية ص ١١٨، و الداني: التحديد ١٦، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢، و أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٢، و العطار: التمهيد ١٤٣ ظ.

(٥) التحديد ١٧. و انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ.

(٦) شرح التسهيل ٣٠٣ ظ، و انظر: ارتشاف الضرب ص ٢، و السيوطي: جمع الهوامع ٦/ ٢٨٩ و ٢٩١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٤

مخرجا مستقلا، و أن عدد مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجا «١».

و لا توجد في أيدي الدارسين اليوم المصادر الأصلية التي ورد فيها رأى الفراء (يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ) و قطرب (محمد بن المستنير ت ٢٠٦ هـ) و الجرمي (صالح بن إسحاق ت ٢٢٥ هـ) و ابن كيسان (محمد بن المستنير ت ٢٩٩ هـ). لكن مكيًا تحدث عن الموضوع في باب مستقل في كتابه (الرعاية) سماه (باب الاختلاف في المخارج)، و الجديد الذي تضمنه هذا الباب هو ما استدلل به ابن كيسان في الموضوع، و أجد من المفيد أن أنقله بنصه، لأن فيه ما قد يفسر لنا عبارة المرادى التي قالها عن ابن كيسان، و هي قوله (بخلاف عنه). قال مكي: «قال ابن كيسان محتجا (لقول) سيبويه: النون أدخل في اللسان من الراء، و في الراء تكرير ليس في النون، و ارتعاد طرف اللسان بالراء لتكريرها مخالف لمخرج النون، فهما مخرجان متقاربان. قال: و اللام مائلة إلى حافة اللسان عن موضع النون، تنحرف عن الضاحك و الناب و الرباعية حتى تخالط الثنايا، فهذا مخرج ثالث.

قال ابن كيسان: فإن قال قائل: المخرج واحد، و لكن الزيادة التي في الراء و اللام كالزيادة التي في النون من الغنة الخارجة من الخياشيم، و اختلاف هذا المخرج كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، و هو مخرج الشين و الجيم و الياء، و ينبغي أن يقال: هذه ثلاثة مخارج أيضا.

قيل له: ابتداء الشين و الجيم و الياء من مخرج واحد، و إنما اختلفت هي أنفسها باستطالة الشين و انبساط الجيم و مد الياء، كما أن الدال و الطاء و التاء من مخرج واحد، و هي مختلفات في أنفسها، للإطباق الذي في الطاء، و الجهر الذي في الدال، و الهمس الذي في التاء» «٢».

إن المقطع الأول من كلام ابن كيسان يؤيد مذهب سيبويه و يحتج له في جعل مخارج هذه الحروف ثلاثة، لكل حرف مخرج، أما ما بعد المقطع الأول فإنه و إن كان مسوقا لتأكيد مذهب سيبويه فهو يصلح للاحتجاج لمذهب الفراء و قطرب و الجرمي في عد الحروف الثلاثة من مخرج واحد، فإذا كانت الشين تميزت بالاستطالة و الجيم بالانبساط و الياء بالمد و هي مع ذلك من مخرج واحد فإنه يمكن القول بأن الراء تميزت بالتكرير، و النون بالغنة، و اللام بالانحراف و هي مع ذلك من مخرج واحد، قياسا على حكم الشين و الجيم و الياء. فابن كيسان (١) الجمهرة ٨ / ١.

(٢) الرعاية ص ٢١٧-٢١٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٥

في أول كلامه مع سيبويه، و في آخره مع الفراء و أصحابه، و قد اختلف العلماء في تحديد موقف ابن كيسان، حتى قال المرادى: (بخلاف عنه).

أما اعتبار مخارج الحروف العربية سبعة عشر مخرجا فهو ما ذهب إليه جماعة من علماء التجويد، الذين أوردوا الألف و الواو و الياء المدية بمخرج مستقل سماه أكثرهم (الجوف) تأثرا بما ذهب إليه الخليل بن أحمد من اعتباره هذه الحروف الثلاثة هوائية تخرج من الجوف «١».

و قد لخص ابن الجزري ذلك بقوله في كتابه النشر: «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا و عند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد، و مكي ابن أبي طالب، و أبي القاسم الهذلي، و أبي الحسن شريح و غيرهم سبعة عشر



مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار، وهو الذي أثبتته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف و صفاتها. وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر «٢»، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو من مخرج المتحركة، وكذلك الياء. و ذهب قطرب ... إلى أنها أربعة عشر ... والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختبار «٣».

وليس متيقنا أن ابن ذكرهم ابن الجزري قالوا جميعا بأن مخارج الحروف سبعة عشر، و يرجح لدى أن ابن الجزري أراد أن هؤلاء العلماء يذهبون إلى أن لحروف المد مخرجا مستقلا، خاصة بالنسبة للخليل و مكى و ابن سينا. أما الهذلي و شريح فلم أطلع على ما يوضح رأيهما بالتحديد. فالخليل بن أحمد لم يقل في مقدمته كتاب العين أن مخارج الحروف سبعة عشر، بل إن الذي يستنتج من كلامه أنه يجعل مخارج الحروف تسعة، لكنه ذكر أن الواو و الياء و الألف هوائية تخرج من الجوف «٤». وكذلك يفهم من كلام ابن سينا الذي ميز بين الياء و الواو (الصامتتين و المصوتتين)، أنه يجعل للألف و الواو و الياء المصوتة مخرجا أو مخارج متميزة، (١) العين ١ / ٥٨.

(٢) قال القسطلاني (الثالث السنية ٧ و): «و قال سيويو و أتباعه كالشاطبي ستة عشر».

(٣) النشر ١ / ١٩٨ - ١٩٩.

(٤) انظر: العين ١ / ٥٧ - ٥٨. و انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة ١ / ٤٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٦

فقد وصف مخارج هذه الأصوات بأنها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم، أو مع أدنى تضيق «١». أما مكى بن أبى طالب فقد صرح «أن للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجا» «٢». لكن ورد في بعض كلامه أنه يميل إلى اعتبار الألف من الجوف، فقال حين ذكر حروف الحلق الستة «وقد زاد قوم الألف» «٣». وقال و هو يتحدث عن مخرج الألف: «لكن الألف حرف يهوى فى الفم حتى ينقطع مخرجه فى الحلق، فنسب فى المخرج إلى الحلق لأنه آخر خروجه» «٤». و ذكر حين تحدث عن صفات الحروف و ألقابها (الحروف الجوفية، و الحروف الهوائية) و هى حروف المد و اللين الثلاثة، نقل ذلك عن الخليل «٥». فهناك إذن بعض ما يمكن أن يستدل به على أن مكيا يجعل مخرج حروف المد مخرجا واحدا هو الجوف، على الرغم من أنه صرح أن مخارج الحروف ستة عشر مخرجا.

و كان سيويو قد جعل المخرج السادس عشر من الخياشيم للنون الخفيفة «٦»، و هى النون المنخفضة التي تصير غنة فى الخيشوم «٧». لكن بعض علماء التجويد لم يعتبر هذا المخرج، و من ثم فإن من ذهب مذهب سيويو فى جعل مخارج الحروف ستة عشر جعلها خمسة عشر بإسقاط مخرج النون الخفية أو الغنة «٨». و من ذهب مذهب ابن الجزري فى جعل مخارج الحروف سبعة عشر جعلها ستة عشر مخرجا «٩».

و حسبنا هنا أن نشير إلى هذه المذاهب العامة فى تحديد مخارج الحروف العربية، و سوف نشير إلى موقف علماء الأصوات المحدثين من هذه القضية بعد أن نتحدث عن موقف علماء التجويد من مخارج الحروف تفصيلا، و قبل أن نعرض لذلك نقف عند مقولة بعض علماء العربية (لكل حرف مخرج) و نبين أثرها على موقف علماء التجويد. (١) أسباب حدوث الحروف ص ١٩.

(٢) الرعاية ص ١١٨.

(٣) الكشف ١ / ١٣٩.

(٤) الرعاية ص ١٣٤.

(٥) الرعاية ص ١١٦.

(٦) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٧) انظر: الداني التحديد ١٧ و. وأحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٣ و.

(٨) انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٨ ظ.

(٩) انظر: السمنودي: تحفة الطالبين ٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٧

## ٢- هل لكل حرف مخرج؟:

حين قرر سيبويه أن مخارج الحروف ستة عشر مخرجا فإن ذلك يعنى أن من الحروف ما يشترك في مخرج واحد، لأن حروف العربية حسب رأيه تسعة وعشرون حرفا، فنجد الحرفين والثلاثة يشتركان في المخرج الواحد، وقليل من تلك الحروف ما انفرد بمخرج مستقل، ويكون اختلاف الصفات هو الأساس في تمييز الحروف المشتركة في المخرج الواحد، وهو السبب في اختلاف جروسها في السمع، لكن بعض النحاة ذهب إلى أن ذلك تقريب، والتحقيق أن كل حرف له مخرج، فما مقدار هذا القول من الصحة، وما موقف علماء التجويد من ذلك؟.

يبدو أن ابن الحاجب (عثمان بن عمر ت ٦٤٦ هـ) هو أقدم من ذهب ذلك المذهب، فقد قال في الشافية: «و مخارج الحروف ستة عشر تقريبا، وإلا فلكل مخرج» (١). وقال في (الإيضاح في شرح المفصل): «قسم النحويون مخارج الحروف إلى ستة عشر على التقريب، وإلحاق ما اشتد تقاربه بمقاربه، وجعله معه من مخرج واحد، والتحقيق أن كل حرف له مخرج يخالف الآخر وإلا كان إياه، فجعلوا للهمزة والألف والهاء أقصى الحلق، ولا شك أن الهمزة أول، والألف بعدها، والهاء بعدها، ولكن لما اشتد التقارب اغتفروا ذكر التفرقة» (٢).

ولم يكن لهذا الاتجاه الجديد في تحديد مخارج الحروف العربية إلا تأثير يسير على موقف علماء التجويد في دراسة المخارج، سرعان ما اختفى ذلك التأثير، فلم يذهب ذلك المذهب إلا عدد قليل من علماء القراءة وعلماء التجويد (٣). وكذلك ذهب إليه بعض علماء العربية (٤). ومع أن هذا الاتجاه ظل افتراضيا، ولم يعتمد في دراسة المخارج، حتى عند القائلين به، نجد بعض العلماء يتصدون له و يبينون عدم متانته الأساس الذي يقوم عليه.

و كان رضى الدين الأسترآبأذى (ت ٦٨٦ هـ) قد وضع مذهب ابن الحاجب لكنه تشكك (١) انظر: الأسترآبأذى: شرح الشافية ٣/٢٥٠.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٨٠.

(٣) مثل: أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٣. وشعلة الموصلى: كنز التهاني (باب مخارج الحروف) ص ٢. و زكريا الأنصارى: الدقائق المحكمة ص ٧، وأحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ٩ و.

(٤) مثل: الجاربردى شرح الشافية ص ٢٤١، والسيوطى: همع الهوامع ٦/ ٢٩٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٨

في دقة ما ذهب إليه، فقال في آخر تعليقه على قول ابن الحاجب في الشافية (و إلا فلكل مخرج): «إن اختلافها قد يحصل مع اتحاد المخرج بسبب اختلاف وضع الآلة من شدة الاعتماد و سهولته و غير ذلك، فلا يلزم أن يكون لكل حرف مخرج» (٢).

و انتقد على القارى (ت ١٠١٤ هـ) ذلك المذهب، و قرر أن الصواب هو ما ذهب إليه الجمهور، فقال معلقا على قول من قال: (التحقيق أن لكل حرف مخرجا مخالفا لمخرج الآخر، وإلا لكان إياه): «قلت: هذا التعليل بعيد من التحقيق فإن الجمهور من أرباب التدقيق جعلوا لحروف متعددة مخرجا واحدا بناء على أن التمييز حاصل باعتبار اختلاف الصفات، و إن كان الاتحاد باعتبار الذوات» (٢).

و حاول محمد المرعشى التقريب بين ما ذهب إليه ابن الحاجب من أن كل حرف له مخرج، و ما ذهب إليه الجمهور من أن مخارج

الحروف ستة عشر أو سبعة عشر، فيشترك في بعض المخارج أكثر من حرف، وذلك بتقسيم المخارج إلى مخارج كلية و مخارج جزئية، فقال و هو يتحدث عن عدد مخارج الحروف: «اعلم أن في عددها اختلافا بين العلماء، و المختار عند الجمهور أنها سبعة عشر، بعضها كلى منقسم إلى مخرجين جزئيين أو أزيد، و بعضها جزئى غير منقسم، فلكل حرف مخرج جزئى، كما قاله الرضى، و المخارج السبعة عشر متميزة تمايزا بينا، بخلاف المخارج الجزئية المشتركة في مخرج كلى من هذه السبعة عشر» (٣).

و محاولة المرعى هذه قد تنطبق على بعض المخارج مثل مخرج (ج ش ي) و مخرج (ب م و) للتباين الكبير في طريقه نطق كل مجموعة، و لكن من غير اليسير تطبيقها على مخرج (ط د ت) و مخرج (ص س ز) و ذلك لأن أصوات كل مجموعة متقاربة جدا و لم يميز بينها إلا الاختلاف في صفة واحدة. و قد قال المرعى عن (ط د ت): «الكل متشاركة في المخرج و الشدة، و يفترق الطاء عن الدال بالإطباق ... و يفترق الدال عن التاء بالهمس فقط، فلو لا الجهر لكانت تاء، و لو لا الهمس في التاء لكانت دالا» (٤). (١) شرح الشافية ٣ / ٢٥١.

(٢) المنح الفكرية ص ٩.

(٣) جهد المقل ٥ و.

(٤) جهد المقل ١٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٥٩

### ٣- ترتيب الحروف التي تشترك في مخرج واحد:

و القضية الأخرى التي شغل بها علماء التجويد كثيرا، هي قضية ترتيب الحروف التي تخرج من مخرج واحد، فقول سيويه: (و من أوسط الحلق العين و الحاء) «١» هل يعنى أن العين قبل الحاء أو أنه لم يقصد بينهما ترتيبا؟ و قد كان أبو الحسن على بن محمد بن خروف (ت ٦٠٦ هـ على خلاف) قد قال: «إن سيويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد» (٢).

و كان أبو حيان قد قال: «و ظاهر كلام سيويه أن الحاء بعد العين، و هو نص كلام مكى ابن أبى طالب. و يظهر من كلام المهدي أن العين بعد الحاء، و هو نص أبى الحسن شريح» (٣). و نقل ابن الجزرى كلام أبى حيان في كتابه النشر (٤). و قد قال الدكتور إبراهيم أنيس أن هذا الخلاف وهمى، و أن التجارب الحديثة قد دلت على أن لكل صوتين من أصوات الحلق حيزا معينا، يحلان فيه معا دون ترتيب لأحدهما على الآخر، و أيد كلامه بقول ابن خروف السابق (٥).

السؤال الآن: هل الخلاف في ترتيب الحروف التي تنتج من مخرج واحد خلاف وهمى، فيكون علماء التجويد قد أخطئوا في هذا الموضوع جملة و تفصيلا؟.

إن وسائل دراستنا محدودة لا تعدو الملاحظة الذاتية، مع الاستفادة من النتائج التي توصل إليها دارسو الأصوات من المحدثين. فإذا كانت (التجارب الحديثة) قد دلت على خطأ موقف علماء التجويد، فنحن لا نملك بالملاحظة الذاتية فقط أن نثبت العكس في موضوع دقيق جدا، لأن علماء التجويد حين قالوا بأن العين قبل الحاء مثلا كانوا يدركون التقارب الشديد بينهما، و من ثم نشأت تلك الآراء الثلاثة: (قبل - مع - بعد). و لو لا ما عثرنا عليه من نصوص لبعض علماء التجويد حول الموضوع لاكتفينا بما دلت عليه التجارب الحديثة، لكن تلك النصوص لا تسمح للباحث المدقق أن يمر عليها دون أن يتساءل عن الأسس التي بنيت عليها، و عن مقدارها من الصحة.

كان محمد المرعى قد قال و هو يتحدث عن الظاء و الذال و التاء: «فاللسان يقرب إلى (١) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٢) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. و ابن الجزرى: النشر ١ / ١٩٩.

(٣) ارتشاف الضرب ص ٢.

(٤) النشر ١ / ١٩٩٠.

(٥) الأصوات اللغوية ص ١١٤-١١٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٠

الخارج في الثاء أكثر مما يقرب في أختيها، و يقرب إليه في الذال أكثر مما يقرب في الظاء» (١).

و هذا النص يكشف لنا عن ظاهرة دقيقة تخص الأصوات التي تشترك في مخرج واحد، و هو يتعلق بأصوات يمكن مراقبته إنتاجها بالنظر من دون حاجة إلى أجهزة، فنحن نلاحظ ما لاحظته المرعشى، فيكفي المرء أن يردد (ظ- ذ- ث) ليكتشف ذلك التدرج في اندفاع طرف اللسان مع هذه الأصوات التي تخرج من مخرج واحد، و يمكن الاستعانة بمرآة في أثناء النطق بتلك الأصوات لكي يلاحظ الناطق حركة طرف اللسان في تقدمه مع الثاء و تراجع مع الذال، ثم تراجع أكثر من ذلك مع الظاء، و يشترط في أثناء إجراء هذه التجربة أن ينطق الأصوات الثلاثة بنفس واحد، غير فاصل بينها بصوت آخر من همزة الوصل أو غيرها، حتى يتمكن من ملاحظة حركة اللسان بوضوح دون مؤثرات خارجية، و سواء بدأ بالظاء و انتهى بالثاء أم بالعكس.

و يمكن أن نفسر تلك الظاهرة من خلال ظاهرتي الجهر و الهمس، و الإطباق و الانفتاح، فالثاء حرف مهموس يحتاج نطقه إلى ضغط النفس في مخرجه على نحو أكثر مما يحتاج في نطق الذال الذي يتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء النطق به، فتحصل النغمة الصوتية التي تجعل الصوت المجهور أوضح من المهموس فلا يحتاج الناطق إلى ضغط الهواء في مخرجه بقدر ما يحتاج في المهموس، فيخرج نفس المجهور من مخرجه فاترا. و قد ذكرنا من قبل أن نفس الصوت المهموس كثير، و نفس المجهور قليل. و هذا يعني أن النفس في الصوت المهموس يجذب طرف اللسان إلى الخارج لشدة الضغط معه أكثر مما يجذبه الصوت المجهور لضعف النفس معه قياسا بنفس المهموس. فاللسان إذن يقرب إلى الخارج في الثاء أكثر مما يقرب في الذال.

أما الظاء فإنه صوت مطبق، و الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، في أثناء النطق بالصوت المطبق (٢). ففي حالة النطق بالظاء يرتفع طرف اللسان و أقصاه نحو الحنك و يتقعر وسطه (٣). و الذال هو الصوت المنفتح المقابل للظاء. و ليس بينهما من فرق سوى الإطباق. و يبدو أن اندفاع ظهر اللسان من جهة أقصاه مع الظاء جعل طرفه يتقاصر عن موضع الذال شيئا قليلا و من ثم لاحظ المرعشى أن طرف اللسان يقرب إلى الخارج مع الذال أكثر مما يقرب مع الظاء. (١) جهد المقل ٩ ظ.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤ / ٤٣٦، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ ظ.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦١

و نخرج من هذا الكلام بنتيجة خلاصتها أن الأصوات التي تخرج من مخرج واحد يمكن أن ترتب في داخل ذلك المخرج على أساس أن الصوت المهموس يكون متقدما نسبيا على الصوت المجهور، و أن الصوت المنفتح يكون متقدما على الصوت المطبق. و ذلك التمايز بين أصوات المخرج الواحد يكون جزئيا و دقيقا بحيث لا يحمل الدارس على جعل مخرج مستقل لكل صوت من تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد.

و يبدو أن تلك الظاهرة هي التي جعلت المرعشى يذهب إلى تقسيم المخارج إلى مخارج كلية و مخارج جزئية (١). و سار على هذا المبدأ في كلامه على مخارج الحروف العربية، فقال عن المخرج الأول: «أقصى الحلق يخرج منه همزة فهاء، أعنى أنه ينقسم إلى مخرجين متقاربين يخرج من أولهما مما يلي الصدر الهمزة، و من ثانيهما الهاء. و هكذا الفاء الداخل على الحروف فيما سيأتي يدل على الترتيب في المخارج الجزئية الداخلة في مخرج كلي» (٢).

فإذا صح ما ذهبنا إليه في تفسير كلام المرعشى أمكننا القول بأن اختلاف علماء التجويد في ترتيب الحروف التي هي من مخرج واحد مثل العين و الحاء، و الغين و الخاء، ليس وهميا، بل هو مبني على ملاحظة دقيقة جدا لحالة تلك الأصوات في مخارجها. و الدليل

على ذلك ما لاحظناه في نطق (ظ ذ ث). ويمكن أن نجرى القاعدة السابقة في ترتيب أصوات المخارج الواحد على جميع أصوات المخارج الأخرى، وأن نقول أن من ذهب إلى أن العين مقدم على الحاء، وأن الغين مقدم على الخاء فإن قوله هذا مبني على أساس صوتي صحيح، وعسى أن تثبت التجارب في مختبرات الصوت صحة ما ذهب إليه بعض علماء التمجيد في هذا الموضوع.

أما تقديم الهمزة على الهاء، وهما تخرجان من أقصى الحلق (الحنجرة)، وهو أول المخارج، فلعله مبني على أساس أن الهمزة حرف شديد (انفجاري) وهو بذلك آني غير ممتد، وأن الهاء حرف رخو (احتكاكي)، وهو بذلك يكون زمانيا ممتدا، فالهمزة تنتج بانطباق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما بعد حصر النفس خلفهما لحظة، بينما تنتج الهاء بتباعد الوترين، فيتسرب الهواء خلال فتحة المزمار، ولا بد حينئذ من تكلف إظهار الهاء بدفع النفس بقوة خلال الفتحة الكائنة بين الوترين، حتى يحدث الحفيف الذي يمكن أن تسمع به الهاء «٣». (١) جهد المقل ٥ و.

(٢) جهد المقل ٧ و.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨٩ و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١٦٢

فلعل استمرار اندفاع تيار النفس خلال فتحة المزمار عند نطق الهاء وامتداده عبر تجويف الحلق جعل علماء العربية و علماء التمجيد يحسون أن الهمزة أعمق من الهاء، وأن الهاء متراخية عنها، وإن كان الصوتان ينطلقان من منطقة الوترين، وذلك بتأثير طريقة نطق كل منهما.

#### ٤- أصول مخارج الحروف:

اتجه بعض علماء التمجيد إلى تقسيم مخارج الحروف إلى مجموعات، وذلك طبقاً لتقسيم أعضاء آلة النطق إلى أقسام رئيسية، و كل قسم يضم عدداً من المخارج، ويبدو أن هذا الاتجاه جاء من أجل تيسير فهم العلاقات الصوتية بين مجموعات الحروف. ويمكن للدارس أن يلمح مثل هذا المعنى في كلام سيبويه عن المخارج، لكنه لم يعن بالنص على ذلك في أول كلامه على مخارج الحروف.

وتتراوح أقسام المخارج الكبرى التي يذكرها علماء التمجيد بين ثلاثة وستة ويمكن أن تكون ثمانية وذلك بضم بعض الآراء إلى بعض. فهي عند مكى ثلاثة، قال: «اعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة: الحلق والقم والشفتان» (١). ويقصد بالقم المكان الذي يسترخى فيه اللسان وما يتصل به أثناء حركته. وقد استخدم ابن الطحان كلمة (اللسان) مكان (القم) حيث قال: «و هي الحلق واللسان والشفتان» (٢).

وقسم أحمد بن أبي عمر المخارج إلى ستة أقسام حيث قال: «و مخارج حروف العربية ستة عشر، و هي على ستة أقسام: حروف الحلق، و حروف أقصى اللسان، و حروف وسط اللسان، و حروف حافة اللسان، و حروف طرف اللسان، و حروف الشفتين» (٣). و كان الداني قد سار على هذا التقسيم في كتاب (الإدغام الكبير)، فتحدث أولاً عن حروف الحلق «٤». ثم تحدث عن حروف اللسان، و قد قال عنها: «و تنقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان و وسطه و طرفه و حافته» (٥). ثم تحدث عن حروف الشفتين «٦». و قد اتبع الداني في كتاب (١) الكشف ١ / ١٣٩.

(٢) مرشد القارئ ١٢٨ ظ.

(٣) الإيضاح ٧٢ ظ.

(٤) الإدغام الكبير ٩ و.

(٥) الإدغام الكبير ١١ ظ.

(٦) الإدغام الكبير ٢٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١٦٣

(التحديد) ذات التقسيم و لكن دون أن ينص عليه «١».

و أضاف المرادى (الخياشيم) إلى أقسام المخارج حيث قال: «و هي على اختلافها ترجع إلى أربعة أصول، و هي: الحلق، و اللسان، و الشفتان، و الخياشيم» «٢»، و سلك ابن بلان الحنبلى (محمد بن بدر الدين بن عبد القادر ت ١٠٨٣ هـ) نفس الطريق، لكنه أضاف إلى أقسام المخارج (الجوف) إلى جانب (الخياشيم) فذكر خمسة أقسام على هذا النحو: «أصول هذه المخارج خمسة، و هي: الجوف، و الحلق، و اللسان، و الشفتان، و الخيشوم» «٣». و إضافة (الجوف) تعكس ما ذهب إليه المتأخرون من علماء التمجيد من تخصيص مخرج مستقل لحروف المد هو الجوف.

و تصير الأقسام الرئيسة للمخارج التى ذكرها علماء التمجيد ثمانية أقسام، هي: الحلق، و أقصى اللسان، و وسط اللسان، و حافة اللسان، و طرف اللسان، و الشفتان، و الخياشيم، و الجوف.

و يقرب من ذلك ما كان الخليل بن أحمد قد أورده فى مقدمه كتاب العين من ألقاب الحروف، فإن كل لقب منسوب إلى قسم من أعضاء آلة النطق، و هو يمثل مخرجا أو أكثر من مخارج الحروف العربية، و قد جعلها تسعة أقسام، هي: حلقية، و لهوية، و شجرية، و أسلية، و نطعية، و لثوية، و ذلقية، و شفوية، و هوائية (جوفية) «٤». و كان بعض علماء التمجيد قد أورد مصطلحات الخليل فى ألقاب الحروف إلى جانب غيرها من مصطلحات الدراسة الصوتية الموروثة عن سيبويه و غيره من علماء العربية «٥»

#### ٥- طريقة ترتيب المخارج:

و نلاحظ أن علماء العربية و علماء التمجيد حين يذكرون مخارج الحروف يرتبونها ترتيبا تصاعديا يبدأ بأقصى نقطة فى آلة النطق، و هي التى يسمونها (أقصى الحلق)، ثم يتدرج صاعدا حتى ينتهى بالشفيتين. و قد عزف كثير من دارسى الأصوات العربية المحدثين عن هذا الترتيب، و اتبعوا الترتيب المعاكس له الذى يبدأ بالشفيتين و ينتهى بأقصى الحلق (الحنجرة)، و هم (١) التحديد ١٦ و- ١٧ و. (٢) المفيد ١٠١ و.

(٣) بغية المستفيد ٥٤ ظ.

(٤) العين ١/ ٥٨، و انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة ١/ ٤٨.

(٥) انظر: مكى: الرعاية ص ١١٣، و أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٣ و. و العطار: التمهيد ١٤٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١٦٤

يقلدون فى ذلك علماء الأصوات الغربيين الذين اتبعوا الترتيب الذى يبدأ بالشفيتين و ينتهى بأقصى الحلق (الحنجرة) «١».

و نحن لا- نرى مجرد اتباع علماء الأصوات الغربيين لترتيب معين لمخارج الحروف مسوغا للعدول عن الترتيب الذى سارت عليه جماهير علماء العربية و علماء التمجيد، إضافة إلى أن كلا الترتيبين يؤدي إلى نتيجة واحدة، ففضية ترتيب المخارج مثل أى قضية ذات طرفين، يمكن دائما أن تبدأ من أى من الطرفين لتصل إلى الطرف الثانى.

و لم تكن هذه القضية فى ترتيب المخارج لتغيب عن علماء التمجيد، فبينوا أن هناك طريقتين لترتيب المخارج، و أن جمهور علماء العربية و التمجيد اختاروا البدء بالأقصى دون الأدنى لأن مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الإنسان، و أن أول نقطة يمكن أن ينتج فيها صوت لغوى اعتبروها أول المخارج، و هي أقصى الحلق (الحنجرة).

قال أبو بكر أحمد بن الجزرى فى كتابه (الحواشى المفهومة فى شرح المقدمه): «كل مقدار له نهايتان، أيها فرضت أوله كان مقابلها آخره. و لما كان وضع الإنسان على الانتصاب لزم منه أن يكون رأسه أوله و رجلاه آخره، و إذا كان كذلك كان أول المخارج



الشفيتين و أولهما مما يلي البشرة، و ثانيهما اللسان و أوله مما يلي الأسنان و آخره مما يلي الحلق، و ثالثهما الحلق و أوله مما يلي اللسان و آخره مما يلي الصدر، و لو كان وضع الإنسان على التنكيس لانعكس.

و لما كان مادة الصوت الهواء الخارج من داخل كان أوله آخر الحلق و آخره أول الشفتين. فرتب الناظم رحمه الله (يعنى أباه محمد بن الجزرى مؤلف المقدمة الجزرية) الحروف باعتبار الصوت وفاقا للجمهور «٢». و قد نقل هذا النص عدد من علماء التجويد «٣».

و لا نعلم أن أحدا من علماء العربية أو علماء التجويد اتبع ترتيب المخارج الذى يبدأ بالشفيتين و ينتهى بالحلق. و لكن جاء فى كلام المرعشى حول الموضوع ما يفهم منه أن بعض العلماء سار عليه فى ترتيب المخارج، و هذه عبارته «إن فى ترتيب المخارج اعتبارين:

(١) انظر: كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٢ و ١١٧. و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩.

(٢) الحواشى المفهومة ١٣ ظ- ١٤ و.

(٣) انظر: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٨ و. و القسطلانى: اللئالى السنية ٧ ظ، و لطائف الإشارات (له) ١ / ١٨٩. و طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٧ ظ. و أبو الفتوح الوفاى:

الجواهر المضية ١٧ ظ. و على القارى: المنح الفكرية ص ١٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٥

أحدهما: و هو الذى أخذه الجمهور، و اختير فى هذه الرسالة أن يكون أول المخارج أقصى الحلق و آخرها خارج الشفتين.

و الآخر: أن يكون أول المخارج خارج الشفتين و آخرها أقصى الحلق، و هو الذى اختاره بعض العلماء، هكذا قاله البعض «١». و قال فى مكان آخر: «أول المخارج حينئذ مخرج الواو و آخرها مخرج الهمزة» «٢».

و يذهب دارسو الأصوات العربية من المحدثين الذين يبدؤون بترتيب المخارج من الشفتين إلى أن للأصوات العربية أحد عشر مخرجا «٣». و يتركز الاختلاف بينهم و بين علماء العربية و التجويد فى أنهم يعدون عددا من الأصوات من مخرج واحد بينما بعدها علماء

العربية و التجويد من مخرجين أو أكثر، لا- سيما حروف طرف اللسان، أو أنهم لا- يعتبرون بعض المخارج أصلا، مثل مخرج النون الخفية، و هذه اتجاهات كانت معروفة لدى علماء التجويد قديما. كما يتنا ذلك قبل قليل حين وضحنا تقسيمهم للمخارج إلى

مجموعات رئيسية، و هو عمل لا يختلف عنه كثيرا ما فعله دارسو الأصوات العربية من المحدثين، لا سيما إذا علمنا أن بعض المحدثين يعتبر مخارج الحروف العربية الرئيسة تسعة مخارج «٤».

و لا- يهمننا تتبع ذلك الاختلاف هنا، لأنه لا يعدو أن يكون شكليا أو لفظيا، بقدر ما يهمننا بيان الاختلاف فى تعيين مخارج بعض الحروف بين علماء التجويد و دارسى الأصوات العربية من المحدثين. و هو ما سنحرص على الوقوف عنده فى الفقرة الآتية من هذا

المبحث، حين نفصل القول فى مخارج الحروف العربية، مع محاولته بيان الأسباب التى أدت إلى ذلك الاختلاف، و هل ترجع إلى تطور الأصوات العربية، أو إلى خطأ أحد الفريقين أعنى علماء التجويد و المحدثين، أو أنه اختلاف يرجع إلى التكلف فى ذوق

الحروف على حد قول المرعشى: «إن الكلام على المخارج على حسب استقامة الطبع لا- على التكلف، فاختلاف العلماء فى ترتيب المخارج اختلاف فى حكم الطبع المستقيم» «٥». (١) بيان جهد المقل ٩ و.

(٢) المصدر نفسه ١٢ و.

(٣) انظر: محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٢، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩.

(٤) جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٥) بيان جهد المقل ١٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٦



## ثالثاً- بيان مخارج الحروف العربية عند علماء التجويد:

## ١- حروف الحلق:

قال سيويه: «و لحروف العربية ستة عشر مخرجا. فللحلق منها ثلاثة:

فأقصاها: الهمزة و الهاء و الألف.

و من أوسط الحلق مخرج العين و الحاء.

و أذناها مخرجا من الفم: الغين و الخاء» (١).

ظل كلام سيويه هو الأساس الذي استندت إليه دراسات علماء العربية و علماء التجويد في الأصوات، و لا يزال كلام سيويه صحيحا منطبقا على واقع الدرس الصوتي في كثير من جوانبه، و لم يكتف علماء التجويد بترديد كلام سيويه في المخارج و تفسيره، بل إنهم حاولوا مناقشة بعض و جهات نظره مما يحتمل المناقشة، و من ذلك إخراج الألف من حروف الحلق فإن كثيرا من علماء التجويد اعتبروا حروف الحلق ستة، و أخرجوا الألف منها. و هذا اتجاه ينسب إلى أبي الحسن شريح بن محمد الرعيني الإشبيلي (ت ٥٣٩ هـ)، فقد قال: «إن الألف هوائية لا مخرج لها» (٢). و لعله ذهب هذا المذهب في كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن)، الذي لم نطلع عليه، و قد قلده في ذلك كثير من علماء التجويد، حتى انتهى أصحاب هذا المذهب إلى القول بأن حروف المد الثلاثة: الألف و الواو و الياء المسبوقة بحركة تجانسها لها مخرج على حدة سموه الجوف (٣). و كان الخليل قد قال قديما: الألف و الواو و الياء هوائية (٤). لكن علماء التجويد ميزوا بين نوعين من الواو و الياء. و هما المدية و غير المدية، فالمدية من الجوف و غير المدية من مخارجها التي ذكرها سيويه.

و إخراج الألف من حروف الحلق تؤيده الدراسة الصوتية الحديثة (٥)، باعتبار أن الألف من الأصوات الذائبة، بحسب تعبير بعض علماء التجويد، أو الصائتة (أو المصوتة) بحسب (١) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٢) انظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٢، و المرادى: شرح التسهيل ٣٠٣ ظ.

(٣) انظر: ابن الجزري: النشر ١/ ١٩٩.

(٤) العين ١/ ٥٨.

(٥) انظر: حسن ظاظا: كلام العرب ص ١٦، و حسام النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ص ٣٠٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٧

تعبير بعض علماء الأصوات المحداثين، التي تتميز بأن الهواء يمر في أثناء النطق بها حرا طليقا خلال الحلق و الفم دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، و دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا (١).

و نجد في كلام بعض علماء التجويد ما يفسر إدراج سيويه للألف في حروف الحلق، فعبارة أقصى الحلق تعني عند علماء العربية و علماء التجويد الحنجرة، التي تتضمن الوترين الصوتيين، اللذين تشكل النغمة التي تنشأ عن تذبذبها جوهر صوت الألف، فنص المرعشي على أن أقصى الحلق هو مبدأ صوت الألف (٢). لكن الغالب هو أن تنسب الحروف إلى موضع التضيق لمجرى الهواء (المخرج)، لا إلى الأحداث الصوتية الثانوية التي تصاحب نطق الصوت مثل حالة الوترين الصوتيين (٣).

و قد نص علماء التجويد على أن «الهمزة أول الحروف خروجا و هي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر»، حسب عبارة مكى (٤). و قال الداني «من أول الصدر و آخر الحلق» (٥). و كل ذلك يشير إلى فتحة المزمار الكائنة بين الوترين الصوتيين، حيث ينطبق الوتران انطباقا تاما، حال النطق بالهمزة، فلا يسمحان للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم ينفر جان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوت الهمزة (٦).

## ٢- حروف أقصى اللسان:

قال سيويوه: «و من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. و من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا و مما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف» (٧).

و اتبع علماء التجويد خطى سيويوه في تحديد مخرجي القاف و الكاف «٨». مع بعض التوضيحات، مثل قول شريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩ هـ): إن القاف تخرج من أول اللهاة (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ٩٢. و انظر أيضا ص ١٢٢-١٢٣. (٢) جهد المقل ٧ و.

(٣) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٨.

(٤) الرعاية ص ١١٩.

(٥) التحديد ١٦ و.

(٦) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٩١، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٤٢.

(٧) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٨) مكى: الرعاية ص ١٤٥ و ١٤٧. و الداني: التحديد ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٨

مما يلي الحلق و مخرج الخاء «١». و كان السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) قد قسم اللهاة إلى قسمين:

الغلصمة و هي أول اللهاة من جانب الحلق، و العكدة و هي آخر اللهاة من جانب الفم و جعل القاف تخرج من الغلصمة و سماها غلصمية، و جعل الكاف تخرج من العكدة و سماها عكدية «٢». و سبق أن ناقشنا وجهة نظر السمرقندي هذه عند الحديث عن (اللهاة) في المبحث الأول الخاص بوصف أعضاء آلة النطق. و هي تؤدي إلى النتيجة نفسها التي يؤدي إليها مذهب غيره من العلماء، و هو القول بأن القاف تسبق الكاف.

و ذهب بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين إلى ترتيب آخر في توزيع مخارج الحروف الأربعة (غ خ ق ك). يتلخص في تقديم مخرج القاف على مخارج الحروف الثلاثة الأخرى، فتكون (غ خ ك) من أقصى الحنك، و تكون القاف من اللهاة أعمق من الحروف الثلاثة «٣». بينما ذهب بعضهم إلى اعتبار (غ خ ق) من اللهاة و ما يتصل بها من غشاء الحنك، مع إبقاء الكاف من أقصى الحنك «٤». و جرى بعض المحدثين على منهج علماء العربية في اعتبار الغين و الخاء من حروف أدنى الحلق إلى الفم، و اعتبار القاف من حروف اللهاة أو أقصى اللسان، و الكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم «٥».

و بالغ بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية في نسبة الغلط إلى علماء العربية و علماء التجويد في تحديد مخارج الحروف الأربعة (غ خ ق ك). فقد قال الدكتور تمام حسان في كلامه عن مخارج الحروف: «و المخارج التي نذكرها هنا تختلف إلى حد ما عن تلك التي توجد في علم التجويد و القراءات اختلافا اقتضاه منهج البحث الحديث، و سنشير عند كل نقطة من نقاط الخلاف بين هذه المخارج و تلك إلى وجه النقص الذي نراه في وجهة نظر النحاء و القراء «٦». ثم ذكر المخارج من وجهة النظر الحديثة فجعلها عشرة. و هذا ليس شيئا جديدا كما وضحنا ذلك في فقرة سابقة من هذا المبحث «٧»، و إنه اختلاف في الاصطلاح و ليس راجعا (١) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. و ابن الجزري: النشر ١/١٩٩.

(٢) روح المريد ١٢٥ و.

(٣) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٣، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٢.

(٤) جان كانتينو: دروس ص ٢٣.

(٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨٥ و ٨٨.

(٦) مناهج البحث في اللغة ص ٨٤.

(٧) انظر ص ١٦٤ من هذا البحث.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٦٩

إلى الغلط في تحديد المخارج.

ثم يستمر الدكتور تمام حسان في كلامه فيقول: «و لقد خلط النجاء العرب خلطا كبيرا في تحديد هذه المخارج، و حسبك أن ترى ابن الجزرى يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها ... ثم يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء و الغين و الكاف، و الطاء و الدال و التاء، فيقول: إن صوتي الخاء و الغين من أدنى الحلق إلى الفم، وراء مخرج القاف، مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف. و هو يجعل الكاف خلف القاف، و العكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء و الغين. ثم يقول: إن الأصوات الثلاثة الأخيرة نطعية، و يقصد أنها من نطق الغار، و نسميه في هذا الكتاب الغار، و الصحيح أنها أسنانية لثوية» (١).

إن الكلام الخاص بالأصوات الثلاثة (ط د ت) سوف يأتي في مكان لا حق من هذا المبحث إن شاء الله تعالى، و نقتصر هنا على ما يتعلق بالأصوات الأخرى (غ خ ك). و لكن لدينا ملاحظات تتعلق بكلام الدكتور تمام حسان السابق نذكرها قبل أن نناقش وجهة علماء الأصوات المحدثين في تحديد و ترتيب مخارج الحروف الأربعة.

الملاحظة الأولى هي أنه نسب الخلط و الغلط و التقصير في دراسة مخارج الحروف إلى علماء العربية و علماء التجويد قاطبة و هو لم يطلع على ما يبدو إلا على مصدر واحد، هو في الواقع ليس من المؤلفات الأساسية في الموضوع لدى الفريقين من علماء العربية و علماء التجويد، ذلك المصدر هو (النشر في القراءات العشر) لابن الجزرى، و هو كتاب في القراءات، مع أنه تضمن فصلا عن مخارج الحروف و صفاتها. و هذه حالة لا تسمح بذلك التعميم الذي تورط فيه الدكتور تمام حسان، و تتناقض مع منهج البحث الحديث الذي يتشبه به.

و الملاحظة الثانية هي أنه نسب إلى ابن الجزرى ما لم يقله، فابن الجزرى لم يخرج على الترتيب المشهور للحروف الأربعة (غ خ، ق ك) لدى علماء العربية و علماء التجويد. أما الدكتور تمام حسان فنفهم من عبارته، مع غموض دلالات (وراء- و أمام- و خلف) لديه، أنه ينسب إلى ابن الجزرى هذا الترتيب (غ خ ك ق) لمخارج هذه الأصوات الأربعة. و هذه عبارة ابن الجزرى نقلها بنصها: (١) مناهج البحث في اللغة ص ٨٥-٨٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٠

«المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، و هو للغين و الخاء، و نصّ شريح على أن الغين قبل. و هو ظاهر كلام سيويه أيضا، و نص مكي على تقديم الخاء، و قال الأستاذ أبو الحسن على بن محمد بن خروف النحوى: إن سيويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد. قلت:

و هذه الستة الأحرف المختصة بهذه الثلاثة المخارج هي الحروف الحلقية.

المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق و ما فوقه من الحنك، و هو للقاف.

و قال شريح: إن مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق و مخرج الخاء.

المخرج السادس: أقصى اللسان و من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا و ما يليه من الحنك، و هو للكاف. و هذان الحرفان يقال لكل منهما لهوى، نسبة إلى اللهاة، و هي بين الفم و الحلق» (١).

و هذا النص من الوضوح بحيث لا يمكن إلا أن يفهم منه أن ابن الجزرى يذهب في ترتيب الحروف الأربعة هذا المذهب (غ خ ق ك) فمن أين استخلص الدكتور تمام حسان ما نسبته إلى ابن الجزرى من أنه يذهب في ترتيبها هذا المذهب: (غ خ ك ق)؟ اللهم إلا

إذا فهم من قول ابن الجزرى عن الكاف بأنها (من أسفل مخرج القاف) أنها أعمق بينما يراد بكلمة (أسفل) أن الكاف أمام القاف من جهة الفم.

إن من الأمور المؤسفة أن يتصور بعض الباحثين أن أبحاثهم لن تجد لها مكانا مناسباً إلا إذا نسبوا التقصير إلى جهود سابقهم، بينهما المنهج القويم يقتضى منا أن نزن الأمور بميزان الحق، فلا نتورط بالأجزاء بجهود القدماء، ولا نفرط في الإطراء بها، بل يجب أن نبين مواضع التقصير بالتحديد، كما يجب ألا ننسى مواضع الإحسان والإجادة.

أمامنا الآن ثلاثة اتجاهات فى ترتيب مخارج الأصوات الأربعة، الأول: هو (غ خ - ق ك)، وهو يمثل مذهب علماء العربية و علماء التجويد، فالغين و الخاء من أدنى الحلق من جهة الفم مع ما يلى ذلك من أعلى الجدار الخلفى للحلق أو من اللهاة. ثم القاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى بما فى ذلك اللهاة، و من موضع أسفل من موضع القاف، إلى الأمام، مخرج الكاف. و كانوا يسمون الغين و الخاء حلقية، و القاف و الكاف لهوية.

و الاتجاه الثانى: ينحو هذا المنحى فى ترتيبها: (ق / غ خ ك). فتكون القاف لهوية، و تكون الأصوات الثلاثة الأخرى من أقصى الحنك. (١) النشر ١ / ١٩٩ - ٢٠٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧١

و الاتجاه الثالث: ينحو هذا المنحى فى ترتيبها: (ق غ خ / ك).

و يبدو أن الفصل بين مخرج القاف، و مخرج الغين و الخاء أمر غير يسير، و ليس فى أيدينا من الوسائل الآن ما يمكن أن نحدد من خلاله موقع القاف منهما. و كل ما تهدينا إليه الملاحظة الذاتية الآن هو أن نحافظ على ترتيب علماء العربية و علماء التجويد لهذه الحروف الثلاثة، مع احتمال كبير فى أن يكون للهاة دور فى إنتاج الغين و الخاء إلى جانب الجزء الأعلى من الحلق، و هو ما يعبر عنه بأدنى الحلق من الفم. و هذا ينطبق على الاتجاه الأول كما أنه لا يتعد عن الاتجاه الثالث إذا اعتبرنا أن (ق غ خ) تخرج من مخرج واحد.

أما الاتجاه الثانى الذى يجعل مخرج القاف من اللهاة، و مخرج الحروف الثلاثة الأخرى من أقصى الحنك إلى الأمام من مخرج القاف فإن الملاحظة الذاتية تدلنا على عدم دقته و ذلك لاستحالة الجمع بين الكاف و الغين و الخاء فى مخرج واحد، و هى ملاحظة تنبنى على أساس مما ذكره سيوييه فى الكتاب، و هو أمر غفل عنه الدارسون المحدثون الذين أخذوا بهذا الاتجاه، قال سيوييه، و هو يتحدث عن القاف و أنها من أقصى اللسان، و لم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، بل تصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى: «و الدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: قق قق، لم تر ذلك مخلا بالقاف، و لو فعلته بالكاف و ما بعدها من حروف اللسان أدخل ذلك بهن» (١).

و عند تطبيق هذه التجربة المبنية على الملاحظة الذاتية نجد أن الكاف تختفى فلا يمكن أن ننطق بها مع فتح الفم إلى أقصاه، و هو ما عبر عنه سيوييه بقوله: (جافيت بين حنكيك)، و يمكن فى نفس الوقت نطق القاف و الغين و الخاء، و هذا يدل على أن مخرج الغين و الخاء ليس قريبا من مخرج الكاف، و إلا اختل كما اختل مخرج الكاف.

و يبقى بعد ذلك أمر القاف و الغين و الخاء متداخلا إلى حد كبير، و لكن يترجح لدى أن الغين و الخاء أعمق من القاف، و أن مخرجهما يحاذى التجويف الحلقى، بينما يحاذى مخرج القاف أقصى الحنك الأعلى، و لنا فى موقف القراء من إخفاء النون قبل هذه الحروف الثلاثة دليل على ما نحن بصدده، فأكثر القراء يظهرون النون قبل الغين و الخاء، و لم يخفها معهما إلا نفر قليل جدا من القراء (٢). بينما لم يختلف فى وجوب إخفاء النون قبل القاف. و هو أمر قد (١) الكتاب ٤ / ٤٨٠.

(٢) انظر: الدانى: التحديد ٢٠ و. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٢

يدل على أن القاف أقرب إلى الفم من الغين و الخاء. و قد يما قال السيرافي «فصار الغين و الخاء حيزا مفردا بين حروف الحلق و حروف الفم ... و أنهما حيز لا يختلط بحروف الحلق و لا حروف الفم في الإدغام» (١).

### ٣- حروف وسط اللسان:

قال سيويوه: «و من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم و الشين و الياء» (٢). هذا هو الاتجاه الأساسي في وصف مخرج الأصوات الثلاثة لدى علماء التجويد (٣). و لكن لهم ملاحظة و هي أنهم يصفون الياء بأنها (غير المدية) (٤). و قال ابن الطحان (الجيم و الشين و الياء الحية) (٥). و هذا مصطلح استخدمه بعض العلماء في مقابل (الياء الميتة)، أي أن (الياء) التي تخرج من هذا المخرج هي الياء الجامدة. أما الذائبة (الميتة) فلها مخرج آخر. و سنناقش في المبحث الخاص بالأصوات الذائبة مصطلح (الحيه و الميتة).

و تنسب بعض المصادر إلى المهدي (أبي العباس أحمد بن عمارت بعد ٤٣٠ هـ) أنه يذهب إلى أن الشين تلي الكاف، و أن الجيم و الياء يليان الشين (٦). لكن علماء الأصوات من المحدثين يرون أن مخرج الياء يتقدم على مخرجي الجيم و الشين (٧). على أن بعضهم يصرح بقوله: «و يجب أن نعلم أن بين الياء و بين الجيم و الشين قريبا شديدا في المخرج، حتى إن بعض الدارسين سمى هذه الأصوات الثلاثة أصوات وسط الحنك» (٨).

و يبدو أن ما نسبته المرعشي إلى مكي من أنه «قدم في الرعاية الشين على الجيم» (٩).

مبنى على الناحية الشكلية فقط، فالوارد في كتاب الرعاية يشير إلى أن مكي يعد الحروف الثلاثة من مخرج واحد و لكنه حين أراد الحديث عن الخصائص الصوتية لكل حرف كان لا بد (١) شرح كتاب سيويوه ٥١١/٦ - ٥١٢. (٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) الداني: التحديد ١٦ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ.

(٤) ابن الجزري: النشر ١/٢٠٠، و علي القاري: المنح الفكرية ص ١١.

(٥) مرشد القارئ ١٢٩ و.

(٦) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٣. و ابن الجزري: النشر ١/٢٠٠.

(٧) انظر التفصيل: حسان النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ص ٣٠٨.

(٨) كمال محمد بشر: الأصوات ١١٣.

(٩) جهد المقل ٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٣

من أن يقدم بعضها على بعض، فبدأ بالشين، ثم الجيم، ثم الياء. و نجده مع ذلك يقول عن مخارجها: «الشين تخرج من المخرج الثالث من مخارج الفم بعد مخرج الكاف من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك» (١). ثم يقول: «الجيم تخرج من مخرج الشين» (٢) و بعد ذلك يقول: «الياء تخرج من مخرج الشين و الجيم المذكورين، و هو المخرج الثالث من مخارج الفم» (٣).

### ٤- حروف حافة اللسان:

قال الداني: «و لحافة اللسان مخرجان و حرفان، و هما الضاد و اللام» (٤).

أما الضاد فقد قال سيويوه: «و من بين أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس مخرج الضاد» (٥). و قال علماء التجويد: «فالضاد من بين

أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس، فبعض الناس يجرى له في الشدق الأيمن، و بعضهم يجرى له في الشدق الأيسر، و مخرجها من هذا كمخرجها من هذا» «٦». و الإضافة التي وردت في قول علماء التجويد حول بيان مخرج الضاد أصلها وارد في كتاب سيوييه أيضا، و ذلك حين تحدث سيوييه عن الضاد الضعيفة «٧».

و ذكر أبو شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) في شرح الشاطبية أن «منهم من يجعل مخرج الضاد قبل الجيم و الشين و الياء» «٨». و كان الخليل بن أحمد قد قال: «الجيم و الشين و الضاد في حيز واحد». و سماها شجرية لأن مبدأها من شجر الفم، و هو مفرجه «٩». و كان سيوييه قد ذكر (الضاد) قبل الجيم حين رتب الحروف (... ك ض ج ش ي ...) «١٠». لكنه أخرها عن حروف وسط اللسان (ج ش ي) حين تحدث عن المخارج. و صحح ابن جنى ترتيب سيوييه (١) الرعاية ص ١٤٩.

(٢) الرعاية ص ١٥٠.

(٣) الرعاية ص ١٥٣.

(٤) التحديد ١٧ و. و الإدغام الكبير (له) ١٢ و. و أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٢ ظ.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٦) الداني: التحديد ١٧ و. و انظر: مكى: الرعاية ص ١٥٨، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ، و ابن الجزرى: النشر ١ / ٢٠٠.

(٧) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٨) إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٤.

(٩) العين ١ / ٥٨.

(١٠) الكتاب ٤ / ٤٣١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٤

للحروف فجعل الضاد بعد الياء لينسجم ذلك مع ترتيب المخارج «١». و كذلك فعل بعض علماء التجويد «٢». و نص بعض علماء التجويد أن مخرج الضاد بعد مخرج الياء «٣». فيكون ترتيب المخارج على رأى جمهور علماء العربية و علماء التجويد هو (... ك ج ش ي ض ...).

و الوصف السابق لمخرج صوت الضاد إنما ينطبق على الضاد العربية القديمة، التي استحال في ألسنة الناطقين بالعربية اليوم إلى عدة أصوات لا ينطبق عليها جميعا الوصف المتقدم لمخرج الضاد، و سوف ناقش هذه القضية حين نستوفى الحديث عن صفات الحروف. أما اللام فقد قال سيوييه: «و من حافة اللسان من أذناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى، [مما فويق الضاحك و الناب و الرباعية و الثنية مخرج اللام] «٤».

و لم يجد علماء العربية و لا علماء التجويد مجالا لأى زيادة على كلام سيوييه من أجل توضيح مخرج اللام، بل إن بعضهم حاول أن يختصر عبارة سيوييه، فقال: «و من أذنى الحافة و هو أقربها إلى طرف اللسان و بين الحنك تخرج اللام» «٥». و قال غيره: «اللام من طرف اللسان و أصول الثنايا» «٦». و كذلك فعل المحذون من علماء الأصوات، فقالوا: «يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا» «٧».

و كان ابن الحاجب يرى أنه يكفى في تحديد مخرج اللام ذكر الثنايا فقال: «و كان ينبغي أن يقال فوق الثنايا»، لكنه اعتذر عن ذلك بقوله: «على أن الناطق باللام تنبسط جوانب طرفى لسانه مما فوق الضاحك إلى الضاحك الآخر، و إن كان المخرج في الحقيقة ليس إلا فوق (١) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٠.

(٢) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ و.

(٣) المرعى: جهد المقل ٧ ظ.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٣، و ما بين المعقوفين سقط من طبعه عبد السلام هارون، و أثبتته من طبعه بولاق ٢/ ٤٠٥.

(٥) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ و.

(٦) مكى: الكشف ١/ ١٣٩. و انظر: الأسترآبازى: شرح الشافية ٣/ ٢٥٠.

(٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٥. و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٥. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٦. و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٥

الثنايا، وإنما ذلك يأتي لما فيها من شبه الشدة و دخول المخرج فى ظهر اللسان، فينبسط الجانبان لذلك، فلذلك عدد الضاحك و الناب و الرباعية و الثنية» (١). و نقل أبو شامة المقدسى كلام ابن الحاجب (٢).

و قال المرعشى فى تحديد مخرج اللام: «ما بين حافتي اللسان معاً، بعد مخرج الضاد، و ما يحاذيهما من اللثة العليا، و هى لثة الضاحكين و النابين و الرباعيتين و الثنيتين يخرج منه اللام، و رأس اللسان داخل فى مخرجه» (٣). و قال ملخصاً ذلك بعبارة أوجز: «فمخرج اللام ما بين حافتي اللسان مع رأسه و بين ما يحاذى الجميع من اللثة العليا» (٤). ثم تحدث عن طول مخرج اللام فقال: «و ليس فى الحروف أوسع مخرجا منه لطوله كما ترى لكنه مقوس و لمّا لم يكن طول مخرجه إلى سمت جريان الصوت بل معترضا على سمت الجريان لم يوجب طول مخرجه طول صوته» (٥).

و يتميز اللام بأن الصوت معه لا يخرج من الموضع الذى يلتقى فيه العضوان، بل يخرج من حافتي اللسان (أى جانبيه) و طرف اللسان لازم لموضعه، أثناء ذلك، و قد أدرك علماء العربية و علماء التجويد هذه الخاصية للام، فكان سيبويه قد قال عن اللام بأنه «ليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا- يتجافى فى موضعه. و ليس يخرج الصوت من موضع اللام و لكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك» (٦). و قال عبد الوهاب القرطبي: «اللسان ينحرف فيه مع الصوت، و تتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين و مما فويقهما» (٧). و لذلك سمي اللام الصوت المنحرف.

## ٥- حروف طرف اللسان:

### إشارة

قال الدانى: «و طرف اللسان له خمسة مخارج، و أحد عشر حرفاً». و هى: ر- ن- ط د ت- ص ز س- ظ ذ ث (٨). و قد سمي بعض المحذثين حروف طرف اللسان (المجموعة (١) الإيضاح فى شرح المفصل ٢/ ٤٨٠-٤٨١).

(٢) إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٤.

(٣) جهد المقل ٨ و.

(٤) بيان جهد المقل ١٠ ظ.

(٥) المصدر نفسه ١٠ ظ.

(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٧) الموضح ١٥٧ و.

(٨) الإدغام الكبير ١١ ظ، و التحديد ١٦ ظ، و انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٦



الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج) وقال عنها: «ووجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان، بما فيه طرفه، و الثنايا العليا، بما فيها أصولها» (١).

### (أ) الراء والنون:

حدد سيبويه مخرجهما بقوله: «[و من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا مخرج النون. و من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج الراء]» (٢). و الكلام عن مخرجي الراء و النون يقتضى بيان أمرين: الأول تحديد مخرجيهما، و الثانى تحديد أيهما قبل الآخر. أما مخرج النون فإن علماء التجويد حافظوا على عبارة سيبويه فى بيانه، و لكنهم أضافوا إضافة قيمة تتعلق بإخراج النون، و هى الربط بين مخرجه فى الفم باعتماد طرف اللسان على ما فويق الثنايا العليا، و بين خروج النفس فى أثناء ذلك من الخيشوم. قال الدانى: «و النون من طرف اللسان، بينه و بين ما فويق الثنايا العليا، و يتصل بالخياشيم». و قال أيضا: «فأما النون المتحركة فمخرجه من الفم مع صوت من الأنف» (٣).

و قال المرعى معلقا على النون و الميم فى (عن و لم): «فإن كلما من النون و الميم الساكتين هنا مركب من صوتين: صوت ذاته و [هو] صوت جار فى داخل الفم ينقطع فى مخرج النون و الميم، و قد عرفت مخرجيهما. و صوت صفته و هو صوت جار فى الخيشوم» (٤).

و لم يكن سيبويه غافلا عن صوت الخيشوم الذى يجرى مع النون، الذى يسميه الغنة، لكنه أشار إليه فى معرض حديثه عن صفات الحروف، و لم يذكره مقترنا ببيان مخرج الحرف. فقال: «و منها حرف شديد يجرى معه الصوت، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٦.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٣. و ما بين المعقوفين سقط من طبعة عبد السلام هارون، و أثبتته من طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥.

(٣) التحديد ١٦ ظ، ١٧ و. و انظر: الإدغام الكبير (له) ١٢ و. و أحمد ابن أبى عمر: الإيضاح ٧٢ ظ.

(٤) بيان جهد المقل ١٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٧

من أنفك و اللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. و هو النون، و كذلك الميم» (١). و عبارة سيبويه (فويق الثنايا) استبدل بها بعض علماء التجويد كلمة (اللثة) (٢). قال محمد المرعى: «المخرج التاسع ما بين رأس اللسان و ما يحاذيه من اللثة، و هى لثة الثنتين العلين يخرج منه النون المظهرة...» (٣). و لم يستخدم سيبويه كلمة (اللثة) و هو يبين مخارج الحروف.

أما مخرج الراء فلم يزد علماء التجويد على ما ذكره سيبويه إلا اليسير، قال الدانى:

«و الراء من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا العليا غير أنه أدخل من النون فى ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام» (٤) و قال محمد

المرعى: «ما بين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه، و ما يحاذيهما من اللثة، و هى لثة الثنتين العلين أيضا يخرج منه الراء» (٥).

و ما ورد فى بيان مخرج الراء عند سيبويه و عند علماء التجويد يثير قضية ترتيب مخرجى هذين الحرفين و أيهما قبل الآخر. فبينما نجدهم يوضحون مخرج النون قبل مخرج الراء نجدهم يقولون فى مخرج الراء: (من مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان)، و هو يشير إلى تقدم مخرج الراء. و كان سيبويه قد قدم ذكر الراء فى ترتيب حروف العريية على النون على هذا النحو (... ل ر ن ...) و هذا

ابن جنى حذوه «٦». وكذلك فعل بعض علماء التجويد «٧».

و كان هذا الموضوع مدار بحث عند علماء العربية و علماء التجويد، فقال أبو عمرو بن الحاجب: «ألا ترى أنك إذا نظقت بالنون و الراء ساكتين وجدت طرف اللسان عند النطق بالراء فيما هو بعد مخرج النون، هذا هو الذى يجده المستقيم الطبع. و قد يمكن إخراج الراء مما هو أدخل من مخرج النون، و من مخرجها. و لكن بتكلف لا- على حسب إجراء ذلك على الطبع المستقيم، و الكلام فى المخارج إنما هو على حسب استقامة الطبع لا على (١) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٢) أحمد بن الجزرى: الحواشى المفهمة ١٥ ظ. و أبو الفتوح الوفائى: الجواهر المضية ٢١ ظ.

(٣) جهد المقل ٨ و.

(٤) التحديد ١٦ ظ. و انظر: مكى: الرعاية ص ١٦٩.

(٥) جهد المقل ٨ و.

(٦) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٠.

(٧) انظر: عبد الوهاب القرطبى: الموضح ١٥٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٨

التكلف» «١». و يفهم من هذا أن ابن الحاجب يذهب هنا إلى أن النون أدخل فى اللسان و أن مخرج الراء يليها باتجاه طرف اللسان. لكنه فى الشافية يصرح بأن النون أقرب إلى رأس اللسان من الراء «٢».

و ناقش محمد المرعشى هذه القضية و دقق فيها غاية التدقيق، و هو حين حدد مخرج النون قال: (ما بين رأس اللسان و ما يحاذيه من اللثة مخرج النون) و حين حدد مخرج الراء قال: (ما بين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه و ما يحاذيهما من اللثة مخرج الراء) «٣». و الفرق بين مخرج الحرفين أن الذى يعتمد على اللثة مع النون هو رأس اللسان، و مع الراء رأس اللسان مع ظهره القريب من رأسه. ثم يضيف المرعشى: «أقول ظهر اللسان أدخل من رأسه، و ما يلبسه رأسه من اللثة بعد مخرج النون، فمن نظر إلى الأول يظهر له جعل مخرج الراء قبل مخرج النون، و من نظر إلى الثانى أخرج الراء عن النون، و الله أعلم» «٤».

و حاول المرعشى توضيح الفقرة السابقة فقال: «قوله (فمن نظر إلى الأول) يعنى أن مخرجى النون و الراء يشتركان فى اللسان و اللثة. فمن نظر إلى اللسان ظهر له جعل مخرج الراء قبل مخرج النون، لأن مخرج الراء تضمن ما هو مقدم على مخرج النون. و من نظر إلى اللثة أخرج الراء لأن ما يلبسه رأس اللسان من اللثة بعد مخرج النون. و إنما قلنا فى الأول (يظهر) و لم نقل: قدم الراء لعدم اطلاعنا على الرواية من أهل الأداء بتقديم الراء على النون» «٥».

و لم أجد من سبق المرعشى إلى مثل هذا التفصيل فى تحديد مخرجى الراء و النون، خاصة تعليقه أمر تقديم أحدهما على الآخر باعتبار العضو الذى ينظر إليهما من خلاله، فمن نظر إلى اللسان قدم الراء، لأن الجزء الذى يعتمد عليه منه للراء أدخل من الجزء الذى يعتمد عليه منه للنون، و من نظر إلى العضو الآخر و هو اللثة قدم النون و أخرج الراء، لأن موضع اعتماد اللسان على اللثة مع النون أعمق منه مع الراء. (١) الإيضاح فى شرح المفصل ٢ / ٤٨١. و انظر: أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٤.

و المرعشى: جهد المقل ٨ و.

(٢) انظر: الأسترآبازى: شرح الشافية ٣ / ٢٥٠ و ٢٥٣.

(٣) جهد المقل ٨ و.

(٤) جهد المقل ٨ ظ.

(٥) بيان جهد المقل ١١ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٧٩

وفي الوقت الذي لا نجد فيه النصوص التي تؤيد وجهة نظر المرعشى لا نملك أيضا من الأدلة ما يعارضها، بل إن التجربة الشخصية ربما أدت إلى تحسس ذلك الفارق الدقيق الذي ألمح إليه المرعشى في تحديد مخرجى النون والراء، ولهذا نجده حين ناقش الخلاف في اعتبار اللام والراء والنون من مخرج واحد، أو من ثلاثة مخارج يقول: «فالأقرب أن يجعل اللام وحده من مخرج، و يجعلها من مخرج آخر كلي» (١).

أما علماء الأصوات المحدثون فإنهم يجعلون مخرج الراء قبل مخرج النون، وإن اختلفت عبارتهم و تباينت مصطلحاتهم التي استخدموها في تحديد المخارج (٢). وهو أمر يؤيد الشواهد التي تضمنها كلام علماء العربية و علماء التمجويد في اعتبار مخرج الراء أدخل في اللسان من مخرج النون.

### (ب) الطاء و الدال و التاء:

قال سيبويه: «و مما بين طرف اللسان و أصول الثنايا مخرج الطاء و الدال و التاء» (٣). و قد حافظ علماء التمجويد على عبارة سيبويه (٤)، مع بعض الإضافات التوضيحية، التي تلخص في قول الداني: «فالطاء و التاء و الدال من مخرج واحد، و هو بين طرف اللسان و أصول الثنايا العليا، مصعدا إلى الحنك» (٥) و ذهب ابن الحاجب إلى أن «قوله (و أصول الثنايا) ليس بحتم، بل قد يكون ذلك من أصول الثنايا و يكون مما بعد أصولها قليلا، مع سلامة الطبع من التكلف» (٦).

و أتى محمد المرعشى ببعض التحقيقات الدقيقة في تحديد مخرج الأصوات الثلاثة، منها أنه قسم مخرجها إلى ثلاثة مخارج جزئية، على حسب النظرية القائلة إن أصوات المخرج الواحد تتميز في موضعها تبعا للجهر و الهمس و الإطباق و الانفتاح، فقال: «فظهر أن أصليهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع: فما يلي اللثة منها يخرج منه الطاء، و من بعيد الدال، و من بعيد (١) جهد المقل ٨ ظ.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٤. و جان كانتينو: دروس ص ٢٣، و كمال محمد بشر:

الأصوات ص ١١٢.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) انظر: مكى: الرعاية ص ١٧٢. و الداني: الإدغام الكبير ١١ ظ. و المرادى: المفيد ١٠١ و.

(٥) التحديد ١٦ ظ. و انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ.

(٦) الإيضاح في شرح المفصل ٢/٤٨١. و انظر: أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجويد، ص: ١٨٠

التاء. فالمراد من أصليهما ليس أقصى نهايتهما من جانب اللثة لاستحالة الانقسام حينئذ بل المراد ما يلي اللثة من نصفيهما، و الله أعلم» (١).

و كان الخليل بن أحمد قد وصف الحروف الثلاثة بأنها نطعية، حيث قال: «و الطاء و التاء و الدال نطعية، لأن مبدأها من نطق الغار الأعلى» (٢). و النطق «ما ظهر من غار الفم الأعلى، و هى الجلدة الملتزمة بعظم الخليقاء، فيها آثار كالتحزيز، و هناك موقع اللسان في الحنك» (٣).

و قد حمل على القارى هذه التسمية على المجاورة لا على أن النطق موضع خروجها، فقال:

«و يقال لهذه الحروف الثلاثة نطعية، لخروجها من نطق الغار الأعلى، أى سقفه، و الغار داخل الحنك. و التحقيق أنها إنما سميت نطعية لمجاورة مخرجها نطق الغار الأعلى، و هو سقفه، لا لخروجها منه، فتأمل يظهر لك وجه الخلل» (٤). على أن الخليل قال (لأن مبدأها) و لم يقل (لخروجها). و ظاهر كلام العلماء يقتضى نفى أن يكون مبدؤها نطق الغار الأعلى، لأنها تتكون من نقطة تتحدد بالتقاء طرف

اللسان بأصول الثنايا، وأصول الثنايا بعيدة من نطق الغار الأعلى.

أما عبارة المحدثين من علماء الأصوات عن مخارج هذه الحروف الثلاثة فتتراوح بين المحافظة على عبارة سيوييه و هي «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا» (٥)، و القول بأنها تخرج «عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا و مقدم اللثة» (٦). و قال بعضهم: «بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها» (٧). و مؤدى ما ذهب إليه المحدثون لا يختلف عما أخذ به علماء العربية و علماء التجويد.

### (ج) الصاد و الزاى و السين:

قال سيوييه: «و مما بين طرف اللسان و فوق الثنايا مخرج الزاى و السين و الصاد» (٨). (١) جهد المقل ٨ ظ. (٢) العين ٥٨ / ١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ١٠ / ٢٣٥ (نطع).

(٤) المنح الفكرية ص ١٢، و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٠٨، و تمام حسان: مناهج البحث ص ٨٦.

(٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٨، و محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٨.

(٦) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٢٩. و انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩.

(٧) جان كانتينو: دروس ص ٢٣.

(٨) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨١

و لم يصف سيوييه الثنايا فى هذا الموضع و لا فى غيره، فلم يقل العليا و لا السفلى (١). و حاول العلماء الذين جاءوا بعد سيوييه أن يحددوا مراد سيوييه من قوله: «فوق الثنايا»، فكانت لدينا هذه المذاهب.

(١) فوق الثنايا فوق الثنايا السفلى، قال أبو القاسم الزجاجى (عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٣٧): «و مما بين طرف اللسان و فوق الثنايا السفلى مخرج الزاى و السين و الصاد» (٢). و ذهب هذا المذهب عدد من علماء التجويد (٣).

(٢) و ذهب بعض علماء التجويد إلى تخصيص الثنايا بقولهم (العليا) لكنهم لم يستخدموا حينئذ كلمة (فوق). قال الدانى: «و الصاد و الزاى و السين من مخرج واحد، [و هى الفرجة التى (٤) بين طرف اللسان و الثنايا العليا» (٥) لكن الدانى قال فى كتاب (الإدغام الكبير):

«و الصاد و السين و الزاى من مخرج واحد، و هو طرف اللسان و أصول الثنايا السفلى» (٦). و قوله (أصول الثنايا السفلى) غريب جدا، لأن الذين استخدموا كلمة (السفلى) يقولون (فوق الثنايا السفلى). و ذهب ابن الطحان مذهبا قريبا من مذهب الدانى الأول فقال: «و من طرفه و ما يليه من الشق بين الثنيتين العليين تخرج الصاد و السين و الزاى» (٧).

(٣) ذهب بعض شراح الشاطبية مذهبا أقرب إلى المذهب السابق، لكنه أكثر تحديدا فقال: «و من طرف اللسان و من بين الثنايا لا أصولها و لا أطرافها ثلاثة أحرف، و هى الصاد و السين المهملتان و الزاى» (٨).

و لم يتفق دارسو الأصوات العربية من المحدثين على تحديد الموضع الذى يعتمد عليه طرف اللسان فى أثناء النطق بهذه الأصوات، و تفاوتت عبارتهم عن ذلك على هذا النحو: (١) أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٦. و نستدرك من ذلك وصف سيوييه لمخرج الفاء فقد قال فيه: (أطراف الثنايا العلى) (الكتاب ٤ / ٤٣٣).

(٢) الجمل ص ٣٧٧.

- (٣) انظر مكى: الرعاية ص ١٨٣. والكشف (له) ١/ ١٣٩. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ.
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من بعض نسخ كتاب (التحديد) حسبما أشير إلى ذلك في هامش النسخة المخطوطة التي نعتمد عليها.
- (٥) التحديد ١٦ ظ. و انظر المرعشى: جهد المقل ٩ و.
- (٦) الإدغام الكبير ١١ ظ ١٢ و.
- (٧) مرشد القارئ ١٢٩ و.
- (٨) انظر: أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٥. و الحسينى كاشف المعاني ١٨٢ و.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٢
- ١- يعتمد طرف اللسان على اللثة «١».
- ٢- يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمه باللثة العليا «٢».
- ٣- التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا «٣».
- و لعل محمد المرعشى كان أكثر العلماء المشتغلين بهذا العلم دقة في التعبير عن مخرج هذه الحروف الثلاثة و توضيح علاقة طرف اللسان بالثنايا العليا و السفلى أثناء النطق بها. فقال في تحديد مخرجها: «ما بين رأس اللسان و بين صفحتي الثنيتين العلين، أعنى صفحتيهما الداخلتين، يخرج منه الصاد فالسين فالزاي، و لا يتصل رأس اللسان بالصفحتين بل يسامتهما» «٤».
- و تحدث عن دور الثنايا السفلى في نطق الأصوات الثلاثة فقال: «و فى بعض الرسائل أن هذه الثلاثة تخرج من بين رأس اللسان و بين فويق الثنيتين السفليين، و فيه إشكال، لأن المخرج ما ينقطع الصوت فيه، و لا يجرى صوت هذه الثلاثة بين رأس اللسان و بين فويق الثنيتين السفليين حتى يتصور انقطاعه فيه، بل يجرى بين رأس اللسان و بين صفحتي الثنيتين العلين و ينقطع فيه، كما يشهد به الامتحان الصادق. نعم رأس اللسان يسامت رأسى الثنيتين السفليين، لكن المسامته لا- يتحقق بها المخرج ما لم ينقطع الصوت بين المسامتين» «٥».
- و نلاحظ اختلافا فى ترتيب هذه الحروف الثلاثة عند تحديد مخرجها، عكس الثلاثة التى سبقتها، و يمكن أن نجد عددا من العلماء ساروا على الترتيب الذى يناسب ما سبق بيانه حول ترتيب الحروف التى من مخرج واحد، و هو (ص ز س) «٦».

### (د) الظاء و الذال و الثاء:

- قال سيبويه: «و مما بين طرف اللسان و أطراف الثنايا مخرج الظاء و الذال (١) محمود السمران: علم اللغة ص ١٩١.
- (٢) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٣. و انظر أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٤٩.
- (٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧٧.
- (٤) جهد المقل ٩ و.
- (٥) جهد المقل ٩ و.
- (٦) انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/ ٥٣. و الدانى: التحديد ١٦ ظ. و أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٢ ظ. و ابن عصفور: المقرب ٢/ ٥. و الأسترآبازى: شرح الشافية ٣/ ٢٥٠ و ٢٥٣. و المرعشى:
- بيان جهد المقل ١١ ظ.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٣
- و الثاء «١». و قد ذهب أكثر علماء التجويد فى تخصيص الثنايا (بالعليا) «٢». و قال بعضهم «أطراف الثنايا عليها و سفلاها» «٣». و قال

آخر: «من طرف اللسان و أطراف الأسنان» (٤). و كل ذلك صحيح، فالمخرج بين طرف اللسان و بين أطراف الثنتين العليين، و يستند طرف اللسان في الوقت نفسه على أطراف الثنتين السفليين.

و لم يتعد دارسو الأصوات العربية من المحدثين عن عبارات المتقدمين في تحديد مخرج الحروف الثلاثة فقالوا:

١- «يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا» (٥).

٢- «بين طرف اللسان و أطراف الثنايا العليا» (٦).

٣- «وضع طرف اللسان بين الأسنان العليا و السفلى» (٧). أو «بين أطراف الثنايا العليا و السفلى» (٨).

و ناقش علماء التجويد مقدار تقدم طرف اللسان بين أطراف الثنايا، فأجمعوا على التحذير من المبالغة في خروج طرف اللسان، فقال ابن البناء: «و ليحذر أن يخرج طرف لسانه بالذال و الظاء و الثاء إخراج ظهور، بل بطرف و يمضى لسانه» (٩). و قال أحمد بن أبي عمر:

«و احذر أن تخرج طرف لسانك بالذال و الظاء و الثاء» (١٠). و قال محمد المرعشي: «و في بعض الرسائل أن رأس اللسان يجاوز رأسى الثنتين قليلا إلى جهة الخارج في هذه الحروف. أقول: (١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) مكى: الرعاية ص ١٩٤، و الدانى: التحديد ١٦ ظ، و الإدغام الكبير (له) ١١ ظ. و عبد الوهاب القرطبي:

الموضح ١٥٢ ظ. و الفخر الموصلى: الدر الموصوف ١٦٩ ظ. و المرعشى: جهد المقل ٩ و.

(٣) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ و. و قد نسه أبو شامة في إبراز المعانى (باب مخارج الحروف ص ٥) إلى مكى، لكنى وجدت مكيا يذهب إلى غير ذلك في كتابه: الرعاية و الكشف.

(٤) أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٢ ظ.

(٥) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٠.

(٦) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٧، و انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩.

(٧) جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٨) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٢.

(٩) بيان العيوب ١٧٦ ظ - ١٧٧ و.

(١٠) الإيضاح ٧٠ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٤

ذلك غير ظاهر في الظاء» (١). و أفراد المرعشى الظاء عن الذال و الثاء مبنى على أساس أن الظاء مطبق يتراجع اللسان في أثناء النطق به إلى الورا قليلا. و هذه الظاهرة هي نفسها التي جعلت المرعشى يقدم الظاء في ترتيب هذه الحروف الثلاثة، على نحو ما أشرنا إلى ذلك في أثناء الكلام على مخارج حروف الحلق.

و كان الخليل بن أحمد قد وصف هذه الحروف الثلاثة بأنها لثوية، حيث قال: «و الظاء و الذال و الثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة» (٢). و قد أنكر بعض الدارسين المحدثين هذه التسمية، لأن اللثة لا تقوم معها بأى دور (٣) و كان المرعشى قد تشكك قبل ذلك في دقة وصف الأصوات الثلاثة بكونها (لثوية). فقال: «و في الرعاية أن هذه الثلاثة تسمى لثوية لخروجهن من اللثة. قيل: فيه مسامحة» (٤) و معنى المسامحة عند المرعشى هي: «اختيار العبارة السهلة الموجزة، و إن خفى معناها» (٥).

و لا شك في أن مخارج حروف طرف اللسان متداخلة جدا لا سيما (ط د ت) و (ص ز س)، و قد حاول بعض علماء العربية و التجويد وضع حدود فاصلة بين مخارج هذه الأصوات.

فقال ابن الحاجب في الزاى و أختيها: «و هي تفارق مخرج الطاء و أختيها، لأنها بعد أصول الثنايا أو (بعدها) بعد أصولها. و تفارق

الطاء و أختيها، لأنها قبل أطراف الثنايا. و قال غيره:  
هي متجافية قليلا من مخرج الطاء بحيث لا يلصق اللسان بالثنايا عند إخراجها» (٦).

## ٦- حروف الشفتين:

### إشارة

قال مكى: «و أما حروف الشفتين فأربعة: الفاء مفردة، ثم الباء و الميم و الواو أخوات» (٧) و قال الدانى: «و للشفة مخرجان و أربعة أحرف، و هي الفاء و الباء و الواو (١) جهد المقل ٩ ظ، و انظر: بيان جهد المقل ١١ ظ.  
(٢) العين ٥٨ / ١.  
(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٠٩.  
(٤) جهد المقل ٩ و.  
(٥) بيان جهد المقل ٢ و.  
(٦) أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٥-٦، و ابن الحاجب: الإيضاح شرح المفصل ٢ / ٢٨١-٢٨٢. و كلمة (بعدها) ساقطة من الإيضاح.  
(٧) الكشف ١ / ١٣٩.  
الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ١٨٥  
و الميم» (١).

### (أ) الفاء:

قال سيويه: «من باطن الشفة السفلى و أطراف الثنايا العلى مخرج الفاء» (٢). و لم تتغير عبارة سيويه فى تحديد مخرج الفاء لا عند علماء العربية (٣)، و لا عند علماء التمجيد (٤)، و لا عند المحققين من دارسى الأصوات العربية (٥).  
و ضم الفاء إلى الباء و الميم و الواو و التعبير عنها باسم حروف الشفتين هو مذهب كثير من علماء التمجيد، لكن الفاء فى الواقع لا تشترك إلا الشفة السفلى فى مخرجها. و قد لاحظ ذلك الحسينى (أبو الفضائل عباد بن أحمد بن إسماعيل، كان حيا سنة ٧٠٤ هـ) و اقترح أن تكون الفاء قسما بذاتها فقال عن الفاء: إنها «تحتل أن تكون من حروف الفم و أن تكون من حروف الشفة، لأن مخرجها باشتراكهما. و الأولى أن تكون قسما برأسها» (٦). و على هذا الأساس وصف المحدثون الفاء بأنها صوت أسنانى شفوى (٧).

### (ب) الباء و الميم و الواو:

قال سيويه: «و مما بين الشفتين مخرج الباء، و الميم، و الواو» (٨).  
و قد ردد بعض علماء التمجيد عبارة سيويه من غير زيادة (٩) و حاول بعضهم توضيح حالة الشفتين مع كل حرف من الحروف الثلاثة. فقال الدانى: «غير أن الشفتين تنطبقان فى (١) التحديد ١٧ و. و انظر: الإدغام الكبير (له) ٢٣ و. و ابن الطحان: مرشد القارئ



١٢٩ و.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/٥٣. و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/١٢٤ و ١٢٥.

(٤) مكى: الرعاية ص ٢٠١، و الدانى: التحديد ١٧ و. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ ظ. و قال المرعشى (بيان جهد المقل ١١ ظ): «الملايس لباطن الشفة السفلى فى الفاء ليس رأسى الثنيتين فقط».

(٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٦. و جان كانتينو: دروس ص ٢٢. و محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٩. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥١. و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩.

(٦) كاشف المعانى ١٨٢ و. و انظر: أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ٦.

(٧) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥١.

(٨) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٩) الدانى: الإدغام الكبير ٢٣ و. و أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٢ و، و المرادى: المفيد ١٠١ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٦

الباء و الميم، و لا- تنطبقان فى الواو بل تنفصلان «١». و قال على القارى: «إلا- أن الواو بانفتاح، و الباء و الميم بانطباق» «٢». و علق المرعشى على قول على القارى فقال: «المراد من انفتاحهما فى الواو انفتاحهما قليلا، و إلا فهما ينضممان فى الواو، و لكن لا يصل انضمامهما إلى حد الانطباق» «٣».

و نص بعض علماء التجويد على أن الواو المذكورة هنا يقصد بها غير المدية، بناء على مذهبهم فى أفراد حروف المد بمخرج مستقل هو الجوف، و تخصيصهم حروف اللين بمخارج محددة، من الشفتين فى الواو، و من وسط اللسان فى الياء «٤».

و رتب محمد المرعشى الحروف الثلاثة على هذا النسق (ب م و)، و علل ذلك بقوله:

«و لعل وجه الترتيب هنا أن لكل من الشفتين طرفين، طرف منه يلي داخل الفم، و الآخر يلي البشرة. فالمنطبق فى الباء طرفاهما اللذان يليان داخل الفم، و المنضم فى الواو طرفاهما اللذان يليان البشرة. و المنطبق فى الميم وسطهما» «٥».

و لاحظ بعض علماء التجويد أن انطباق الشفتين مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم «٦». و علل المرعشى ذلك بقوله: «و الظاهر أن سببه عدم احتباس النفس فى الميم، بل جريانه فى الخيشوم، بخلاف الباء، و عدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد» «٧».

و ذكر أبو حيان الأندلسى أن المهودى (أبا العباس أحمد بن عمارت بعد ٤٣٠ هـ) فصل الواو من الباء و الميم، و جعل لها مخرجا على حدة، هو السادس عشر عنده، و قال: الواو تهوى حتى تنقطع إلى مخرج الألف «٨». (١) التحديد ١٧ و. و انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ و.

(٢) المنح الفكرية ص ١٣.

(٣) جهد المقل ٩ ظ.

(٤) انظر: ابن الجزرى: النشر ١/٢٠١. و على القارى: المنح الفكرية ص ١٣، و المرعشى: جهد المقل ٩ و.

(٥) جهد المقل ٩ ظ.

(٦) على القارى: المنح الفكرية ص ١٣.

(٧) بيان جهد المقل ١١ ظ.

(٨) ارتشاف الضرب ص ٣. و انظر: المرادى: شرح التسهيل ٣٠٤ و. و السيوطى: همع الهوامع ٦/٢٩٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٧

و لاحظ دارسو الأصوات من المحدثين أن أقصى اللسان يقترب من أقصى الحنك عند النطق بالواو، و من ثم ذهب بعضهم إلى القول بأن الوصف الأدق أن يقال: إن الواو من أقصى الحنك «١»، أو أنه شفوي - حنكي قصي «٢». و من المحتمل أن يكون قول المهدي السابق (الواو تهوي) تعبيراً عن إحساسه بارتفاع أقصى اللسان عند النطق بها. و تحديد سيبويه و غيره لمخرج الواو بأنه من الشفتين ليس خطأ، لأن للشفتين دخلاً كبيراً في نطق هذا الصوت «٣». و لعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو و كون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين «٤». و هو الذي جعل بعض المحدثين يتخذون نفس الموقف من الواو أيضاً «٥».

## ٧- الخياشيم:

قال سيبويه: «و من الخياشيم مخرج النون الخفيفة» «٦».

كانت عبارة سيبويه هذه مثار نقاش بين العلماء، يدور حول المقصود بالنون الخفيفة، و حول تخصيص مخرج مستقل لهذه النون. أما المقصود بالنون الخفيفة فقد قال أبو سعيد السيرافي: «يجب أن تكون الخفية لأن التفسير يدل عليه» «٧». و من هنا وجدنا بعض علماء العربية يقول: «النون الخفية، و يقال الخيفة» «٨». ثم وجدنا من يقول: «و من الخياشيم مخرج النون الخفية» «٩».

و قد عدّ سيبويه هذه النون أحد الحروف الفرعية المستحسنة «١٠». و تتضح حقيقة هذه (١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٣. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٢.

(٢) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٨.

(٣) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٢.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٣، و حسام النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ص ٣١٠-٣١١.

(٥) جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٦) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٧) شرح كتاب سيبويه ٦ / ٤٤٣، و انظر: القرطبي: الموضح ١٥٣ ظ.

(٨) ابن جني: سر صناعة الإعراب ١ / ٥١ و ٥٣.

(٩) ابن عصفور: المقرب ٢ / ٦.

(١٠) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٨

النون من خلال معرفته مخرج النون الأصلية، التي ذكرنا مخرجها عند الكلام على مخارج حروف طرف اللسان، حيث يعتمد طرف اللسان على ما فوق الثنايا فيسد طريق الهواء من الفم، و ينخفض الحنك اللين بما في ذلك اللهاة فيندفع الهواء من الخيشوم، فالنون يعتمد لها في الفم و يخرج الصوت (النفس) من الأنف، و هذا الصوت الخارج من الخيشوم يسمى (غنة) «١». و من هنا قال بعض علماء العربية و علماء التجويد أن النون و الميم لهما مخرجان:

أحدهما في الفم و هو معتمد اللسان و الشفتين، و الآخر في الخيشوم و هو مجرى الغنة «٢».

و قد قال مكى في توضيح هذه النون: «إن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان بينه و بين ما فوق الثنايا، و معها غنة تخرج من الخياشيم، فإذا أخفيت عند ما بعدها صار مخرجها من الخياشيم لا غير، فتذهب النون عند الإخفاء، و تبقى الغنة من الخياشيم ظاهرة... و تبين أن النون الخفية هي الغنة، و النون المدغمة و المظهرة هي غير الغنة، و الغنة تابعة لها. فإذا قلت (عنك و منك) فمخرج هذه

النون من الخياشيم لا غير، لأنها مخفأة عند الكاف، باقية غنتها ظاهرة. و إذا قلت: (منه و عنه) فمخرج هذه النون من طرف اللسان، و معها غنة تخرج من الخياشيم لأنها غير مخفأة و الغنة ظاهرة» (٣).

و قال عبد الوهاب القرطبي في ذلك أيضا: «و إنما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفا من حروف الفم: القاف و الكاف و الجيم و الشين و الضاد و الصاد و السين و الزاي و الطاء و الدال و التاء و الظاء و الذال و الثاء و الفاء. فهي متى سكنت و جاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في إخراجها» (٤).

و إذ قد اتضح المقصود بالنون الخفيفة (الخفية) فهل هي متميزة عن النون الأصلية إلى الحد الذي يمكن معه إفرادها في مخرج مستقل على نحو ما فعله سيبويه و تابعه جمهور علماء العربية و علماء التجويد عليه؟.

أما من الناحية الصوتية المحضة فإن هناك تباينا بين النون الأصلية و بين الخفية (الفرعية) (١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤ / ٤٣٥، و المبرد: المقتضب ١ / ١٩٤، و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٤٤. و انظر: مكى: الرعاية ص ٢٤١، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧١ و.

(٢) مكى: الكشف ١ / ١٤٦، و أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٣ و. و الأسترآبادي: شرح الشافية ٣ / ٢٧١، و المرعشى: بيان جهد المقل ١٢ ظ.

(٣) الرعاية ص ٢٤١ - ٢٤٢، و انظر: الكشف (له) ١ / ١٦٤ و ١٦٧.

(٤) الموضح ١٥٣ ظ. و انظر: الداني: التحديد ١٧ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٨٩

فتلك لها مخرجان، معتمد اللسان في الفم، و مجرى الصوت من الأنف، و هذه يزول معتمد اللسان معها ليلحق بمخرج الحرف الذي يليها، و لا يبقى معها إلا صوت الخياشيم، و هو الغنة، و هذا هو السر في تخصيص مخرج مستقل لها.

و أما من ناحية الوظيفة (الدلالة على تغيير المعاني) فإن النون الخفية ما هي إلا النون الأصلية، عرض لها بسبب المجاورة للأصوات الأخرى في التركيب ما أثر على بعض خصائصها الصوتية، و لكن دلالتها على المعنى لم تتغير، فإن الفعل (كان) لا تتغير دلالة عند ما يكون في سياق مثل (كنت أو كنتم) إلا بقدر ما يجلبه الإسناد من معنى جديد، على الرغم من أن النون هنا صارت خفية (مخفأة) و هي في أصل الفعل (كان) مظهرة. و من هذه الوجهة لا نجد ضرورة لإفراد النون الخفية بمخرج مستقل، كما أن كل الحروف الفرعية الأخرى لم تفرد بمخارج مستقلة.

و كان ابن الطحان (عبد العزيز بن علي ت حوالى ٥٥٦٠ هـ) قد أهمل الإشارة إلى هذا المخرج، و عد المخارج خمسة عشر مخرجا «١».

بينما سمى بعض علماء التجويد صوت هذا المخرج (الغنة) بدل (النون الخفية)، قال ابن الجزرى في «النشر»: «المخرج السابع عشر: الخيشوم، و هو للغنة» (٢). و قال في المقدمة: (و غنة مخرجها الخيشوم) (٣). و الغنة صفة لازمة للنون و الميم تحركتا أو سكتتا، ظاهرتين أو مخفأتين أو مدغمتين (٤). و من ثم قيل «كان ينبغي له أن يذكر عوضها مخرج النون المخفأة، فإن مخرجها من الخيشوم، و هي بخلاف الغنة» (٥).

و كان البقرى (محمد بن القاسم بن إسماعيل ت ١١١١ هـ) قد تابع ابن الجزرى فذكر في المخرج الأخير الخيشوم و قال: «تخرج منه الغنة»، و أضاف: «و بعضهم أنكروا هذا المخرج الأخير و جعله صفة من الصفات، و الجمهور يعدونه من المخارج، و لا ينظرون إلى ذلك القائل» (٦). و الحق أنه لا مكان لذكر الغنة هنا إلا إذا أريد بها النون المخفأة.

و قال بعض المحدثين معلقا على ذكر ابن جنى لمخرج النون المخفأة: «و هذا مخرج (١) مرشد القارئ ١٢٨ ظ.

(٢) النشر ١ / ٢٠١.

(٣) متن الجزرية ص ١١.

(٤) أحمد بن الجزرى: الحواشى المفهومة ٤٧ ظ، و عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٤٣ و.

(٥) أحمد بن الجزرى: الحواشى المفهمة ١٦ ظ.

(٦) غنية الطالبين ص ٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٠

إضافى ذكره ابن جنى (و غيره) لنوع من النون، و يمكن الاستغناء عن هذا المخرج و الاكتفاء بالمخرج رقم (٩) فى تقسيم ابن جنى، فهذا بالمخرج الأخير يعد مخرج النوع الرئيسى للنون» (١).

## ٨- حروف الجوف:

أفرد علماء التجويد المتأخرين مخرج الجوف، و جعلوه خاصا بحروف المد الثلاثة، الألف و الواو الساكنة المضموم ما قبلها و الياء الساكنة المكسورة ما قبلها (٢). أما علماء التجويد المتقدمون فإنهم سلكوا مسلك سيويه الذى جعل الألف من مخرج الهمزة، و الواو و الياء المديين من مخرجيهما غير مديين (٣).

و قال علماء التجويد إن مخرج حروف المد، و هو الجوف، مخرج مقدّر لا محقق، قال المرعشى: «و بالجملة إن حروف المد لما لم تنقطع أصواتها فى موضع لم يكن لها مخرج محقق ... بل قدروا لها جوف الحلق و الفم مخرجا» (٤).

و أصل فكرة تخصيص مخرج مستقل لحروف المد ترجع إلى ما ذكره الخليل بن أحمد من وصفه لهذه الحروف بأنها هوائية (٥). لكن علماء التجويد أخرجوا الهمزة من الحروف الهوائية لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة (٦). فحروف المد حروف ذائبة و الهمزة من الحروف الجامدة.

و مع أن علماء التجويد جمعوا حروف المد الثلاثة فى مخرج مقدر واحد إلا أنهم كانوا مدركين للصفات الدقيقة التى يتميز بها كل صوت، فقالوا: إن الذى يميز بين الثلاثة هو تصعد الألف و تسفل الياء و اعتراض الواو (٧).

و يتميز هذا المخرج عن جميع المخارج السابقة بأنه خاص بالحروف التى سماها بعض (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٧. و انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/ ٥٣.

(٢) انظر: ابن الجزرى: النشر ١/ ١٩٩. و على القارى: المنح الفكرية ص ١١، و المرعشى: جهد المقل ١٠ و.

(٣) الدانى: التحديد ١٦ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٢ و. و المرادى: المفيد ١٠١ و.

(٤) جهد المقل ٦ ظ.

(٥) العين ١/ ٥٨.

(٦) ابن الجزرى: النشر ١/ ١٩٩.

(٧) انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩١

علماء التجويد بالذوائب، بينما بقيت المخارج خاصة بالجوامد، و سوف نقف وقفه أطول عند هذا المخرج و كل ما يتعلق بمخارج الحروف الذوائب (حروف المد الثلاثة و الحركات الضمة و الفتحة و الكسرة) فى مبحث لا حق إن شاء الله.

\*\*\* و غاية القول فى مخارج الحروف عند علماء التجويد أن كلامهم عنها جاء مؤكدا لما قرره سيويه من قبل، و تابعه عليه علماء العربية. و قد استطاع علماء التجويد تحقيق بعض النتائج الجديدة و توضيح بعض الحقائق السابقة فى دراسة مخارج الحروف.

و قد عنى بعض علماء التجويد بترتيب الحروف ترتيبا صوتيا بحسب تدرج المخارج، و قد ذكر محمد المرعشى الاتجاهات المعروفة لترتيب الحروف العربية فقال: «و للحروف العربية ثلاثة ترتيبات:

الأول: ترتيب أهل اللغة، و هو أب ت ث ج ح خ د ذ ر ينهى إلى ي. و هذا هو الذى يعلم به الصبيان.

و الثاني: ترتيب أهل الأداء، و هو الترتيب بحسب المخارج، كما سيأتى.

و الثالث: ترتيب أهل الحساب، و هو الترتيب بحسب جعل الحروف إشارة إلى الأعداد، و هو ترتيب أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت تخذ ضظغ» (١).

و قول المرعشى (ترتيب أهل الأداء) و هو الترتيب الصوتى بحسب المخارج لا يعنى أن أهل الأداء، و هم علماء التجويد، هم أول من وضعه، فهذا الترتيب قديم يرجع إلى كتاب العين للخليل بن أحمد، الذى رتب معجمه على أساس ترتيب الحروف تبعاً لترتيبها الصوتى (٢). و كذلك فعل سيبويه فى باب الإدغام حيث أورد الحروف العربية مرتبة ترتيباً صوتياً مخرجياً (٣).

و سار علماء التجويد على ترتيب سيبويه للحروف. و ردد بعضهم مقالة ابن جنى فى ترتيب الحروف الوارد فى كتاب العين حيث قال بعد أن ذكر ترتيب سيبويه: «فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها و تصعدها، و هو الصحيح. فأما ترتيبها فى كتاب العين ففيه خلل (١) بيان جهد المقل ٦ ظ.

(٢) العين ١/ ٥٨. و انظر: الأزهرى: تهذيب اللغة ١/ ٤١.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٢

و اضطراب، و مخالفة لما قدمناه آنفاً، مما رتب سيبويه، و تلاه أصحابه عليه، و هو الصواب الذى يشهد التأمل له بصحته» (١).

و قول ابن جنى عن ترتيب كتاب العين (فيه خلل و اضطراب) لا يخلو من مبالغة، فالواقع أن ذلك الترتيب يوافق ترتيب سيبويه فى الكثير، و يخالفه فى القليل، و بعض تلك المخالفات مبنى على وجهات نظر معينة، لا أنه خطأ محض، و ليس من غرضنا الدخول فى تفصيلات هذا الموضوع، لأن ذلك يخرج بنا عن غرضنا فى تتبع آراء علماء التجويد خاصة.

و هناك قضية تتعلق بترتيب سيبويه للحروف فقد ذكر الضاد قبل حروف وسط اللسان (ج ش ي) و يبدو لى أن الأمر لا يخلو من احتمال تصحيف النساخ لأن سيبويه حين ذكر المخارج أورد الضاد بعد الباء (٢). كما أن الذين نقلوا ترتيبه للحروف من علماء العربية و علماء التجويد جعلوا ترتيب هذه الحروف على هذا النسق (ج ش ي ض) (٣).

و المخارج الأساسية عند علماء التجويد خمسة عشر مخرجاً و هناك مخرج إضافى للنون الخفية، و هو يرتبط على نحو وثيق بمخرج النون الأصلية و كل هذه المخارج خاص بالأصوات الجامدة. أما الأصوات الذائبة فقد أفرد لها بعض علماء التجويد و علماء العربية مخرجاً مستقلاً و هو الجوف.

و لا يزال هذا التوزيع لمخارج الحروف العربية هو الطريق الأمثل، فيما نرى، الذى يناسب الدرس الصوتى العربى، و لا نجد ضرورة علمية تقتضى إعادة توزيع الحروف العربية بحيث ينخفض عدد المخارج إلى تسعة (٤)، أو عشرة (٥)، أو أحد عشر مخرجاً (٦). كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين مقلدين فيما يبدو و جهات نظر الدرس الصوتى الأوروبى.

و لا يعدو ما نجده من اختلاف بين عبارة المحدثين و عبارة علماء التجويد فى تحديد مخارج الحروف أن يكون اختلافاً فى الاصطلاح و طريقة التعبير أكثر من كونه اختلافاً فى (١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٠-٥١. و انظر: القرطبى: الموضح ١٥٣ و.

(٢) انظر: الكتاب ٤/ ٤٣١ و ٤٣٣.

(٣) انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/ ٥٠، و القرطبى: الموضح ١٥٢ و.

(٤) جان كانتينو: دروس ص ٢٢-٢٣.

(٥) تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٨٤-٨٥.

(٦) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٩-٢٠٠، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١١٢-١١٣، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٦٩-٢٧٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٣

حقيقته الموضوع، فإذا وصف المحدثون الهمزة بأنها صوت (حنجری) «١»، فإن ذلك لا يناقض قول علماء التجويد أن الهمزة من أقصى الحلق، وذلك لأنهم يعبرون عن الحنجرة بأقصى الحلق. «و على هذا فلا خلاف في وصف مخرج الهمزة» «٢». و من ذلك أن بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين ينسبون مخرج الصوت إلى نقطة معينة من الحنك الأعلى (سقف الفم)، بينما ينسبه علماء التجويد إلى جزء اللسان الذى يشترك فى إنتاج الصوت، فإذا قال علماء التجويد إن مخرج الكاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، و قال بعض الدارسين المحدثين إن الكاف (حنكى قصى) «٣»، فإن ذلك لا يمثل اختلافا جوهريا بين علماء التجويد و دارسى الأصوات من المحدثين، و إنما هو اختلاف فى المصطلح و طريقة التعبير. فهو إذن اختلاف لفظى ليس له تعلق باختلاف المعنى أو الفكرة التى يراد التعبير عنها، لأن مخرج الصوت يشترك فيه غالبا عضوان، و تكون نسبته إلى أحدهما كنسبته إلى الآخر.

و من ذلك أيضا أن بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين يقسمون الحنك الأعلى أقساما و يطلقون على كل قسم اسما معينا، بدلا من تقسيمه إلى مقدم الحنك و وسطه و أقصاه، فيسمون الجزء الصلب الذى يلي اللثة باسم (الغار). و يسمون الجزء الرخو الذى فى مؤخرة سقف الفم باسم (الطبق) «٤». فإذا وصف هؤلاء مخرج صوت الكاف مثلا قالوا بأنه (طبقى) «٥». و هذا الوصف يطابق قول الفريق السابق من المحدثين من قوله إن الكاف (حنك قصى)، و كذلك هو يطابق قول علماء التجويد: إن الكاف من أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك. و هذا مثال يوضح لنا حقيقة الاختلاف بين القدماء و المحدثين، و كذلك يكشف لنا عن أن المحدثين لم يتفقوا على صيغة معينة للتعبير عن المخارج. و هو أمر لا يغض من قيمة جهود هؤلاء كما أنه لا يغض من قيمة جهود أولئك. فلكل الأساس الذى اعتمد عليه فى وجهته.

و نحن لا نجد فى ختام كلامنا عن مخارج الأصوات كلمة تعبر عن تقديرنا لجهود علماء (١) محمود السمران: علم اللغة ص ١٧١.

(٢) حسام النعیمی: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جنى ص ٣٠٤.

(٣) محمود السمران: علم اللغة ص ١٦٩ و ٢٠٠. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣٨.

(٤) تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٨٥، أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٨٤-٨٥.

(٥) انظر المصدرين السابقين ص ٩٥ و ص ٢٧١ على التوالى السابق.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٤

التجويد فى دراسة الموضوع مثل كلمة الدكتور كمال محمد بشر التى قالها فى تقدير جهود ابن جنى فى دراسة مخارج الحروف، مع العلم أن ابن جنى اعتمد على سيويه بشكل يكاد يكون تاما، بينما استطاع علماء التجويد أن يضيفوا شيئا إلى ما قاله سيويه، يقول: «و الحق إن النتائج التى وصل إليها هذا العالم فى هذا الوقت الذى كان يعيش فيه لتعدّ مفخرة له و لمفكرى العرب فى هذا الموضوع. و مما يؤكد براعتهم و نبوغهم فى هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة دون الاستعانة بأى أجهزة أو آلات تعينهم على البحث و الدراسة كما نفعل نحن اليوم» «١».

\*\*\*

(١) الأصوات ص ١٢٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٥

**المبحث الخامس تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات**

إنّ تحديد مخارج الحروف وحده ليس كافياً في توضيح الخصائص الصوتية التي يتميز بها كل صوت بما يجعل جرسه متميزاً في السمع عن غيره. فقد لاحظنا في المبحث السابق أن كثيراً من الحروف تشارك غيرها في المخرج، فنجد الحرفين والثلاثة تخرج من مخرج واحد، ولو لا الكيفيات التي تصاحب إنتاج كل صوت لما تميزت تلك الحروف المشتركة في مخرج واحد، وهذه الكيفيات التي تصاحب حدوث الحرف في مخرجه هي التي سماها علماء العربية وعلماء التجويد بصفات الحروف.

إنّ تحديد مخارج الأصوات جانب واحد من عملية مركبة لها جوانب أخرى يتشكل منها الصوت اللغوي، وذلك أن إنتاج أي صوت من الأصوات يعتمد على ثلاثة أمور: «أولها:

الأعضاء التي تتدخل معترضه الهواء الخارج من الرئتين، وثانيها: الطريقة التي تتدخل بها هذه الأعضاء، وثالثها الجهر أو الهمس» (١).  
و الأمر الأول من هذه الأمور الثلاثة هو الذي يعبر عنه علماء العربية وعلماء التجويد باسم (مخارج الحروف)، ويعبرون عن الأمرين الآخرين باسم صفات الحروف. وقد تحدثنا في المبحث السابق عن وجهة نظر علماء التجويد من تحديد مخارج الحروف. وقد بين بعض علماء التجويد المقصود بصفات الحروف، فقال: «و صفة الحروف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، و تتميز بذلك الحروف المتحددة بعضها عن بعض» (٢). و كان علماء التجويد مدركين أن صفة الصوت ليست شيئاً منفصلاً عن الصوت بل هي شيء أساسي لا ينفصل عن عملية تكونه في المخرج، فقد قال الداني: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بينها ستة عشر (١) عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة ص ٩٤ و ١٢٣. وانظر: جان كانتينو: دروس ص ٢٢.

(٢) طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ١١ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٦

صنفا...» (١). فلو لا هذه الصفات إذن لم تتميز الحروف بعضها من بعض، لا سيما تلك التي تخرج من مخرج واحد. وهناك قضيتان يلزم بيانهما في بداية الحديث عن صفات الحروف لدى علماء التجويد، الأولى: بيان عدد الصفات التي وضحتها علماء التجويد، والثانية: توضيح الأسس التي يتم بموجبها تصنيف تلك الصفات.

## ١- عدد الصفات التي وضحتها علماء التجويد:

أما الصفات التي تحدث عنها علماء التجويد فقد كان لهم فيها اتجاهان أرساهما اثنان من كبار علماء التجويد من الرواد الأوائل الذين عاشوا في أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس، وهما مكى بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ).

أما مكى فإنه وصل بصفات الحروف وألقابها إلى أربعة وأربعين لقباً، حيث قال: «لم أزل أتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين و صفاتها و عللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقباً صفات لها، و صفت بذلك على معان و علل ظاهرة نذكرها مع كل قسم إن شاء الله تعالى، في أربعة وأربعين باباً» (٢).

و ليست جميع تلك الصفات والألقاب تمثل كفاءات نطقية تصاحب تكوّن الأصوات في مخرجها. فمن تلك الألقاب ما يشير إلى مخرج الحرف، مثل الألقاب التي لقب الخليل بها الحروف و هي: الحلقية و اللهوية الشجرية و الأسلية و النطعية و اللثوية و الذلقية و الشفوية و الجوفية و الهوائية. و من تلك الألقاب أيضاً ما يعبر عن معنى صرفي يتعلق بالحرف، مثل:

الحروف الزوائد، و الحروف الأصلية و حروف الإبدال و حروف العلة، فهذه الألقاب لا تمثل صفة صوتية، إنما تشير إلى خاصية صرفية.

و لم يتابع مكى في مذهبه السابق في عدد صفات الحروف إلا قليل من العلماء (٣). بينما وجه بعضهم النقد إليه، فقال الفخر الموصلي



(ت ٦٢١هـ) بعد أن نقل في كتاب (الدر المرصوف) خمسة وعشرين لقباً من الألقاب التي ذكرها مكى: «وقد أعرضنا عن ذكر بقية (١) التحديد ١٧ ظ. و انظر: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧٣ و-٧٣ ظ.

(٢) الرعاية ص ٩١. وقد استغرق ذكر تلك الصفات من كتاب الرعاية الصفحات ٩٢-١١٦.

(٣) نقل ابن الجزرى فى كتاب التمهيد فى علم التجويد (ص ٢٢-٣٠) نص كلام مكى، لكنه فى كتابه النشر (١/٢٠٢-٢٠٥) و المقدمة (ص ١١-١٤) لم يتابع مكيا فى بيان الصفات.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٧

الألقاب إذ ليس فيها كبير فائدة» (١). وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الفاسى (ت ٦٥٦هـ) بعد أن أشار إلى صفات الحروف: «وقد بالغ فى ذلك أبو محمد مكى رحمه الله فى كتاب الرعاية» (٢). وقال محمد المرعشى: «اعلم أنى لا أذكر فى هذه الرسالة من الصفات المذكورة فى الرعاية إلا ما اشتدت إليها حاجة التالى» (٣). فكان مجموع ما ذكره ثمانى عشرة صفة (٤).

و أما أبو عمرو الدانى فإنه اقتصر من صفات الحروف على ستة عشر صفة. و ذلك حيث قال: «اعلموا أن أصناف هذه الحروف التى تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التى بينها ستة عشر صنفاً: المهموسة، و المجهورة، و الشديدة، و الرخوة، و المطبقة، و المنفتحة، و المستعلى، و المستغلة، و حروف المد و اللين، و حروف الصفير، و المتفشى، و المستطيل، و المتكرر، و المنحرف، و الهاوى، و حرفا الغنة» (٥).

و التزم معظم علماء التجويد فى بحث صفات الحروف بما قرره الدانى، و لم يخرجوا على ما ذكره إلا فى قضايا جزئية. فنجد أبا العلاء الهمذانى العطار (ت ٥٦٩هـ) يذهب إلى أن صفات الحروف ستة عشر صفة، و يسميها أجناس الحروف، فيذكر الصفات التى أوردتها الدانى، لكنه يضيف صفتين و يحذف صفتين، فأضاف: ما بين الشديد و الرخو، و حروف القلقله، و حذف: المنفتحة و المستغلة (٦). و إذا كان الدانى قد أهمل ذكر ما بين الشديد و الرخو و حروف القلقله فى قوله السابق فإنه تحدث عنها فى أثناء الباب الذى يبين فيه صفات الحروف (٧). و جعل أحمد بن أبى عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) صفات الحروف ثمانى عشرة صفة، فذكر الصفات التى ذكرها الدانى و أضاف إليها صفتين هما: ما بين الشديدة و الرخوة، و الحروف الذائبة (٨). و تابع ابن الطحان (ت حوالى ٥٦٠هـ) الدانى أيضاً لكنه حذف (الهاوى) و أضاف (النفخ و القلقله) (٩). و ذكر ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) فى مقدمته سبع عشرة (١) الدر المرصوف ٧١ ظ.

(٢) اللئالى الفريدة ٢١١ و.

(٣) جهد المقل ١١ و.

(٤) بيان جهد المقل ١٤ و.

(٥) التحديد ١٧ ظ.

(٦) التمهيد ١٤٥ ظ.

(٧) التحديد ١٨ و، ١٩ ظ.

(٨) الإيضاح ٧٣ و-٧٣ ظ. و انظر ٦٧ ظ.

(٩) مرشد القارئ ١٢٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٨

صفة (١).

## إشارة

الصفات المذكورة تعبر عن معان تخص الأصوات، و ذلك بالنظر إليها من جوانب متعددة. قال أبو عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ): «و ليست هذه الأقسام باعتبار تقسيم واحد، إنما هي باعتبار تقسيمات متعددة. فالمجهورة و المهموسة تقسيم. و معنى التقسيم المستقل أن تكون الأنواع منحصرة بالنفى و الإثبات فى التحقيق لا فى صورة إيرادها، فإذا علمت أن المجهورة هي الحروف التى [لا] «٢» يجرى النفس معها عند النطق بها، و المهموسة هي التى يجرى النفس معها عند ذلك علمت انحصار التقسيم بالنفى و الإثبات.

و كذلك الشديدة و الرخوة، و ما بين الشديدة و الرخوة تقسيم، و المطبقة و المنفتحة تقسيم. و المستعليه و المنخفضة تقسيم. و ما بعد ذلك لم يقصد فيه إلا ذكر القسيم مع قسيمه إذ «٣» لم يسم قسيمه باسم باعتبار مخالفته. فإذا قصد وصفه بذلك ذكر منفياً عنه ذلك الوصف، كما تقول: ما عدا الراء من الحروف ليس بمكرر، و ليس لها لقب باعتبار نفى التكرار «٤».

و قد نظر علماء التجويد إلى صفات الحروف نظرة أشمل من ذلك. فلم يكتفوا بذكر الصفة و قسيمتها، بل حاولوا تقديم أسس شاملة لتصنيف الحروف، تنطوى تحتها التقسيمات الفرعية. و لعل أدق الاتجاهات فى تقسيم الصفات هو الاتجاه الذى يصنفها إلى صفات مميزة و صفات محسنة، و كان الحسن بن قاسم المرادى (٧٤٩هـ) أول من ذهب هذا المذهب، فيما اطلعت عليه من المصادر ثم تابعه فى هذا الاتجاه أبو الفتوح الوفاى (ت ١٠٢٠هـ).

قال المرادى فى كتابه (المفيد فى شرح عمدة المجيد): «الفصل الخامس: فى انقسام هذه الصفات إلى مميز و محسن، و ذى قوة و ذى ضعف: اعلم وفقك الله أن هذه الصفات (١) متن الجزرية ص ١١-١٤. و قد نص على ذلك بعض شراح المقدمة مثل الوفاى (الجواهر المضية ٢٦ و) و على القارى (المنح الفكرية ص ١٤). و الواقع أن الصفات التى ذكرها ابن الجزرى تبلغ ثمانى عشرة صفة. و لكن الشراح أسقطوا المتوسطة (بين الشديدة و الرخوة) من الحساب فأصبحت سبع عشرة صفة.

(٢) ساقطة من الأصل المطبوع، و هي لازمة لصحة المعنى.

(٣) فى الأصل المطبوع (إذا).

(٤) الإيضاح فى شرح المفصل ٢/ ٤٨٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ١٩٩

المذكورة [لها فائدتان، الأولى «١»: تمييز الحروف المشاركة، و لولاها لا تحدث أصواتها و لم تتميز ذواتها. قال المازنى: الذى فصل بين الحروف التى ائتلف منها الكلام سبعة أشياء:

الجهر و الهمس، و الشدة و الإرخاء، و الإطباق، و المد، و اللين، قال: فإذا همست أو جهرت أو أطبقت أو شددت، أو مددت أو لينت اختلفت أصوات الحروف التى من مخرج واحد.

و لذلك قال الرماني و غيره: لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا، لأنه ليس بينهما فرق إلا الإطباق. و لصارت الطاء ذالا و لصارت الصاد سينا، و لخرجت الضاد من كلام العرب لأنه ليس من موضعها شىء غيرها.

فهذه إحدى فائدتى الصفات، و هي تمييز الحروف المشتركة فى المخرج و الفرق بين ذواتها.

و لها فائدة أخرى و هي تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج فقد اتضح بهذا أن صفات الحروف قسمان: مميز و محسن «٢».

و نقل أبو الفتوح الوفاى كلام المرادى فى تقسيم الصفات إلى مميزة و محسنة، و لكنه أضاف بعض الأفكار الجديدة حيث قال: «الصفات جمع صفة، و هي لفظ يدل على معنى فى موصوفه، إما باعتبار محله أو باعتبار ذاته. فالأول الحلقية و اللثوية و شبه ذلك. و

الثانى كالجهر و الهمس. و لهذه [الصفات «٣» فائدتان:

الأولى: تمييز الحروف المشتركة فى المخرج لأن المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته و الصفة له كالناقد يعرف بها كفيته و لو

لا ذلك لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد و صفة واحدة فلا تفهم. و هذا معنى قول المازني: إذا همست أو جهرت ...

و الأخرى: تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج، فقد اتضح لك بهذا أن صفات الحروف قسما مميّز و محسن «٤». و يفهم من قولهم (محسن) أن الصفة تعطى الصوت جرسا خاصا، دون أن يكون ذلك سببا للتمييز بينه و بين الأصوات الأخرى.

و تكاد نظرية تقسيم صفات الحروف إلى مميزة و محسنة تكون أفضل ما أتى به دارسو (١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل و كملته من الجواهر المضية للوفائي ٢٥ ظ.

(٢) المفيد ١٠٢ و- ١٠٢ ظ.

(٣) ليست في الأصل، و نقلتها من نص المرادى في المفيد ١٠٢ و.

(٤) الجواهر المضية ٢٥ ظ- ٢٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٠

الأصوات العربية المتقدمون في مجال تصنيف صفات الحروف، لأن هذه النظرية تبنى على إدراك عميق لخصائص الأصوات و صفاتها و العلاقة بينها.

و كان علماء التجويد مدركين لظاهرة التقابل بين الأصوات، و دور الصفات في التمييز بينها، خاصة الجهر و الهمس، و الشدة و الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح. قال مكى بن أبى طالب: «و لولا الهمس الذى فى السين لكانت زاء، و كذلك لولا الجهر الذى فى الزاى لكانت سينا، إذ قد اشتركا فى المخرج و الصفير و الرخاوة و الانفتاح و التسفل، و إنما اختلفا فى الجهر و الهمس لا- غير، فباختلاف هاتين الصفتين افترقا فى السمع فاعرف ذلك. فيجب أن تعلم أيضا أن السين حرف مؤاخ للصاد، لاشتراكهما فى المخرج و الصفير و الهمس و الرخاوة، و لولا الإطباق و الاستعلاء اللذان فى الصاد- ليسا فى السين- لكانت الصاد سينا، و كذلك لولا التسفل و الانفتاح اللذان فى السين- ليسا فى الصاد- لكانت السين صادًا. فاعرف من أين اختلف السمع فى هذه الحروف و المخرج واحد و الصفات متفقة» (١).

و على هذا النحو ناقش مكى العلاقة بين عدد من المجموعات الصوتية، مثل (ط د ت) «٢». و (ط ذ ث) «٣». و قال: «و اعلم أنه لولا اختلاف الصفات فى الحروف لم يفرق فى السمع بين أحرف من مخرج واحد، و لولا- اختلاف المخارج لم يفرق فى السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة» «٤».

و كذلك قال عبد الوهاب القرطبي: «و حال الصاد و السين و الزاى، كحال الطاء و الدال و التاء، و الظاء و الذال و الثاء، لأن الصاد امتازت عن السين بالإطباق، و لولاه لكانت الصاد سينا، و كذلك السين امتازت عن الزاى بالهمس، و لولاه لكانت زاء» «٥». ثم بين العلاقة بين (ط د ت)، و كذلك (ظ ذ ث) على نحو ما وضحها فى (ص ز س) «٦».

و تظهر عناية علماء التجويد بظاهرة التمييز بين الأصوات عن طريق الصفات المتقابلة فى مجال الأبنية، و ليس فى نطاق الأصوات المفردة، فكثيرا ما نجدهم ينصون على أن معنى (١) الرعاية ص ١٨٥.

(٢) الرعاية ص ١٧٥ و ١٧٨ و ١٩٠- ١٩١.

(٣) الرعاية ص ١٩٥ و ١٩٨.

(٤) الرعاية ١٩١- ١٩٢.

(٥) الموضح ١٦٢ ظ.

(٦) الموضح ١٦٣ و- ١٦٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠١

الكلمة يتغير إذا أزيلت صفة صوتية معينة عن أحد حروف الكلمة، قال مكي: «وإذا وقعت الظاء في كلمة تشبه كلمة أخرى بالذال بمعنى آخر وجب البيان للظاء لثلا ينتقل إلى معنى آخر.

و ذلك نحو قوله تعالى: «وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا [الإسراء: ٢٠] أي ممنوعاً، فهو بالظاء، فينه لثلا يشبهه في اللفظ بقوله: إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا [الإسراء: ٥٧] فهذا بالذال من الحذر» (١). وكذلك عقد مكي مقابلةً بين «أَصِيرُوا وَاَصِيرُوا» (٢) و «يُسْحَبُونَ و يُصْحَبُونَ» (٣) و «قَسَمْنَا و قَصَمْنَا» (٤) و وضع دور الصفات في التمييز بين هذه الألفاظ (٥).

و كان الداني مدركا لتلك الظاهرة أيضاً، و ذلك حيث قال: «و كذلك يلزم أن يتعمل تلخيص الصاد من السين فيما يتفق لفظه و يختلف معناه، بما تقدم، و ذلك في نحو قوله:

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَوْمٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا [الأنبياء: ١١] وَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ [الزخرف: ٣٢]. وَ لَا هُمْ مِمَّنْ يُضَيِّعُ حَبُونَ [الأنبياء: ٤٣] وَ يُسْحَبُونَ\* فِي الْحَمِيمِ [غافر: ٧١-٧٢] ... و ما أشبهه» (٦).

و مثل ذلك في قوله عن القاف: «أ لا ترى أنه متى لم ينعم بيانه في قوله تعالى:

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا [العاديات: ٢] صار اللفظ بها كاللفظ بقوله تعالى: إِلَى رَبِّكَ كَذْحًا [الانشقاق: ٦] .. وَ كِتَابٍ مَرْقُومٍ [المطففين: ٩] وَ سَحَابٍ مَرْكُومٍ [الطور: ٤٤]، و شبهه، فتغير اللفظ، و انقلب المعنى» (٧). و تحدث عن نفس الفكرة في مواضع أخرى من كتابه (التحديد) (٨).

و كذلك كان عبد الوهاب القرطبي مدركا لتلك الظاهرة فتحدث عنها في أكثر من موضع في كتابه (الموضح في التجويد) (٩). (١) الرعاية ص ١٩٥.

(٢) (أسروا) في المائدة ٥٢ (أصروا) في سورة نوح ٧.

(٣) (يسحبون) في غافر ٧١ (يصحبون) في الأنبياء ٤٣.

(٤) (قسمنا) في الزخرف ٣٢ (قصمنا) في الأنبياء ١١.

(٥) الرعاية ص ١٨٨.

(٦) التحديد ٣٤ و- ٣٤ ظ.

(٧) التحديد ٢٧ ظ.

(٨) انظر: التحديد ٣٣ ظ، ٣٩ ظ.

(٩) انظر: الموضح ١٦٠ ظ، ١٦٢ ظ، ١٦٣ ظ، ١٦٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٢

و ناقش الدر كزلي الأسس التي بموجبها يتم تصنيف الصوت إلى حرف أصلي و حرف فرعي. فنقل عن الفخر الرازي: «لقائل أن يقول: إن نسبة اللام الرقيقة إلى الغليظة كنسبة الذال إلى الظاء، و كنسبة السين إلى الصاد، فإن الذال يذكر بطرف اللسان و الظاء يذكر بكل اللسان، و كذلك السين يذكر بطرف اللسان و الصاد يذكر بكل اللسان، فثبت أن نسبة اللام الرقيقة إلى اللام الغليظة كنسبة الذال إلى الظاء، و كنسبة السين إلى الصاد. قال: ثم رأينا أن القوم قالوا: الذال حرف و الظاء حرف آخر، و كان الواجب أيضاً أن يقولوا: اللام الرقيقة حرف و اللام الغليظة حرف آخر، و إنهم ما فعلوا ذلك، و لا بد من الفرق. انتهى.

قلت (الدر كزلي): قد مر أنهم جعلوا الحروف إلى أصول و فروع، و عدوا من الفروع اللام المفخمة كلام الطلاق و الصلاة، بل صرحوا بلام الجلالة نفسها أنها منها. و فرقوا بين الأصل و الفرع بإزالته عن مخرجه الأصلي» (١). و لا شك في أن أساس اعتبار الذال حرفاً و الظاء حرفاً آخر، و عدم اعتبار اللام الرقيقة و اللام الغليظة حرفين هو قدرة الذال و الظاء على التبادل في الموقع، مع تغيير المعنى، على نحو ما لاحظنا في الأمثلة السابقة مثل (محذورا و محظورا) فالفرق الصوتي بين الكلمتين الذي أدى إلى اختلاف المعنى هو وجود

الذال في الكلمة الأولى ووجود الظاء في الكلمة الثانية. أما اللام الرقيقة و اللام الغليظة فليس لهما هذه القدرة على تبادل المواقع و تغيير المعنى، فهما في الواقع تنوع صوتي لحرف واحد هو اللام. و مع ذلك نجد بعض الدارسين المحدثين يرى إمكانية اعتبار اللام المفخمة حرفا مستقلا، لكن جمهور الدارسين يعتبرونها تنوعا للام الأصلية «٢».

و كان بعض علماء التجويد قد عبروا عن فكرة تقسيم صفات الحروف إلى مميزة و محسنة عن طريق تقسيمها إلى ما له ضد و ما ليس له ضد «٣». قال عبد الغنى النابلسي (ت ١١٤٣ هـ): «و صفات الحروف تنقسم إلى قسمين: صفات لها أصداد، و صفات لا أصداد لها تضادها... الفصل الأول: الصفات التي لها أصداد تضادها و هي خمس صفات» «٤» ثم ذكر:

الهمس و الجهر، و الشدة و الرخاوة، و الاستعلاء و الاستفال، و الانطباق و الانفتاح، و الاندلاق و الانصمات. ثم ذكر في الفصل الثاني: الصفات التي لا أصداد لها تضادها، و هي ثمانى (١) خلاصة العجالة ١٧٨ و- ١٧٨ ظ.

(٢) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٨٤-٢٨٧.

(٣) انظر: المرادى: المفيد في شرح عمدة المجيد ١٠١ ظ، و التونى: المفيد في علم التجويد ٣ ظ.

(٤) كفاية المستفيد ٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٣

صفات: الصفير، و القلقلة، و اللين، و الانحراف، و التكرار، و النفشى، و الاستطالة، و الغنة «١».

و سلك بعض علماء التجويد طرقا أخرى في تصنيف الصفات، و ذلك بتقسيمها إلى قسمين ذاتي و عارضى، فالصفات الذاتية مثل الجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة و الانحراف و التكرير و الصفير و النفشى و الغنة، و العارضية هي الأحكام التي تلحق الأصوات من جراء التركيب مثل الترقيق و التفخيم و الإدغام و الإظهار و المد و القصر و نحو ذلك «٢».

و كان ابن الجزرى قد قال في (المقدمة) في تعريف التجويد: «٣»

و هو إعطاء الحروف حقها من صفة لها و مستحقها

و قد فسر شراح المقدمة قول ابن الجزرى (حقها و مستحقها) تفسيراً يطابق تقسيم الصفات السابق إلى ذاتي و عارضى، فقال أحمد بن الجزرى، و هو ابن الناظم: «و الفرق بين حق الحرف و مستحقه أن حق الحرف صفته اللازمة له من همس و جهر و تشديد و رخاوة، و غير ذلك من الصفات الماضية. و مستحقه: ما ينشأ عن هذه الصفات كترقيق المستفل و تفخيم المستعلى، و نحو ذلك» «٤». و ردد شراح المقدمة الآخرون و غيرهم مقالة أحمد بن الجزرى السابقة «٥».

و قسم كثير من علماء التجويد صفات الحروف إلى صفات قوية و صفات ضعيفة و أخرى متوسطة بينهما، و يقسمون الحروف بعد ذلك بقدر ما فيها من صفات القوة و الضعف إلى قوية و ضعيفة و متوسطة «٦».

و سوف نسير في تتبع صفات الحروف على نهج من ذهب من علماء التجويد إلى تقسيمها إلى صفات محسنة و صفات مميزة، لأن هذا الاتجاه يتميز على غيره بإدراك أعمق لخصائص الأصوات، و يقدم أساساً شاملاً للتقسيم يناسب مرحلة البحث التي نحن فيها الآن بخلاف تقسيمها إلى ذاتية و عارضية، فإن الحديث عن الصفات العارضية ينقلنا إلى مرحلة من (١) كفاية المستفيد ٦ و- ٨ و.

(٢) السمرقندى: روح المريد ١٢٤ ظ، و انظر: المرادى: المفيد ١٠١ ظ، و القسطلانى: لطائف الإشارات ١/١٩٦.

(٣) متن الجزرية ص ١٥.

(٤) الحواشى المفهومة ٢٦ ظ.

(٥) انظر: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٢٣ و. و على القارى: المنح الفكرية ص ١٨. و أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ٥

و.

(٦) انظر: مكى: الكشف ١/١٣٧، و المرادى: المفيد ١٠٢ ظ، و النابلسى: كفاية المستفيد ٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٤

البحث لم نبلغها بعد، و هي الحديث عن أحكام الحروف التركيبية التي نرجو أن نستوفى الكلام عنها في الفصل اللاحق، إن شاء الله تعالى.

و بناء على ذلك سوف ندرس أولاً الصفات المميزة التي تنحصر في الصفات التي لها أضداد، و هي الجهر و الهمس، و الشدة و الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح. ثم نعرض بعد ذلك للصفات المحسنة التي منها ما يخص صوتاً واحداً، و منها ما يتعلق بمجموعة من الأصوات، و نختم المبحث ببيان كيفية وصف علماء التجويد للأصوات.

## أولاً- صفات الأصوات المميزة:

### إشارة

و هي تنحصر في الجهر و الهمس، و الشدة و الرخاوة و التوسط بينهما، و الإطباق و الانفتاح، و الاستعلاء و الاستفال، و الذلاقة و الإصمات. و سوف نوضح هنا وجهة علماء التجويد في دراسة هذه المجموعة من الصفات، و المشكلات الصوتية التي تتصل بها.

### ١- الجهر و الهمس:

### إشارة

الصوت المجهور هو الذي يهتز (أو يتذبذب) الوتران الصوتيان حال النطق به، و الصوت المهموس بعكس المجهور هو الذي لا يهتز (أو لا يتذبذب) الوتران الصوتيان حال النطق به.

و قد أوضحنا ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل عند الحديث عن إنتاج الأصوات اللغوية، و بينا موقف علماء التجويد من تحديد المجهور و المهموس و انتهينا هناك إلى أن علماء التجويد و علماء العربية أدركوا ظاهرة الجهر و الهمس كما يتصورها المحذوثون، و لم يبق إلا أن نقف عند الحروف التي وصفها علماء التجويد بأنها مجهورة و الحروف التي وصفوها بأنها مهموسة.

و كان لتحديد سيبويه للحروف المجهورة و المهموسة سلطان مستمر على دارسى الأصوات العربية، كما كان له ذلك في الموضوعات الأخرى، فسلك علماء التجويد طريق سيبويه في تحديد الحروف المجهورة و المهموسة. فإذا كان سيبويه قد قال إن الحروف المهموسة عشرة، و هي: الهاء و الحاء و الخاء و الكاف و الشين و السين و التاء و الصاد و الثاء و الفاء، و أن المجهورة تسعة عشر حرفاً هي: الهمزة و الألف و العين و الغين و القاف و الجيم و الياء و الضاد و اللام و النون و الراء و الطاء و الدال و الزاي و الظاء و الذال و الباء و الميم و الواو «١». فإن علماء التجويد لم يخرجوا عن ذلك التحديد «٢». (١) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٢) انظر: مكى: الرعاية ص ٩٢-٩٣، و الدانى: التحديد ١٧ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٥

و كانت قد برزت ظاهرة جديدة و هي محاولة جمع أنواع الحروف في بعض الكلمات سواء كان معناها واضحاً أم لا. و هذه الظاهرة و إن كانت شكلية إلا- أنها كان لها تأثير في ترديد تلك الأنواع من غير أن تكون هناك محاولة من أجل إعادة توزيع الحروف في نطاقها. و كانت بدايات هذه الظاهرة موجودة عند علماء العربية، فوجد ابن جنى بعد أن ذكر الحروف المهموسة قال: «و يجمعها في اللفظ قولك: ستشحك خصفه» «١». و بالغ بعض علماء التجويد في ذلك. فوجد مكى يقول: (الحروف المهموسة، و هي عشرة

أحرف يجمعها هجاء قولك:

ستشحك خصفه، أو هجاء قولك: سكت فحته شخص، أو هجاء قولك: سكت شخصه فحث «٢». و لم يكتف بعضهم بحصر الحروف المهموسة وإنما جمع الحروف المجهورة بوضع كلمات أيضا، قال أبو العلاء الهمداني العطار، و هو يتحدث عن الحروف المجهورة:

«و جمعها بعضهم فى قوله: زاد ظبى غنج لى ضمورا إذا قطع» «٣».

و كان علماء التجويد قد لاحظوا على نحو واسع التقابل بين بعض الأصوات المجهورة و المهموسة، و أدركوا دور ظاهرة الجهر و عدمها فى التمييز بين الأصوات: قال مكى: «لو لا الجهر الذى فى العين لكنت حاء» «٤». و قال: «لو لا ما بينهما من الجهر و الهمس لكنت الخاء غينا إذ المخرج واحد» «٥». و قال: «كذلك الدال لو لا الجهر الذى فيه لكنت تاء، إذ المخرج واحد» «٦». و قال: «و لو لا الهمس الذى فى السين لكنت زاء، كذلك لو لا الجهر الذى فى الزاى لكنت سينا، إذ قد اشتركا فى المخرج و الصفير و الرخاوة و الانفتاح و التسفل، و إنما اختلفا فى الجهر و الهمس لا غير» «٧».

و قال عبد الوهاب القرطبي: «السين امتازت عن الزاى بالهمس، و لو لاه لكنت زاء» «٨».

و قال: «لو لا الجهر الذى فى الدال لصارت تاء» «٩». و قال: «و لو لا الجهر الذى فى الدال صار (١) سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩».

(٢) الرعاية ص ٩٢.

(٣) التمهيد ١٤٥ ظ، و انظر: السمرقندى: روح المريد ١٢٦ و. و كذلك الدانى: التحديد ١٧ ظ.

(٤) الرعاية ص ١٣٨.

(٥) الرعاية ص ١٤٣.

(٦) الرعاية ص ١٧٨.

(٧) الرعاية ص ١٨٥.

(٨) الموضح ١٦٢ ظ.

(٩) الموضح ١٦٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٦

ثاء» «١». و هذه أمثلة قليلة يمكن أن يصادف المتتبع عشرات مثلها فى كتب علم التجويد، و يكفى الدارس أن يعرف أن الفخر الموصلى تحدث فى كتابه (الدر المرصوف فى وصف مخارج الحروف) عن «علل اختلاف الحروف مع اتحاد المخرج» و قد استغرق ذلك ثلث الكتاب تقريبا و كان لظاهرتى الهمس و الجهر النصيب الأكبر فى ذلك «٢». و كذلك فعل محمد المرعشى حيث عقد مبحثا فى كتابه (جهد المقل) (فى بيان الفرق بين بعض الحروف المتشابهة) نحا فيه نحو الفخر الموصلى «٣».

و كلام علماء العربية و علماء التجويد عن الحروف المجهورة و الحروف المهموسة يثير بعض القضايا التى تحتل المناقشة، و يتلخص ذلك فى أنهم وصفوا الهمزة و القاف و الطاء بأنها مجهورة، و هى ليست كذلك فى النطق العربى اليوم، كما يقرر علماء الأصوات المحدثون، و كما يشهد الواقع بذلك «٤».

و نحن أمام هذه القضية بين ثلاثة احتمالات:

١- احتمال أنهم أخطئوا فى وصف هذه الأصوات، فعدوها مجهورة، و هى مهموسة.

٢- احتمال أنهم حين وصفوا هذه الأصوات كانت مجهورة ثم تغيرت بعد ذلك حتى صارت مهموسة.

٣- احتمال أنهم وصفوا نوعا مجهورا من تلك الأصوات كان سائدا فى نطق بعض العرب، لا سيما الطاء و القاف.

و كان عدد من دارسى الأصوات اللغوية من المحدثين قد ناقشوا قضية الأصوات الثلاثة فى إطار تلك الاحتمالات «٥». و لسنا بصدد



تقصى كل ما قالوه، و لكننا سوف نركز على ملامح هذه القضية عند علماء التجويد و ما يعتبر إضافة جديدة في كلامهم، مما يساعد في تفسير وصف الأصوات الثلاثة بأنها مجهورة. (١) الموضح ١٦٣ و.

(٢) الدر المرصوف ١٧١ ظ- ١٧٣ ظ.

(٣) جهد المقل ١٩ ظ.

(٤) انظر: محمود السعرا: علم اللغة ص ١٨٦ و ١٧٠.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٣ و ٨٥، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣٠ و ١٤١ و ١٤٦، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٩٤ و ٢٩٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٧

### (أ) مشكلة الهمزة:

أما الهمزة فقد ذهب سيبويه وغيره من علماء العربية، و علماء التجويد، إلى أنها صوت مجهور «١». و هي عند المحدثين ليست مجهورة، و قد اختلفوا، فبعضهم قال: إنها مهموسة، و تأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الوترين الصوتيين معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق «٢». و قال آخرون الهمزة صوت لا- هو بالمجهور و لا- هو بالمهموس، لأن وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو الهمس «٣».

و فسر بعض المحدثين عد الهمزة من الحروف المجهورة لدى علماء العربية و علماء التجويد على أساس أنهم لم يوفقوا في نطق الهمزة مجردة، فكانوا ينطقونها متلوة بحركة، و الحركة مجهورة، فأثر جهر الحركة على نطق الهمزة حتى عزوا جهرها للهمزة نفسها «٤».

و حمل بعضهم ذلك على أنهم وصفوا همزة مسهلة، و هي حينئذ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة «٥». و نحن إذا حاولنا اختبار موضع الهمزة على حسب طريقة علماء العربية في إدخال همزة الوصل على الحرف و النطق به ساكنا فإننا نجد حينئذ سلسلة صوتية تتكون من (همزة+ حركة+ همزة) (إء)، و هذه السلسلة الصوتية حين نطق بها مستقلة ستبدأ عملية التصويت بها بفتح الوترين بعد ضغط الهواء خلفهما، ثم تذبذب الوترين لإنتاج صوت الحركة، سواء أ كانت فتحة أم كسرة أم ضمة، ثم يعقب ذلك تضام الوترين مرة أخرى ثم انفراجهما بعد ذلك بهدوء. و من هنا نلاحظ طغيان ذبذبة الوترين الصوتيين على الأحداث الصوتية الأخرى في عملية الاختبار، و ربما كانت مثل هذه الحالة مصدر وصف الهمزة بأنها صوت مجهور. و لكن الهمزة المجردة غير المسهلة نفتقد معها ذبذبة الوترين التي هي مصدر الجهر، لأن الهمزة ما هي إلا انطباق (١) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٤، و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٢٩، و مكى: الرعاية ص ١١٩، و الداني: التحديد ٢٣ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٥ و.

(٢) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٧، و جان كاتينو: دروس ص ١٢٣، و عبد الرحمن أيوب:

أصوات اللغة ص ١٨٣، و هنرى فليش: العربية الفصحى ص ٣٨.

(٣) محمود السعرا: علم اللغة ص ١٧١، و إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٩١، و كمال محمد بشر:

الأصوات ص ١٤٢.

(٤) أ. شاده: علم الأصوات عند سيبويه و عندنا ع ٥ ص ١٤.

(٥) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٨

الوترين ثم انفراجهما.

## (ب) مشكلة الطاء:

الطاء حرف مجهور أيضا عند علماء العربية و علماء التجويد (١). لكنه مهموس في النطق العربي اليوم (٢). و هنا يترجح لدى بعض المحدثين أن صوت الطاء الذى وصفه القدماء بأنه صوت مجهور يشبه صوت الضاد الذى ينطقه أهل مصر اليوم، أى أنه الصوت المطبق للدال (٣).

و مما يؤيد ذلك قول سيبويه و هو يتحدث عن حروف الإطباق الأربعة: «و لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا، و الصاد سينا، و الطاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شىء من موضعها غيرها» (٤). فهذا النص صريح فى كون الطاء العربية هى النظير المطبق للدال، و أنه إذا أزيل الإطباق عنها صارت دالا. و هذا الوصف ينطبق على الضاد التى ينطقها الناس فى مصر. فهى النظير المطبق للدال، و هذا يعنى أن تحولا- حصل فى نطق الطاء و الصاد معا، لأن الطاء اليوم إذا أزيل عنها الإطباق صارت تاء لأنها مهموسة، و ليس بينها و بين التاء من فرق سوى الإطباق. و كانت الضاد العربية إذا أزيل إطباقها تختل و لا تتحول إلى صوت آخر من الأصوات العربية، بينما هى اليوم- فى نطق أهل مصر خاصة، لا فى نطق أهل العراق- إذا أزيل عنها الإطباق صارت دالا. و يمكن أن نعبر عن التطور الذى حصل فى صوتى الطاء و الصاد فى الجدولين الآتيين:

النطق القديم النطق الحديث (١) سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٤. و مكى: الرعاية ص ١٧٢. و الدانى: التحديد ٣١ ظ.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٢، و محمود السمران: علم اللغة ص ١٦٨، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣١.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٣.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٠٩

فالضاد القديمة كانت من مخرج مستقل ليس له علاقة بمخرج (ط د ت)، و كانت رخوة كما سنشير فى الفقرة الآتية من هذا المبحث، و لم يكن فى العربية صوت منفتح مقابل لها، لأنها كما يقول سيبويه إذا أزيل عنها الإطباق خرجت من الكلام. و مما يدل على أن الطاء العربية القديمة المجهورة كانت صوتا يشبه صوت الضاد فى نطق أهل مصر اليوم أن بعض العلماء المتأخرين مثل على بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسى (ت ١٠٠٤ هـ)، و محمد المرعشى الملقب ساج قلى زاده (ت ١١٥٠ هـ) وصفوا نطق أهل مصر للضاد فى زمانهم أنه يشبه الطاء قال المقدسى: «لما رأيت بمحروسة القاهرة التى هى زين البلاد كثيرا من أفاضل الناس فضلا عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل و النقل فى نطق الضاد ... فليعلم أن أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة و الطاء المهملة» (١). و قال أيضا: «أما هذا الحرف الذى يشبه الدال المفخمة و الطاء المهملة الذى ينطق به أكثر المصريين و لنسمه بالضاد الطائيه ...» (٢). و قال المرعشى:

«فما اشتهر فى زماننا هذا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا يعرف له سبب ... و منهم من يخرج الضاد المعجمة طاء مهملة كالمصريين ... أقول: قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فيها مفاسد ...» (٣).

و مما يدل أيضا على أن صوت الطاء العربية القديمة المجهورة كانت دالا مطبقة مثل صوت الضاد فى نطق أهل مصر اليوم، أن بعض المحدثين ذكر أن الطاء العربية القديمة (الدال المطبقة) لا تزال تسمع فى بعض البلدان، مثل جنوبى الجزيرة العربية، حيث يقولون (مضر) يريدون (مطر) و (قضعت ورقة) يريدون (قطعت ورقة) (٤). ينطقون بالطاء ضادا مثل التى تنطق فى مصر اليوم.

و لكن متى تم ذلك التحول فى نطق الطاء؟ هذا الموضوع يحيط به الغموض، فليس لدينا نصوص تؤكد لنا ذلك التحول أولا، و توضح لنا مراحلها ثانيا. فكان سيبويه قد ذكر من بين (١) بغية المرتاد ١ ظ.

(٢) بغية المرثاد ٤ و.

(٣) جهد المقل ٢٠ ظ - ٢١ و.

(٤) أ. شاده: علم الأصوات عند سيويو و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٣، و إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٣، و جان كانتينو: دروس ص ٥٠ - ٥١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٠

الحروف غير المستحسنه (الطاء التي كالتاء) «١». وقد وضع بعض علماء التجويد قول سيويو هذا بقوله: «و أما الطاء التي كالتاء فإنها تسمع من عجم أهل المشرق، لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة، فإذا احتاجوا إلى النطق بشيء من العربية فيه طاء تكلفوا ما ليس في لغتهم، فضعف نطقهم بها» «٢».

و من غير المحتمل أن يكون قول سيويو (الطاء التي كالتاء) كافيا في رد قول من يقول إن الطاء العربية القديمة كانت مجهورة و أنها كانت النظير المفخم للذال، لا سيما أن سيويو أكد على ذلك بشكل واضح في قوله السابق (لو لا الإطباق...)، و من ثم يكون هذا الصوت (الطاء التي كالتاء) تحريفا لنطق الطاء الأصلية على مرحلتين: الأولى: إذهاب الجهر، و الثانية: إذهاب الإطباق فتقرب الطاء حينئذ من التاء إن لم تكن تاء مثلها.

و يفهم من قول طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ): «إن مخرج الطاء و التاء لما اتحدا و انحصر الفرق بينهما في صفة الاستعلاء و الإطباق الحاصلتين في الطاء...» «٣» أن الطاء كانت في زمانه صوتا مهموسا، لأنه لم يشر إلى أن الجهر أحد الفروق بين الطاء و التاء.

و لم يكن من اليسير لدى العلماء المتأخرين التصريح بأن الطاء صوت مهموس، و بين أيديهم عشرات النصوص التي تؤكد أن الطاء صوت مجهور، و لم تكن وسائلهم تتجاوز الملاحظة الذاتية التي يتردد صاحبها في التصريح بنقض إجماع أجيال من العلماء على أساس ملاحظته الذاتية. و لعل هذا يفسر لنا ما نجده من اضطراب في أحد النصوص الواردة في كتاب (بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد) لملا حسين بن اسكندر الحنفى الرومى (ت ١٠٨٤ هـ)، فقد ورد في بعض مخطوطات الكتاب: «فإن قيل ما فائدة الصفات؟ أجب:

فائدتها تمييز الحروف المتشاركة في المخرج، و لو لاها لا تحدث أصواتها، و لم تتميز ذواتها.

و لو لا- الإطباق لصارت الطاء تاء، لأنهما ليس بينهما فرق إلا- الإطباق، و كذا لصارت الطاء ذالا و الصاد سينا، و لخرجت الصاد المعجمة من كلام العرب لأنها ليس من موضعها شيء غيرها» «٤». الذى يعيننا بالتحديد قوله: «و لو لا الإطباق لصارت الطاء تاء». و هذا يعنى أن (١) الكتاب ٤/ ٤٣٢.

(٢) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٥ و.

(٣) شرح المقدمة الجزرية ٢٢ ظ.

(٤) بيان المشكلات: المخطوطات المرقمة: ١٥٥٧ و ١٨٣٩٨ و ٧١٠٥ فى مكتبة المتحف ببغداد، و أوراقها غير مرقمة.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١١

الطاء لديه صوت مهموس، و ليس بينه و بين التاء من فرق سوى الإطباق.

لكننا نجد النص نفسه فى نسخ أخرى من مخطوطات الكتاب على هذا النحو (و لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا) «١». بينما حذف هذا النص أصلا من مخطوطات أخرى و حل محله (و لو لا الإطباق لصارت الطاء ذالا و الصاد سينا) «٢».

و لا يمكن أن يكون جميع ذلك الاضطراب فى النص من النسخ، فما ورد فى نسخ الكتاب يشير إلى أن المؤلف لاحظ أن الطاء لا تختلف عن التاء إلا- بالإطباق، و من ثم قال (و لو لا- الإطباق لصارت الطاء تاء). و ربما لاحظ هو أو غيره أن علماء التجويد ينصون على أنه (لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا) فقام المؤلف أو بعض النساخ بتصحيح العبارة على وفق الورد فى كتب علم التجويد حيناً، و

قام بحذفها حيناً آخر. وقد وردت عبارة (لصارت الطاء دالا) في بعض النسخ مكتوبة في الهامش «٣».

و نجد محمدا المرعشى يحذّر من أن يقلّ جهر الطاء فتتحول إلى تاء مطبقة، و في رأيه أن هذا الحرف ليس من حروف العربية، و هو في الواقع الطاء العربية المهموسة التي نطقها اليوم، قال: «إن الطاء و التاء من مخرج واحد، و متحدتان في الصفات إلا الإطباق و الاستعلاء و الجهر، فإنها صفات الطاء و أضدادها و هي الانفتاح و الاستفالة و الهمس صفات التاء. و متى أهدمت تلك الصفات للطاء يصير تاء. و إذا لم تعدم إطباق الطاء و استعلاءها لكن أهدمت جهرها فأعطيت لها همسا كما يفعله بعض المبتدئين في مثل الصّراط المُسْتَقِيم، صراط اللّذين، فلا يكون المغيّر إليه حرفا من حروف التسعة و العشرين، لكن لك أن تسمى المغيّر إليه طاء مهموسة، أو تاء مطبقة، أو تاء مفخمة» «٤».

و لاحظ المرعشى أنه بينما يجب بحسب الوصف الوارد في الكتاب للطاء أن تتحول إلى الدال إذا أزيل إطباقها و جدها يغلب عليها لفظ التاء، و هو أمر يشير إلى أن الطاء في زمانه قد غلب عليها الهمس، يقول: «و احذر عن إعطاء الطاء همسا كما يفعله بعض الناس، حتى إذا أزلت إطباقه و تفخيمه على ما لفظوا به يصير تاء. و حق الطاء أن يكون بحيث إذا أزلت إطباقه (١) المخطوطات المرقمة ٢٤٥٠٩ و ٢١٨١٩ في مكتبة المتحف ببغداد.

(٢) المخطوطات المرقمة ٢٤٣٨٠ و ٢٥٢٣٤ و ١٢٦٨٦ في مكتبة المتحف ببغداد.

(٣) النسخة المرقمة ٢١٨١٩ في مكتبة المتحف ببغداد.

(٤) بيان جهد المقل ٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٢

و تفخيمه يصير دالا» «١».

يمكن أن نستخلص من هذا العرض أن وصف علماء العربية و علماء التجويد للطاء بأنه صوت مجهور و وصف صحيح، و هذا الوصف يمثل الطاء العربية القديمة التي لم تحافظ على خصائصها الصوتية، فلحقها الهمس و صارت تنطق اليوم تاء مطبقة، بينما صارت الطاء العربية القديمة المجهورة حرفا آخر في بعض البلدان، فصارت تمثل الضاد في نطق أهل مصر و من سار على منوالهم، بعد أن اختفت الضاد العربية القديمة من الاستخدام. و قد لاحظ بعض علماء التجويد المتأخرين أن الهمس أخذ يغلب على صوت الطاء. هذه خلاصة ما نرجحه الآن بالنسبة لصوت الطاء و هو ترجيح مبنى على النصوص السابقة، لكن على الدارس ألا يغيب عن نظره ذلك الإجماع على نطق الطاء المهموسة اليوم من قبل ناطقي العربية في المستوى الفصيح و الدارج، و منهم قراء القرآن الكريم الذين يحرصون على ضبط نطقهم و المحافظة على صورته الموروثة. و لم يلاحظ أحد من العلماء المتقدمين تحول الطاء من الجهر إلى الهمس، كما لاحظ كثير منهم التحول الذي أصاب نطق الضاد. و هذه الحالة تضع قضية الطاء في إطار آخر، هو احتمال الخطأ في وصف صوت الطاء بالجهر، لكن النصوص السابقة لا سيما قول سيويه (لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا) تقف في وجه هذا الاحتمال بقوة تجعل الدارس يحس بالحاجة إلى كثير من البحث قبل أن يعطى رأيا قاطعا في قضية الطاء.

### (ج) مشكلة القاف:

القاف العربية الفصيحة التي ينطقها متكلمو العربية اليوم صوت مهموس «٢». لكن علماء العربية و علماء التجويد و صفوا القاف بأنها صوت مجهور «٣». و قد سارع بعض المحدثين إلى القول: «إن النحاء و القراء قد أخطئوا في اعتباره مجهورا» «٤». لكن المحققين من بعض المحدثين حاولوا أن يجدوا تفسيراً للسبب الذي حمل المتقدمين على وصف القاف بالجهر خارج احتمال وقوعهم في الغلط. فذهب بعضهم إلى احتمال أن يكونوا قد وصفوا نطقا لهجيا للقاف يشبه إلى حد كبير (١) جهد المقل ٦٣ ظ، و انظر أيضا ٦٠ ظ.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨٥، و جان كانتينو: دروس ص ١٠٧، و محمود السعران: علم اللغة ص ١٧٠، و يوسف الخليفة

أبو بكر: أصوات القرآن ص ٨٢.

(٣) سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٤، و مكى: الرعاية ص ١٤٥، و الدانى: التحديد ٢٧ ظ.

(٤) تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٩٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٣

صوت الغين، و هو نطق للقاف شائع فى السودان و بعض أنحاء العراق «١». و ذهب آخرون إلى احتمال أن علماء العربية و علماء التجويد وصفوا نطقا للقاف يشبه (الجيم القاهرية) اليوم، و هو صوت يمثل مجهور الكاف «٢». و هو نطق شائع جدا فى العربية الدارجة فى العراق، عدا بعض المدن التى ينطق أهلها القاف مثلما ينطق فى الفصحى صوتا لهويا شديدا (انفجاريا) مهموسا «٣».

و يتلخص من ذلك أن فى اللهجات العربية الحديثة نطقين للقاف، يتصف فيهما بالجهر، و هما:

١- نطقها غينا أو قريبة من صوت الغين.

٢- نطقها جيما قاهرية (مجهور الكاف) «٤».

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للقاف اليوم، فما تصور علماء التجويد قديما للحالة التى كان عليها صوت القاف، و ما تفسير وصفهم للقاف بأنه صوت مجهور؟ هل أخطئوا أو وصفوا صوتا آخر مجهورا يمثل أحد صور القاف العربية القديمة، التى كانت غالبية على النطق آنذاك، ثم غلبت القاف المهموسة بعد ذلك حتى صارت تمثل القاف الفصحى؟

إن الأمر لا يزال بحاجة إلى كثير من النصوص لكى يتمكن الدارس من ترجيح أحد الاحتمالين السابقين، و لكن ذلك لا يمنع من أن نذكر بعض الملاحظات التى يقدمها علماء التجويد و إن كانت ليست كافية من أجل تقديم رأى قاطع حول الموضوع.

إذا رجعنا إلى كلام سيبويه عن الحروف الفرعية لا نجد ذكرا للقاف لا فى الحروف المستحسنه و لا فى غيرها، لكن السيرافى (ت ٣٦٨هـ) ذكر صوتا متفرعا عن القاف، ينطق بين القاف و الكاف، و قال عنه: «هو مثل الكاف التى كالجيم و الجيم التى كالكاف» «٥». و قال (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨٥-٨٦. و قد قال الأستاذ يوسف الخليفة أبو بكر، و هو من أهل السودان: «و السودانيون يبدلون فى قراءتهم للقرآن غينا أو شيئا قريبا من الغين» (انظر: أصوات القرآن ص ٨٢). و نطق القاف غينا موجود بين بعض أهل القرى فى العراق، مثل بعض القرى القريبة من مدينة بيجى، فى النطق الدارج.

(٢) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٤١. و عبد الرحمن أيوب: محاضرات فى اللغة ص ١٢٩.

(٣) مثل مدينة تكريت و الموصل. فالناس يقولون فى مدينة تكريت مثلا قال، قلت.

(٤) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٢٩٥.

(٥) شرح الكتاب ٦/ ٤٥١، و انظر: الأسترآبازى: شرح الشافية ٣/ ٢٥٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٤

عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ): «و نرى اليوم من يتكلم بالقاف بين القاف و الكاف، فىأتى بمثل لفظ الكاف التى بين الجيم و الكاف» «١».

و كان سيبويه قد ذكر فى الحروف الفرعية غير المستحسنه «الكاف التى بين الجيم و الكاف، و الجيم التى كالكاف» «٢». و قد قال عبد الوهاب القرطبي عن هذين الصوتين: «و أما الكاف التى بين الجيم و الكاف، فذكر أبو بكر بن دريد أنها لغة فى اليمن: يقولون فى جمل:

كمل «٣». و هى كثيرة. و قد يسمع من العوام من يقول: كمل و ركل فى جمل و رجل، و هى عند أهل المعرفة معيبة مردولة. و الجيم التى كالكاف مثل هذه، و هما جميعا شئ واحد، إلا أن أصل إحداهما الجيم و أصل الأخرى الكاف» «٤».

و قول السيرافى إن نطق القاف التى بين القاف و الكاف هو مثل الكاف التى كالجيم، و الجيم التى كالكاف، و قول عبد الوهاب

القرطبي عنها أنها مثل الكاف التي بين الجيم والكاف - يؤكدان أن سيويه أراد بقوله «الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف» صوتا هو الكاف المجهورة التي تتمثل اليوم بالجيم التي ينطقها أهل القاهرة. و أنه لم يرد الصوت المتمثل بمهموس الجيم العربية الفصحى، التي تظهر في صوت الكشكشة الشائع في نطق بني تميم لكاف المخاطبة المؤنثة في حال الوقف. كما يذهب إلى ذلك بعض المحدثين «٥».

يؤيد ذلك قول ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) وهو يتحدث عن الحروف التي تزيد على التسعة والعشرين: «و مثل الحرف الذي بين القاف و الكاف و الجيم و الكاف، و هي لغة سائرة في اليمن مثل جمل، إذا اضطروا قالوا: كمل، بين الجيم و الكاف ... فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون: الكوم يريدون: القوم، فتكون القاف بين الكاف و القاف ...» «٦».

و مثل ذلك أيضا قول أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ): الحرف الذي بين القاف و الكاف (١) الموضح ١٥٥ ظ. (٢) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٣) انظر: ابن دريد: جمهرة اللغة ١ / ٥.

(٤) الموضح ١٥٥ و. و انظر: الأسترآباذي: شرح الشافية ٣ / ٢٥٧.

(٥) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي ص ٢١٨.

(٦) جمهرة اللغة ١ / ٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ٢١٥

والجيم. و هي لغة سائرة في اليمن، مثل: جمل، إذا اضطروا قالوا كمل» «١». و يلاحظ القارئ هذا الفرق بين قول ابن دريد، و قول ابن فارس الذي أخذه عن ابن دريد، فإما أن نقول أن ابن دريد أراد أن يقول بين القاف و الكاف و بين الجيم و الكاف، و أن ابن فارس اختصر عبارة ابن دريد فحذف (الكاف) الثانية، و إما أن نقول أن هذه الكلمة زيدت على النص الأصلي عند ابن دريد.

خلاصة ذلك أن علماء العربية و علماء التجويد لاحظوا وجود نطق للقاف في اللهجات العربية يشبه (الكاف المجهورة) التي تغلب على نطقنا للقاف اليوم في العربية الدارجة، و التي يشار إليها على أنها تمثل نطق أهل القاهرة اليوم للجيم. فهي في عاميتها تمثل القاف، و في عامية أهل القاهرة تمثل الجيم، فهل كان سيويه و علماء العربية و التجويد من بعده يصفون هذا الصوت المجهور الذي يمثل نطق القاف في بعض اللهجات العربية القديمة و الحديثة معا؟.

النصوص المتيسرة تنفي أن يكون سيويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور قد أراد بذلك (الكاف المجهورة)، لأنه كان قد حدد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف «٢». و من غير المحتمل أن يغيب عن سيويه أن (الكاف المجهورة) تخرج من موضع الكاف العربية المهموسة نفسه، و لو أنه أراد بالقاف حين وصفها بالجهر (الكاف المجهورة) لجعلها من مخرج واحد على نحو ما فعل بعدد من الأصوات مثل: ع ح، غ خ، ط د ت، ص ز س، ظ ذ ث. فكونه فرق بين مخرج القاف و مخرج الكاف ينفي هذا الاحتمال.

و النصوص التي ذكرناها من قبل عن ابن دريد و السيرافي و عبد الوهاب القرطبي تشير إلى أن العلماء قد ميزوا منذ وقت مبكر بين القاف الفصيحة و القاف العامية التي هي (الكاف المجهورة). و مثل ذلك قول ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) في شرح المفصل: «و بقي حرف لم يتعرض له، و إن كان ظاهر الأمر أن العرب تتكلم به، و هي القاف التي كالكاف، كما يتكلم بها أكثر العرب اليوم، حتى توهم بعض المتأخرين أن القاف كذلك كانوا ينطقون بها، حتى توهم أنهم كذلك يقرءون بها. و الظاهر أنها في كلامهم، و أن القاف الخالصة أيضا في كلامهم و أن القرآن لم يقرأ إلا- بالقاف الخالصة على ما نقله الأثبات متواترا، و لو كانت تلك قرئ بها لنقلت كما نقل غيرها، و لما لم تنقل دل على أنها لم يقرأ بها، أو قرأ بها من لم يعتد بنقل عنه» «٣». (١) الصاحبى في فقه اللغة ص



(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٢٨٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٦

و جرى أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) على تسمية القاف الفصيحة بالقاف الخالصة، و سمي القاف التي كالكاف (الكاف المجهورة) باسم القاف المعقودة، فقال في كتابه (ارتشاف الضرب): «و أما القاف المعقودة، فقال السيرافي: رأينا من يتكلم بالقاف بينها و بين الكاف، انتهى. و هي الآن غالبه في لسان من يوجد في البوادي، حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين و المنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن» (١).

و جمع القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في كتابه (لطائف الإشارات) بين قول ابن الحاجب و قول أبي حيان السابقين، فقال و هو يتحدث عن الأصوات الفرعية المستقبحة: «و القاف كالكاف، فرع عن القاف الخالصة، و هي الآن غالبه في لسان من يوجد في البوادي من العرب، حتى لا يكاد عربي ينطق بها إلا معقودة، أي كالكاف، حتى توهم بعضهم أن العرب كانوا يقرءون بها، لكن الظاهر أن القرآن لم يقرأ إلا بالقاف الخالصة، على ما نقله الأثبات متواترا. و لو قرئ بالمعقودة لنقل ذلك كما نقل غيره، و لما لم ينقل دلّ على أنه لم يقرأ بها» (٢).

و يبدو أن ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أراد بقوله (الكاف الصماء) الكاف المجهورة التي سماها أبو حيان (القاف المعقودة)، و ذلك حين قال: «و الكاف فليعن بما فيها من الشدة و الهمس لثلا يذهب بها إلى الكاف الصماء الثابتة في بعض لغات العجم فإن تلك الكاف غير جائزة في لغة العرب» (٣). و حذر ابن الجزري حين تحدث عن القاف من النطق بها كالكاف الصماء فقال: «و ليتحفظ مما يأتي به بعض الأعراب و بعض المغاربة في إذهاب صفة الاستعلاء منها، حتى تصير كالكاف الصماء» (٤).

و يفهم من النصوص السابقة أن القاف المعقودة (الكاف المجهورة) كانت تجرى على ألسنة كثير من العرب منذ أوائل القرن الرابع الهجري. و هي لا تزال طاغية على ألسنة كثير من متكلمي العربية في اللغة الدارجة، و على الرغم من ذلك فإن أقوال العلماء تؤكد على أن هذا النطق للقاف لا يمثل القاف الفصحى التي يقرأ بها القرآن و يتكلم بها الفصحاء، فقول سيبويه (١) ارتشاف الضرب ص ٤.

(٢) لطائف الإشارات ١ / ١٨٥.

(٣) النشر ١ / ٢٢١.

(٤) النشر ١ / ٢٢١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٧

بأن القاف مجهورة لا يمكن أن يحمل إذن على (القاف المعقودة الكاف المجهورة) التي يسميها بعض المحدثين بالجيم القاهرية. و لا بد من البحث عن تفسير آخر لقوله.

و يبدو أننا لن نجد ذلك التفسير في نطق القاف غينا أو قريبا جدا من الغين، كما هو الغالب على ألسنة بعض العرب اليوم، كما ذكرنا قبل قليل، لأن من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية و علماء التجويد ذلك القرب الشديد حيثنذ بين نطق القاف و نطق الغين، و لو أن سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أراد صوتا يشبه الغين لما وصف القاف بأنها صوت شديد، فمن غير المعقول ألا يفظن سيبويه إلى رخاوة ذلك الصوت، و هو فعلا قد وصف الغين و أختها الخاء بأنها أصوات رخوة، فهذا المذهب في تفسير كلام سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أبعد عن الواقع من المذهب السابق، لا سيما أن علماء العربية و علماء التجويد لم يشيروا إلى هذا الاتجاه في نطق القاف، و هو اليوم أقل شيوعا فيما يبدو من نطق القاف المعقودة (أي الكاف المجهورة).

و لم يبق أمامنا إلا أن نعم النظر في صوت القاف العربية الفصحى المهموسة التي يقرأ بها القرآن اليوم و ينطقها المثقفون حين



يتحدثون بالعربية الفصحى، لنرى هل لها أصل في الجهر، و هل غمض أمرها حتى و هم سيويه و غيره في عدها صوتا مجهورا؟. إن من الأمور التي يقررها علماء الأصوات المحدثون أن الفراغ الحلقى الممتد من الحنجرة إلى ما يقارب أقصى اللسان و اللهاة يصعب إنتاج أصوات شديدة (انفجارية) فيه. أما الصوت الرخو (الاحتكاكي) فكثير الوقوع، و يمثل ذلك الصوتان العربيان الحاء و العين (١).

و يبدو أن الجزء الذي يخرج منه الغين و الخاء، و هو أدنى الحلق من الفم، يشكل الحد الفاصل بين ما يمكن أن ينتج فيه صوت شديد و ما لا يمكن ذلك فيه. فالقاف تخرج من منطقة قريبة جدا من مخرج الغين و الخاء، و هي صوت شديد (انفجاري). و الذي يهمننا من الملاحظة السابقة في الموضوع الذي نبحت فيه هنا هو أن الدارس إذا حاول أن ينطق بالصوت المجهور الذي يقابل القاف العربية الفصحى التي نطقها اليوم مهموسة استعصى عليه ذلك إلى حد الاستحالة إذا هو حاول الاحتفاظ بهذا الصوت شديدا مع إعطائه صفة الجهر، و لهذا نجد دارسى الأصوات العربية المحدثين يشيرون إلى أن مجهور القاف هو صوت يشبه الغين، و إن كانت تلك الإشارة تفتقر إلى الوضوح في بعض جوانبها. يقول (١) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٨

الدكتور محمود السعران: «أما النظير المجهور للقاف، الذي يحدث في نفس الموضع و بنفس الكيفية، و لكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فليس من جملة الأصوات العربية الفصحى الآن، إلا أنه يسمع في بعض العاميات» (١) و قد أشار السعران إلى أنه اقتبس هذه الفكرة من كتاب (الأصوات اللغوية) للدكتور إبراهيم أنيس.

و حين نرجع إلى كتاب (الأصوات اللغوية) للدكتور إبراهيم أنيس نجد فرقا جوهريا بين تصور الدكتور السعران لمجهور القاف و ما هو مذكور في كتاب (الأصوات اللغوية). فالمثال المقدم على أساس أنه يمثل مجهور القاف لا يحدث بنفس الكيفية التي يحدث بها صوت القاف المهموس، و أن الفرق بينهما يتعدى ذبذبة الوترين الصوتيين، إلى صفة الشدة و الرخاوة. فالدكتور إبراهيم أنيس يقدم لنا نطق بعض القبائل العربية في السودان و بعض القبائل في جنوب العراق لصوت القاف على أنه القاف المجهورة التي ذكرها سيويه و يقول:

«نسمعها منهم نوعا من الغين» (٢). و لكنه يلاحظ فرقا بين القاف الفصحى المهموسة و بين ذلك الصوت الذي يرجح أنه يمثل القاف العربية التي وصفها سيويه بأنها صوت مجهور، يقول:

«لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية، ثم همس مع توالي الزمن و أصابته صفة الشدة فأدى هذا إلى ما نعهده في قراءتنا. إذ لا فرق بين نطق السودانين للقاف و بين نطق المجيديين للقراءة من المصريين لها إلا في أنها مجهورة و أميل إلى الرخاوة عند السودانين، مهموسة شديدة عند المصريين» (٣).

و نحتاج إلى التأكيد على عبارة واحدة من هذا النص و هي (و أميل إلى الرخاوة). بل إننا حين نتأمل نطق بعض القرويين للقاف صوتا مجهورا مثل الغين نلاحظ أنه رخو إلى درجة لا يختلف عن الغين في شيء.

إذا صح أننا لا نستطيع أن نطق صوتا مجهورا يقابل في خصائصه القاف العربية المهموسة التي نطقها اليوم و لا يختلف عنه إلا بالجهر فإن ذلك يعني أن القاف العربية الفصحى التي نطق بها اليوم صوت فذ كالضاد العربية القديمة التي قال عنها سيويه إنها إذا أزيل عنها الإطباق خرجت من الكلام لأنه ليس من موضعها حرف غيرها. و كذلك هذه القاف إذا أزيل همسها و لحقها الجهر خرجت إلى صوت آخر يخالفه في عدة خصائص، و هو (١) علم اللغة ص ١٧٠ و انظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٢١٤.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٨٥

(٣) الأصوات اللغوية ص ٨٦

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢١٩

صوت الغين.

ولعل من الممكن هنا أن نقدم تفسيراً لإمكانية إنتاج القاف مهموسةً وصعوبة إنتاجها مجهورةً من نفس الموضع مع المحافظة على شدتها، يتمثل في أن الموضع الذي يخرج منه القاف يضعف تحكماً الناطق به، فهو ليس مثل طرف اللسان حين نطق التاء المهموسة ثم الدال المجهورة، أو الطاء المهموسة ثم الضاد المجهورة حسب النطق المعاصر، ويبدو أن قوة تيار النفس مع الصوت المهموس تساعد على إحكام الضغط حين النطق بالقاف المهموسة، وأن الجهر يؤدي إلى ضعف تيار النفس لأن اعتراض الوترين الصوتيين يضعف أثر الخففة التي يحدثها ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ومن ثم يؤدي ضعف تيار النفس مع ما فيه من أثر تردد وذبذبة الوترين الصوتيين إلى صعوبة التحكم في مخرج القاف بحيث تظل شديدةً ومجهورةً في وقت واحد. على أننا إذا تقدمنا شيئاً يسيراً باتجاه طرف اللسان من مخرج القاف أمكننا أن نطق بالكاف مهموسةً، وأن نطق بالكاف مجهورةً، من غير أن يغير الجهر الذي يلحق الكاف شيئاً من خصائصها الصوتية الأخرى.

إن النتيجة السابقة تجعلنا أمام احتمال آخر حول وصف سيوييه للقاف بأنها صوت مجهور، فإذا كنا لا نستطيع أن نحمل قول سيوييه على أنه وصف للكاف المجهورة التي سماها أبو حيان القاف المعقودة، وهي التي يسميها المحذون بالجيم القاهرية كما أننا لا نستطيع أن نحمله على أنه وصف لنطق السودانين للقاف الذي هو أشبه بالغين - فإنه لم يبق أمامنا إلا أن نقول إن سيوييه وهم في نسبة الجهر إلى القاف. وهو أمر لا نستطيع أن نقطع به، وكل ما يمكن أن نقوله باطمئنان هو أن القاف في نطقنا الفصيح اليوم صوت مهموس وأن سيوييه وعلماء العربية وعلماء التجويد وصفوا القاف بأنها صوت مجهور، وأن وسائلنا الآن عاجزة عن تفسير هذا الوصف على نحو أكيد.

## ٢- الشدة والرخاوة والتوسط بينهما:

### إشارة

يعتمد هذا التصنيف على كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف، فإذا حبس النفس في مخرج الحرف حبساً تاماً ثم أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديداً (انفجارياً)، وإذا حصل تضيق لمجرى النفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس كان الصوت رخواً (احتكاكياً). وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراض لمجرى النفس في مخرجه، ولكن من غير أن يحصل حبس تام، لأن النفس يجد له منفذاً يتسرب منه، ويسمى الصوت

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٠

حينئذ متوسطاً. وسبق أن بينا ذلك عند الحديث عن إنتاج الأصوات اللغوية «١». والذي نريد أن نقف عنده هنا هو كيفية تحديد الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة لدى علماء التجويد.

كان سيوييه قد حصر الحروف الشديدة في: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء. والحروف الرخوة في: الهاء والحاء والغين والحاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والطاء والتاء والذال والفاء. ثم قال: «و أما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء». ثم ذكر سيوييه الحرف المنحرف، وهو اللام، و حرفي الغنة وهما النون والميم، والمكرر هو الراء، واللينه وهي الواو والياء، ثم الهاوى وهو الألف. واستغرق بذلك جميع حروف العربية ورتبها على وفق كيفية مرور الهواء في مخرجها «٢».

و سار علماء العربية على نهج سيوييه في تصنيف الحروف العربية إلى شديدة و رخوة، و عدوا كل ما عداها قسماً ثالثاً، سموه الحروف التي بين الشديدة والرخوة، وهو ما سمي في وقت متأخر بالحروف البينية والمتوسطة، وإن كان سيوييه لم يصرح بالبينية إلا في

صوت العين. وقال ابن جنى: «و للحروف انقسام آخر إلى الشدة و الرخاوة و ما بينهما. فالشديدة ثمانية أحرف ... و يجمعها في اللفظ (أجدت طبقك) و (أجدك طبقت). و الحروف التي بين الشديدة و الرخوة ثمانية أيضا. و هي الألف و العين و الياء و اللام و النون و الراء و الميم و الواو، و يجمعها في اللفظ (لم يرو عئا)، و إن شئت قلت: (لم يرو عنا) و إن شئت قلت: (لم يرو عونا)، و ما سوى هذه الحروف و التي قبلها، هي الرخوة» (٣).

و قد تابع علماء التجويد سيبويه و غيره من علماء العربية المتقدمين في تصنيف الحروف إلى شديدة و رخوة و متوسطة. و كانت لهم في هذا الميدان إضافات و تفسيرات ذات شأن، فعالجوا المشكلات التي تتعلق بهذا الموضوع. و هي تتلخص في حصر الحروف المتوسطة، و في وصف الضاد بأنها رخوة، و هي في نطق بعض العرب اليوم شديدة، و نضم إلى ذلك بحث وصف بعض المحدثين للجيم بأنه صوت مركب. (١) انظر ص ١٣٩ من هذا البحث.

(٢) انظر: الكتاب ٤/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٩-٧٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢١

### (أ) الحروف المتوسطة:

أما عدد الحروف التي بين الشديدة و الرخوة (أى المتوسطة) فإن بعض علماء التجويد تابع علماء العربية في عدها ثمانية يجمعها (لم يرو عنا) «١». بينما أخرج بعضهم الواو و الياء و الألف من الحروف المتوسطة. قال أبو عمرو الداني: «و الشديد ثمانية أحرف ... و ما عدا هذه الشديدة على نوعين: شديد يجرى فيه الصوت، و رخو. أما الشديد الذي يجرى فيه الصوت فخمسة أحرف يجمعها قولك (لم نرع): العين و النون و اللام و الراء و الميم، اشتد لزومها لموضعها، ثم تجافى بها اللسان عن موضعها، فجرى فيها الصوت لتجافياها. أما العين: فتجافى بها اللسان فجرى فيها الصوت لشبهها بالحاء.

و أما الراء: فتجافى بها اللسان عن موضعها للتكرير الذي فيها، فجرى الصوت.

و أما اللام: فتجافى ما فوق حافة اللسان بها عن موضعها لانحرافها، فجرى فيه الصوت لا من موضع اللام، و لكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك.

و أما النون و الميم فتجافى اللسان بهما إلى موضع الغنة، و هو الألف، فجرى فيها الصوت ...» (٢).

و تابع المرعشى القائلين بأن الحروف المتوسطة خمسة (٣). ثم ناقش مذهب القائلين بأنها ثمانية و قال: «و زاد في الرعاية الواو و الياء و الألف في البينية و أتى في جمعها بقوله: لم يرو عنا. و صرح بأن حروف الرخو ثلاثة عشر، فظهر أن في هذه الحروف الثلاثة اختلافًا في أنها من الحروف الرخو أو من الحروف البينية. و الظاهر أن المراد من الواو و الياء ما ليسا بمديين كما يشهد به وقوعهما في: لم يرو عنا، لكن أقول: كيف يكون الألف المدية من البينية مع أن الظاهر أنها أكمل حروف الرخو رخاوة، إذ معنى الرخاوة اللين و جريان الصوت؟!» (٤).

و نقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن مكيا عد المتوسطة سبعة، و هذا شيء يخالف ما نقلناه عن كتاب الرعاية، و لكنه مذهب يوافق ما يراه المرعشى من إخراج الألف منها، و اعتبار (١) مكى الرعاية ص ٩٤. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ و.

(٢) التحديد ١٨ و. و انظر: العطار: التمهيد ١٤٥ ظ، و أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٠.

(٣) جهد المقل ١٢ و.

(٤) بيان جهد المقل ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٢

الواو والياء غير مديتين، قال أبو شامة: «قال مكى فى بعض تصانيفه: الرخاوة فيما عدا الشديدة إلا سبعة أحرف يجمعها قولك (نولى عمر)، فإنها بين الرخاوة و الشدة، فأدخل فيها الواو والياء و لم يدخل الألف» (١). و لا نستطيع أن نحدد الآن المصدر الذى نقل عنه أبو شامة هذا النص.

فالحروف الشديدة إذن ثمانية، و الرخوة ثلاثة عشر، و المتوسطة ثمانية على رأى بعض العلماء، و خمسة على رأى آخرين، و الخلاف فى الحروف الثلاثة: الألف و الواو و الياء.

و يبدو أن الذين يعدون الحروف المتوسطة خمسة هى (لم نرع)، و يعدون الرخوة ثلاثة عشر حرفا- يعتبرون الألف و الواو و الياء قسما رابعا لا يدخل فى أى من الأقسام الثلاثة. و هو الظاهر من كلام الدانى السابق.

و صرح المرعشى فى كتابه (جهد المقل) أن الحروف الرخوة ستة عشر حرفا بضمنها الواو و الياء مديين أو لا و الألف (٢). لكنه فصل فى كتابه (بيان جهد المقل) و فرق بين الياء و الواو فإذا كانا غير مديين ألحقهما بالمتوسطة، و إذا كانا مديين ألحقهما مع الألف بالرخوة، بناء على مذهبه فى كون حروف العربية واحدا و ثلاثين حرفا، و على هذا تكون الحروف المتوسطة لديه سبعة (٣).

و يرجح لدى مذهب الدانى فى عد المتوسطة خمسة هى (لم نرع)، على اعتبار أن الحروف المتوسطة هى التى يقوم فى طريقها عائق كالشديدة، لكن النفس لا- ينحصر فى مخرجها انحصاره فى الشديدة، إنما يجد له منفذا يجرى فيه جريانه فى الرخوة. و كذلك يترجح لدى تفريق المرعشى بين حالتين للواو و الياء، و ذلك باعتبارهما حرفى مدّ مرة، و باعتبارهما ليسا حرفى مدّ أخرى. و لكنى لا أرى أن يجعلها و هما حرفا مد من الحروف الرخوة، و إنما تعامل حروف المد الثلاثة (الألف و الواو و الياء) معاملة خاصة، لأنها تعد قسما قائما بذاته فى مقابل جميع الحروف الجوامد. و تقسيم الحروف إلى شديدة و متوسطة و رخوة شىء خاص بالحروف الجوامد. أما الحروف الذائبة (حروف المد الثلاثة) فهى أصوات بائنة من جميع الحروف، و ذلك بجريان النفس معها حرا طليقا من غير أن يعترضه تضيق لمجراه كالذى يحدث فى الحروف الرخوة. (١) إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ١٠.

(٢) جهد المقل ١٢ و.

(٣) بيان جهد المقل ١٦ و. و انظر: كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٧٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٣

يبقى بعد ذلك الواو و الياء إذا لم يكونا حرفى مد، و كانا من الحروف الجامدة، أ نعدّهما من الحروف الرخوة أم المتوسطة؟ إذا أخذنا بالمفهوم السابق للحروف المتوسطة، و هو قيام عائق فى مجرى النفس لا يحول دون جريانه، فإن الواو و الياء من هذه الناحية من الحروف الرخوة، و إذا قلنا إن الحروف المتوسطة هى ما ليس بشديدة و لا- رخوة و راعينا ما فى الواو و الياء من اللين، أمكن عدّهما من الحروف المتوسطة. و أنا أميل إلى الرأى الأول لأنه يقوم على أساس واضح فى تحديد معنى المتوسطة. و إذ بلغنا هذا الشوط فى مناقشة هذا التصنيف فلنا أن نسأل عن موقف الدرس الصوتى الحديث منه، هل يقره أو يرفضه أو يعدله؟ قال المستشرق الألمانى برجستراسر: «أنهم أثبتوا صفة ثالثة بين الشدة و الرخوة، و هى التوسط. و الحروف المتوسطة كلها مجهورة عندهم و هى: ع ل ن ر م. فنقول: إنه و إن كانت هذه الحروف، إلا العين، متمادية بدون شك، فلهم مع ذلك حق فى تمييزها عن الرخوة و المجهورة...» (١).

و قال أ. شاده، و هو مستشرق ألمانى أيضا، متحدثا عن بعض آراء سيويه الصوتية:

«و أصاب سيويه أيضا فى أنه هناك حروف هى شديدة من جهة و رخوة من جهة أخرى. و عد من هذا النوع المشترك: العين و اللام و النون و الميم و الراء» (٢).

و قال المستشرق الفرنسى جان كانتينو، و هو يتحدث عن هذا التقسيم: «فلا يبقى مجال للشك فى صحة هذا الترتيب إلا فى ما يتعلق بحرف العين. و ما عدا ذلك فإن الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين» (٣).

و إذا نظرنا في موقف دارسى الأصوات اللغوية من العرب في هذا التقسيم وجدنا من ينتقد هذا التقسيم و يعترض عليه، و لا يرى مجالا لقبوله إلا إذا حملناه على معنى معين، فقال بعد مناقشته للموضوع: «و مهما يكن من أمر، فالواجب تفسير المصطلح (أصوات متوسطة) بأن المقصود أنها أصوات متوسطة بين الصامتة بعامه (يعنى الجامدة) و الحركات (يعنى الذائبة)، لا- بين الأصوات الشديدة و الاحتكاكية (أى الرخوة). و يبدو أن من سماها كذلك من العرب قد خانه التوفيق فى التعبير» (٤). (١) التطور النحوى ص ٨.

(٢) علم الأصوات عند سيوييه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٠.

(٣) دروس ص ٣٦.

(٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٧٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٤

و نحن لا ننكر أن هناك شبةا بين الحروف المتوسطة و بين الحركات (أى الحروف الذائبة) لا سيما (ل م ن)، و ذلك من حيث كيفية مرور الهواء فى مخرجها، و علماء التجويد أنفسهم يصرحون بذلك الشبه، قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «و أيضا فإن المد الذى فى الواو بمثابة الغنة التى فى الميم» (١). و قال: «أما النون الخفيفة فإنها النون الساكنة التى مخرجها من الخيشوم، نحو النون فى منك و عنك و من زيد. و هى صوت يجرى فى الخيشوم جريان حروف المد و اللين فى مواضعها» (٢). و قال ناصر الدين الطبلاوى (ت ٩٦٦ هـ): «إن النون الساكنة و التنوين حرفا غنة، و لا بد لهما من شبه مد، فشاركوا الواو و الياء فى المد فى الجملة» (٣).

و لكن لا يعنى وجود شبه بين الحروف المتوسطة و بين الحروف الذائبة أننا يجب أن نلغى تقسيم علماء العربية و علماء التجويد المبني على مفهوم واضح و هو أن هذه الأصوات لا تحقق فى إنتاجها صفة الأصوات الشديدة بشكل كامل، و كذلك هى لا تحقق فيها صفة الأصوات الرخوة بشكل كامل. فهى تبدأ بحبس للنفس يشبه ما يحصل فى الحروف الشديدة، و لكن النفس يجد له منفذا من غير موضع ذلك الاحتباس فيجرى جريانه فى الحروف الرخوة، و هذه هى صفة هذه الأصوات بشكل عام.

و حين نمعن النظر فى كلام هذا المعترض نجد أنه لا يعدو أن يكون جدلا لفظيا و إلا ما ذا يمكن أن يقول الدارس المدقق عن مثل قوله: «و هى فى رأيهم متوسطة بين الشدة و الرخاوة (بين الانفجار و الاحتكاك). و هذا فى نظرنا تقدير غير دقيق، إلا إذا قصد بها أنها ليست انفجارية، و لا- احتكاكية، و إنما هى نوع مستقل. و كان الأولى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة و الحركات (لا بين الانفجارية و الاحتكاكية) فهى كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة و لكنها فى الوقت نفسه تبدى شبةا معينيا بالحركات، و من ثم أطلقنا عليها نحن أشباه الحركات» (٤).

و نحن لا نعترض على إطلاقه مصطلح (أشباه الحركات)، و هو مصطلح لا نستبعد أنه (١) الموضح ١٧٠ ظ.

(٢) الموضح ١٥٣ ظ.

(٣) مرشدة المشتغلين ٣ ظ.

(٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٥

اقتبسه من مصادر دراسته الأجنبية (١). و إن كنت أتعجب من قوله: «أما الرأء فهو شبيه بالحركات، لما يوجد عند النطق به من نوع من حرية للهواء بسبب الاتصال و الانفصال المتكررين» (٢). فإذا كانت الرأء هى عبارة عن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا (٣)، و هى طرقات تتضمن قفلا- لمجرى الهواء و إن كان سريعا جدا، تعتبر حرفا شبيها بالحركات، فإن اعتبار جميع الحروف الرخوة شبيهة بالحركات يعد أمرا مقبولا حينئذ و هو ما لا يقول به أحد.

إننا لا نجد فى مذهب علماء العربية و علماء التجويد فى تقسيم الحروف إلى: شديدة و رخوة و متوسطة ما يحمل على القول بأن عملهم هذا غير دقيق، لا سيما أن علماء الأصوات المحدثين يقرون ذلك التقسيم و يعدونه صحيحا. و ما كان يمنع هذا المعترض من

قبول هذا التقسيم على اعتبار أن المتوسطة قسم ثالث يخالف الشديدة و يخالف الرخوة أو (هي من نوع مستقل) كما يقول هو. ثم له أن يقول بعد ذلك هي متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات. فهذا التقسيم الثلاثي: شديدة و رخوة و متوسطة خاص بالأصوات الجامدة، و هو مبنى على كيفية مرور الهواء في المخرج، و إذا أراد الدارس أن يوازن بين مجموع الأصوات الجامدة و بين الأصوات الذائبة فلا شك أنه سيجد بعض الأصوات الجامدة تقترب من الأصوات الذائبة في كيفية مرور الهواء في مخارجها، و هنا يكون مقبولاً أن نعبّر عنها بأنها (أشباه الحركات) أو (أشباه الذوائب). و من غير المقبول أن نعلم إلى مصطلح (المتوسطة) الذي صارت له دلالة محددة في تراث العرب الصوتي و نجرده من تلك الدلالة لنستخدمه في الدلالة على ما يسمى بأشباه الحركات.

و يلاحظ أن بعض دارسي الأصوات العربية من المحدثين يتوقفون عند عدّ العين صوتاً متوسطاً، و نجدهم متحيرين في فهم الأساس الذي اعتمد عليه سيبويه و من تابعه في عدّ العين كذلك، و من ثم مال بعضهم إلى إخراج العين من الحروف المتوسطة و عدّها صوتاً رخواً (احتكاكياً) «٤». و صرح آخرون بقبولهم عدّ العين حرفاً (١) انظر للتأكد من ذلك: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي هامش (١) ص ١٠١.

(٢) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٨.

(٣) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٧.

(٤) انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٠٢، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٦، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٦

متوسطاً «١».

و كان محمد المرعشى قد توقف عند هذا الموضوع و قدّم تفسيراً لعدّ العين حرفاً بينياً أي متوسطاً. قال: «و يجب أن يتحرز عن حصر صوت العين بالكلية إذا شدد، نحو يَدْعُ الْيَتِيمَ [الماعون: ٢] و يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً [الطور: ١٣] لئلا يصير من الحروف الشديدة. قال الرضى: ينسل صوت العين قليلاً «٢». أقول: و لذا عدّ من الحروف البينية» «٣». و ما قاله المرعشى صحيح، حسب ما نلاحظ، فإن العين المشددة تكاد تكون صوتاً (شديداً) كما في (يدع)، و مهما حاول الناطق إجراء النفس مع العين و تمديد النطق بها، و هذا من خواص الحروف الرخوة، فإنه لن يصل إلى ذلك إلا بمشقة، و على نحو محدود. بينما يمكن للناطق أن يمد صوته بالحاء ساكنة كانت أو مشددة، و ربما أثرت صفة الجهر على العين، و ما يصاحب ذلك من اضطراب عمود الهواء بالنغمة المتولدة من اهتزاز الوترين الصوتيين، فاختلف حالها من ثم عن حال الحاء.

و حاول الدكتور حسام النعيمي أن يقيم الدليل على صحة وصف العين بأنها متوسطة من خلال الموازنة بينها و بين الهمزة و الحاء أثناء الوقف، فقال: «و يمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلاً. و مقارنتها بصوت الهمزة و الحاء في كلمتي (أرجع) و (أرجع)، إذ يمكن أن نحس بوقف الهمزة الأخيرة في (أرجع) أو شدتها أو انفجارها، كما عبروا، و لا يمكن إجراء الصوت بها، و نحس بسهولة جريان الصوت في حاء (أرجع) الاحتكاكية أو الرخوة. أما عين (ارجع) فيمكن أن يجرى النفس بها و لكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة و الحاء الرخوة، و لذا عبروا عنها بأنها بين الشدة و الرخاوة» «٤».

و كان الأستاذ أ. شاده قد قال: «و أما الراء و العين فهما من هذا النوع لأن العارض فيهما ليس بمتصل بل هو متفرق» «٥». و لعلنا نجد هذه النصوص تفسيراً لقول سيبويه: «و أما العين (١) برجستراسر: التطور النحوي ص ٨. و أ. شاده: علم الأصوات عند سيبويه و عندنا. صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٠.

(٢) انظر: شرح الشافية ٣ / ٢٦٠.

(٣) جهد المقل ٥٨ ظ.



(٤) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جنى ص ٣١٧.

(٥) علم الأصوات عند سيويه و عندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١ العدد الخامس ص ١٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٧

فبين الرخوة و الشديدة، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء» (١). و تصح بذلك نظرية علماء العربية و علماء التجويد في تقسيم الأصوات إلى: شديدة و رخوة و متوسطة تبعاً لكيفية مرور الهواء في المخرج. مع ملاحظة أن المتوسطة تمثل قسماً يضم عدداً من الأنواع فالنون و الميم أنفية، و اللام جانبية (منحرفة)، و الراء مكررة، و معها العين التي يمكن أن نشق لها وصفاً من عبارة سيويه السابقة فنقول: و العين مترددة. دون أن يكون من اليسير تقديم تفسير محدد لها، سوى أنها متوسطة بين الشديدة و الرخوة.

### (ب) مشكلة الضاد العربية:

أما صوت الضاد فإنه من الأصوات الرخوة عند علماء العربية و علماء التجويد، و هو يخرج عندهم من أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس. و الضاد بهذه الصفات إلى جانب ما و صفوه به من كونه مجهوراً مستطيلاً مطبقاً «٢»، يعد صوتاً غريباً عند بعض المحققين لأنه لا يوجد إلا في العربية «٣». كما أنه اختفى في النطق، و لم يعد يسمع من الناطقين بالعربية اليوم على تلك الصفة التي حددها علماء العربية و علماء التجويد. بل صار على ألسنة بعضهم دالاً مفخماً، كما في مصر، و صار على ألسنة آخرين صوتاً لا يختلف عن الظاء في شيء كما في العراق «٤».

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لصوت الضاد، فكيف كان إدراك علماء التجويد لمشكلة الضاد، و هل أبدوا فيها رأياً أو سجلوا حولها ملاحظة تعين في تتبع تطور هذا الصوت حتى اختفى شكله القديم و آل إلى صور متعددة؟.

إن مشكلة الضاد قديمة في العربية، فقد ذكر سيويه من الحروف غير المستحسنه (الضاد الضعيفة) «٥». و يبدو أن المشكلة أقدم من ذلك فقد وردت أخبار تشير إلى الخلط بين الضاد (١) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٢) مكى: الرعاية ص ١٥٨. و الداني: التحديد ٣٩ و.

(٣) برجستراسر: التطور النحوي ص ١٠.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٨ - ٤٩، و جان كاتينو: دروس ص ٨٧. و هنرى فليش:

العربية الفصحى ص ٣٧. و يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن ص ٦٩. و حسام النعيمي الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جنى ص ٣٠٦.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٨

و الظاء ترجع إلى عصر صدر الإسلام «١». و نقل ابن الجزرى في كتابه التمهيد: «أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقاً في جميع كلامهم» «٢».

و يمكن للدارس أن يلاحظ اتجاهين في معالجة مشكلة الضاد، الأول يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد و الظاء، و الاشتغال بحصرها و تأليف الرسائل في ذلك، و هي مؤلفات تشبه المعاجم الصغيرة التي تعنى بقسم من ألفاظ اللغة، و هذا الاتجاه هو الذي استأثر بجهود اللغويين و النحاة. و تركوا في ذلك مؤلفات كثيرة تهتم بالتمييز الكتابي بين الضاد و الظاء، و لا تتعرض للتمييز النطقى بينهما «٣».

و الاتجاه الثاني في معالجة مشكلة الضاد يتمثل بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد، و الانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين، و توضيح الصورة الصحيحة لنطقه.



و كان لعلماء التجويد القسط الأكبر في هذا المجال، حتى إنهم ألفوا في ذلك المؤلفات المستقلة التي تهتم بنواحي النطق من غير أن تتعرض لحصر الألفاظ التي تكتب بالضاد أو الظاء، وهذه المؤلفات لم تحظ بعناية الباحثين كما حظيت المجموعة الأولى التي حَقَّق عدد من كتبها، و أحصيت مخطوطاتها «٤».

و قد سجل علماء التجويد في كتبهم كثيرا من الظواهر المتعلقة بنطق الضاد عبر قرون كثيرة، فنجد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) يؤكد في كتابه (الرعاية) على قضيتين الأولى:

صعوبة نطق الضاد، و الثانية اختلاطها بالظاء. و ذلك حيث يقول: «و الضاد يشبه لفظها لفظ الظاء. لأنها من حروف الإطباق و من الحروف المستعلية، و من الحروف المجهورة. و لو لا اختلاف المخرجين و ما في الضاد من الاستطالة لكان لفظها واحدا، و لم يختلفا في السمع ...

و لا- بد له (للقارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من (١) ذكر أبو العلاء الهمذاني العطار (التمهيد ٩٩ ظ) أن أعرابيا خلط بين الضاد و الظاء عند عمر بن الخطاب حين نطق (الظبي) بالضاد فاعترض عليه عمر، رضى الله عنه. (٢) التمهيد في علم التجويد ص ٤٣.

(٣) أحصى الدكتور حاتم الضامن في مقدمته تحقيقه لكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء و الضاد- لابن مالك) الكتب المؤلفة في ذلك، حتى بلغت أكثر من أربعين كتابا. (انظر: الاعتماد ص ٢- ٨، منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ مج ٣١).

(٤) انظر أسماء بعض تلك الكتب في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا البحث رقم (٣٤) من قائمته مصادر علم التجويد.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٩

القراء و الأئمة، لصعوبة من لم يدرب فيها، فلا بد للقارئ المجدد أن يلفظ بالضاد مفخمة مستعلية منطبقه مستطيلة، فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها. و متى فرط في ذلك أتى بلفظ الظاء أو بلفظ الذال فيكون مبدلا و مغيرا. و الضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج و أشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها، و أحل بقراءته، و من تكلف ذلك و تمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة و طبعا و سجية» (١).

و قال الداني (ت ٤٤٤ هـ): «و من أكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه، و إيفائه حقه من الاستطالة، و لا سيما فيما يفترق معناه من الكلام، فينبغي أن ينعم بيانه ليطمئن بذلك» (٢).

و قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «و أكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، و يجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة» (٣).

و قال ابن وثيق (ت ٦٥٤ هـ): «و قل من يحكمها في الناس» (٤).

و قال الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ): «و الضاد حرف قوى صعب يعسر بيانه على كثير من الناس ... و تصحيح نطق الضاد و تجويده لا بد للقارئ منه و لا غنى له عنه.

و ذلك متوقف على ثلاثة أمور: الأول: معرفة مخرجه، و الثاني: معرفة صفاته، و الثالث:

معرفة ما يشبه لفظه بلفظ غيره من الحروف». و وضع المرادي مخرج الضاد و صفاته ثم قال:

«و أما ما يشبه لفظه بلفظ الضاد من الحروف فحرفان، و هو الظاء و اللام، و ذلك لأن الظاء يشارك الضاد في أوصافه المذكورة غير الاستطالة، فلذلك اشتد شبهه به و عسر التمييز بينهما، و احتاج القارئ في ذلك إلى الرياضة التامة، و لكن مخرج الظاء متميز عن مخرج الضاد، لا اتصال بين مخرجيهما، و لو لا اختلاف المخرجين و ما في الضاد من الاستطالة لا تحدا في السمع».

«و اللام يشارك الضاد في المخرج لأن الضاد من أقصى الحافة و اللام من أدنى الحافة.

و الضاد حرف مستطيل استطال في مخرجه و امتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام، فكذلك شابه (١) الرعاية ص ١٥٨- ١٥٩، و انظر

في المعنى نفسه أيضا ص ١٩٤.

(٢) التحديد ٣٩ ظ.

(٣) الموضح ١٦٣ و.

(٤) كتاب في تجويد القراءه ٧٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٠

لفظه لفظ اللام المفخمة، وربما أخرجه بعض الناس لاما مفخمة، و اللام تشارك الضاد في مخرجه لا في أوصافه، إذ ليس فيها شيء من صفات الضاد المذكورة، إلا أنها بين الرخوة و الشديدة، فتوافقه في شيء من الرخاوة، فهي بعكس الظاء، لأن الظاء تشارك الضاد في أوصافه لا في مخرجه.

إذا تقررت هذه الأمور فاعلم أن الضاد أشد الحروف صعوبة على الالفاظ، فلذلك مال لفظها إلى صوت الظاء تارة و إلى صوت اللام المفخمة تارة لمناسبة هذين الحرفين للضاد» (١).

و قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) في كتاب (النشر): «و الضاد انفرد بالاستطالة، و ليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله. فإن ألسنة الناس فيه مختلفة. و قل من يحسنه، فمنهم من يخرجها ظاء، و منهم من يمزجها بالذال، و منهم من يجعله لاما مفخمة، و منهم من يشمه الزاى. و كل ذلك لا يجوز، و الحديث المشهور على الألسنة (أنا أفصح من نطق بالضاد) لا أصل له و لا يصح» (٢).

و قال ابن الجزرى أيضا في كتابه (التمهيد في علم التجويد): «اعلم أن هذا الحرف ليس في الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، و الناس يتفاضلون في النطق به:

فمنهم من يجعله ظاء مطلقا ... و هم أكثر الشاميين و بعض أهل الشرق ...

و منهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدر على غير ذلك، و هم أكثر المصريين و بعض أهل الغرب.

و منهم يخرجها لاما مفخمة و هم الزيالع (٣)، و من ضاهاهم.

و اعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكلفة و لا بتعليم (٤).

يمكن أن نلخص الأفكار الرئيسية للنصوص السابقة في ما يأتي:

(١) الضاد صوت صعب الأداء، و من ثم أخذت ألسنة الناس تنحرف في نطقه إلى (١) المفيد ١٠٨ و، و انظر شرح الواضحة (له) ص ٦٢.

(٢) النشر ١/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) زيلع: قرية أو جزيرة في جهة اليمين و أطراف بلاد الحبشة (انظر: ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٩٦٦ ط الأوربية لبيزج ١٨٦٧ م).

(٤) التمهيد ص ٤٢ - ٤٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣١

أصوات أخرى، و يبدو أن ذلك ظهر في القرون المتقدمة، حتى وجدنا عبد الوهاب القرطبي يصرح، في القرن الخامس، أن أكثر القراء ينطقونها ظاء. ثم يأتي ابن وثيق بعد قرن من ذلك ليقول: «و قل من يحكمها في الناس». ثم يقول ابن الجزرى في أواخر القرن الثامن: «ألسنة الناس فيه مختلفة، و قل من يحسنه».

(٢) لم يتحول الضاد إلى صوت واحد، بل نجد أن الناس نطقوا الضاد على أشكال مختلفة، و تتلخص في الأصوات الآتية:

أ- الظاء.

ب- اللام المفخمة.

ج- الطاء (الذال المفخمة في النطق المعاصر).

د- مزجها بالذال.

ه- إشمائها الزاي.

و بعد هذه المرحلة تتخذ المناقشات التي تدور حول قضية الضاد اتجاهها جديداً، وذلك حين بدأت تظهر مؤلفات مستقلة في الموضوع، أشرنا إلى بعضها من قبل. و بين أيدينا كتابان من هذه المؤلفات وهما:

١- بغية المرتاد لتصحيح الضاد- لعلی بن محمد المعروف بابن غانم المقدسی (ت ١٠٠٤ هـ).

٢- كيفية أداء الضاد- لمحمد المرعشي الملقب ساج قلی زاده (ت ١١٥٠ هـ).

و من المناسب هنا تلخيص منهج هذين الكتائين، و تقديم فكرة موجزة عن مادتهما و توضيح فكرة المؤلفين عن نطق الناس للضاد في زمانهما و مدى علاقة ذلك النطق بالضاد العربية القديمة التي وصفها سيويه.

أما (بغية المرتاد) فإن المقدسي أوضح سبب تأليفه الكتاب و بين منهجه فيه و ذلك حين قال في المقدمة بعد الافتتاح: «لما رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيرا من أفاضل الناس فضلا عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل و النقل في النطق بالضاد ... ثم شاع الإنكار منهم علينا في كل ناد بين حاضرة و باد، فأردت مع طلب جمع «١» من الإخوان (١) في النسخة التي نعتمد عليها (مع جمع طلب) و ما أثبتته من نسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل المرقمة (٣/ ١٩ مخطوطات جامع النبي شيت) ورقة ١١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التمجيد، ص: ٢٣٢

و إشارة من بعض الأعيان أن أزيل الغين عن عين «١» الرشاد ... و سميته بغية المرتاد لتصحيح الضاد.

و قبل الخوض في المرام لا- بد من تقرير الكلام و تحرير المقام، فليعلم أن أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالذال المفخمة و الطاء المهملة، و ينكرون على من ينطقون بها قريبة من الطاء المعجمة بحيث يتوهم بعضهم أنها هي، و ليس كما توهمه. فنقول:

الكلام في إثبات ما أنكروه منحصر في مقدمة فيما يجب أن نقدمه، و فصلين محيطين من الدلائل بنوعين، و خاتمة لتبنيها و دفع تمويهات «٢».

أما المقدمة فهي في بيان مخرج الضاد و ما لها من الصفات.

و أما الفصل الأول فذكر فيه ما يدل بالمعقول على أن اللفظ بالضاد كالطاء المعجمة هو المقبول، و هي أدلة متعددة لاحت له بالنظر في المعقول. فذكر اثني عشر دليلا، تعطى مثلا للبحث الصوتي الأصيل، و من ثم رأيت من المفيد نقل زبد تلك الأدلة مختصرة مع المحافظة على عبارة المؤلف «٣».

«الأول: إن علماء هذا الفن و غيرهم تعرضوا للفرق بينهما و بينوا الألفاظ التي تقرأ بالطاء و التي تقرأ بالضاد في مؤلفات مستقلة و غير مستقلة نظما و نثرا ... فيا ليت شعري لو لا التشابه بينهما لفظا و الالتباس حتى خفي الفرق بينهما على كثير من الناس لم كان هذا الجرم الغفير يتعبون القلم و يسودون القرطاس؟!.

الثاني: إن الضاد ليست في لغة الترك بل مخصوصة باللغة العربية ... دل عليه قول الأستاذ أبي حيان في كتاب له في اللغة التركية ... إذا علم ذلك فليس مفقودا في لغة الترك إلا الضاد الشبيه بالطاء المعجمة. أما هذا الحرف الذي يشبه الذال المفخمة و الطاء المهملة، الذي ينطق به أكثر المصريين و لنسمه «٤» بالضاد الطائيه «٥» فموجود في لغة الترك في أكثر ألفاظهم، كما يشهد به العارف في لغتهم بل السامع لكلامهم، و الموجود غير المفقود، و بذلك يتم (١) في النسخة التي نعتمد عليها (الغبن من غير) و ما أثبتته من نسخة مكتبة الأوقاف في الموصل المرقمة ٣/ ٩ مخطوطات جامع النبي شيت) ورقة ١١١ ظ، و ذلك لأنه أوضح معنى.

(٢) بغية المرتاد ١ ظ- ٢ ظ.

(٣) بغية المرتاد ٣ ظ - ٦ ظ.

(٤) فى الأصل (و لنسميه).

(٥) (الطائيه) نسبة إلى حرف الطاء، لا إلى قبيلة طيى.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٣

المقصود.

الثالث: أن الفقهاء ذكروا أحكام من يبدل الضاد ظاء ... و لم يتعرضوا لأحكام من يبدلها بحرف غير الطاء، كما تعرضوا لأحكام من يبدلها به، فلو لا التشابه بينهما لما كانوا يفعلون ذلك ...

الرابع: أن بعض العلماء وصفها بالتفشى، و لا تفشى فيه ...

الخامس: أنهم ذكروا أن من صفاتها النفخ. و يشاركها فيه الطاء و الذال و الزاى «١». و لا يتحقق ذلك إلا بالضاد الشبيهة بالطاء. أما الضاد الطائيه فلا توجد فيها هذه الصفة كما يشهد به من أحاط بالمقدمة «٢» معرفة ...

السادس: أنهم ذكروا من صفاتها الاستطالة، كما مر ذكرها و معناها (فى المقدمة)، و هى المميّزة لها عن الطاء، و لا يوجد فى الضاد الطائيه الاستطالة.

السابع: أنهم ذكروا من صفاتها الرخاوة، و هذا شديد، الدلالة عند من ليس عنده غباوة، فإنه لا رخاوة فيها إلا إذا أتت شبيهة بالطاء. أما الضاد الطائيه فمشوبة بالبدال و الطاء المهملة، و كل منهما حرف شديد فكذا ما هو بينهما، بل من عرف معنى الشدة و الرخاوة و قدمناهما فى المقدمة يجد هذا الحرف متصفا بالشدة قطعاً، مع قطع النظر عن الدال و الطاء.

الثامن: أن هذا الحرف صعب على اللسان، نص على ذلك علماء هذا الشأن ... فإذا كانت الضاد العربية بهذه المرتبة من الصعوبة، و أنت ترى أن لا صعوبة فى الضاد الطائيه بل هى فى غاية (السهولة) «٣» على اللسان، يستوى فى النطق العالم و الجاهل، و الفارس فى هذا العلم و الراجل، فإنك تعلم بأن الضاد الطائيه بعيدة عن الضاد العربية بمراحل.

التاسع: إن المخرج المنصوص عليه للضاد فى الكتب المعروفة المتداولة ليس إلا للضاد الشبيهة بالطاء المعجمة لا للطائيه، فإنهم قالوا فى معرفة مخرج الحرف أن تسكنه و تدخل عليه همزة، و تنظر أين ينتهى الصوت، فحيث انتهى فتم مخرجه، مثلاً- نقول (اب) فتجد الشفتين قد أطبقت إحداهما على الأخرى، و هو مخرج الباء، و أنت إذا نطقت بالضاد الطائيه و فعلت ما تقدم ذكره لا تجد الصوت ينتهى إلا إلى طرف اللسان و أعلى الحنك، و هو (١) انظر: سيويه: الكتاب ١٧٤ / ٤.

(٢) يقصد مقدمة كتابه (بغية المرتاد) التى وضح فيها مخرج الضاد و صفاتها.

(٣) فى الأصل (الصعوبة). و فى نسخة مكتبة الأوقاف فى الموصل (السهولة) و هو الذى يناسب السياق.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٤

مخرج الدال و الطاء و التاء. و لم نر أن أحداً ذكر أن مخرج الضاد من هذا المحل، بل ما ذكرناه لها من المخرج المذكور فى كتب لا تحصى فى علم القراءات و علم النحو ...

فإن قيل: نحن نروى هذه الضاد الطائيه بالمشافهة عن الشيوخ الراوين عن شيوخهم بالإسناد المتصل بأئمة القراء البالغ إلى النبى - صلى الله عليه و سلم - قلنا: لا عبرة بالرواية المخالفة للدراية، إذ شرط قبول القراءة أن توافق العربية، و قد بينا مخالفتها لما تواتر فى كتب العربية و القراءات ...

العاشر: أن من أوصافها (الشجرية) لقبها بها صاحب القدر الجليل إمام النحو الخليل «١». و لا يتأتى ذلك إلا إذا كانت شبيهة بالطاء، فإن الضاد الطائيه تخرج من طرف اللسان لا من شجر الفم ...

الحادى عشر: قولهم فى صفة الإطباق: و لو لا- الإطباق لصارت دالا، و الصاد سينا، و الطاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام، إذ لا

يخرج من موضعها غيرها. وهذا نص كلام الأستاذ أبي حيان في شرح التسهيل، ومثله في شرح المفصل لابن يعيش «٢». وهذا كما ترى يخص الضاد الشبيهة بالطاء، أما الطائفة فتخرج من مخارج الحروف النطعية، كما يشهد به الحس والقاعدة المعروفة في معرفة مخارج الحرف، فلو كانت الطائفة عربية لو صفت بالنطعية، كما وصفت أخواتها، ولقالوا: لو لا الإطباق لصارت الضاد دالا، بدل قولهم لخرجت من الكلام، كما لا يخفى عن ذوى الأفهام.

الثاني عشر: أن أهل مكة التي هي منشأ النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي هو سيد العرب، وما والاها من بلاد الحجاز التي هي محل العرب وموطنهم إنما ينطقون بالضاد شبيهة بالطاء المعجمة، ولا يسمع من أحد منهم هذه الطائفة، وهم نعم المقتدى لمن رام في هذا السبيل الاهتداء».

ثم «الفصل الثاني: فيما يدل بالتصريح على أن التلفظ بالضاد شبيهة بالطاء هو الصحيح، وهو المنقول من كلام العلماء الفحول المتلقى كلامهم بالقبول» «٣». وقد أورد المؤلف في هذا الفصل اثني عشر نصا، عن كبار علماء العربية والتجويد، وهذه النصوص (١) انظر: العين ١ / ٥٨.

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٢٩ و لم تتمكن من الاطلاع على مخطوطة كتاب شرح التسهيل لأبي حيان، وأصل القول لسيبويه في الكتاب ٤ / ٤٣٦.

(٣) بغية المرتاد ٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٥

مهمة لأنها منقولة عن كتب بعضها مفقود وبعضها لا يزال مخطوطا، ولكني أعرضت عن تفصيلها خشية الابتعاد عن أصل الموضوع. «و أما الخاتمة ففيها تنبيهات رافعة لتمويهات الأول: أنه ليس مرادى بكون الضاد شبيهة بالطاء و قريبه منها كونها ممزوجة بها غاية الامتزاج، بحيث يخفى الفرق بينهما على المجيد لفن التجويد...» «١». ثم ذكر في الثاني الرد على قول من فسر (الشجر) بمجمع اللحين عند العنفة، و رجح التفسير المنقول عن الخليل للشجر بأنه مفرج الفم «٢». ثم ذكر في الثالث: الرد على قول من فسر صعوبة الضاد العربية بصعوبتها على العجم و الترك و نحوهم ممن سوى العرب، أما على أمثاله من العرب فلا صعوبة فيها.

و ختم هذه التنبيهات بقوله: «إن من ينطق بالضاد من مخرجها الخالص مع صفاتها المميزة لها حتى عن الطاء فهو في أعلى مراتب النطق بها و من الفصاحة. و دونه من ينطق بها من مخرجها مشوبة بالطاء لكن من مخرجها و بينهما نوع فرق. و دونه من ينطق بها طاء خالصة، و من يشمها الذال، و من يشمها الزاي، و من يجعلها لاما مفخمة، و كذا من ينطق بالضاد طائفة، فهو من أسفل مراتب النطقية بالنسبة إلى من سبق ذكره...» «٣». و ختم المؤلف الكتاب بنبذة من أقوال الفقهاء في صلاة من يبديل حرف الضاد. و قد استغرق الكتاب عشر ورقات في نسخة مكتبة المتحف ببغداد «٤».

يحتل هذا الكتاب مكانة خاصة في بحث مشكلة الضاد، فعمر هذا الكتاب اليوم أكثر من أربعمئة سنة، و يتميز أسلوبه بالبعد عن الجدل المنطقي و اعتماد أسلوب النقاش العلمي، مع تعمق في فهم الظواهر الصوتية المتعلقة بالضاد، و يلزم التوكيد على بعض القضايا التي وردت في الكتاب مثل:

(١) سجّل المؤلف النطق الشائع في عصره لصوت الضاد، فأهل مصر ينطقون بها دالا مفخمة ممزوجة بالطاء، و سماها المؤلف الضاد الطائفة، و أهل مكة و الحجاز ينطقون بالضاد شبيهة بالطاء. و يفهم من كلام المؤلف أنه لا يزال هناك من ينطق بالضاد العربية في زمانه. (١) بغية المرتاد ٧ ظ - ٨ و.

(٢) انظر: العين ١ / ٥٨.

(٣) بغية المرتاد ٩ و - ٩ ظ.

(٤) رقمها في المكتبة (٧ / ١١٠٦٨).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٦

(٢) حدد المؤلف مخرج و صفات الضاد الطائية التي ينطق بها أهل مصر (راجع الدليل ٩ و ١١). فقد أدرك أنها من مخرج الطاء و الدال و التاء، و أدرك أنها الصوت المطبق المقابل للدال، حيث قال: «و لقالوا: لو لا الإطباق لصارت الضاد دالا».

و لا يتضح من كلام المؤلف صفة الطاء في زمانه، فهو من جانب يسمى ضاد المصريين بالضاد الطائية. و هو من جانب آخر يقول: «لو لا- الإطباق لصارت الضاد دالا» يعنى ضاد المصريين. و هو أمر قد يشير إلى أن الطاء في زمانه فقدت صفة الجهر و صارت تمثل الصوت المطبق المقابل للتاء. و إلا فمن غير المعقول أن يتطابق صوت الطاء و الضاد في نطق أهل مصر في زمن المؤلف. و ذلك لأن الضاد الجديدة تمثل صوت الطاء العربية القديمة، التي تركت موقعها لتحل في محل الصوت المطبق للتاء الذي كان مفقودا في العربية. و يمكن الرجوع إلى حديثنا السابق عن موضوع وصف الطاء بالجهر، و النظر في الجدولين اللذين أثبتناهما هناك، و هما يمثلان النطق القديم و النطق الحديث لصوتى الطاء و الضاد، و ينطبقان على الموضوع الذى نتحدث عنه هنا تماما.

و الواقع أن كلام المحدثين عن العلاقة الصوتية بين الضاد و الطاء لم يتجاوز ما قرره المقدسى في كتابه (بغية المرتاد) إلا ما يدخل في باب زيادة التوضيح و التفسير للقضايا الأساسية في الموضوع «١».

أما كتاب محمد المرعشى (كيفية أداء الضاد) فإنه يأتي بعد تأليف كتاب المقدسى بمائة و خمسين سنة تقريبا، إذا أخذنا تاريخ وفاة المؤلفين بنظر الاعتبار. و هو أصغر حجما، إذ لا- يتجاوز أربع و رقات «٢». و جاءت مادته مؤكدة لانتجاهات كتاب (بغية المرتاد) للمقدسى، و ذلك بالنص على أن نطق الضاد شبيهة بالطاء لا يمثل صوت الضاد العربية القديمة التي وصفها العلماء في كتبهم. و أن نطق الضاد شبيه بالطاء أقرب إلى النطق الصحيح من نطقها شبيهة بالطاء.

و تتكون الرسالة من مقدمة و مقصد و خاتمة. أما المقدمة فهي في توضيح صفات الضاد الصوتية و بيان علاقتها ببعض الأصوات: «و أما المقصد فهو أن ما شاع في أكثر الأقطار من (١) وازن بين كلام المؤلف و بين ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية ص ٦٣-٦٤ و الدكتور كمال محمد بشر في كتابه علم اللغة العام: قسم الأصوات ص ١٣١ و ١٣٤.

(٢) يتكون بالضبط من سبع صفحات حسب مخطوطة مكتبة المتحف ببغداد المرقمة (١١٠٦٨/٦).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٧

تلفظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع بسبب إعطائها شدة و إطباقا أقوى كإطباق الطاء و تفخيما بالغا كتفخيما خطأ بوجوه «١». ثم ذكر سبعة وجوه تتعلق بصفات الضاد القديمة، و ما يؤدي إليه نطقها طاء من الإخلال بتلك الصفات.

و قال المرعشى بعد ذلك: «إن جعل الضاد المعجمة طاء مهملة مطلقا أعنى في المخرج و الصفات لحن جلي و خطأ محض و كذا جعلها طاء مطلقا، لكن بعض الفقهاء قال بعدم فساد صلاة «٢» من جعلها طاء معجمة مطلقا لتعسر التمييز بينهما، فهو أهون الخطأين» «٣».

أما الخاتمة ففي دفع ما عسى أن يورد على المقصد، ناقش فيها العلاقة بين الضاد و الطاء و التاء من حيث الجهر و الإطباق و الاستعلاء، و قال: «و بالجملة إن الضاد أشبه بالطاء المعجمة». و بحث في الخاتمة موضوعات أخرى مثل إجابته على هذا السؤال «فإن قلت:

فكيف شاع التقصير في أكثر الأقطار؟ قلت: أ لم تسمع ما قاله صاحب الرعاية: التحفظ بلفظ الضاد المعجمة أمر يقصر فيه أكثر من رأيت ... و ذلك في تاريخ أربعمائة و عشرين، و زماننا هذا أحق بالتقصير، فلعل غلط المصريين قد شاع ...» «٤».

و لم يكتف المرعشى بما أورده في رسالته عن موضوع الضاد، فعاد إلى مناقشته مرة أخرى في كتابه (جهد المقل) و لا نعلم مقدار ما أضافه إلى الموضوع في كتابه (بيان جهد المقل) لأن نسخته المخطوطة المحفوظة في مكتبة المتحف ببغداد ناقصة، و لم نحصل على غيرها.



وقد ناقش المرعشى موضوع الضاد فى المقالة الثانية من المقاليتين اللتين ختم بهما بحث الصفات فى كتابه (جهد المقل)، فقد بحث فى تلك المقالة بيان الفرق بين بعض الحروف المتشابهة مثل (ط د ت) و (ص س ز) ثم (ض ظ ذ)، و ختم هذه المقالة بفصلين و خاتمة، بحث فى الفصل الأول العلاقة بين الضاد و الطاء، و فى الفصل الثانى وضح حقيقة الضاد الضعيفة. و بحث فى الخاتمة درجات الإطباق و التفخيم فى (ض ط ظ).

قال المرعشى فى الفصل الأول: «ليس بين الضاد المعجمة و الطاء المهملة تشابه فى (١) كيفية أداء الضاد ٢ و.

(٢) (صلاة) ساقطة من الأصل، و هى ضرورية لإقامة النص.

(٣) كيفية أداء الضاد ٢ ظ.

(٤) المصدر نفسه ٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٨

السمع ... فما اشتهر فى زماننا هذا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا يعرف له سبب» (١). و قال: «قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فيها مفاصد:

الأول: أنه يلزم إعطاء الشدة للضاد، مع أنه رخو.

و الثانى: أن الاستطالة امتداد الصوت فتفوت حينئذ.

و الثالث: أن فى الضاد تفشياً قليلاً يفوت حينئذ أيضاً» (٢).

و قال المرعشى فى آخر الخاتمة موضحة تصوره لصفات الضاد العربية الأصلية: «فإن لفظت بالضاد بأن جعلت مخرجها حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس، بدون إكمال حصر الصوت، و أعطيت لها الإطباق و التفخيم الوسطين، و الرخاوة و الجهر و الاستطالة و التفشى القليل، فهذا هو الحق المؤيد بكلمات الأئمة فى كتبهم، و يشبه صوتها حينئذ صوت الطاء المعجمة بالضرورة، و ما ذا بعد الحق إلا الضلال. و لإشكال أمر الضاد أطنبت فى الكلام، و قد أفردت لها رسالة» (٣).

أما الضاد الضعيفة فهى نوع من أنواع الضاد التى لم تستوف صفات الضاد العربية كاملة.

و كان سيبويه أول من تحدث عن هذه الضاد، و ذلك حيث قال: «و هذه الحروف التى تمتها اثنين و أربعين جيدها و رديتها أصلها التسعة و العشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة. إلا أن (الضاد الضعيفة) تتكلف من الجانب الأيمن، و إن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر و هو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت فى الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه. و إنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذى فى اليمين. و هى أخف لأنها من حافة اللسان، و أنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حيث تخالط حروف اللسان، فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير فى حافة اللسان فى الأيسر إلى مثل ما كانت فى الأيمن، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك فى الأيمن» (٤).

و تحدث السيرافى عن الضاد الضعيفة، حيث يقول: «و أما الضاد الضعيفة فإنها فى لغة قوم ليس فى لغتهم ضاد، فإذا احتاجوا إلى التكلم بها فى العربية اعتاصت عليهم فربما (١) جهد المقل ٢٠ ظ.

(٢) جهد المقل ٢١ و.

(٣) جهد المقل ٢١ ظ. و هو يشير هنا إلى رسالته (كيفية أداء الضاد).

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣٩

أخرجوها ظاء «١»، لإخراجهم إياها من طرف اللسان و أطراف الثنايا، و ربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم، فخرجت بين الضاد و الطاء. و فى كتاب أبى بكر مبرمان:



الضاد الضعيفة: يقولون في (اثر له): (اضرده)، يقربون الثاء من الضاد» (٢).

و ناقش أبو حيان الأندلسي قضية الضاد الضعيفة في كتابه (ارتشاف الضرب). فقال و هو يتحدث عن الحروف الفرعية المستقبحة: «و ضاد ضعيفة، قال الفارسي: إذا قلت: ضربه، و لم تشبع مخرجها و لا اعتمدت عليه و لكن تخفف و تختلس فيضعف إطباقها.

و قال ابن خروف: هي المحرفة من مخرجها يمينا و شمالا، كما ذكر سيويه.

و قال مبرمان: يقربون الثاء من الضاد، و ذلك في لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضاد، فإذا تكلفوها ضعف نطقهم بها، و كذا قال ابن عصفور (٣)، و مثل بقوله في اثر ذلك: اضرده ذلك.

و في تفسير الضاد الضعيفة بهذا، و في تمثله نظر، و الذي يظهر أن الضاد الضعيفة هي التي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان و ابن عصفور. فنقول في اضرده زيدا: اثرب زيدا بين الضاد و الثاء» (٤).

فالضاد الضعيفة إذن هي الضاد التي لم تستوف صفات الضاد العربية التي وصفها سيويه، و يبدو أن هذا المصطلح (الضاد الضعيفة) لم يعد يطلق على صوت محدد، فإذا كان سيويه قد أطلقه على صوت محدد فإننا نجد العلماء بعده يستخدمونه للإشارة إلى أكثر من صوت، و ذلك على حسب ما تؤول إليه الضاد، سواء كان ذلك الصوت ظاء، أو بين الضاد و الطاء، أو بين الضاد و الثاء.

و خلاصة القول في موضوع الضاد هي أن الضاد العربية القديمة التي وصفها سيويه بأنها من أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس، رخوة مجهورة مطبقة، لم تعد تنطق منذ أمد بعيد، و أنها آلت منذ قرون إلى عدة أشكال، كل شكل يستخدم في جهة من جهات البلدان التي (١) في شرح المفصل (١٠/١٢٧) لابن يعيش (طاء) بالمهملة، و هو تصحيف.

(٢) انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٥ ظ، و الأسترآبادي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٦ و هذا النص موجود في شرح سيويه للسيرافي ٦/ ٤٤٩ لكنه كثير التصحيف فأثبتته من المصادر الأخرى.

(٣) انظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف ١٢/ ٦٦٦.

(٤) ارتشاف الضرب ص ٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٠

تتكلم العربية. و إن أشهر تلك الأشكال نطق الضاد ظاء كما في العراق، و نطقها دالا مفخمة كما في مصر (١)، و إن هذه الدال المفخمة تمثل الطاء العربية القديمة المجهورة، التي صارت منذ أمد مهموسة (طاء مطبقة). فخرجت من اللغة العربية إذن الضاد القديمة، و دخلت الطاء الحديثة. و انتقلت الطاء القديمة لتمثل نطق الضاد في بعض البلاد العربية. و قد كان علماء التجويد مدركين بشكل عام لهذا التطور الذي تشير إليه النصوص المدونة في الكتب و يشهد له واقع الاستخدام اللغوي اليوم. و يمكن أن يثار هاهنا سؤال عن أسباب هذا التحول الفريد في أصوات اللغة العربية، و لكننا لا نملك وسائل الإجابة عن هذا السؤال الآن.

### (ج) قضية الجيم:

وصف علماء العربية و علماء التجويد الجيم بأنه صوت شديد مجهور، يخرج من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى (٢). و نحن نعتقد أن هذا الوصف صحيح في جملته، و لا يزال ينطبق على الجيم التي ينطقها مجيد و قراءة القرآن الكريم و من يتابعهم في نطقها.

و كان ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) قد بين الصور السائدة لنطق الجيم في زمانه، التي كانت تسمع من متكلمي العربية، و حدد الجيم الفصيحة التي ينبغي أن يلتزم القارئ بها في نطقه، و ذلك حيث قال: «و الجيم يجب أن يتحفظ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من أهل الشام و مصر.

و ربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس، و هو موجود كثيرا في بوادي اليمن» (٣).

و ابن الجزرى يريد بقوله (ممزوجة بالشين) الشين المجهورة، و هى التى تنطق فى بلاد الشام فى زماننا كما كانت تنطق فى زمن ابن الجزرى، و كذلك يريد بقوله (ممزوجة بالكاف) الكاف المجهورة التى تنطق فى مصر و تعرف بالجيم القاهرية. و لا- يزال هذا الوصف لنطق الجيم ينطبق على نطقها فى عصرنا «٤».

و لم تكن نريد أن نخص الجيم بكلمة مستقلة لو لا أن بعض دارسى الأصوات العربية (١) انظر: جان كانتينو: دروس ص ٨٧.  
(٢) انظر سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٣، و الدانى: التحديد ٢٨ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٠ ظ.  
(٣) النشر ١/ ٢١٧.

(٤) انظر: كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٥، و جان كانتينو: دروس ص ٨٩  
الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤١

المحدثين أثار قضية (الصوت المركب) الذى يجمع بين الشدة و الرخاوة فى نطقه، و جعل الجيم العربية الفصيحة مثالا له. فقد لوحظ أن انفصال وسط اللسان عن الحنك الأعلى فى أثناء النطق بهذا الصوت لا يحدث فجأة كما فى نطق الأصوات الشديدة، بل يتم الانفصال ببطء، فيعطى الفرصة للنفس بعد الانفجار ليحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بما يحدث أثناء النطق بالجيم الشامية، و من ثم سمي مركبا «١».

و عدل بعض المحدثين عن استخدام مصطلح الصوت المركب، و سمي الجيم صوتا قليل الشدة، و ذلك حيث يقول: «إذا انفصل العضوان انفصالا- بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا، هو الجيم العربية الفصيحة. فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلا منه فى حالة الأصوات الشديدة الأخرى، و لهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتا قليل الشدة» «٢».

و ذهب بعض المحدثين إلى أن إنتاج صوت كامل الشدة (الانفجار) بين وسط اللسان و ما يقابله من سقف الحنك أمر صعب، إذ لا بد أن يلحق ذلك الصوت أثارة من رخاوة، و المتوقع أن تكون تلك اللاحقة الصوتية بعد حدوث الانفجار كما يشهد الحس لذلك، و هو ما ذهب إليه جمع من المحدثين «٣». لكن ذهب بعضهم إلى عكس ذلك، و هو أمر لا نجد له من واقع النطق أو أقوال العلماء ما يؤيده. و إن كان موقفه يفسر لنا عد المتقدمين للجيم العربية الفصيحة صوتا شديدا (انفجاريا)، يقول: «و أنت إذا حاولت أن تنتج صوتا انفجاريا من منطقة الغار (أى الحنك الصلب أو وسط الحنك) سواء كان مهموسا أو مجهورا، ستسمع صوتا آخر يسبقه مما يجعلك تسمع الصوت مركبا. و التركيب هنا ليس مقصودا، و إنما ينتج بصورة آليّة حين يحاول المرء قفل المجرى بإحكام فى هذه المنطقة ثم تفجيره ... فالقدماء حين نظروا إلى قفل المجرى عدوا الصوت انفجاريا. و المحدثون حين نظروا إلى الصوت الذى يسبق النطق عدوا الصوت مركبا».

«و هذا التفسير يؤدى بنا إلى أن نلغى ما يسمى بالصوت المركب فى اللغة العربية، و يجعلنا نلغى إلى الجيم الفصحى القديمة و الحديثة على أنها المقابل للانفجارى المجهور (١) انظر: محمود السمران: علم اللغة ص ١٨٢، و تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ١٠٣-١٠٤، و كمال محمد بشر: الأصوات ١٦٠-١٦١.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧٩.

(٣) محمود السمران: علم اللغة ١٨٢، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٠، و عبد الصبور شاهين:  
التطور اللغوى ص ٢١٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٢

للشين ... فعندنا إذن ثلاثة أنواع من الأصوات يمكن أن تسمى:

(أ) الشين الاحتكاكية المهموسة.

(ب) الشين الانفجارية المهموسة.

(ج) الشين الانفجارية المجهورة.

و أولها هي الشين العادية. و ثانيها هي التي تظهر في الكشكشة، و ثالثها هي الجيم الفصحى «١».

و لدينا ثلاث ملاحظات على هذا النص هي:

الأولى: يبدو أن الذى يناسب التحديد الذى قدمه علماء الأصوات المحدثون للجيم حين قالوا أنها صوت مركب هو أن تستبدل كلمة (يسبقه) و (يسبق) الواردة فى النص بكلمة (يتبعه) و (يتبع). ففى حدود الكلام عن الجيم العربية الفصيحة نجد أن الصوت الاحتكاكى الذى يحدث فى أثناء نطق الجيم يتبع الانفجار و ليس يسبقه.

الثانية: ما ورد فى النص من قوله: (فعدنا ثلاثة أنواع من الأصوات) كان ينبغى أن يقال (أربعة أنواع) و يضاف إلى الثلاثة (الشين الاحتكاكية المجهورة) و هي الجيم الشامية.

الثالثة: أجد أن التعبير الأكثر وضوحا عن الأصوات الثلاثة المذكورة فى النص، و الصوت الرابع المشار إليه فى الملاحظة السابقة هو:

١- الشين الاحتكاكية المهموسة (الشين العربية).

٢- الشين الاحتكاكية المجهورة (الجيم الشامية).

٣- الجيم الانفجارية المجهورة (الجيم العربية الفصيحة).

٤- الجيم الانفجارية المهموسة (صوت الكشكشة) «٢» الذى لا يزال يستخدم فى العربية الدارجة فى العراق بدل كاف التأنيث، و بدل الكاف فى بعض الكلمات، مثل (كان) فى نطق بعض النواحي القروية، و يستخدم للتعبير عنه رمز الجيم المنقوطة من أسفل ثلاثا: (ج).

(١) أحمد مختار عمر: داسة الصوت اللغوى ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) هناك جدل بين علماء الأصوات فى تفسير صوت الكشكشة، فذهب بعضهم إلى أنه إلحاق شين خالصة بكاف المؤنثة (كش). و ذهب بعضهم إلى أنه إبدال مهموس الجيم الفصيحة (ج) بصوت الكاف (انظر التفصيل: حسام النعمى: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جنى ص ١٤٧-١٥١).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٣

و صرح أحد علماء الأصوات الأوربيين المعاصرين بقوله: (و لعل من المهم هنا أن نشير إلى أن عددا من علماء الأصوات يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركبة للأصوات المرموز إليها فى الإنكليزية ب HC أو J و يفضلون أن ينظروا إليها باعتبارها المقابل الانفجارى للغارى الاحتكاكى المرموز إليه فى الإنكليزية ب SH و S فى «١» erusaem). و الرموز اللاتينية فى هذا النص تمثل الأصوات الأربعة المذكورة فى الفقرة السابقة على هذا النحو hc رقم ٤، J رقم ٣، hs رقم ١، S رقم ٢.

و إذا كان الأمر كذلك فلا يعد إهمال علماء العربية و علماء التجويد الإشارة إلى الطبيعة المركبة لصوت الجيم أمرا خطيرا و لا نقصا كبيرا، ما دام عدد كبير من علماء الأصوات المحدثين يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركبة لذلك الصوت، و ما دام بعضهم يميل إلى إلغاء ما يسمى بالصوت المركب.

و من ثم فلا داعى إذن لكّد الذهن فى اختراع التفسيرات لوصف علماء العربية و علماء التجويد للجيم بأنه صوت شديد، كما فعل بعض المحدثين حتى ذهب إلى حد ترجيح أن يكونوا وصفوا صوتا آخر هو الجيم القاهرية التى تخرج من أقصى الحنك، و هي النظر المجهور لصوت الكاف العربية، و استراح إلى هذا التفسير باعتبار أن الجيم القاهرية صوت شديد «٢».

و إذا كان هذا الباحث، حين رجح أن يكون علماء العربية وصفوا الجيم القاهرية إذ قالوا أن الجيم صوت شديد، قد حلّ عقدة الصوت المركب التى يذهب إليها فى وصف الجيم العربية الفصيحة، و هو أمر كما لاحظنا موضع جدل بين علماء الأصوات و يمكن التغاضى عنه- فإنه وقع فى مشكلة أكبر من جراه ذلك الترجيح، لأن علماء العربية يقررون أن مخرج الجيم من وسط اللسان مع ما يليه من وسط الحنك، لكن الجيم القاهرية، التى يذهب إلى أنهم وصفوها حين تحدثوا عن صوت الجيم، تخرج من أقصى اللسان، من موضع

الكاف. و لم يكن علماء العربية و علماء التجويد ليقولوا: أن الجيم تخرج من وسط اللسان و هم يريدون الجيم القاهرية التي تخرج من أقصى اللسان، فهذا الغلط لا يقع فيه المبتدئون بدراسة علم الأصوات، فكيف بعالمقته هذا العلم من علماء العربية و علماء التجويد من أمثال سيويه (١) ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٨٥.

(٢) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٤

و عبد الوهاب القرطبي و محمد المرعشي، و عشرات غيرهم.

و بعد أربع صفحات من النقاش حول الصوت المركب أجهد خلالها هذا الباحث المعاصر نفسه في جمع الأدلة لتدعيم نظريته في أن الجيم القاهرية هي التي وصفها علماء العربية و علماء التجويد في أبحاثهم، عاد في آخر الصفحة الخامسة ليعالج المشكلة التي وقع فيها من جراء نظريته المذكورة، و ذلك من طريق سهل لكنه غير علمي، فقال إن هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر، ثم يختم كلامه بأربعة أسطر يعود فيها إلى النهج الصحيح، فيهدم كل ما أتى به لترجيح نظريته، اسمع إليه و هو يقول، و نحن مضطرون لا يراد نص كلامه حتى لا- يتصور أننا نؤول كلامه لنصرفه إلى غير جهته: «و بالرغم من أن وصف علماء العربية للجيم ينطبق أكثر ما ينطبق على الجيم القصية الانفجارية (الجيم القاهرية) نلاحظ أنهم نسبوها إلى منطقة أخرى، هي تلك التي تخرج منها الشين و الياء، و هي (وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى). و هذه المنطقة هي في الحقيقة منطقة الجيم القرشية لا الجيم القاهرية.

و يكون معنى هذا أن هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر ففسبوا خواص الصوتين (الجيم القاهرية و الجيم القرشية) إلى صوت واحد، هو ما تكلموا عنه و وصفوه بهذه الطريقة غير الدقيقة».

«على أنه إذا كان المقصود هو الجيم القرشية حقيقة فيكون نسبتهم لها إلى هذه المنطقة سليما و مقبولا، إذ الجيم القرشية و الشين لثويتان- حنكيتان، أو هما من وسط الحنك فعلا، كما يرى بعض الدارسين، و من ثم ضموا الياء إليهما، و هي من وسط الحنك بدون شك» (١).

و لا يعني هنا البحث في الأصل القديم للجيم العربية هل هو الجيم القاهرية أو الجيم القرشية (الفصيحة) أو الجيم الشامية (٢). لأننا على يقين كامل من أن الجيم التي كان يستخدمها جمهور العرب وقت نزول القرآن هي الجيم التي ينطقها قراء القرآن و كثير من الناطقين بالعربية اليوم، و هي التي تحدث عنها علماء العربية و علماء التجويد، و وصفوها بأنها صوت شديد انفجاري يخرج من وسط اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى (٣). (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ٨٠-٨٤، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٢-١٦٥.

(٣) يمكن الاطلاع على مزيد من تفصيلات هذا الموضوع في بحث (قضية الجيم في اللغة العربية) مجلة الأقاليم العراقية، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة ١٩٧٨، ص ١٨٢-١٨٧. و هو لكاتب هذا البحث.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٥

### ٣- الإطباق و الانفتاح، و الاستعلاء و الاستفال، و الترفيق و التفخيم:

الإطباق و الانفتاح صفتان متقابلتان، مثل الجهر و الهمس، تميزان بين عدد من الأصوات المتحدة المخرج، و يرجع أساس هذا التقسيم إلى ما ذكره سيويه في الكتاب، و ذلك حيث قال: و هو يتحدث عن صفات الحروف: «و منها المطبقة و المنفتحة. فأما المطبقة فالصاد و الضاد و الطاء و الظاء. و المنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن.

فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان. وقد بين بحصر الصوت. و لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والطاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من مواضعها غيرها» (١).

وقول سيويه (و لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا) مبنى على أن الطاء كانت مجهورة في عصره. أما اليوم فإن الذي يطابق النطق السائد للطاء هو القول: (و لو لا الإطباق لصارت الطاء تاء). وكذا الأمر بالنسبة للضاد، فإن سيويه يتحدث هنا عن الضاد العربية القديمة أما الضاد التي تنطق في زماننا فهي إما النظير المطبق للدال، كما في نطق المصريين، وإما النظير المطبق للذال، أي إنها تماثل الطاء تماما، كما في العراق. وقد فرغنا من الكلام عن هذه القضية من قبل عند الكلام عن الجهر والهمس والشدّة والرخاوة.

وقد زعم جان كاتينو أن تحديد سيويه للإطباق والانفتاح الذي تضمنه النص السابق (بعيد عن الوضوح) «٢». وهذا رأى مبالغ فيه جدا، فلو أننا وازنا بين كلام سيويه عن المطبق والمنفتح وبين قول المحدثين في وصف ما يحدث للسان في أثناء النطق بالصوت المطبق:

«يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه» (٣) لوجدنا أن كلام سيويه أقرب إلى (١) الكتاب ٤/ ٤٣٦.

(٢) دروس ص ٣٦. وانظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣١٨.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٧، ومحمود السعرا: علم اللغة ص ١٦٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٦

الوضوح. و لا- أحسب أن المستشرق الألماني أ. شاده لم يكن جادا حين قال عن كلام سيويه السابق: «هذا التعريف من الوضوح بحيث يستغنى عن التفسير. وما أصوب قول سيويه: (إن هذه الأربعة لها موضعان من اللسان)، فإن الناطق بالصاد مثلا لا يكتفى بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكن في نفس الوقت يقرب الجزء الأخير من لسانه إلى ما يحاذيه من الحنك، وإن كان لا يمسّه» (١).

وتابع علماء التجويد سيويه في تعريف الصوت المطبق والصوت المنفتح، فقال مكي (ت ٤٣٧ هـ): «و إنما سميت بحروف الإطباق لأن طائفه من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم» (٢). وقال: «و إنما سميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك» (٣).

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «و الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن ... و الانفتاح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت» (٤).

و يلاحظ هنا أن سيويه وعلماء التجويد الذين اقتبسنا عنهم النصوص السابقة لم يذكروا بشكل صريح ما ذكره المحدثون من تقعر اللسان عند النطق بهذه الحروف وذلك باتصال طرف اللسان بمواضعهن مع تصعد أقصى اللسان نحو الحنك، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى انطباق ظهر اللسان على الحنك الأعلى. إلا أن هناك عالمين نصا على هذه الظاهرة، أحدهما من علماء العربية والآخر من علماء التجويد. فقد قال الأسترآبادي: «فيصير الحنك كالطبق على اللسان» (٥). وقال المرعشي: إن اللسان يكون (مقوسا) عند النطق بالصوت المطبق (٦). وهذا (١) علم الأصوات عند سيويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية ١٩٣١، العدد الخامس ص ١٤.

(٢) الرعاية ص ٩٨.

(٣) الرعاية ص ٩٨ - ٩٩.

(٤) الموضح ١٥٦ ظ. و انظر: الداني: التحديد ١٨ و.

(٥) شرح الشافية ٣ / ٢٦٢.

(٦) بيان جهد المقل ١٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٧

يدل على إدراكهما حالة التقعر التي يكون عليها اللسان عند النطق بتلك الأصوات الأربعة.

و كان علماء التجويد على معرفة تامة بدور ظاهرة الإطباق في التمييز بين الأصوات، فرددوا ما قاله سيويوه: «و لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا، و الصاد سينا، و الظاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام» (١). و حاولوا توضيح هذه الظاهرة، مثل قول مكى: «و يجب أن تعلم أن الظاء تشبه في لفظها أيضا الذال. فإذا أزلت لفظ الإطباق من الطاء صارت ذالا، كذلك لو زدت لفظ الإطباق في الذال لصارت ظاء. و إنما كان ذلك كذلك لأن الظاء و الذال من مخرج واحد، و هما مجهوران، و لو لا الإطباق و الاستعلاء للذالان في الظاء لكانت ذالا» (٢).

و يلاحظ الدارس أن علماء العربية و علماء التجويد يتحدثون عن صفات صوتية أخرى لها صلة وثيقة بظاهرتي الإطباق و الانفتاح، و هي ما عبروا عنه بالاستعلاء و التسفل، و التفخيم و الترقيق. و هذه مصطلحات كانت تستخدم لديهم على نحو واضح و محدد، كما أنهم أدركوا العلاقة الصوتية بينها.

أما الاستعلاء و التسفل فإن كلام سيويوه عنهما كان مستند الدراسات الصوتية العربية أيضا «٣»، لكن كلامه جاء في موضع من كتابه غير باب الإدغام، حتى ظن بعض المحدثين أن سيويوه لم يتحدث عنهما «٤». قال سيويوه في (باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أملت فيها مضي): «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و الغين و القاف و الخاء ... و إنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى» (٥). ثم قال بعد ذلك: «فكان الانحدار أخفّ عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل» (٦). و استخدام سيويوه في مواضع أخرى كلمة (التصعد) مكان كلمة (١) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٦ ظ.

(٢) الرعاية ص ١٩٥. و انظر أيضا ص ١٧٥ و ١٨٥ و ١٩٠.

(٣) ذكر الأزهري (تهذيب اللغة ١ / ٥١) أن الخليل قال: إن الحروف المصمته تسعة عشر حرفا صحيحا «منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق. و هي: ع ح ه خ غ. و منها أربعة عشر حرفا مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خمس شواخص و هي: ط ض ص ظ ق، و تسمى المستعلية، و منها تسعة مختفضة، و هي: ك ج ش ز س د ت ذ».

(٤) حسام النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ص ٣١٩.

(٥) الكتاب ٤ / ١٢٨ - ١٢٩.

(٦) الكتاب ٤ / ١٣٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٨

(الاستعلاء) «١».

و لم يقدم سيويوه تعريفا محددًا للاستعلاء و التسفل، لكن علماء العربية الذي جاءوا من بعده استخلصوا من كلامه تعريفا لهما، فقال المبرد (ت ٢٨٥ ه): «و الحروف المستعلية:

الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و الخاء و الغين و القاف. و إنما قيل مستعلية لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، و هي الحروف التي تمنع الإمالة» (٢). و قال ابن جني (ت ٣٩٢ ه):



«و للحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء و الانخفاض، فالمستعلية سبعة و هي: ... و ما عدا هذه الحروف فمنخفض. و معنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، و قد ذكرناها. و أما الخاء و الغين و القاف فلا إطباق فيها مع استعلائها» (٣).

و استفاد علماء التجويد من كلام علماء العربية عن الحروف المستعلية و المستفلة، و كان بعضهم يستخدم عبارة سيويه (التسفل) «(٤)»، و بعضهم يستخدم عبارة ابن جنى (الانخفاض) «(٥)».

و يكاد موقفهم يتلخص في قول الداني: «و المستعلية سبعة أحرف يجمعها قولك (ضغظ خص قظ): الخاء و الغين و القاف و الصاد و الضاد و الطاء و الظاء. سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، و لذلك تمنع الإمالة، إلا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به و ينطبق، و هي حروف الإطباق الأربعة، و منها ما يعلو و لا ينطبق و هي ثلاثة: الغين و الخاء و القاف. و المستفلة ما عدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك» «(٦)».

و استطاع محمد المرعشي أن يدرك أن الذي يعلو من اللسان إلى جهة الحنك أثناء نطق الأصوات المستعلية هو أقصى اللسان، و ذلك حيث قال: «فلاستعلاء أن يستعلى أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى» «(٧)»، و من ثم علل إخراج الكاف و الجيم و الشين و الياء من الحروف المستعلية، فقال: «إن المعتبر في الاستعلاء في اصطلاحهم (١) الكتاب ٤/ ٤٧٩ و ٤٨٠».

(٢) المقتضب ١/ ٢٢٥.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٧١.

(٤) مكى: الرعاية ص ٩٩. و الداني: التحديد ١٨ ظ.

(٥) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٧ و. و انظر: المرعشي: جهد المقل ١٤ ظ.

(٦) التحديد ١٨ ظ.

(٧) جهد المقل ١٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٤٩

استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلى معه بقية اللسان أو لا، و حروف وسط اللسان و هي الجيم و الشين و الياء لا يستعلى بها إلا وسط اللسان، و الكاف لا يستعلى بها إلا ما بين أقصى اللسان و وسطه، فلم تعد هذه الأربعة من المستعلية، و إن وجد فيها استعلاء اللسان، لأن استعلاءه في هذه الأربعة ليس مثل استعلائه بالحرف المستعلى» «(١)».

و أضاف بعض العلماء إلى الحروف المستعلية العين و الحاء، كما ورد في قول أحمد بن أبي عمر: «و منهم من ألحق العين و الحاء بالمستعلية من القراء دون النحاء» «(٢)». و ذكر ذلك أيضا أبو شامة في قوله: «و بعضهم ألحق العين و الحاء المهملتين بالحروف المستعلية» «(٣)».

و لكن تعريف الحروف المستعلية لا ينطبق على العين و الحاء إذ ليس للسان دور في إنتاجها.

و يبدو أن أصل هذا القول يرتبط بمذهب الكسائي في الوقوف على هاء التانيث و ما ضارعتها في اللفظ بالإمالة، و كان لا يميل إذا وقع قبل الهاء أحد الحروف المانعة للإمالة. قال أبو علي الأهوازي (ت ٤٤٦ هـ): «و الحروف الموانع تسعة: الحاء و الخاء و العين و الغين و الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و القاف» «(٤)». و لما كانت جميع حروف الاستعلاء من المانعة للإمالة فربما ألحق بها بعضهم الحاء و العين لمشاركتها حروف الاستعلاء في أنها تمنع الإمالة، و لكن ذلك وحده ليس كافيا لعددهما من الحروف المستعلية، لأن أقصى اللسان لا يستعلى معهما نحو الحنك، و لعل مشاركة العين و الحاء الحروف المستعلية في منع الإمالة يرجع إلى أن حروف الحلق يناسبها من الحركات الفتحة فلا يسوغ أن ينحى بحرکتها إذا كانت فتحة نحو الكسرة، و من ثم منعت الإمالة.

و هناك فرق بين صفة الإطباق و صفة الاستعلاء هو أن الأولى من الصفات المميزة، و أن الثانية من الصفات المحسنة، فعلى الرغم من



التشابه و العلاقة بينهما إلى جانب تخصيص مصطلح للصفات المقابلة لهما فإن صفة الإطباق تميز بين الطاء و الظاء و الصاد و بين مشاركتها في المخرج التاء و الذال و السين، و كذلك الأمر بالنسبة للضاد التي تنطق في مصر اليوم ميزت صفة الإطباق بينها و بين الدال. بينما لا تقوم صفة الاستعلاء بأى دور تمييزي، إنما هي تشير إلى حالة اللسان في أثناء النطق بهذه الأصوات. (١) جهد المقل ١٤ ظ.

(٢) الإيضاح ٧٤ ظ.

(٣) إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٠.

(٤) الوجيز ٢٤ ظ. و قد أضاف الداني إلهن الألف (التيسير ص ٥٤).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٠

و هناك مع ذلك تداخل بين حروف الإطباق و حروف الاستعلاء، و هناك صفة مشتركة تجمع بينهما، ترتبت على الوضع الذي يتخذه اللسان في أثناء النطق بهذه المجموعة من الأصوات و هي صفة التفخيم. قال محمد المرعشى: «و التفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلي الفم بصداه. و التفخيم و التسمين و التجسيم و التعليل بمعنى واحد. و الترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلي الفم بصداه. و حروف الاستعلاء كلها مفخمة، و لا يجوز تفخيم شيء من حروف الاستعلاء إلا- الراء و اللام في بعض أحوالهما. و سيجيء بيان ذلك، و إلا- الألف المدية فإنها تابعة لما قبلها ... ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء .. و بالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق» (١). و يذهب كثير من علماء التجويد إلى اعتبار الترقيق و التفخيم من الأحكام التي تخص الأصوات في حالة التركيب، و لذلك سوف أكتفي هنا بتوضيح العلاقة بين الإطباق و الاستعلاء و التفخيم، و أعود في الفصل القادم إلى تفصيل أحوال الأصوات المفخمة إن شاء الله تعالى.

و كان بعض علماء التجويد قد أدركوا التداخل و العلاقة الوثيقة التي تربط الإطباق و الاستعلاء و التفخيم، حتى قال عبد الوهاب القرطبي: «إن التفخيم و الإطباق و الاستعلاء من واد واحد» (٢). و كرر مرارا (أن التفخيم نظير الإطباق) (٣) و (أن الاستعلاء نظير الإطباق) (٤).

و قال عبد الوهاب القرطبي أيضا: «فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان و الحنك نظير الاستعلاء و الإطباق، و لهذا أثر الاستعلاء في الإمالة و الترقيق فمنعها لأنه ضد.

و الفرق بين الاستعلاء و الإطباق و بين الترقيق و التفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها و كذلك الإطباق، بخلاف الترقيق و التفخيم فإنهما يتعاقبان على الراء و اللام كالإمالة و التفخيم في الألف» (٥). و يعنى عبد الوهاب القرطبي بحروف الترقيق و التفخيم هنا اللام و الراء، أما حروف الاستعلاء فإنها ملازمة للتفخيم. (١) جهد المقل ١٥ ظ ١٦ و.

(٢) الموضح ١٨٠ و.

(٣) الموضح ١٨٠ ظ، ١٨١ و.

(٤) الموضح ١٨٢ و.

(٥) الموضح ١٦٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥١

أما المحذون من دارسى الأصوات العربية فلم يجاوزوا في كلامهم عن الإطباق و الاستعلاء و التفخيم ما قاله علماء التجويد، لا بل إن بعضهم قصر عن بلوغ ما وصل إليه علماء التجويد في وصف تلك الصفات. و كان (جان كانتينو) أكثرهم عناية بالموضوع و لم يكن تأكيده على الاتصال بين هذه الصفات جديدا، كما أنه لم يأت في أثناء تحليله لهذه الظواهر الصوتية بشيء متميز يستحق أن نطيل

الوقوف عنده. و غاية ما يمكن أن نلاحظ في كلامه من عناصر الجدة هو ميله إلى التعبير عن مجموع هذه الصفات بمصطلح واحد هو (التفخيم) «١». وهذا أمر يشاركه فيه بعض الدارسين المحدثين «٢».

و ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الراء و اللام المغلظتين تعتبران من الناحية الصوتية مثل حروف الإطباق، فقال عن اللام: «أما الفرق بين اللام المرققة و المغلظة (يقصد المفخمة) فهو في وضع اللسان مع كل منهما، لأن اللسان مع المغلظة يتخذ شكلا مقعرا، كما هو الحال مع أصوات الإطباق، فالفرق بين اللام المرققة و المغلظة هو نفس الفرق الصوتي بين الدال و الضاد، أو التاء و الطاء، و لكن الرسم العربي لم يرمز إلى اللام المغلظة برمز خاص تختلف باختلافه الكلمة، و لهذا نعد نوعي اللام صوتا واحدا أو فونيميا واحدا، و لكن التاء صوت مستقل عن الطاء تختلف الكلمة في معناها مع كل منهما، و لذا يعد كل منهما فونيميا مستقلا» «٣».

و قال أيضا عن الراء: «و الفرق بين الراء المرققة و المفخمة يشبه الفرق بين اللام المرققة و المغلظة، أي أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق، و لكن الرسم العربي لم يرمز لها برمز خاص يتغير بتغيره معنى الكلمة. و لهذا نعد كلا النوعين صوتا واحدا أو فونيميا واحدا» «٤».

و لم يكن الفرق بين هذه الأصوات غائبا عن نظر علماء التجويد فنجد عبد الوهاب القرطبي يعبر عن ذلك بأدق عبارة حيث قال و هو يتحدث عن الراء: «فإن كانت مكسورة رقت، و كان العمل فيها برأس اللسان، و معتمدها أدخل إلى جهة الحلق في الحنك الأعلى يسيرا، و أخذ اللسان من الحنك أقل مما يأخذ مع المفخمة، فيخفض اللسان حينئذ، فلا (١) انظر: دروس ص ٣٦-٣٧.

(٢) مثل الدكتور كمال محمد بشر. انظر: الأصوات ص ١٢٩ و ١٥٣.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٦٥-٦٦.

(٤) الأصوات اللغوية ص ٦٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٢

ينحصر الصوت بينه و بين الحنك فتجىء الرقة ... فإن كانت مضمومة أو مفتوحة فخمت، و كان ما يأخذ طرف اللسان منها أكثر مما يأخذ مع الترقيق، و كان معتمد اللسان أخرج في الحنك الأعلى يسيرا، فينسط حينئذ اللسان و ينحصر الصوت بينه و بين الحنك، فيحدث التفخيم» «١». و كذلك قال عن اللام: «أما إسمانها (أي تفخيمها) فبأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، و أدخل قليلا من مخرجها» «٢».

و نقل الدر كزلى عن الفخر الرازي أنه قال: «إن نسبة اللام الرقيقة إلى الغليظة كنسبة الذال إلى الطاء، و كنسبة السين إلى الصاد» «٣».

#### ٤- الذلاقة و الإصمات:

يرجع أصل هذين المصطلحين إلى ما ذكره الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين، ثم اعتنى بهما علماء العربية من اللغويين و النحاة، و كانت عناية علماء التجويد بهما قليلة، و قد أثير حول هذين المصطلحين بعض الجدل في القديم و الحديث، و لعل منشأ ذلك الجدل يعود إلى ما جاء في كتاب العين من مادة لا تخلو من بعض الغموض. و لا بد لمن يريد أن يستوفى الكلام عن هذا الموضوع من أن يبدأ بكتاب العين، ثم ينظر في المصادر الأخرى.

قال الخليل: «اعلم أن الحروف الذلعية و الشفوية ستة، و هي: ر ل ن، ف ب م، و إنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان و الشفتين، و هما مدرجة هذه الأحرف الستة. منها ثلاثة ذلعية: ر ل ن، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، و ثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصالح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، و لا ينطق اللسان إلا بالراء و اللام و النون ... فلما ذلقت الحروف الستة، و منذل بهن اللسان و سهلت عليه في

المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها».

«قال الخليل: فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معزاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب، لأنك لست واجدا من يسمع من كلام (١) الموضح ١٦١ و.

(٢) الموضح ١٦٤ و.

(٣) خلاصة العجالة ١٧٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٣

العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق و الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر» (١).

و يبدو أن الخليل لم يستخدم مصطلح (المصمتة) في مقدمته كتاب العين، لكنه ذكر مصطلح (الحروف الصّتم) على نحو لا تتضح معه دلالة على معنى محدد «٢». وقد ورد في مصادر أخرى أن الصّتم يقصد بها المصمتة «٣».

إن الدارس حين ينظر في كلام الخليل السابق يجد أن مصطلح الذلاقة لا يشمل إلا ثلاثة أحرف هي (ل ر ن) و إن الحروف الثلاثة الأخرى (ف ب م) أطلق عليها مصطلح الشفوية.

ولعل الذي جعل الخليل يتحدث عن الحروف الستة المذكورة في مكان واحد هو اشتراكها في أن الكلمات الرباعية و الخماسية لا تخلو من بعضها، و يؤكد ذلك أنه حين وصف الحروف منسوبة إلى مخارجها قال: «و الرء و اللام و النون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، و هو تحديد طرفي ذلق اللسان. و الفاء و الباء و الميم شفوية، و قال مرة: شفوية، لأن مبدأها من الشفة» (٤).

و هناك رواية نقلها الأزهرى في (تهذيب اللغة) عن الخليل بن أحمد لم تذكر في كتاب العين تضع القضية في إطار آخر، بحيث يكون لمصطلح الذلاقة دلالة أوسع تشمل الحروف الستة، و هي: «قال: و الحروف على نحوين: منها مذلق و منها مصمت. فأما المذلقه فإنها ستة أحرف في حيزين، أحدهما حيز الفاء، فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ف ب م، مخارجها من مدرجه واحدة لصوت بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها. و الحيز الآخر حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ل ر ن، مخارجها من مدرجه واحدة بين أسله للسان و مقدم الغار الأعلى. فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة، و حروفهما أخف الحروف في المنطق، و أكثرها في الكلام و أحسنها في البناء، و لا يحسن بناء الرباعي المنبسط و الخماسي التام إلا بمخالطة بعضها...».

«و قال: أما المصمتة- و هي الصّتم أيضا- فإنها تسعة عشر حرفا صحيحا ... و إنما سميت مصمتة لأنها أصممت فلم تدخل في الأبنية كلها، و إذا عريت من حروف الذلاقة قلت (١) العين ١ / ٥١-٥٢.

(٢) العين ١ / ٥٤ و ٥٥.

(٣) الأزهرى: تهذيب اللغة ١ / ٥١.

(٤) العين ١ / ٥٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٤

في البناء، فلست واجدا في جميع كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة و لا كلاما رباعيا كذلك ...» (١). و يؤيد رواية الأزهرى هذه ما جاء في كلام الخليل السابق: «فلما ذلقت الحروف الستة ...».

و يبدو أن هذه الرواية هي التي حددت موقف علماء العربية من مصطلح الذلاقة، فاستقر لديهم على الحروف الستة (ل ر ن، ف ب م) و نجد ابن دريد يضيف حروف العلة الثلاثة إلى المصمتة، فتصير اثنين و عشرين، بينما هي عند الخليل تسعة عشر بإخراج المعتلة من هذا التقسيم، و يقصد ابن دريد بالمعتلة الواو و الياء و الهمزة «٢». أما الألف فلم يعدّه من أي من القسمين، و قال: «أما الحرف التاسع و العشرون فجرس بلا صرف، يريد أنه ساكن لا يتصرف في الإعراب، و هو الألف الساكنة» (٣). و أصل هذه العبارة الأخيرة وارد في

كلام الخليل الذي نقله الأزهرى مما لم يرد في كتاب العين، و هو: «و روى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال: الحروف التى بنى منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً، لكل حرف منها صرف و جرس. أما الجرس فهو فهم الصوت فى سكون الحرف. و أما الصرف فهو حركة الحرف ... فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هى جرس مدة بعد فتحه ...» (٤).

و نقل ابن دريد عن الأخفش تفسيراً للمذلق و المصمت، هو تلخيص لفكرة الخليل عنهما، قال ابن دريد: «و سمعت الأشنادانى يقول: سمعت الأخفش يقول: سميت الحروف (مذلقه) لأن عملها فى طرف اللسان، و طرف كل شىء ذلقه، و هى أخف الحروف و أحسنها امتزاجاً بغيرها. و سميت الأخر (مصمته) لأنها أصممت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان» (٥).

و لخص ابن جنى فى (سر صناعة الإعراب) قضية المصمت و المذلق من الحروف بقوله: «و منها حروف الذلاقة، و هى ستة: اللام و الراء و النون و الفاء و الباء و الميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان و هو صدره و طرفه. و منها الحروف المصمته و هى باقى الحروف» ثم أفاض (١) تهذيب اللغة ١/ ٥٠-٥١.

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٦ و ٧.

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٧.

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٥٠-٥١.

(٥) جمهرة اللغة ١/ ٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٥

ابن جنى فى الكلام على دور حروف الذلاقة فى بنية الكلمة العربية (١).

و لم يتجاوز علماء التجويد فى كلامهم عن الحروف المذلقه و المصمته ما قاله علماء العربية فى الموضوع. و قد أهمل كثير منهم ذكر هاتين الصفتين فى أثناء حديثهم عن صفات الحروف (٢). و كان مكى بن أبى طالب أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع، فقد ذكر الحروف المصمته و الحروف المذلقه و وضع المقصود منها (٣). كما أفرد (الحروف الصم أو الصتم)، و هى عنده غير المصمته، فقد فسرها بأنها الحروف التى ليست من الحلق (٤).

و ذكر عبد الوهاب القرطبى حروف الذلاقة على نحو موجز (٥). و ذكرها أيضاً ابن الجزرى فى (التمهيد فى علم التجويد) (٦)، و فى (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعملها) المشهورة بالمقدمة الجزرية (٧). و من ثم اعتنى شراح المقدمة بالكلام عن الحروف المذلقه و الحروف المصمته (٨). و أهمل المرعشى فى (جهد المقل) الكلام عنها، و قال فى (بيان جهد المقل):

«و مجموع ما ذكرته ثمانى عشرة صفة، و تركت مما ذكره ابن الجزرى فى نظمه الذلاقة»، ثم وضع هنا حروف الذلاقة و الإصمات (٩).

و لا يتضح بشكل محدد الأساس الذى يستند إليه تصنيف الحروف إلى مذلقه و مصمته.

فالمذلقه سميت مذلقه لأن مبدأها من ذلق اللسان و هو طرفه، كما جاء فى كلام الخليل فى كتاب العين و هى على هذا المعنى ثلاثة (ل ر ن) (١٠). لكن المذلقه فى ما رواه الأزهرى عن الخليل ستة هى الثلاثة المذكورة إلى جانب حروف الشفة (ف ب م) و سميت مذلقه لأنها (١) سر صناعة الإعراب ١/ ٧٤-٧٥. و انظر أيضاً: ابن السراج: كتاب الاشتقاق ص ٤٩، و ابن عصفور:

الممتع فى التصريف ٢/ ٦٧٦.

(٢) انظر: الدانى: التحديد ١٧ ظ، و أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٣ و، و ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ ظ، و العطار: التمهيد ١٤٥ و.

(٣) الرعاية ص ١١٠-١١١.

(٤) الرعاية ص ١١١-١١٢.

(٥) الموضح ١٥٨ و.

(٦) التمهيد ص ٢٩.

(٧) متن الجزرية ص ١٢.

(٨) انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ١٥.

(٩) بيان جهد المقل ١٤ و.

(١٠) العين ١ / ٥٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٦

(أخف الحروف فى المنطق) «١».

و لا- يتبين أيضا وجه التقابل بين المذلقه و المصمته، فسواء سميت المذلقه بهذا الاسم لأنها تخرج من ذلق اللسان أم لأنها أخف الحروف فى النطق فإنها لا- تقابل المصمته التى سميت بذلك لأنها أصممت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه. قال مكى: «فمعنى المصمته:

الممنوعه من أن تنفرد فى كلمه طويله» «٢». و يلاحظ إلى جانب ذلك أن إطلاق كلمه (المذلقه) على الحروف الستة و حملها على معنى أنها تخرج من طرف اللسان، كما جاء فى قول ابن جنى- مذهب غير سديد، لأن حروف الشفه (ف ب م) لا صلته لطرف اللسان بمخرجها.

و كان بعض علماء العربية مدركا لهذا التعارض فى تسمية هذه الحروف بالمذلقه و المصمته، فوجد ابن الحاجب يقول و هو يشرح قول الزمخشري فى المفصل (و حروف الذلاقه و المصمته): «و حروف الذلاقه ما فى قولك (مر بنفل) و الذلاقه الاعتماد بها على ذلق اللسان و هو طرفه. و هذا التفصيل باعتبارها غير مستقيم من جهته فى نفسه و من جهة أمر مضاده من المصمته. أما من جهته فلأنها لا- تعتمد على طرف اللسان إلا ببعضها، فالميم و الباء و الفاء منها لا مدخل لها فى طرف اللسان، فكيف يصح تسميتها بذلك مع خروج نصفها عن ذلك المعنى.

و أما من جهة القسم الآخر المضاد لها فلأنه إنا سمي مصمته لأنه كالمسكوت عنه فلا ينبغى أن يكون ضد ذلك المنطوق بطرف اللسان.

و إنما الأولى أن يقال سميت حروف ذلاقه أى سهوله، من قولهم: لسان ذلق من الذلق الذى هو مجرى الحبل فى البكرة لسهوله جريه فيه. فلما كانت كذلك التزموا أن لا يخلوا رباعيا أو خماسيا عنها، فكأن هذا الحكم هو المعتبر فى تسميتها إلا أنهم استغنوا بسببه، و هو الذلاقه، فأضافوها إليه. و المصمته على هذا المعنى يكون ضدها. و هى الحروف التى لا- يتركب منها على انفرادها رباعى أو خماسى لكونها ليست مثلها فى الخفه، فكأنه قد صمت عنها، و لعله لم يقصد فى تعبيره إلا إلى ذلك. و إنما وقع الوهم من أخذ الذلاقه من الطرف و جعلها من طرف اللسان» «٣». و جرى أيضا جدل بين المحدثين حول هذين (١) تهذيب اللغه ١ / ٥٠.

(٢) الرعايه ص ١١٠.

(٣) الإيضاح فى شرح المفصل ٢ / ٤٨٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٧

المصطلحين «١».

و لو لا أن هذين المصطلحين، أعنى المذلقه و المصمته، قد تردد ذكرهما فى كتب علم التجويد، و أفاض فى الحديث عنهما علماء العربية، لما وقفنا عندهما هذه الوقفه الطويله، لأنهما ليست لهما دلالة صوتية محددة، و هما ألصق بالدراسة الصرفية من بعض الجوانب على أساس ما لاحظته الخليل من قبل، و عبر عنه عبد الوهاب القرطبي بقوله: «و فى حروف الذلاقه سر ينتفع به فى اللغه، و هو أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذى زوائد فلا بد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين و ربما كان ثلاثة ...» «٢».

## ثانياً - صفات الأصوات المحسنة:

## إشارة

إن أشهر صفات الأصوات التي تحدث عنها علماء التجويد، من الداخلة في ما يعرف بالصفات المحسنة هي: القلقله، والصفير، والغنة، والانحراف، والتكرير، والاستطالة والتفشي. وبعض هذه الصفات يشترك فيه عدد من الأصوات مثل الثلاثة الأولى، وبعضها يخص صوتاً بعينه مثل الصفات الأربع الأخيرة، فالانحراف للام، والتكرير للراء، والاستطالة للصاد، والتفشي للشين.

## ١- القلقله:

يقرر علماء الأصوات أن الشدید (الانفجاری) يتكوّن من:

١- حبس.

٢- إطلاق.

٣- صوت يتبع الإطلاق.

فالحبس يتم باتصال عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفا كاملاً. والإطلاق يتم بانفصال العضوين انفصالاً سريعاً يحدث عنه انفجار الهواء، ويلاحظ أن اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمناً محسوساً بعد انفراج العضوين، ولذلك فالصوت الشدید (الانفجاری) لا يتأتى نطقه النطق الكامل من غير أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المنذفع. وهذا الصوت المستقل الذي يلي الصوت الشدید ضرورة إما أن يكون مهموساً وإما أن يكون (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١١٠. وحسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٣.

(٢) الموضح ١٥٨ و، وانظر: مكى: الرعاية ص ١١٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٨

مجهوراً. فإذا نطقنا صوتاً شديداً مهموساً مثل الكاف وحده فإنه يتبعه عادة صوت مهموس قصير، وإذا نطقنا صوتاً شديداً مجهوراً كالباء وحده فإنه يتبعه عادة صوت مجهور قصير أشبه ما يكون بالفتحة المختلصة (١).

و كان سيويه قد لاحظ هذه الخاصية في الأصوات عند الوقف عليها، وذلك حيث قال:

«و اعلم أن من الحروف حروفاً مشربةً ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت و نبا اللسان عن موضعه، و هي حروف القلقله، و ستبين أيضاً في الإدغام إن شاء الله (٢)». وذلك القاف والجيم والطاء والبدال والباء. والدليل على ذلك أنك تقول: الحدق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت، لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم الذين يرومون الحركة (٣).

و كذلك تحدث سيويه عن الوقف على الحروف المهموسة فقال: «و أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهم يخرجون مع التنفس لا صوت الصدر، وإنما تنسل معه، وبعض العرب أشد نفخاً، كأنهم الذين يرومون الحركة فلا بد من النفخ، لأن النفس تسمعه كالنفخ (٤)».

و قرر سيويه أن ذلك الصوت و تلك النفخة لا تسمع من الحروف عند الوصل، وذلك حيث قال: «و اعلم أن هذه الحروف التي يسمع معها الصوت و النفخة في الوقف لا يكونان فيهن في الوصل إذا سكن، لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك، و لا يفتر الصوت حتى

تبتدئ صوتا. وكذلك المهموس، لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدئ صوتا» (٥). وقال في مكان آخر: «و لا يكون شيء من هذه الأشياء في الوصل، نحو أذهب زيدا» (٦).

و كان كلام سيويه هذا عن حروف القلقلة قد حدد معالم الموضوع عند علماء العربية وكذلك عند علماء التجويد، و كان ما أضيف على كلام سيويه يعد شيئا يسيرا لا يغير جوهر الموضوع. من ذلك أن المبرد عدّ الكاف من حروف القلقلة، حيث قال: و اعلم أن من (١) انظر: محمود السعرا: علم اللغة ص ١٦٦ و ١٧١ - ١٧٢.

(٢) لم يتحدث سيويه عن حروف القلقلة في باب الإدغام.

(٣) الكتاب ٤ / ١٧٤.

(٤) الكتاب ٤ / ١٧٥.

(٥) الكتاب ٤ / ١٧٥.

(٦) الكتاب ٤ / ١٧٦، و انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٧٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٥٩

الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه و هي حروف القلقلة. و إذا تفقدت ذلك وجدته. فمنها القاف و الكاف. إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد، و إنما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإن وصلت لم يكن، لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلت بينه و بين الاستقرار، و هذه المقلقلة بعضها أشد حصرا من بعض، كما ذكرت لك في القاف و الكاف» (١). و مذهب المبرد في عد الكاف من حروف القلقلة مبني على أساس ما يتبع الكاف من صوت مهموس بعد انفصال العضوين عند النطق به، و لكن ذلك الصوت دون الصوت الذي يسمع من حروف القلقلة المجهورة.

و قد دارت مناقشات علماء التجويد لموضوع القلقلة حول عدد من النقاط هي: عدد حروفها، و موضعها، و حقيقة الصوت الذي يسمع عند الوقف على حروفها، و تخصيص بعضهم مصطلحا مقابلا لمصطلح القلقلة، يطلق على ما عدا حروفها.

أما عدد حروف القلقلة فإن مذهب جمهور علماء التجويد أنها خمسة، تجمع في (قد طبع)، أو (طبق جد)، أو (جد قطب)، أو (قطب جد) (٢). و أشار بعضهم إلى مذهب المبرد في عد الكاف من حروف القلقلة (٣). لكن المرعشي علق على ذلك بقوله: «أقول فكأنه لم يشترط قوة الصوت الزائد، و إن شرط انحصار صوت الحرف قبله لكن يلزمه حينئذ أن يعد منها التاء المثناة الفوقية أيضا» (٤). و هذا قول صحيح.

و يشترط علماء التجويد لحصول القلقلة في الحرف اجتماع الشدة و الجهر فيه «فالشدة تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج، و الجهر يمنع جرى النفس عند انفتاح المخرج، فيلتصق المخرج التصاقا محكما فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة» (٥).

و وضح ذلك أبو عمرو بن الحاجب، و نقل كلامه أبو شامة المقدسي، و هو قوله:

«و إنما حصل لها ذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة، فالجهر يمنع النفس أن يجرى معها، و الشدة تمنع أن يجرى صوتها، فلما اجتمع لها هذان الوصفان، و هو امتناع (جرى) النفس (١) المقتضب ١ / ١٩٦.

(٢) أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٢، و انظر: مكى: الرعاية ص ١٠٠، و الداني:

التحديد ١٩ ظ، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٧ ظ، و السمرقندي: روح المرید ١٢٦ ظ.

(٣) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٧ ظ، و ابن الجزري: النشر ١ / ٢٠٣.

(٤) جهد المقل ١٣ ظ، و ذكر ابن الجزري (النشر ١ / ٢٠٣) إن سيويه ذكر معها التاء، و هو أمر غير مؤكد.

(٥) المرعشي: جهد المقل ١٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٠



معها، (و امتناع) جرى صوتها فاحتاجت إلى التكلف في بيانها، فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة، حتى تكاد تخرج إلى شبه تحركها لقصد بيانها، إذ لو لا ذلك لم تتبين» (١).

و بعد الطاء و القاف من الأصوات المهموسة في نطق العريية الفصحى المعاصر، و من ثم تخلف فيهما أحد شرطى القلقلة، و هو الجهر، و لكن نلاحظ أن قراء القرآن و ناطقى العريية يحرسون على إتباع هذين الصوتين عند الوقف بصوت القلقلة، و هو أمر يسوغه كون الصوتين شديدين (انفجاريين)، فيتبعهما عند الوقف صوت، مثل صوت الكاف، لكنه معهما أشد، لفخامة الطاء بالإطباق، و شدة انفصال العضوين في نطق القاف، مع كونه صوتا مستعليا.

و تنطبق شروط القلقلة على الهمزة كما وصفها علماء العريية و علماء التجويد من أنها صوت شديد مجهور، و هى فى الواقع ليست مجهورة، و قد نص علماء التجويد على إخراج الهمزة من حروف القلقلة (٢). و علل محمد المرعشى إخراجها بقوله: «ثم اعلم أن الهمزة و إن اجتمع فيها الشدة و الجهر، لكن الجمهور أخرجوها من حروف القلقلة، كما فى بعض الرسائل، و لعل سبب ذلك ما فى الرعاية أن الهمزة كالتهوع و كالسعلة. فجرت عادة العلماء بإخراجها بلطافة و رفق و عدم تكلف فى ضغط مخرجها، لئلا يظهر صوت يشبه التهوع و السعلة، أقول: فيخفى حينئذ شدتها و يعدم قلقلتها» (٣). و هذا التعليل - عندى - أرجح مما علل به ابن الجزرى حين قال: «و إنما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارت أخواتها، و لما يعترها من الإعلال» (٤).

و جاء فى بعض المصادر أن من العلماء من يعد اللام من حروف القلقلة (٥)، و قد ذكر ذلك المرعشى، و ذكر أن بعضهم أضاف إليها الفاء، لكن ذلك كله لحن، حسب رأيه، و ذلك حيث قال: «و هى لازمة لحروف قطب جد، و إحداثها فى غيرها لحن، كما حذر فى بعض الرسائل عن قلقلة الفاء و اللام فى (أفواجا) و (جعلنا)، و إنما يقلقلهما حرصا على إظهارهما (١) الإيضاح فى شرح المفصل ٢ / ٤٤٨. و انظر: أبو شامة: إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ١٣. و الكلمات الموضوعه بين معقوفين ساقطة من (الإيضاح) و أثبتها من (إبراز المعانى).

(٢) ابن الجزرى: النشر ١ / ٢٠٣.

(٣) جهد المقل ١٤ و.

(٤) النشر ١ / ٢٠٣. و انظر: أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ١٢ و.

(٥) انظر: أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦١

و حذرا عن إدغامها فيما بعد هما» (١).

أما صوت القلقلة الذى يسمع عند الوقف على حروف (قطب جد) فقد استخدم بعض علماء التجويد كلمة (صويت) للتعبير عنه (٢). و هى الكلمة التى استخدمها سيويه من قبل.

و وصف مكى ذلك الصوت بأنه (صوت زائد) و أنه (يشبه النبرة) (٣). و نقل أبو شامة فى شرح الشاطبية أن ذلك الصوت كالحركة (٤). و هذه نظرة أكدها المرعشى كثيرا. فقال فى كتابه (جهد المقل): «ثم اعلم أن إظهار القلقلة فى الحرف الساكن يشبه تحريكه» (٥). و وضح ذلك فى (بيان جهد المقل) حيث قال: «قوله: (يشبه تحريكه) أقول: الظاهر من الامتحان أنه يشبه تحريكه بحركة ما قبله. ثم الظاهر من الامتحان أيضا أن إظهار القلقلة يشبه التشديد» (٦). و هذا أمر أكدته الدراسات الصوتية الحديثة، فقال الدكتور محمود السعران: «من هذا نرى أن الصوت الإضافى فى حالة (حروف القلقلة) يشبه الحركة» (٧).

و مثل ما أدرك محمد المرعشى أن صوت القلقلة يشبه الحركة كذلك أدرك أن ذلك الصوت مجهور، و أن الفرق بينه و بين الصوت الذى يتبع الكاف هو الجهر و الهمس، و هذا مبنى على أساس أن جميع حروف القلقلة مجهورة بحسب الوصف القديم لها. يقول:

«و يشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه جهريا بسبب أنه حصل بفك للمخرج دفعة بعد لصقه لصقا محكما، ولذا خصوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة و الجهر ... و هي خمسة يجمعها (قطبجد)، فلم يعد الكاف و التاء من حروف القلقلة مع أن فيهما صوتا زائدا حدث عند انفتاح مخرجيهما، لأن ذلك الصوت فيهما يلبس جرى نفس، فهو صوت همس ضعيف، و لذا عدا شديدين مهموسين، فلو لم يلبس ذلك الصوت فيهما يجرى نفس لكان قلقلة، و لكان التاء دالا» (٨). (١) جهد المقل ١٤ و.

(٢) الداني: التحديد ١٩ ظ.

(٣) الرعاية ص ١٠٠.

(٤) إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٣.

(٥) جهد المقل ١٤ و.

(٦) بيان جهد المقل ١٧ ظ.

(٧) علم اللغة ص ١٧٦.

(٨) جهد المقل ١٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٢

أما موضع القلقلة فإن لعلماء التجويد مذهبين في ذلك، فبعضهم يرى أنها (لا تكون إلا عند الوقف) «١». و هو الذى يفهم من كلام علماء العربية، لأن أخذك في صوت آخر عند الوصل يشغلك عن إتباع الحرف الأول صوتا «٢». و ذهب أكثرهم إلى أنه لا- يشترط لحصول القلقلة سوى سكون الحروف المذكورة (سواء وقعت وسطا أو متطرفه) «٣». إلا- أن ذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن «٤».

و ذكر ابن الجزرى في كتابه (النشر) ذينك المذهبين، و هو يرجح المذهب الثانى الذى يذهب أصحابه إلى وجوب قلقلة الحروف الخمسة إذا كانت ساكنة في الوصل و الوقف، و استدل بكلام أبى الحسن شريح (ت ٥٣٩ هـ)، و ذلك حيث قال: «و ذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقلة بالوقف تمسكا بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين أن القلقلة تظهر في هذه الحروف بالوقف، فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل، و ليس المراد سوى السكون، فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون و قوى الشبهة في ذلك كون القلقلة في الوقف العرفى أبين، و حسبانهم أن القلقلة حركة، و ليس كذلك، فقد قال الخليل: القلقلة شدة الصياح، و القلقلة شدة الصوت.

و قال الأستاذ أبو الحسن شريح ابن الإمام أبى عبد الله محمد بن شريح، رحمه الله، في كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن) لما ذكر أحرف القلقلة الخمسة: فقال: و هي متوسطة كباء الأبواب [يوسف: ٢٣]، و جيم النجدتين [البلد: ١٠]، و دال مدذناها [الحجر: ١٩]، و قاف خلقتنا [الأعراف: ١٨١]، و طاء أطواراً [نوح: ١٤]. و متطرفه كباء لم يثبت [الحجرات: ١١]، و جيم لم يخرج «٥»، و دال قعد، و قاف من يشاقق [النساء: ١١٥] و طاء لا تشطط [ص: ٢٢]. فالقلقلة هنا أبين في الوقف في المتطرفه من التوسط، انتهى «٦». (١) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٠ ظ.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ١٧٥ / ٤. و المبرد: المقتضب ١ / ١٩٦، و السيرافى: شرح كتاب سيبويه ١ / ٤٤٦، و ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٧٣.

(٣) أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٤ ظ.

(٤) مكى: الرعاية ص ١٠٠.

(٥) (لم يخرج) لم ترد في القرآن، و يصح التمثيل بقوله تعالى: و مَنْ يَخْرُجِ [النساء: ١٠٠].

(٦) النشر ١/ ٢٠٣-٢٠٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٣

و يبدو أن تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة ترتبط بالمعنى اللغوي ارتباطا وثيقا. إذ يقال:

قلقل الشيء قلقله إذا حرّكه «١»، فحمل بعض علماء التجويد هذه التسمية على ذلك المعنى، مع احتمال أن يكون أصل التسمية من دلالة الكلمة على شدة الصوت، فقال: «سميت بذلك إما لأن صوتها صوت أشد الحروف، أخذا من القلقله التي هي صوت الأشياء اليابسة. وإما لأن صوتها لا يكاد يتبين به سكونها ما لم يخرج إلى شبه التحريك لشدة أمرها، من قولهم قلقله إذا حرّكه» «٢». و حاول بعض علماء التجويد المتأخرين وضع مصطلح يقابل مصطلح (القلقله)، فاستخدم السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) مصطلح الساكنه، فقال: «و ما سوى القلقله فهي ساكنه» «٣». و قال الحسن بن شجاع التوني: «و ضد القلقله السكون» «٤». و علل الدركرلي تسميتها بالساكنه بقوله: «أى أنها ذات سكون و عدم اضطراب في مخارجها مطلقا» «٥». لكن جمهور علماء التجويد يعدون صفة القلقله من الصفات التي لا ضد لها.

و ذكر محمد بن القاسم البقرى أن شيخه، و لم يسمه، كان له مذهب خاص في تفسير القلقله فقال: «و كان شيخنا يتوقف فيها، و يميل أن القلقله منع الشخص نفسه من تحريك الحرف، و خالفه جماعة من معاصريه، و قالوا: إن القلقله نبرة لطيفة يأتي بها القارئ في الحرف المقلقل. و شيخنا لا يمنعه، إلا أنه يتوقف فيه، لما قاله الشمس ابن الجزري في نشره: و قال الخليل: القلقله: شدة الصياح إلى آخر ما قاله، و ذلك لا يفهم أن القلقله تحريك الحرف» «٦».

و ورد في بعض كتب علم التجويد المعاصرة تقسيم للقلقله لم أجد له أى إشارة في كتب علم التجويد القديمة فإذا كان حرف القلقله في آخر الكلمة و وقف عليها كانت القلقله شديدة جدا، و سميت قلقله كبرى. و إذا كان الحرف ساكنا في وسط الكلمة. كانت أخف، و سميت (١) ابن منظور: لسان العرب ١٤ / ٨٥ (قلقل).

(٢) أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٢، و الحسيني كاشف المعاني ١٨٤، و قد نقلنا ذلك عن ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل ٢ / ٤٨٨.

(٣) روح المرید ١٢٦ ظ.

(٤) المفيد في علم التجويد ٥، و، و انظر: ٣ ظ.

(٥) خلاصة العجالة ١٥٧ ظ.

(٦) غنية الطالبين ص ١٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٤

قلقله صغرى «١».

## ٢- الغنة:

عرّف علماء التجويد الغنة بأنها (صوت يخرج من الخيشوم) «٢». و قال بعضهم: الصوت الذي يخرج من الأنف «٣». و قد ورد معنى هذا التعريف في كلام علماء العربية المتقدمين، عند سيبويه و غيره «٤».

و أدرك علماء التجويد طبيعة ذلك الصوت أعنى الغنة، فقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «و هي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد و اللين في موضعها» «٥». و هذه حقيقة يؤيدها الدرس الصوتي الحديث، فكما أن حروف المد تتميز بجريان النفس حرا طليقا في مجراه خلال الحلق و الفم كذلك الغنة يجري فيها النفس خلال تجويف الأنف (الخيشوم) من غير عائق. و لو

أوقف الناطق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء نطق حروف المد والغنة لبطلت أصواتها و صارت نفسا، فليس لهذه الأصوات مقابل مهموس «٦». و من ثم قرر المرعشى (ت ١١٥٠ هـ) أن مخرج بعض الأصوات «لا ينضغط فيه الصوت أصلا، و هو مخرج الألف المدية و مخرج النون الخفية» «٧»، و النون الخفية هي الغنة.

و حرفا الغنة النون و الميم «٨». و قد سمي أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٦٥٩ هـ) كل واحد منهما بالحرف (الأغن) فقال: «و الأغن النون و الميم، سميا بذلك لأن فيهما غنة، و هو صوت يخرج من الخياشيم ... و إنما سمي هذا الصوت غنة لجريه مع النون و الميم بعد لزوم اللسان موضعهما، يدللك على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك عند النطق بهما لا نحصر الصوت فيهما كالطينين، لأن الخيشوم مركب فوق الغار الأعلى، و إليه سمّ هذا (١) انظر: فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة و علم التجويد ص ٤٠، و جان كانتينو: دروس ص ٣٨.

(٢) مكى: الكشف ١/ ١٦٤، العطار: التمهيد ١٤٦ ظ، الفاسى: اللتالى الفريده ٢١٣ ظ، المرعشى: جهد المقل ١٨ ظ.

(٣) أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٧٤ ظ.

(٤) سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٥، و المبرد: المقتضب ١/ ١٩٤، و ابن دريد: جمهرة اللغة ١/ ٧، و السيرافى: شرح كتاب سيبويه ٦/ ٥١٧.

(٥) الموضح ١٥٣ ظ.

(٦) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٩٥ و ١٠١.

(٧) بيان جهد المقل ٩ و.

(٨) سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٥، و مكى: الرعاية ص ١٠٦، و الدانى: التحديد ١٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٥

الصوت «١». و ذكر مكى (ت ٤٣٧ هـ) أن الميم تسمى (الحرف الراجع)، لأنها ترجع إلى الخياشيم لما فيها من الغنة، و قال: يجب أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة «٢».

و اشتراط بعض علماء العربية و بعض علماء التجويد لوجود الغنة فى النون و الميم شروطا، منها أن تكون ساكنة مع عدم إظهارها، قال أبو عبد الله الفاسى (ت ٦٥٦ هـ) و هو يشرح قول الشاطبى:

و غنة تنوين و نون و ميم ان سكنّ و لا إظهار فى الأنف يجتلى

«الغنة صوت يخرج من الخياشيم، لا عمل للسان فيه ... و محلها التنوين و النون و الميم بشرط سكونهن و عدم إظهارهن، فإن تحركت صار العمل فيه للسان، و كذلك إن ظهر التنوين أو النون عند حروف الحلق» «٣». و مع وضع هذين الشرطين لوجود الغنة فى الميم و النون قال الفاسى بعد ذلك: «و إذا نطق بهذه الحروف خالية من الشرطين المذكورين لم يكن بد فيها من صوت يخرج من الخياشيم أيضا، مخالط لما يخرج من اللسان لأن طبعها يقتضى ذلك دون غيرها من الحروف» «٤».

و قال السمرقندى (ت ٧٨٠ هـ) «و حروف الغنة الميم و النون و التنوين، إن سكنّ ...

فإذا تحركت صار العمل فيها للسان و الشفتين دون الأنف، لهذا لا يقدر على إخراجها المزكوم، و كذلك إن أظهرت التنوين و النون عند حروف الحلق» «٥».

و قال ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) فى شرح المفصل: «فإذا لم يكن بعدها حرف البتة كانت من الفم، و بطلت الغنة، كقولك: من و عن و نحوهما مما يوقف عليه» «٦».

و هذا المذهب الذى يضع شروطا لوجود الغنة فى النون و الميم ناتج عن و هم فى تصور حقيقة الغنة، أو أنه مبنى على فهم معين لها، كأن يراد بها إطالة الصوت الخارج من الأنف أكثر مما تحصل به ذات الميم و النون، كما فسرها بعض المحدثين بقوله: «و ليست الغنة إلا (١) التمهيد ١٤٦ ظ.

(٢) الرعاية ص ١١٢، و ذكر عبد الوهاب القرطبي (الموضح ١٥٨ ظ) أن النون و الميم تسمى المستعينة، لأنهما يستعان عليهما بصوت الخياشيم.

(٣) اللتالي الفريدة ٢١٣ ظ. و انظر: مكى: الرعاية ص ٢١٤.

(٤) اللتالي الفريدة ٢١٣ ظ.

(٥) روح المريد ١٢٨ و.

(٦) شرح المفصل ١٠/١٢٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٦

إطالة لصوت النون، مع تردد موسيقى محبب فيها» (١). لكن الذى عليه جمهور العلماء هو أن الغنة يقصد بها مجرد خروج النفس المجهور من الأنف قليلا كان ذلك النفس أم كثيرا، طويلا أم قصيرا.

و كان علماء التجويد قد أكدوا على الترابط بين الغنة و النون و الميم. فقال عبد الوهاب القرطبي: «و النون لها غنة فى نفسها سواء كانت من الفم أو من الأنف، لأن الغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف، و إن كان خروجه من الفم» (٢). و قال و هو يتحدث عن النون أيضا:

«و لأجل جريان الغنة فيها و فى الميم إذا طرأت على الخيشوم آفة تمنع الجريان رأيت النون أقرب إلى التاء، و الميم أمس بالباء» (٣). و كان الجعبرى (ت ٧٣٢ هـ) قد قال فى ذلك كلمة جامعة هى: «و الغنة صفة النون، و لو تنوينا، و الميم، تحركتا أو سكتتا، ظاهرتين أو مخففتين أو مدغمتين، لا- تختص بمخرج بل كل راجع إلى مخرجه. قال: و هذا معنى قول الدانى: و أما الميم و النون فيتجافى بهما اللسان إلى موضع الغنة من غير قيد، و برهانه سدّ الأنف. و هى فى الساكن أكمل من المتحرك، و فى المخفى أزيد من المظهر، و فى المدغم أوفى من المخفى» (٤).

و لعل كلمة (مخففتين) مصحّفة عن (مخفاتين)، يدل على ذلك ما ورد فى آخر النص من قوله (و فى المخفى أزيد من المظهر) و كذلك يدل عليه أن من نقلوا النص عن الجعبرى ذكروا (مخففتين).

و قد نقل كثير من علماء التجويد كلمة الجعبرى السابقة، مع بعض الزيادات مثل كلمة (لازمة) و تغيير كلمة (مخففتين) إلى (مخفاتين)، فقال أحمد بن الجزرى: «اعلم أن الغنة صفة لازمة للنون و الميم تحركتا أو سكتتا، ظاهرتين أو مخففتين أو مدغمتين، و هى فى الساكن أكمل من المتحرك ...» (٥). و قال المرعشى: «قول الجعبرى (المدغمتين) الأولى أن يقال (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧١.

(٢) الموضح ١٧١ و.

(٣) الموضح ١٦٤ ظ.

(٤) انظر: القسطلانى: لطائف الإشارات ١/ ١٩٥.

(٥) الحواشى المفهومة ٤٧ ظ، و انظر: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٤٣ و، و أحمد فائز الرومى:

شرح الدر اليتيم ص ١٣، و المرعشى: جهد المقل ١٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٧

بدله: أو مشددتين، ليشمل المشددتين بلا إدغام نحو: إنَّ و ثمَّ» (١). و لخص السمنودى (ت ١٠٨٤ هـ) الأمر بقوله: «و هى صفة لازمة للنون و التنوين و الميم مطلقا» (٢).

و كان مكى قد قال: «الغنة حرف شديد مجهور، لا عمل للسان فيها» (٣). و هذا يناقض ما قرره جميع علماء العربية و علماء التجويد من اعتبار (النون) حرفا متوسطا، و الغنة تابعة للنون. و من ثم تصدى الجعبرى لقول مكى السابق و أنكره، و ذلك حيث قال: «جعله

الغنة حرفا غير سديد بالمهملة، وإن أراد أنها ذات محل مغاير فلا يلزم منه حرفيتها. قال: و إلى هذا أشرنا في العقود «٤» بقولنا:  
و الغنة أبطل قول مكّي بها في أنها حرف و أم بياني  
في أنها لا تستقل بنفسها و تحلّ حرفا ربّه استعلان»  
«٥».

و كان بعض علماء التجويد قد أطلق على (النون الخفية) كلمة (الغنة)، على نحو ما ذكرنا عند الكلام عن مخرج النون الخفية، و هما و إن كانتا من الناحية الصوتية شيئا واحدا، بينهما فرق، قال المرعشي: «إن قلت: ما الفرق بين النون المخفأة و بين الغنة قلت: هما متحدتان ذاتا، لأن كلا منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة في الأصل للنون و الميم الساكتين، كما في عن و لم، و يسمى حينئذ غنة، و قد تخفى النون الساكنة، و معناه أن يعدم ذاتها و تبقى صفتها التي هي الغنة كما في عنك، و سميت النون نونا مخفأة».

و بالجملة إن الغنة تطلق على الصوت الخارج من الخيشوم سواء قام بالحرفين المذكورين أو قام بنفسه، و في اصطلاح أهل الأداء تختص بما قام بالحرفين المذكورين» «٦».

و قد استخدم علماء الأصوات المحدثون لوصف النون و الميم كلمة (الأنفية) «٧»، بينما استخدم بعضهم كلمة (الغناء) و (أغن) «٨». و هي كلمة سبق إلى استخدامها بعض علماء (١) جهد المقل ١٨ ظ - ١٩ و.

(٢) تحفة الطالبين ٤ و.

(٣) الرعاية ص ٢١٤.

(٤) يريد كتابه (عقود الجمان في تجويد القرآن) (انظر رقم ٢٥ من مصادر علم التجويد في الفصل الأول).

(٥) القسطلاني: اللئالي السنية ٩ ظ. و انظر: لطائف الإشارات (له) ١ / ١٩٥.

(٦) المرعشي: جهد المقل ١٠ و، و انظر: ١٨ ظ.

(٧) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٧، و ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٨٦.

(٨) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٨

التجويد «١».

و ليس ثمة ما هو جديد في كلام المحدثين عن الغنة و حرفيها (النون و الميم) سوى إشارتهم إلى انخفاض الحنك اللين و اللهاة في أثناء نطق الأصوات الأنفية حيث يقولون:

«و تتكون الأصوات الأنفية بأن يجس الهواء حسبا تاما في موضع من الفم و لكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف» «٢». بينما كان علماء التجويد يقولون إن غنة النون و الميم تجرى في الخيشوم (الأنف) دون أن يشيروا إلى حركة أعضاء آلة النطق المصاحبة لذلك.

### ٣- الصغير:

لم يذكر سيويه هذه الصفة «٣»، و كذلك فعل ابن جنى في (سر صناعة الأعراب)، و أقدم من ذكرها، مما اطلعت عليه من المصادر، هو المبرد، فقد قال في (المقتضب): «و من طرف اللسان و ملتقى حروف الثنايا حروف الصغير، و هي حروف تنسل انسلا، و هي السين و الصاد و الزاي» «٤».

و كانت لعلماء التجويد عناية خاصة بهذه الصفة، و حاولوا أن يوضحوا المقصود بكلمة الصفير، فقال مكى (ت ٤٣٧ هـ): «و حقيقة الصفير أنه اللفظ الذى يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حسا ظاهرا فى السماء» (٥). و قال ابن الطحان (ت حوالى ٥٥٦ هـ): «و الصفير حدة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب» (٦). و قال المرادى (ت ٧٤٩ هـ): «و هو صوت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر» (٧).

و ربط علماء التجويد بين تسمية هذه الأصوات الثلاثة بحروف الصفير و بين ظاهرة الصفير فى أصوات الطبيعة، فقال مكى: «و إنما سميت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير» (٨). و قال الدانى (ت ٤٤٤ هـ): «سميت بذلك لأنك تسمع فيها (١) الدانى: التحديد ٣٥ ظ، ٤٠ ظ. و العطار: التمهيد ١٤٦ ظ.

(٢) محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٤. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٧.

(٣) ذكر سيويه هذه الصفة عرضا، انظر: الكتاب ٤/ ٤٦٤.

(٤) المقتضب ١/ ١٩٣ و انظر أيضا: ١/ ٢٢٥ و ٢٢٦.

(٥) الرعاية ص ١٨٦.

(٦) مرشد القارئ ١٣٠ ظ.

(٧) شرح الواضحة ص ٣٦.

(٨) الرعاية ص ١٠٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٦٩

شبيها بالصفير عند إخراجها من مواضعها» (١). و قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ):

«و سميت بذلك لشبه أجراسها بالصفير» (٢).

و الصفير صفة ذاتية فى هذه الأصوات لا تنفك عنها، كما أن الغنة صفة ذاتية فى النون و الميم، و هى تخرج من مخرج واحد، و إنما فرّق بينها صفات مميزة هى الهمس فى السين و الجهر فى الزاى و الإطباق فى الصاد (٣).

و الكلام عن صفة الصفير مع أنها لم تكن ذات أثر فى التمييز بين الأصوات، يدل على إدراك للخصائص الدقيقة للأصوات، و هى صفة لاحظها علماء الأصوات المحدثون، فقالوا:

«و يوصف الصوتان س- ز غالبا بأنهما صفيريان، لما يصحبهما من صفير أو أزيز، و هما فى الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكى» (٤). و قالوا: «و سميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها.

و السبب فى قوة الاحتكاك هو أن نفس المقدار من الهواء مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق» (٥).

#### ٤- التكرير:

التكرير، و يقال له التكرار أيضا (٦)، «هو ارتعاد طرف اللسان بالراء» (٧)، أو هو «تضعيف يوجد فى جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها» (٨). و كان سيويه قد قرر هذه الصفة للراء، فقال و هو يتحدث عن صفات الحروف: «و منها المكرر، و هو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره و انحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، و لو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، و هو الراء» (٩). و قال أيضا: «و الراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، و الوقف يزيدا إيضا» (١٠). (١) التحديد ١٩ و.

(٢) الموضح ١٥٨ ظ.

(٣) انظر: مكى: الرعاية ص ١٨٥.



(٤) ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٨٥.

(٥) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٨.

(٦) انظر: المبرد المقتضب ١/ ٢١٢، و البقرى: غنية الطالبين ص ١٦.

(٧) مكى: الرعاية ص ١٧٠.

(٨) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٠ ظ.

(٩) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(١٠) الكتاب ٤/ ١٣٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٠

و اختلف علماء التجويد فى صفة التكرير أ هى لازمة للراء أم لا؟ فكان مكى قد أكد إخفاء تكررهما كثيرا، فقال: «فوجب على القارئ أن يخفى تكررهما ولا يظهره، ومتى ما أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفا، و من المخفف حرفين» «١». و قال الفخر الموصلى (ت ٦٢١هـ): «يجب على القارئ إخفاء التكرير و إلا كان لاحنا» «٢». و قال الجعبرى (ت ٧٣٢هـ): «و تكررهما لحن، فيجب التحفظ عنه ... قال: و طريق السلامة منه أن يلقى اللفظ به ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقا محكما مرة واحدة، و متى ارتعد حدث من كل مرة راء» «٣».

و ذهب بعض علماء التجويد إلى أن التكرير صفة ذاتية للراء و هو موافق لظاهر كلام سيبويه «٤». قال أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٩هـ): «و اعلم أن الراء متكررة فى جميع أحوالها، و أبين ما يكون ذلك عند الوقف عليها. و قد ذهب قوم من أهل الأندلس إلى أنه لا- تكرر فيها مع تشديدها، و ذلك لم يؤخذ علينا، غير أننا لا نقول بالإسراف فيه، و أما ذهاب التكرار جملة فلم نعلم أحدا من المحققين بالعربية ذكر أن تكررهما يسقط بحال» «٥».

و ذهب ابن الجزرى إلى أنه ليس المقصود بتكرير الراء ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، و لا بإخفائها إعدام تكررهما، بل المقصود بذلك الاعتدال بين الأمرين، فقال: «و قد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها، كما ذهب إليه بعض الأندلسيين، و الصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكررهما، كما هو مذهب المحققين، و قد يبلغ قوم فى إخفاء تكررهما مشددة فىأتى بها محصرمة شبيهة بالطاء، و ذلك خطأ لا يجوز، فيجب أن يلفظ بها مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبوة واحدة و ارتفاعا واحدا من غير مبالغة فى الحصر و العسر نحو: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الْفَاتِحَةُ: ١]، و وَحَرَ مَوْسَى [الأعراف: ١٤٣] ...» «٦».

و قال المرعشى (ت ١١٥٠هـ): «ليس معنى إخفاء تكررهما إعدام تكررهما بالكلية بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغة فى لصق اللسان بالثثة بحيث (١) الرعاية ص ١٧٠ و انظر أيضا ص ٢٣٠.

(٢) الدر المرصوف ١٧١ و.

(٣) انظر: المرادى: شرح الواضحة ص ٤٤، و المفيد (له) ١١٣ و. و القسطلانى: اللئالى السنية ١٢ و.

(٤) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥، و ابن الجزرى: النشر ١/ ٢٠٤.

(٥) انظر: المرادى: شرح الواضحة ص ٤٣، و المفيد (له) ١٠٢ و.

(٦) النشر ١/ ٢١٨ - ٢١٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧١

ينحصر الصوت بينهما بالكلية كما فى الطاء المهملة، و ذلك خطأ لا يجوز كما صرح ابن الجزرى فى النشر، لأن ذلك يؤدى إلى أن يكون الراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف البينية» «١».

وقد وصف علماء الأصوات المحذوثون صوت الراء في العربية بأنه مكرر، من غير أن يشيروا إلى قضية إخفاء التكرير «٢». و قدر بعضهم أن طرف اللسان يطرق حافة الحنك طرقا لنا يسيرا مرتين أو ثلاثا في أثناء نطق الراء «٣». وهو ما يفهم من قول بعض علماء التجويد: «إن الراء فيها صفة التكرار، لأنها تكرر، إذا قلت: مر و در، يتحرك طرف اللسان بها فتصير راءين و أكثر» «٤». وقد نقل المرعشى قول السيد الشريف في شرح المواقف: «الغالب على الظن أن الراء التي في آخر (الدار) مثلا راءات متواليه، كل واحد آنى الوجود، إلا أن الحس لا يشعر بامتيار آناها فظنها حرفا واحدا زمانيا» «٥».

و كان سيويه قد ذكر أن الراء المفتوحة بمنزلة حرفين مفتوحين، و أن الراء المكسورة كأنها حرفان مكسوران، لما فيها من التكرار «٦». و نقل علماء التجويد هذه الفكرة عن سيويه، و قالوا بأن «الحركة عليها مقام حركتين» «٧». و نصوا على أن الفتحة عليها مقام فتحتين، و أن الكسرة عليها مقام كسرتين «٨».

و من غير اليسير تأكيد هذه الفكرة أو نفيها بالوسائل المتيسرة لهذا البحث. و لكن يمكن أن نتساءل و نقول: هل تتداخل الحركة التي تنطق بعد صوت الراء بين طرقات طرف اللسان على اللثة في أثناء نطق صوت الراء، أم أن الفم لا يفتح بالحركة إلا بعد تمام صوت الراء؟

أرجح - الآن - الاحتمال الثاني، من خلال التجربة الذاتية، و لكن من غير أن أنفي احتمال التأثر المتبادل بين صوت الراء و حركته. (١) جهد المقل ١٦ ظ.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٧، و محمود السعران: علم اللغة ص ١٨٧، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٦.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٧.

(٤) الفاسي: اللثالي الفريدة ٢١٥، و السمرقندي: روح المرید ١٢٧ ظ.

(٥) جهد المقل ٦ ظ. و انظر: شرح المواقف ٥ / ٢٧٢.

(٦) الكتاب ٤ / ١٣٦.

(٧) مكى: الكشف ١ / ١٧١، و الداني: التحديد ٣٦ و.

(٨) مكى: الكشف ١ / ٢١٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٢

## ٥- التفشى:

استخدم سيويه كلمة (التفشى) في وصف الشين «١»، و كذلك فعل المبرد لكنه وصف الضاد أيضا بالتفشى «٢». و ذكر علماء التجويد هذه الصفة و حاولوا تقديم تعريف لها، فقال مكى: «و معنى التفشى هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان و الحنك، و انبساطه في الخروج عند النطق بها» «٣». و قد وصف بعض علماء التجويد الضاد و الفاء و الثاء بالتفشى إضافة إلى الشين «٤».

و قال المرعشى: «و بالجملة إن الحروف المذكورة مشتركة في كثرة انتشار خروج الريح، لكن ذلك الانتشار في الشين أكثر، و لذا اتفق في تفشيه، و في البواقي قليل بالنسبة إليه، و لذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشى» «٥».

و نقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن ابن مريم الشيرازي «٦» قال: «و منها حروف التفشى، و هي أربعة مجموعة في قولك (مشفر) و هي حروف فيها غنة و تفش و تأفف و تكرر، و إنما قيل لها حروف التفشى و إن كان التفشى في الشين خاصة لأن الباقية مقاربه له،

لأن الشين بما فيه من التفشى ينتشر الصوت فيه و يتفشى حتى يصل إلى مخارج الباقية» (٧). و إطلاق التفشى على الميم و الراء فيه توسع لا يحتمله التصنيف الدقيق للأصوات.

و أهمل أكثر دارسى الأصوات العربية من المحدثين ذكر هذه الصفة «٨». و هى و إن كانت من الصفات المحسنة التى لا شأن لها فى تمييز الأصوات أكثر من توضيح خاصة صوتية معينة فى الصوت الذى يوصف بها لها أهميتها فى تتبع سلوك ذلك الصوت فى التركيب، و فى تفسير الظواهر الصوتية التى تخصه، و بين أيدينا مثال يوضح أهمية معرفة الصفات المحسنة فى تفسير (١) الكتاب ١/٤. ٤٤٨.

(٢) المقتضب ١/ ٢١١ و ٢١٤.

(٣) الرعاية ص ١٠٩، و انظر أيضا ص ١٤٩ و ٢٠١. و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٨ ظ.

(٤) مكى: الرعاية ص ١١٠ و ٢٠١. و الدانى: التحديد ١٩. و المرعشى: جهد المقل ١٧. و.

(٥) جهد المقل ١٧. و.

(٦) لعله نصر بن على بن محمد الذى قال عنه ابن الجزرى: (يعرف بابن أبى مريم) و هو صاحب كتاب (الموضح فى القراءات الثمان) الذى فرغ منه سنة ٥٥٦ هـ (انظر: غاية النهاية ٢/ ٣٣٧).

(٧) إبراز المعانى (باب مخارج الحروف) ص ١١.

(٨) ذكرها جان كانتينو: دروس ص ٣٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٣

بعض الظواهر الصوتية، و هو أن الدكتور إبراهيم أنيس ذكر أن الأمثلة القرآنية فى الإدغام قد خلت من ذكر الزاى و الشين مدغمتين فى غيرهما من الأصوات و قال: «و ليس لهذا ما يبرره من الناحية الصوتية سوى مجرد المصادفة» (١).

و نجد فى ما قاله علماء العربية و علماء التجويد تفسيراً صوتياً لتلك الظاهرة، بعيداً عن تكأه المصادفة، فقد قرروا أن «كل حرف فيه زيادة صوت لا- يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه» (٢). و قال الدانى: «و جملة الحروف التى تمتنع من الإدغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، و قد جمعتها فى قولك: فزم ضرس شص: الشين و الضاد و الراء و الصاد و السين و الزاى و الميم و الفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها، و أما الضاد فلاستطالتها، و أما الراء فلتكريرها، و أما الصاد و السين و الزاء فلصفيرهن، و أما الميم فلغنتها، و أما الفاء فلتفشيها» (٣).

## ٦- الاستطالة:

وصف سيويه الضاد بهذه الصفة «٤»، و كذلك وصف الشين بالاستطالة فى بعض المواضع، فقال: «الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، و الشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء» (٥). و قال بعض علماء التجويد أن الاستطالة هى «امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها» (٦).

و قد صرح بعض علماء التجويد أن الاستطالة لا يوصف بها إلا الضاد فقالوا:

«و المستطيل حرف واحد، و هو الضاد» (٧). و لكن بعض المتأخرين من علماء التجويد قال: إن الاستطالة لا تختص بالضاد، بل الشين مستطيلة أيضاً للتفشى (٨).

و لاحظ علماء التجويد أن هناك صلة بين مصطلح المستطيل و مصطلح الممدود، و حاولوا التفريق بينهما، فقال الجعبرى: «و الفرق بين المستطيل و الممدود أن المستطيل جرى (١) الأصوات اللغوية ص ١٩٠.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٣٣.

(٣) الإدغام الكبير ٦ ظ.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٢ و ٤٤٦ و ٤٧٠.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٥٧ و ٤٦٦.

(٦) المرعشى: جهد المقل ١٧ و.

(٧) الداني: التحديد ١٩ و، وانظر: مكى: الرعاية ص ١٠٩.

(٨) المرعشى: جهد المقل ١٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٤

في مخرجه، و الممدود جرى في نفسه» (١). و قال المرعشى معلقاً على ذلك: «توضيح هذا الفرق للمستطيل مخرجا له طول في جهة جريان الصوت، فجرى في مخرجه بقدر طوله و لم يتجاوز، لما عرفت أن الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقق، و ليس للممدود مخرج، فلم يجر إلا- في ذاته لا- في مخرج، إذ المخرج المقدر ليس بمخرج حقيقة، فلا ينقطع إلا بانقطاع الهواء، و لأجل هذا الفرق اختلفت تسمياتها، و لو انعكست لصحّ لكنهم اختاروا ذلك» (٢).

و لاحظ المرعشى وجود علاقة بين صفة الاستطالة و صفة التفشى، و يتضح من كلامه أن الصوت المتفشى و الصوت المستطيل يحتاجان إلى زمن لنطقهما أكثر من بقية الحروف الجامدة الرخوة، و لكن لا يبلغان زمن الصوت الممدود، يقول: «إن التفشى يوجب استطالة الصوت، فكل متفش مستطيل. و قد عرفت حروف التفشى في بابه، و بالجملة إن الحروف على أربعة مراتب:

آني لا يمتد أصلا و هي الحروف الشديدة.

و زمانني يمتد قدر ألف و هي حروف المد.

و زمانني يقرب من قدر ألف و هي الضاد المعجمة و حروف التفشى.

و زمانني يقرب من الآني، و هي بواقي الحروف» (٣).

و لما كانت الضاد القديمة الموصوفة بالاستطالة غير متحققة في النطق اليوم، و هي الأصل في هذه الصفة، فإن تصور تلك الصفة في الضاد لا- يصل إلى الوضوح التام، و يمكن أن نستنتج أن المقصود بالاستطالة هو اتساع مخرج الحرف، أي أن ما يأخذه الحرف المستطيل من العضوين اللذين يشتركان في مخرجه أكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل من ذينك العضوين.

## ٧- الانحراف:

وصف سيبويه اللام بأنه حرف منحرف، فقال و هو يتحدث عن صفات الحروف:

«و منها المنحرف، و هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، و هو اللام ... و ليس يخرج الصوت من (١) انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ١٧.

(٢) جهد المقل ١٧ ظ.

(٣) جهد المقل ١٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٥

موضع اللام، و لكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك» (١).

و كذلك وصف علماء التجويد اللام بأنه منحرف، فقال عبد الوهاب القرطبي: «و من الحروف المنحرف، و هو اللام، لأن اللسان

ينحرف فيه مع الصوت، و تتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين و مما فويقهما» (٢).

و وصف بعض علماء التجويد الراء بأنه صوت منحرف أيضا، كما فعل مكى حين قال:

«حرفا الانحراف، و هما اللام و الراء، و إنما سميّا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما، و عن صفتهم إلى صفة غيرهما»، و نلمح من كلامه أنه يحمل صفة الانحراف على معنى خاص، فهو يقول عن اللام: «فسمى منحرفا لانحرافه عن حكم الشديدة و عن حكم الرخوة فهو بين صفتين» و يقول عن الراء: «و قيل إنما سميت الراء منحرفة لأنها فى الأصل من الحروف الشديدة، لكنها انحرفت عن الشدة إلى الرخاوة، حتى جرى معها الصوت ...» (٣). و نسب الدانى إلى الكوفيين القول بأن الراء منحرف «لأنه ينحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام ...» (٤).

و وصف الراء بالانحراف غير سديد، كما يبدو لى، و ذلك لأن الانحراف و وصف لطبيعة مرور الهواء فى مخرج اللام، و هو لا ينطبق على الراء الذى يوصف بأنه مكرر لأن مرور الهواء فى مخرجه له صفة خاصة، و قد قال المرادى: «و أكثر البصريين لا يصف بالانحراف إلا- اللام وحدها. و ذهب الكوفيون و مكى إلى أن الراء منحرف. قال بعض النحويين: و هو مذهب سيبويه. قلت: و هو ظاهر كلامه قال (٥): و منها المكرر و هو حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره و انحرافه إلى اللام» (٦).

و لا يكفى قول سيبويه أن الراء انحرف إلى اللام ليعد صوتا منحرفا، فالمنحرف صار مصطلحا له دلالة معينة، لا مجرد كلمة تدل على معنى لغوى ينطبق على أى نوع من أنواع الانحراف. فالأصوات المنحرفة تتكون «بوضع عقبه فى وسط المجرى الهوائى مع ترك منفذ (١) الكتاب ٤/ ٤٣٥، و انظر: المبرد: المقتضب ١/ ١٩٣ و ٢١٣.

(٢) الموضح ١٥٧ و.

(٣) انظر فى ذلك كله: الرعاية ص ١٠٧-١٠٨.

(٤) التحديد ١٩ و.

(٥) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٦) المفيد ١١٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٦

للهمزة عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، و من هنا كانت تسميتها بالمنحرف (أو الجانبيّة) ...» (١). و هذا الوصف لا ينطبق على الراء، و لذلك لم يصف المحدثون الراء بالانحراف.

## ٨- صفات أخرى:

### إشارة

هناك صفات أخرى للأصوات يذكرها بعض علماء التجويد، و لم تشتهر شهرة الصفات التى تحدثنا عنها، و كان مكى بن أبى طالب أكثر علماء التجويد حرصا على تقصى كل ما له صلة بالحروف العربية و إدراجه فى قائمة صفات الحروف، حتى بلغ ما أحصاه أربعة و أربعين لقبا و صفة، و لم يبلغ أحد من علماء التجويد فى إحصاء الصفات ما بلغه مكى، و لا أجد هنا ضرورة للحديث عن جميع تلك الصفات، و أكتفى بالإشارة إليه فقط، و التوقف عند أكثرها لصوقا بالدرس الصوتى.

إن مجموعة من تلك الصفات تتعلق بحروف المد و اللين، مثل الهاوى، و الهوائية، و الإمالة، و المد، و اللين، و سوف نتحدث عنها فى مبحث الأصوات الذائبة. و مجموعة أخرى من تلك الصفات تتعلق بالدراسة الصرفية مثل: الحروف الأصلية، و الزائدة، و حروف العلة، و حروف الإبدال، و مجموعة ثالثة تمثل ألقاب الحروف التى لقب الخليل بن أحمد بها الحروف، تبعا لمخارجها، و هى عشرة:

الحلقية و اللهوية ... الخ «٢».

و ذكر السمرقندي عددا من الصفات الجديدة للحروف مثل (النبر و البحة و النفث) «٣».

و قد ذكر الحسن بن شجاع التوني أن الحروف النافثة الفاء و التاء، و النابرة الهمزة، و فسر النبر بالحدة «٤» و لعل السمرقندي يريد بالبحه صوت الحاء الذي قال عنه الخليل: «و لو لا بحة في الحاء لأشبهت العين» «٥».

و هناك بعض الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها، فذكر مكي (١) محمود السعرا: علم اللغة ص ١٨٥. و يلاحظ هنا أن بعض المؤلفين المحدثين يستخدمون كلمة (الجانبى) بدل (المنحرف) و بعضهم حافظ على المصطلح القديم. (٢) انظر: الرعاية ص ٩٢-١١٦.

(٣) روح المريد ١٢٤ ظ. و كان ابن جنى قد قال: (سر صناعة الإعراب ١ / ١٨٩): «التاء حرف مهموس، و هو أحد حروف النفث».

(٤) المفيد في علم التجويد ٥ ظ.

(٥) العين ١ / ٥٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٧

(الحرف المهتوف) و فسره بالهمزة، و قال: «سميت بذلك لخروجها من الصدر، كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوى شديد، و الهتف الصوت الشديد». ثم قال: إن بعض العلماء ذكر موضع المهتوف: المهتوت بتاءين «١». و يبدو أن أصل التسمية يرجع إلى ما قاله الخليل عن الهمزة: «و أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت ...» «٢».

و كان ابن جنى قد قال: «و من الحروف المهتوت، و هو الهاء، و ذلك لما فيها من الضعف و الخفاء» «٣». و تابع بعض علماء التجويد ابن جنى في أن المهتوت هو الهاء «٤». و تردد بعضهم بين قول مكي و قول ابن جنى، فقال عبد الوهاب القرطبي: «و من الحروف المهتوتة و هو الهاء، و ذلك لما فيها من الضعف و الخفاء. و قال بعضهم المهتوت الهمزة» «٥».

و ذكر الزمخشري في المفصل أن المهتوت هو التاء، و تابعه على ذلك شراح المفصل «٦». و رجح الجاربردى أن المهتوت هو الهاء، و قال: «إن ما ذكر في المفصل من أن المهتوت التاء لأنه غلط من الناسخ» «٧».

و من الصفات المختلف في أصواتها (الجرسى)، قال مكي: «الحرف الجرسى و هو الهمزة، سميت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها ... و الجرس في اللغة الصوت».

فكأنه الحرف الصوتي، أى: المصوت به عند النطق به. و كل الحروف يصوت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك «٨». و كان عبد الوهاب القرطبي قد ذكر هذه الصفة على هذا النحو (الجرس) بالسین في آخر الكلمة. و قال: «و أما الجرس فالألف

الساكنة لا (١) الرعاية ص ١١٢. و فى لسان العرب (١١ / ٢٥٩ هتف): الهتف: الصوت الجافى العالى، و قيل:

الصوت الشديد. و فيه أيضا (٢ / ٤٠٨ هتت): الهت شبه العصر للصوت.

(٢) العين ١ / ٥٢.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٧٤. و قد نسب ابن منظور ذلك إلى سيبويه (لسان العرب ٢ / ٤٠٨ هتت) و لم أتمكن من التحقق من هذه النسبة.

(٤) العطار: التمهيد ١٤٧ و.

(٥) الموضح ١٥٨ و.

(٦) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ١٢٨. و ابن الحاجب: الإيضاح فى شرح المفصل ٢ / ٤٩٠. انظر:

الأسترآبازى: شرح الشافية ٣ / ٢٦٤. و ابن عصفور: الممتع فى التصريف ٢ / ٦٧٦.

(٧) شرح الشافية ص ٢٥٠.

(٨) الرعاية ص ١٠٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٨

يكون إلا كذلك» (١). و لعل قوله هذا يعتمد على رواية عن الخليل جاء فيها «فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدة بعد فتحه» (٢).

و ذكر مكى الحروف (المشربة)، و يقال لها (المخالطة) بكسر اللام و فتحها. و فسرها بأنها الحروف الستة التي اتسعت العرب فيها فزادتها على التسعة و العشرين، نحو الصاد التي بين الصاد و الزاي، و شبه ذلك. سميت بذلك لأنها تخالط غيرها (٣). لكن مصطلح (المشربة) عند سيبويه لا يمت إلى هذا التفسير بصله، فهو لديه أقرب إلى أن يكون مرادفا لمصطلح المجهورة (٤). و هناك صفات أخرى ذات ارتباط وثيق بحقائق الأصوات و طبيعتها، تحدث عنها علماء التجويد و هي من أكثر الصفات دقة، و لا يستطيع الدارس تقديم رأى قاطع فى ما قاله علماء التجويد عنها من غير الاستعانة بالأجهزة الحديثة لدراسة الأصوات، و لما كانت هذه الأجهزة غير متيسرة فإننا نكتفى بعرض وجهه نظر علماء التجويد فى تلك الصفات، و هي: الخفاء و الظهور، و القوة و الضعف.

### (أ) الخفاء و الظهور:

وصف سيبويه بعض الحروف بأنها خفية، و كان صوت الهاء أول تلك الحروف، فقد قال سيبويه فى مواضع كثيرة: أن الهاء خفية (٥). و كذلك وصف الحروف الثلاثة الياء و الواو و الألف بأنها خفية (٦). و كذلك وصف النون بأنها خفية (٧). و لم يوضح سيبويه معنى قوله (خفية).

و قد ذكر مكى (الخفية) فى صفات الحروف فقال: «الحروف الخفية، و هي أربعة:

الهاء، و حروف المد و اللين المتقدمة الذكر. و إنما سميت بالخفية لأنها تخفى فى هذا اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ... و الألف أخفى هذه الحروف لأنها لا علاج على اللسان فيها (١) الموضح ١٥٨ ظ.

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٥١.

(٣) الرعاية ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) انظر: الكتاب ٤ / ١٧٤.

(٥) الكتاب ٢ / ٤٢١، ٣ / ٥٣٢، ٤ / ١٢٣ و ١٩٥ و ٢٠٠.

(٦) الكتاب ٢ / ٢٦٢ و ٤٢١، ٤ / ١٦٥ و ١٩٥.

(٧) الكتاب ٤ / ١٦١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٧٩

عند النطق بها ... و قد ذكر بعض العلماء أن فى الهمزة خفاء يسيرا (١)، و كذلك النون الساكنة فيها خفاء (٢).

و قال عبد الوهاب القرطبي: «و أما الخفية فالهاء و الألف و الياء و الواو. و ذلك لاتساع مخرجهن، و أوسعهن مخرجا الألف، لأنه لا علاج على اللسان فيها كالتنس، ثم الهاء، ثم الياء، ثم الواو. و مما يشرك هذه الحروف فى الخفاء النون، إذا سكنت فى غير إظهار و لا إدغام و لا قلب» (٣).

و تحدث المرعشى عن هذه الصفة و سماها (الخفاء)، و قال: «و هي فى اللغة الاستتار، و فى العرف خفاء صوت الحرف، و حروفها أربعة حروف المد و الهاء» (٤). و قد جعل لهذه الصفة مقابلا و هو الظهور فقال: «و ضد الخفاء الظهور، و لم يقع الاصطلاح به» (٥). و يفهم من كلام المرعشى أنه يريد بالخفاء و الظهور مقدار الأثر الذى يتركه الصوت فى السمع. فقد قال:

«و أما خفاء الهاء فلا اجتماع جميع صفات الضعف فيها مع اتساع مخرجها. قال فى الرعاية:



الخفاء من علامات ضعف الحرف، و لما كان الهاء حرفا خفيا وجب أن يتحفظ ببيانها حيث وقعت «٦». أقول: معنى بيانها تقوية صوتها بتقوية ضغط مخرجها، فلو لم يتحفظ على تقوية ضغط مخرجها لمال الطبع إلى توسيع مخرجها لعسر تضيقه لبعده عن الفم، فيكاد أن يندم في التلفظ» «٧».

و إذا كنا نلاحظ بالحس المجرد أن الهاء من أخفى الحروف في السمع، و ينطبق عليها وصف سيويه بأنها خفية، فإن من غير المقبول أن نصف حروف المد بأنها خفية و نفس ذلك على أنها أقل وضوحا في السمع من غيرها، و ذلك لأن علماء الأصوات المحدثين يقولون: إن مما تتميز به الأصوات الصائتة (الذائبة حروف المد) على الأصوات الصامتة (الجامدة) قوة (١) قال سيويه (الكتاب ٤/ ١٧٧): «فلما كانت الهمزة أبعد الحروف و أخفاها في الوقف حركوا ما قبلها، ليكون أبين لها».

(٢) الرعاية ص ١٠٢-١٠٣.

(٣) الموضح ١٥٨ ظ.

(٤) جهد المقل ١٨ و.

(٥) جهد المقل ١٨ ظ، و انظر ١٩ و.

(٦) انظر: مكى: الرعاية ص ١٣٠.

(٧) جهد المقل ١٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٠

وضوحها في السمع «١».

فتفسير الخفاء بقلة الوضوح في السمع ينطبق على صوت الهاء، دون حروف المد، و من ثم وجب البحث عن تفسير آخر لا يترتب عليه مثل هذا التناقض. و ربما أمكن الوصول إلى ذلك التفسير من خلال ملاحظة صفة مشتركة تجمع بين الأصوات الخفية الأربعة، فحروف المد من أكثر الحروف اتساعا في المخرج، و هي أصوات مجهورة، و يقرر علماء الأصوات أن الهاء في إنتاجها و صفاتها لا تختلف عن حروف المد (الحركات) إلا في الجهر «٢». حتى ذهب بعضهم إلى إمكانية وصفها بأنها (صائت مهموس) «٣». فالحروف الخفية الأربعة تشترك في كون مخرجها متسعة. و لكن كيف يمكن أن يؤثر اتساع المخرج على هذه الأصوات حتى يمكن أن توصف بأنها خفية؟ إن تفسير الخفاء باتساع المخرج غير كاف، فقول المرعشي في تفسير خفاء حروف المد: «و أما خفاء حروف المد فلسعة مخرجها» «٤» لا يزال بحاجة إلى بحث ينبى على التعرف على الخصائص الفيزيائية و السمعية لهذه الأصوات «٥». و هذا أمر لا نملك وسائل القيام به الآن.

### (ب) القوة و الضعف:

لا نجد في كلام متقدمى علماء العربية شيئا واضحا و مفصلا عن موضوع قوة الصوت و ضعفه «٦»، و يبدو أن علماء التجويد هم أول من بحث هذا الموضوع على نحو مفصل، و ربما كان مكى بن أبى طالب هو واضع نظرية قوة الحروف و ضعفها لدى علماء التجويد، فهو أقدم من تكلم عن هذا الموضوع و أفاض في الحديث عنه و عرض تفصيلاته في أكثر من كتاب من كتبه، و يكاد كلام الذين جاءوا من بعده يكون اقتباسا منه. (١) محمود السعران: علم اللغة ص ١٦٣. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٩٢.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨٩.

(٣) محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٥.

(٤) جهد المقل ١٨ و.

(٥) ينفى الدكتور عبد الصبور شاهين (القراءات القرآنية ص ٤٠) أن يقصد بالخفاء الهمس، و يفسره بضعف هذه الأصوات. و هو

يعنى ضعفها في السلوك اللغوي (أى الصرفي) (انظر: القراءات القرآنية ص ٤٣).

(٦) وردت إشارة إلى الأقوى والأضعف من الحروف عند ابن جنى (الخصائص ١/ ٥٤-٥٥، وانظر مناقشة الدكتور حسام النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ص ٢٨٨) و هي إشارة تفتقر إلى الوضوح والتحديد اللذين نجدتهما في كلام علماء التجويد.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨١

تحدث مكى عن هذا الموضوع في كتابه (الرعاية) في أكثر من موضع في أثناء كلامه عن صفات الحروف، فقال و هو يتحدث عن الحروف الشديدة: «و الشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوة في الحرف، لأن كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كإطاء. فعلى قدر ما في الحرف من الصفات القوية كذلك قوته، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه».

«فافهم هذا لتعطى كل حرف في قراءة تك حقه من القوة، ولتتحفظ ببيان الضعيف في قراءة تك، فالجهر والشدة والصفير والإطباق والاستعلاء من علامات قوة الحرف، والهمس والرخاوة والخفاء من علامات ضعف الحرف، فاعرف هذه المقدمة» (١).

وعاد مكى إلى الموضوع مرة أخرى في كتاب (الرعاية) حين تحدث عن صفة الرخاوة، وقدم بعض التطبيقات والموازنات في مجال قوة الحروف وضعفها، فقال: «و هذه الصفة من علامات الضعف، كالهمس والخفاء، فاعرف الصفات الضعيفة والصفات القوية تقو بذلك على تجويد لفظك في كتاب الله جل جلاله، فإذا كان أحد هذه الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف، وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له، كالهاء التي هي مهموسة رخوة منفتحة خفية ... كذلك الصفات القوية إذا كان أحدها في حرف قوى بذلك، فإذا اجتمعت في حرف كان ذلك أقوى له، كإطاء الذى اجتمع فيه الجهر «٢» والشدة والإطباق والاستعلاء، ونحو الصاد الذى اجتمع فيه الصفير والإطباق والاستعلاء، فهو دون إطاء في القوة، إذ عدت الجهر والشدة، والصاد أقوى من الصاد، لأن الضاد حرف مجهور، مع أنه مطبق مستعل مستطيل، فالجهر الذى فيه أقوى من الصفير الذى فى الصاد فاعرف هذا». و عالج مكى الموضوع في مواضع آخر من كتاب (الرعاية) «٣».

وعقد مكى فى كتابه (الكشف عن وجوه القراءات) بابا مستقلا للموضوع سماه (باب فى معرفة الحروف القوية والضعيفة)، لخص فيه عناصر الفكرة، و بلغ ما ذكره فى هذا الباب من الصفات القوية عشرة، حيث قال: «و اعلم أن القوة فى الحرف تكون بالجهر والشدة و بالإطباق والتفخيم والتكرير والاستعلاء والصفير والاستطالة وبالغنة (١) الرعاية ص ٩٣-٩٤.

(٢) هذا الوصف ينطبق على إطاء العربية القديمة، أما إطاء التي تنطق اليوم فمهموسة.

(٣) انظر: الرعاية ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١٧٢ و ١٧٥ و ١٧٨ و ١٨٣ و ١٩٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٢

و بالتفشى «١»، و قد طبق مكى نظريته عن قوة الحروف وضعفها فى الفصول التي تحدث فيها عن الإدغام فى كتابه (الكشف) «٢». و تحدث عن موضوع تقسيم صفات الحروف إلى قوية وضعيفة يعرض شراح الشاطبية، و إن لم يشر إليه الشاطبي «٣». و كذلك فعل بعض شراح المقدمة الجزرية و إن لم يشر إليه ابن الجزرى «٤». كذلك تحدث عن الموضوع المرادى «٥»، و القسطلانى «٦»، و النابلسى «٧»، و المرعشى «٨».

و لم يغير هؤلاء الذين جاءوا بعد مكى شيئا من فكرة الموضوع، و غاية ما أضافوه تقسيم الصفات إلى قوية وضعيفة و متوسطة، حيث قالوا: إن المتوسط بين الشدة و الرخاوة صفة متوسطة بين القوة و الضعف «٩». و كذلك قسم المرادى الحروف إلى قوى مطلقا و هو ما اجتمعت فيه صفات القوة، و قوى من وجه، و ضعيف من وجه، و هو ما اجتمعت فيه صفة قوة و صفة ضعف «١٠». و زاد النابلسى تلك التقسيمات إلى خمسة، حيث قال: «فانقسمت هذه الحروف باعتبار القوة و الضعف إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: قوى محض، و هي الطاء المهملة.

و القسم الثاني: إلى ضعف محض، و هو الفاء.

و القسم الثالث: قوته أغلب، و هي الهمزة و الجيم و الدال المهملة و الصاد و الضاد المعجمة و الغين المعجمة و القاف.

و القسم الرابع: ضعفه أغلب، و هي الألف و التاء المثناة الفوقية و التاء المثناة و الحاء (١) الكشف ١/ ١٣٧.

(٢) الكشف ١/ ١٤١ - ١٦٠.

(٣) الفاسي: اللثالي الفريدة ٢١٥ ظ، و أبو شامة: إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ١٣.

(٤) أحمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ٢١ ظ، و عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ١٢ و.

(٥) المفيد ١٠٢ ظ.

(٦) لطائف الإشارات ١/ ٢٠٤.

(٧) كفاية المستفيد ٨ ظ - ١١ و.

(٨) جهد المقل ١٩ و - ١٩ ظ.

(٩) عبد الغنى النابلسي: كفاية المستفيد ٨ ظ.

(١٠) المرادي: المفيد ١٠٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٣

المهملة و الحاء المعجمة و الدال المعجمة و الشين و السين و الكاف و اللام و الميم و النون و الهاء و الواو و الياء [المثناة] «١» التحتية.

و القسم الخامس: قوته و ضعفه سواء، و هو الباء الموحدة و الراء و الزاي و العين المهملة «٢».

و كان عبد الغنى النابلسي قد أورد الحروف واحدا بعد الآخر و بين ما في كل حرف من صفات القوة و الضعف «٣»، و هو ما لم يفعله

غيره من المؤلفين الذين كانوا يكتفون بتقديم أمثلة محدودة، على نحو ما قال الفاسي: «و ما ذكرته في هذه الحروف الأربعة مغن عن

الإطالة بذكر جميع الحروف» «٤».

و زاد النابلسي على ما ذكره مكى من صفات القوة صفتين هما الانصمات و الانحراف، كما زاد على صفات الضعف عددا آخر، و لم

يذكر الخفاء، و ذلك حيث قال: «اعلم أن الصفات التي ذكرناها، و هي تسع عشرة صفة، صفات القوة منها اثنتا عشرة صفة هي: الجهر

و الشدة و الاستعلاء و الانطباع و الانصمات و الصفير و القلقله و الانحراف و التكرار و التنفسي و الاستطالة و الغنة. و صفات الضعف

منها ست و هي: الهمس و الرخاوة و الاستفال و الانفتاح و الاندلاق و اللين. و صفة واحدة متوسطة بين القوة و الضعف و هي البيئية»

«٥». و يعنى بالبيئية المتوسطة بين الشدة و الرخاوة. و ذكره لصفة الانصمات في صفات القوة لا يتضح له وجه، لأن الأصوات المصمتة

في تفسير أكثر العلماء هي الممنوعة من أن تنفرد بكلمة طويلة (رباعية أو خماسية)، فهذه صفة لا تعلق لها بجرس الأصوات.

و لم يحدد علماء التجويد المراد بقوة الحرف و ضعفه، و لكنى أرجح أن يكون ذلك متعلقا بقوة وقع الصوت و وضوحه في السمع،

على نحو ما فسرنا به صفة الخفاء و الظهور.

و هو أمر يفهم من قول المرعشي و هو يقسم فيه الصفات القوية إلى درجات بحسب القوة:

«فظهر أن صفات القوة متفاوتة في القوة لأن وجه كونها صفات القوة إيجاب قوة صوت الحرف، و هو مما يقبل الشدة و الضعف. و

الذي نفهمه أن القلقله أقوى الصفات، و الشدة (١) زيادة منى ليست في الأصل.

(٢) كفاية المستفيد ١١ و.

(٣) كفاية المستفيد ٨ ظ - ١١ و.

(٤) اللثالي الفريدة ٢١٥ ظ.

(٥) كفاية المستفيد ٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٤

أقوى من الجهر، و كل واحد من هذه الثلاثة أقوى من النفسى و الضعيف، و إن الإطباق أقوى من الاستعلاء الخالى عنه، و الله أعلم بما ذكرنا و بالبواقي» (١).

و ليس متيسرا الآن إعطاء تقويم شامل لفكرة تقسيم الصفات إلى قوية و ضعيفة، و إن كنت أعتقد أن تفاوت الصفات فى القوة و الضعف أمر وارد و محسوس، و لكن تقديم تفصيلات عن درجات القوة و الضعف و التأكد من نسبة الصفات إلى أى من الصنفين، يحتاج إلى أجهزة مختبر الصوت و هو ما لم يتيسر لنا استخدامه فى تقويم نتائج الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

### ثالثا- وصف الأصوات:

#### إشارة

إن تحديد مخرج الصوت ليس كافيا وحده فى توضيح حقيقته، كذلك بيان صفاته، فلا بد من خطوة أخرى لتجميع العناصر التى تكوّن الصوت و ضم بعضها إلى بعض، حتى تتضح ملامحه المكونة له التى تميزه عن غيره، و هذه مراحل تبدأ بالمخارج و تنتهى بالصفات، و تصنيفها أثناء ذلك إلى مجموعات لا يسمح بتقديم وصف شامل لكل صوت بمفرده.

الباء مثلا صوت تكرر ذكره فى عدة مباحث سابقة عند الحديث عن:

١- المخارج، و وصف بأنه شفوى.

٢- الجهر و الهمس، و وصف بأنه مجهور.

٣- الشدة و الرخاوة، و وصف بأنه شديد.

و لا يكفى لتوضيح خصائص (الباء) بأن نقول إنه صوت (شفوى)، لأن هذا الوصف لا يوضح إلا النقطة التى يتكون فيها الصوت، و هناك جوانب أخرى تشارك فى إعطاء الصوت جرسه المتميز، مثل حالة الوترين الصوتيين، و كيفية مرور الهواء فى النقطة التى يتكون فيها الصوت، و التى تعرف بالمخرج. فلا بد من توضيح هذه العناصر الثلاثة الأساسية عند الحديث عن خصائص و صفات أى صوت. فيجب أن نقول عند وصف الباء بأنه (صوت شفوى مجهور شديد). و هناك عوامل أخرى تسهم فى تكوّن بعض الأصوات غير العناصر الثلاثة السابقة على نحو ما يتضح من كلامنا السابق عن صفات الأصوات.

و قد حظى هذا الموضوع بعناية كبيرة من علماء التجويد، و كذلك من علماء الأصوات (١) جهد المقل ١٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٥

المحدثين. أما علماء العربية من اللغويين و النحاة فلم يعنوا كثيرا بهذا الجانب من الدرس الصوتي، و إن كانت دراستهم فى الجوانب الأخرى وافية، فابن جنى مثلا لم يزد فى وصفه للأصوات عند الحديث عنها مبيعة على ذكر صفتى الجهر و الهمس، فيقول: «الباء حرف مجهور» (١). و هكذا، إلا أنه حين وصف الشاء قال: «الشاء حرف مهموس، و هو أحد حروف النفس» (٢). و قال حين وصف الراء: «الراء حرف مجهور مكرر» (٣)، و وصف الطاء بأنه «حرف مجهور مستعل» (٤). و هو نفس وصفه للغين (٥). و لم يعن ابن جنى بتحديد المخرج أو تبين صفتى الشدة و الرخاوة أو الصفات الأخرى.

و نلاحظ عناية علماء التجويد بوصف الأصوات منذ القرن الخامس، عصر المؤلفات الكبرى فى هذا العلم، فنجد ذلك فى كتاب (الرعاية) لمكى (ت ٤٣٧ هـ) و كتاب (التحديد) للدانتي (ت ٤٤٤ هـ)، و كتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ). و يأتى

وصف الأصوات في هذه الكتب دقيقا لكنه موجز أحيانا وغير واف في أحيان أخرى، بينما نلاحظ طغيان التعقيد و المبالغة في وصف الأصوات لدى جماعة من علماء التجويد المتأخرين مثل القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) في كتابيه (الثالث السنية في شرح المقدمة الجزرية) و (لطائف الإشارات لفنون القراءة)، و مثل أبي الفتوح الوفائي (ت ١٠٢٠ هـ) في كتابه (الجواهر المضئية على المقدمة الجزرية). و بين المؤلفات القديمة و المؤلفات المتأخرة هناك مرحلة متوسطة تتمثل بكتاب (روح المرید في شرح العقد الفريد) للسمرقندی (ت ٧٨٠ هـ) و كتاب (التمهيد في علم التجويد) لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ).

و يمكن للباحث أن يتتبع تطور وصف الأصوات لدى علماء التجويد من خلال المراحل الثلاث السابقة. و هي مرحلة مؤلفات القرن الخامس، و مرحلة المؤلفات المتأخرة، و المرحلة الوسطى بين تينك المرحلتين.

و في المرحلة الأولى نجد عبارة مكى في وصف الأصوات يغلب عليها الطول، بينما تقتارب عبارة الداني و القرطبي، مع إيجاز يغلب على عبارة الداني في بعض الأحيان. و قد جاء (١) سر صناعة الإعراب ١/١٣٥.

(٢) المصدر نفسه ١/١٨٩.

(٣) المصدر نفسه ١/٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه ١/٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٤٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٦

وصف الأصوات في كتب هؤلاء العلماء الثلاثة في أول حديثهم عن كل حرف في الفصول التي عقدها لبيان الظواهر الصوتية المتصلة بكل حرف من حروف العربية، و يحرص مكى على توضيح مخرج الحرف أولا، بينما يكتفى كل من الداني و القرطبي بما ذكره عن مخارج الحروف في الباب الذي وضعه في أول كتابيهما.

قال مكى في وصف الطاء: «الطاء تخرج من المخرج الثامن من مخارج الفم، تخرج من طرف اللسان و أصول الثنايا، و الطاء من أقوى الحروف، لأنه حرف مجهور شديد مطبق مستعل» (١).

و قال الداني: «ذكر الطاء، و هو حرف مجهور مستعل مطبق» (٢).

و قال عبد الوهاب القرطبي: «الطاء من الحروف المستعليه المجهورة و المطبقة الشديدة» (٣).

و عند الموازنة بين النصوص الثلاثة نجد أن مكيا بين مخرج الصوت في أول كلامه، ثم ذكر أربع صفات لصوت الطاء (مجهور شديد مطبق مستعل) و وصف الطاء بالجهر مبني على النطق القديم لهذا الصوت. و نجد أن الداني و القرطبي لم يشيرا إلى المخرج و اكتفيا بذكر صفات الصوت، مع ملاحظة أن الداني أغفل الإشارة إلى كون الصوت (شديدا).

و نلاحظ من النصوص السابقة أنها تضمنت العناصر الأساسية لوصف الصوت و هي:

المخرج، و بيان حالة الجهر و الهمس، و توضيح كيفية مرور الهواء في المخرج، مع توضيح ما يتميز به صوت الطاء من صفة (الإطباق).

و في المرحلة المتوسطة لوصف الأصوات نلاحظ إضافة بعض الصفات الجديدة، مع إغفال الإشارة إلى مخرج الصوت، فيقول السمرقندی في وصف الطاء: «لطاء خمس صفات: القلقله و الإطباق و الاستعلاء و الجهر و الشدة» (٤). و قال ابن الجزري في وصف الطاء أيضا: «حرف مجهور شديد مطبق مستعل مقلقل» (٥)، الصفة الجديدة هنا هي (القلقله).

و يأخذ وصف الأصوات شكله الكامل البالغ حد الإفراط في المؤلفات المتأخرة على (١) الرعاية ص ١٧٢.

(٢) التحديد ٣١ ظ.

(٣) الموضح ١٦٣ و.

(٤) روح المريد ١٢٧ ظ.

(٥) التمهيد ص ٤٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٧

نحو ما يتضح من قول القسطلاني في وصف الطاء: «و الطاء مجهور، مستعل بالعين، منطبق، شديد، مفخم، مقلقل، مبدل، مصمت، نطعي» (١). و مثل ذلك قول الوفاي: «و الطاء المهملة نطعية مجهورة شديدة مستعلية مطبقة مصمته مقلقلة» (٢).

و إنما قلت: إن هذا الوصف الكامل قد بلغ حد الإفراط لأنه جاء بصفات لا يقتضى توضيح الخصائص الصوتية للطاء ذكرها، فالصفات الثلاث التي ذكرها القسطلاني (مستعل، منطبق، مفخم) يمكن اختصارها بصفة واحدة، و هي (منطبق أو مطبق) التي من لوازمها الاستعلاء و التفخيم. و كذلك (مبدل و مصمت) لا تدلان على خاصية صوتية للطاء، و إنما تشيران إلى ظواهر صرفية لا يلزم في الدرس الصوتي ذكرها. أما العنصر الجديد في هذا الوصف فهو تحديد مخرج الصوت، فإن كلمة (نطعي) تشير إلى المخرج، و هو نطق الغار الأعلى. و هذه الكلمة من مصطلحات الخليل التي استخدمها لتحديد مخارج الحروف، و قد استعان بها علماء التجويد في وصف الأصوات، و هي: حلقية و لهوية و شجرية و نطعية و أسلية و لثوية و شفوية و هوائية (٣).

و لا توجد طريقة محددة لوصف الأصوات، فعلماء التجويد وصفوا الأصوات من غير أن ينصوا على أساس محدد لعملهم، و كذلك أغفل المحدثون تحديد طريقة معينة لوصف الأصوات، و لا يخرج الناظر في وصفهم للأصوات بتصور واضح، و يتضح ذلك بالنظر في وصف الطاء لدى أربعة من كبار دارسي الأصوات العربية من المحدثين، و هو قولهم:

١- الطاء الآن صوت شديد مهموس (٤).

٢- الطاء صوت صامت مهموس سنى مطبق انفجاري (٥).

٣- أما صوت الطاء فأسناني- لثوي شديد مهموس مفخم (٦).

٤- فالطاء إذن صوت أسناني- لثوي انفجاري مهموس مفخم (أو مطبق) (٧). (١) لطائف الإشارات ١/ ٢٠٥. و انظر: اللثائي السنية (له) ١٣ ظ.

(٢) الجواهر المضئية ٣٥ ظ.

(٣) انظر: العين ١/ ٥٨.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٢.

(٥) محمود السمران: علم اللغة ص ١٦٨.

(٦) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٩٤.

(٧) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٨

و يلاحظ على هذه النصوص الأربعة ثلاث ملاحظات:

الأولى: اختلاف المصطلحات المستخدمة للتعبير عن بعض الصفات، و يرجع جانب من ذلك الاختلاف إلى وجود أكثر من مصطلح للتعبير عن الصفة الواحدة مثل (شديد و انفجاري) و مثل (مفخم و مطبق) و إن كان علماء التجويد يفرقون بين المفخم و المطبق. و يرجع جانب آخر منه إلى عدم الاتفاق في تحديد بعض العناصر الصوتية مثل ما نجده في النصوص السابقة من الاختلاف في تحديد المخرج بن (سنى) و (أسناني لثوي).

و الملاحظة الثانية: وجود اختلاف يسير في عدد الصفات، فالنص الأول خلا من تحديد المخرج و من ذكر صفة الإطباق، و هو ما ورد في موضع آخر، و النص الثاني تضمن صفة (صامت) و هي تعنى أن الصوت ليس مصوتا، أى أنه جامد لا ذائب بتعبير بعض علماء

التجويد.

و الملاحظة الثانية: و هي المهمة هنا، و هي المهمة هنا، أن النصوص الأربعة لم تتفق على طريقة واحدة في ترتيب الصفات، و هو ما يدل على أن الأمر خاضع لاجتهاد الدارسين، و لا توجد خطة موحدة لوصف الأصوات، فبينما نجد النصين الأخيرين متفقين في ترتيب الصفات نجد النصين الأولين في غاية الاختلاف.

و إذا كنا لا نجد خطة واضحة محددة لترتيب الصفات عند القدماء و لا عند المحدثين فإننا نلاحظ وجود اتجاهين في تحديد عدد الصفات التي يمكن أن يوصف بها الصوت.

الاتجاه الأول: يقتصر على ذكر الصفات المميزة للصوت مع تحديد مخرجه. و هو الغالب على وجهه المحدثين، و على مؤلفات المرحلة الأولى و الثانية من كتب علم التجويد، و الاتجاه الثاني: يستقصى ذكر الصفات المميزة و المحسنة و المبالغة في ابتداء صفات أخرى قد لا تكون ذات دلالة صوتية محضة، و هو الغالب على مؤلفات علماء التجويد المتأخرة.

و لما كان غرض الدراسة العلمية تقديم الحقائق بأوجز عبارة واضحة وجدت أن المنهج المناسب لوصف الأصوات هو الاتجاه الأول الذي سار عليه علماء التجويد الأوائل، و التزم به دارسو الأصوات العربية المحدثون و يتلخص ذلك المنهج في الأمور الآتية:

١- تحديد مخرج الصوت. مهما كانت الطريقة في الوصول إلى ذلك، فالملاحظ أن علماء العربية و علماء التجويد ينسبون أصوات الفم إلى أجزاء اللسان التي تشترك في إنتاج تلك الأصوات، فيقولون: إن مخرج الكاف من أقصى اللسان، و إن الياء من وسط اللسان، و أن الدال من طرف اللسان، و يقولون: حروف أقصى اللسان، و حروف وسط اللسان، و حروف

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٨٩

طرف اللسان. أما المحدثون فإنهم ينسبون أصوات الفم إلى الجزء الثابت من الحنك الذي يشترك مع أجزاء اللسان في إنتاج الأصوات، فيقولون: الكاف (حنكى قصى)، و الياء (حنكى وسيط) و الدال (أسناني لثوى). و لا فرق في ذلك لأن الصوت إذا كان يشترك عضوان في إنتاجه فيمكن أن ينسب إلى أى منهما، أو إلى كليهما.

أما أصوات الحلق و أصوات الشفتين فإن عبارة القدماء و المحدثين في تحديد مخرجها تكاد تكون متفقة، و الاختلاف الموجود بينهم هو اختلاف عبارة أكثر منه اختلافًا في تحديد ذات المخرج، على أن بعض علماء التجويد المتأخرين استخدموا مصطلحات الخليل في تحديد المخارج، و هي في جوهرها أقرب إلى مذهب المحدثين.

٢- تحديد الصفات المميزة للصوت، و يجب أن ينص على كونه مجهورا أو مهموسا، شديدا أو رخوا، إلا الأصوات المتوسطة فيكفى فيها، بعد النص على الجهر، أن يقال إن الراء مكرر، و اللام منحرف (جانبي)، و النون أغن، و الميم أغن كذلك، و توصف العين بأنها رخوة إلى أن تتضح حقيقة توسطها.

أما الإطباق و الانفتاح، و الاستعلاء و الاستفال فلا أجد ضرورة لوصف جميع الأصوات بهذه الصفات، فيكفى أن نحدد الصوت المطبق و نص عليه و ندع الصوت المنفتح دون نص، و إذا قلنا إن الصوت مطبق فإن ذلك يغني عن إيراد صفة الاستعلاء، و إذا قلنا في الغين و الخاء و القاف إنها مستعلية لا يلزم بعد ذلك أن نصف الأصوات الأخرى بأنها مستفلة، و ذلك لأن صفتي الإطباق و الاستعلاء لا تشمل إلا عددا محدودا من الأصوات، فيكفى النص عليها عن النص على الصفات المضادة لها في غيرها من الأصوات.

أما الصفات المحسنة فلا بأس من ذكرها مقترنة بأصواتها، فنصف الشين بالتفشي، و الباء بالقلقلة، و الزاي بالصفير مثلا.

٣- إهمال الإشارة إلى الصفات التي يذكرها بعض متأخري علماء التجويد و هي ليست ذات دلالة صوتية، مثل (مبدل و زائد و مصمت و معتل) «١».

٤- أقترح أن يكون ترتيب الصفات على هذا النحو:

أ- ذكر المخرج.



ب- تحديد كيفية مرور الهواء في المخرج (شديد، رخو). (١) انظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٤-٢٠٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٠

ج- بيان حالة الوترين الصوتيين (مجهور، مهموس).

د- ذكر صفة الإطباق أو الاستعلاء.

ه- ذكر الصفة المحسنة.

و أجد أن البدء بذكر المخرج أولى من البدء بذكر حالة الوترين، لأن العنصر الأساسي للصوت يتكون في المخرج ثم تتجمع حوله العناصر الأخرى التي يمكن أن نسميها بالعناصر الثانوية للصوت. فصوت (الباء) مثلا العنصر الأساسي فيه هو حركة الشفتين (المخرج) فهو شفوي. ثم ينضم إلى ذلك كيفية مرور الهواء، وهو من هذه الناحية يوصف بأنه شديد (انفجاري)، و تبين بعد ذلك حالة الوترين الصوتيين، وهو من هذه الناحية يوصف بأنه مجهور. فالباء إذن صوت شفوي شديد مجهور.

و يحتاج ذكر وصف علماء التجويد للأصوات و تتبع ذلك عبر المراحل الثلاث إلى مكان لا يتسع له البحث، و بدلا عن ذلك سوف أكتفى بإيراد بعض الأمثلة التي توضح موقف علماء التجويد من وصف الأصوات عبر تلك المراحل، مقرونا ذلك بنص يمثل وجهة دارسى الأصوات العربية من المحدثين. و سوف أورد وصف الباء و الصاد و النون و الكاف و الهاء، و لا أذكر إلا نضا واحدا من كل مرحلة، إلى جانب النص المنقول عن المحدثين.

#### ١- الباء:

أ- الباء حرف مجهور شديد في نفسه متقلقل «١».

ب- الباء مجهورة شديدة منفتحة مستقلة مقلقلة «٢».

ج- الباء مجهور منفتح مستقل بالفاء متقلقل شديد، مذلق، شفهي «٣».

د- الباء صوت شفوي انفجاري مجهور «٤».

#### ٢- الصاد:

أ- حرف صفيير مهموس مطبق مستعل «٥». (١) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٦٠ و.

(٢) ابن الجزري: التمهيد ص ٣٤.

(٣) القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٦.

(٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٢٨.

(٥) الداني: التحديد ٣٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩١

ب- و هي مهموسة رخوة مطبقة مستعلية صفيرية «١».

ج- مهموس منطبق مستعل بالعين رخو صفيري مصمت مفخم أسلي «٢».

د- صوت لثوي احتكاكي مهموس مفخم (مطبق) «٣».

**٣- النون:**

- أ- حرف أغن مجهور «٤».
- ب- و هي مجهورة بين الشدة و الرخاوة منفتحة مستقلة فيها غنة «٥».
- ج- مجهور منفتح مستقل بالفاء، بين الشدة و الرخاوة، مدلق، مرقق، أغن «٦».
- د- صوت أسناني لثوي أنفي مجهور «٧».

**٤- الكاف:**

- أ- تخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف مما يلي الفم، و هي مهموسة شديدة «٨».
- ب- و هي مهموسة شديدة منفتحة مستقلة «٩».
- ج- مهموس منفتح شديد مستقل بالفاء مصمت لهوى «١٠».
- د- صوت حنكى قصى انفجارى مهموس «١١». (١) ابن الجزرى: التمهيد ص ٤٢.
- (٢) القسطلانى: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٦.
- (٣) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٤.
- (٤) الدانى: التحديد ٣٥ ظ.
- (٥) ابن الجزرى: التمهيد ص ٤٩.
- (٦) القسطلانى: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٥.
- (٧) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٦٨.
- (٨) مكى: الرعاية ص ١٤٧.
- (٩) ابن الجزرى: التمهيد ص ٤٦.
- (١٠) القسطلانى: لطائف الإشارات ١/ ٢٠٥.
- (١١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٣٨.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٢

**٥- الهاء:**

- أ- و هي حرف خفى مهموس «١».
- ب- و هي و مهموسة رخوة منفتحة مستقلة خفية «٢».
- ج- حلقية مهموسة رخوة مستقلة منفتحة مصمته خفية «٣».
- د- صوت حنجري احتكاكى مهموس «٤».

- (١) الداني: التحديد ٢٥ ظ.  
 (٢) ابن الجزري: التمهيد ص ٤٩.  
 (٣) الوفائي: الجواهر المضية ٣٥ و.  
 (٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٥٦. و لا- يلتفت هنا إلى قول من قال من المحدثين إلى أن الهاء مجهورة (انظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٠٣) فلعله لاحظ نطق صوت الهاء و هي بمجاورة أصوات مجهورة، فأثر جهرها على همس الهاء فبدت و كأنها مجهورة.  
 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٣

## المبحث السادس الأصوات الذائبة

### إشارة

تصنف الأصوات إلى صنفين رئيسيين سماهما بعض علماء التجويد باسم: الأصوات الجامدة و الأصوات الذائبة، و قد وضحت أسس هذا التصنيف في المبحث الثالث من هذا الفصل، كما استوفيت ذكر خصائص الأصوات الجامدة في المبحثين الرابع و الخامس منه، و بقي أن أوضح موقف علماء التجويد من دراسة الأصوات الذائبة، و مدى عنايتهم بها، و إدراكهم لخصائصها، و توضيحهم لمخارجها و صفاتها و العلاقة في ما بينها.

### أولاً- عدد الأصوات العربية الذائبة و العلاقة بينها:

قال أحمد بن أبي عمر: «و الحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، و الواو المضموم ما قبله، و الألف و لا يجيء إلا مفتوحا ما قبله، و هذه الحروف حروف المد و اللين، سميت بذلك لأنها تذوب و تلين و تمتد. و ما عداها جامد، لأنه لا يلين و لا يذوب و لا يمتد» (١).

و قد استخدم علماء التجويد مصطلحات أخرى للتعبير عن هذه المجموعة من الأصوات، كل مصطلح يوضح خاصية من خصائص الأصوات الذائبة. و من تلك المصطلحات (المصوتة)، قال عبد الوهاب القرطبي: «و إنما سميت مصوتة لأن النطق بهن يصوت أكثر من تصويته بغيرهن، لاتساع مخارجهن و امتداد الصوت بهن» (٢).

و من تلك المصطلحات (الممدودة)، قال الداني: «سميت ممدودة لأن الصوت يمتد بها بعد إخراجها من موضعها...» (٣). و مثل هذا المصطلح قولهم (حروف المد و اللين) لأن مد الصوت لا يكون في شيء من الأصوات إلا فيهن، و لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من (١) الإيضاح ٧٤ ظ.

(٢) الموضح ١٥٩ و.

(٣) التحديد ١٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٤

غير كلفة على اللسان (١).

و كذلك استخدم بعض علماء التجويد مصطلح (الجوفية) و مصطلح (الهوائية) و هما من مصطلحات الخليل بن أحمد و يشيران إلى أهم خصائص الأصوات الذائبة و هو خروج النفس معها حرا طليقا من غير أن تعترضه عوائق من شأنها أن تعيقه أو تمنعه عن انسيابه خلال الحلق و الفم (٢).

و مهما يكن المصطلح المستخدم في التعبير عن هذا الصنف من الأصوات فإن علماء العربية و علماء التجويد يقررون أنها ثلاثة أصوات: الألف و الياء و الواو المسبوقين بحركة من جنسهما. و كان جمهور العلماء يربطون بين هذه الأصوات الثلاثة و بين الحركات الثلاث و يقولون «إن الفتحه من الألف، و الضمه من الواو، و الكسره من الياء» (٣).

و أصل هذه الفكرة في الربط بين حروف المد و بين الحركات ترجع إلى سيبويه الذي قال: «و إنما الحركات من الألف و الياء و الواو» (٤). و قال في مكان آخر: «فالفتحه من الألف، و الكسره من الياء، و الضمه من الواو» (٥). و تردد هذا المعنى في أماكن أخرى من كتاب سيبويه (٦).

و كذلك كان مذهب المبرد الذي يقرر أن الحركات أبعاض حروف المد (٧)، و أن «الفتحه من الألف، و الضمه من الواو، و الكسره من الياء» (٨).

و أفاض ابن جنى في شرح تلك الخلاصات المركزة الواردة في كلام سيبويه و المبرد في تحديد العلاقة بين حروف المد و الحركات. فقال في كتابه (سر صناعة الإعراب): «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد و اللين، و هي الألف و الياء و الواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، و هي الفتحه و الكسره و الضمه، فالفتحه بعض الألف، (١) مكى: الرعايه ص ١٠١.

(٢) انظر: مكى الرعايه ص ١٠٢ و ١١٦.

(٣) الداني: التحديد ١٨ ظ، و أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ٥، و ابن الجزرى: النشر ١ / ٢٠٤.

(٤) الكتاب ٤ / ١٠١.

(٥) الكتاب ٤ / ٢٤٢.

(٦) الكتاب ٢ / ٢٦٥ و ٣ / ٥٤٤ و ٤ / ١٧١ و ٣٠٩ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٨ و ٣٣٥ و ٣٣٩.

(٧) المقتضب ١ / ٢١١.

(٨) المقتضب ١ / ٥٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٥

الكسره بعض الياء، الضمه بعض الواو. و قد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحه الألف الصغيره، و الكسره الياء الصغيره، و الضمه الواو الصغيره، و قد كانوا في ذلك على طريق مستقيمه ... و يدللك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحده منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ... فلو لا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف و أوائل لها لما تنشأت عنها، و لا كانت تابعه لها ... فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات و منتشئه عنها، و أن الحركات أوائل لها و أجزاء منها، و أن الألف فتحه مشبعه، و الياء كسره مشبعه، و الواو ضمه مشبعه» (١).

و كان علماء العربية مدركين لحقيقه كل من الحرف و الحركة فهم يقررون «أن الحركات و الحروف أصوات، و إنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا، و الضعيف حركة، و إن كانا في الحقيقه شيئاً واحداً» (٢).

و قد ورث علماء التجويد هذه الأفكار التي توضح العلاقة بين حروف المد و الحركات، التي تشير إلى أن الأصوات الذائبه في العربية ثلاثة من حيث النوع، و هي الضمه و الواو، و الكسره و الياء، و الفتحه و الألف. و ست من حيث الكمية: طويله و هي الألف، و الواو، و الياء، و قصيرة و هي الفتحه و الضمه، و الكسره. و استوعب علماء التجويد هذه النظرية، و فهموها و أضافوا إليها إضافات قيمه ذات معنى.

فوجد عبد الوهاب القرطبي يعرض لفكرة ارتباط الحركات بحروف المد و يحاول أن يضيف أدله جديده لتأكيد هذا، فقال: «أما الحركات فهي أبعاض حروف المد و اللين التي هي الألف، و لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، و الواو و الياء إذا كان ما قبلها منهما. و إذا كانت هذه الحروف ثلاثة، و جب أن تكون الحركات التي هي أبعاض لها ثلاثا، و هي الضمه و الكسره و الفتحه، فالضمه بعض

الواو، و الكسرة بعض الياء، و الفتحة بعض الألف».

«و هذا الأمر لا مزيد عليه في الوضوح، فإن الضمة إذا أشبعت صارت واوا، و الكسرة إذا مكّنت عادت ياء، و الفتحة إذا أمعن فيها تحولت ألفا، لأن حروف المد قد تقصر في بعض الأحوال، و تطول في بعضها، و ذلك أنك تقول: يسير و يروود و يخاف، فتجد الصوت يمتد بهذه الحروف امتدادا إلى حد ما، فإذا جاء بعد حرف من هذه الحروف همزة أو حرف ساكن (١) سر صناعة الإعراب ١٩ / ٢٧ - و انظر: الخصائص (له): ٣ / ١٢١.

(٢) السيوطي: الأشباه و النظائر ١ / ١٧٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٦

امتد الصوت به مقدارا أكثر من المد الأول، كقولك: يجيء، و يسوء، و يشاء، و داية، و يطيب بكر، و تمود الثوب، و في الكتاب العزيز تأمروني أعبد [الزمر: ٦٤] تمد الواو لأجل التشديد».

«فإذا تفاوت مقدار هذه الحروف في المد و الزيادة، و خالفت في ذلك غيرها من الحروف جاز أن تخالفها أيضا في النقصان بأن يقال إن الحركات أبعاضها، و إن لم يوجد ذلك في غيرها، و جاز أن تسمى الضمة الواو الصغيرة، و الكسرة الياء الصغيرة، و الفتحة الألف الصغيرة، على ما ذهب إليه بعضهم».

«و أوضح من هذا أن الحركة يقدر تجزؤها في الإشمام و الروم و الإشارة إلى الضم و الكسر ... و إذا كان التجزؤ يقدر في الحركة فتقديره في الحرف أولى» (١).

و ناقش مكى بن أبى طالب قضية تدور حول الاختلاف في حروف المد و اللين و الحركات الثلاث أيهما مأخوذ من الآخر، و عقد لذلك بابا استغرق عدة صفحات، ناقش فيه مذاهب العلماء في هذا الموضوع، و ذكر أن أكثر النحويين يذهبون إلى أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد. و ذهب قوم إلى أن حروف المد مأخوذة من الحركات الثلاث، بينما قال بعض أهل النظر: ليست هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، و لا الحركات مأخوذة من الحروف. و قال مكى عندئذ: «و هو قول صحيح إن شاء الله تعالى» (٢).

و نقل مكى في أثناء ذلك أدلة كل فريق من العلماء، و هى تكشف عن إدراك كامل للعلاقة بين هذه الأصوات و لخصائصها، و لكن فكرة تحديد الأصل و الفرع ليست ضرورية هنا، فيكفى أن ندرك ذلك الترابط و تلك العلاقة التى تجمع بين الأصوات الذائبة، من غير الإصرار على تعيين أيها أخذ من الآخر، و ذلك لأن الواقع يوضح أن كل صوت من الأصوات الذائبة قصيرا كان أم طويلا يمثل إمكانية من إمكانيات الجهاز النطقى عند الإنسان، و أنه يمكن أن نقول أن بعض هذه الأصوات ينتج بطريقة تماثل إنتاج صوت آخر، و إن الاختلافات بين الاثنين هو الكمية مثلا، فلو قصيرنا الصوت الطويل لأذى إلى القصير، و لو طولنا القصير لأذى إلى الصوت الطويل.

و كان بعض علماء التجويد قد أدركوا على نحو دقيق أن الاختلاف بين كل من الفتحة (١) الموضح ١٥٠ - و ١٥٠ ظ

(٢) انظر: الرعاية ص ٨١ - ٨٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٧

و الألف، و الضمة و الواو الممدودة، و الكسرة و الياء الممدودة، هو اختلاف في الكمية، أى فى مقدار الزمن الذى يستغرقه إنتاج كل من النوعين، و أنه متى قصير حرف المد صار حركة، و متى طوّلت الحركة صارت حرف مد. و كان عبد الوهاب القرطبي أكثر علماء التجويد عناية ببيان هذه العلاقة بين الأصوات الذائبة، و قد تضمن كتابه (الموضح فى التجويد) عدة نصوص توضح ذلك، أكتفى بإيراد أهمها.

قال عبد الوهاب القرطبي، و هو يتحدث عن كيفية نطق الألف إذا لم يكن بعدها همزة أو حرف ساكن مدغم أو غير مدغم: «فينبغي

أن يقيمه القارئ و يقطعها و يسلك في اللفظ بها التمطيط الأوسط، فلا يهمل توفية التمكين حقه فتصغر و تصير فتحة، و لا يبالغ في ذلك و يستقصى فتحول مدة، بل يوفر عليها من المد ما هو طبعها و صيغتها» (١).

و قال و هو يتحدث عن الواو و الياء إذا كانا حرفي مد و لم يكن بعد هما همزة و لا- حرف ساكن: «فينبغي أن يلزم فيهما اجتناب الإفراط في الإشباع، و التحرز من إهماله بحيث يلتحقان بالحركة، مثل ما لزم في الألف، و قد مضى ذكره، و ذلك بأن يمكننا بمقدار ما فيهما من المد الذي هو طبعهما و خاصتهما، كقولك: ميعاد، و ميقات، و ميراث، و الميثاق، و توعدون، و يوقنون، و يوصل، و ما أشبه ذلك» (٢).

و عاد عبد الوهاب القرطبي إلى تأكيد الفكرة مرة أخرى فقال: «فقد حصل للطالب بما ذكرناه في هذا الفصل، و بما قدمناه آنفا من القول على الواو و الياء و الألف في الباب الذي قبله أحكام هذه الحروف في المد و تفاوتها في مقداره، و تحقق عنده أنها تارة تكون ممدودة، و ذلك في الأحوال التي شرحناها، و تارة تكون مشبعة و يكون امتداد الصوت بها دون امتداده في هذه الأحوال، فتمد المقدار الذي هو طبعها، ك نحو الواو في (موسى)، و الياء في (عيسى)، و الألف في (طارد)، و أن إهمال الإشباع يخرجها عن كونها حرفا، و يلحقها بالحركة، و الإفراط في التمكين يلحقها بالممدود، و كلاهما مكروه» (٣).

و يتضح من كلام عبد الوهاب القرطبي هنا أنه مدرك لطبيعة الاختلاف بين حرف المد و الحركة و أنه ليس اختلافا كتابيا يتمثل في تخصيص رمز لحرف المد و علامة للحركة، و إنما (١) الموضح ١٥٩ ظ.

(٢) الموضح ١٦٤ ظ.

(٣) الموضح ١٦٧ و- ١٦٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٨

هو اختلاف صوتي يتمثل في تباين الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما، فإذا جعل الناطق آلة النطق في وضع يمكنه من إنتاج فتحة، فإنه يستطيع أن ينتج الألف بمجرد أن يطيل زمن مرور النفس أكثر مما يحتاجه إنتاج الفتحة، و إنه إذا أطال الصوت أكثر من ذلك خرج الألف إلى حالة المد التي تلزمه إذا وقع بعده همزة أو ساكن.

و مضى عبد الوهاب القرطبي في توضيح العلاقة بين الحركات و حروف المد و جعل لذلك طرفين: السكون و حرف المد، فالناطق يمكن أن يبدأ من السكون حتى ينتهي إلى حرف المد، و يستطيع أن يبدأ بحرف المد حتى ينتهي إلى السكون، و يمكن أن نلخص فكرته على هذا النحو: (سكون- حركة مختلصة- حركة- حرف مد) و يمكن أن نعكس الترتيب، كل ذلك ممكن.

تأمل قوله في هذا المعنى: «الذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات و السكونات، فلا يشع الفتحة بحيث تصير ألفا، و لا الضمة بحيث تخرج واوا، و لا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعا للحرف موضع الحركة، و لا يوهنها و يختلسها و يبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها و يتلاشى النطق بها و تتحول سكونا» (١).

و استطاع علماء التجويد أن يضبطوا النسبة بين الحركة و حرف المد، بما يوضح أن الفرق بين الحركة و حرف المد الذي هي منه هو فرق في الكمية، و أن ذلك الفرق يمكن أن يقاس، و ابتكروا طريقة لقياسه، و هي اعتبار الحركة أساسا للقياس، فقالوا: إن الألف مثلا يساوي فتحتين، و عكس بعض العلماء المقياس فقالوا: الفتحة تساوي نصف الألف. و هذه الطريقة و إن لم تحدد كمية الحركة و حرف المد بالقياس إلى الزمن المتمثل بالثانية و أجزاءها تعتبر خطوة متقدمة جدا في مجال قياس الأصوات و إدراك حقائق الأصوات الذائبة و العلاقة بين أنواعها.

و لم يكن معروفا للباحثين المحدثين حول هذا الموضوع إلا نص واحد، و كانت شهرته على نطاق ضيق لا يتعدى بعض المستشرقين، و كانت معرفتهم به خارج السياق الوارد فيه مما أدى إلى قصور في تحديد الحقة التي يرجع إليها. و كان (برافمان) هو أول من أشار إليه من المستشرقين في كتاب صغير ألفه عن الأصوات العربية سماه (مواد و بحوث في النظريات الصوتية عند العرب) المنشور في

(غوتنغن) سنة ١٩٣٤، حسبما ذكر جان كانتينو الذي اقتبس (١) الموضح ١٨٣ و. وانظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٩٩

منه ذلك النص.

قال جان كانتينو: «جاء في نص هام للقارئ ذكره برافمان في (مواد ... ص ١٣) ما يلي: (الألف (أى الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين، والواو من ضمتين، والياء من كسرتين) وفي هذا النص دليل أساسى على أن الناطقين بالعربية يشعرون بأن الحركة الطويلة تضاهى حركتين قصيرتين» (١).

و حاول هنرى فليش أن يقلل من أهمية هذا النص، فقال معلقا على كلام كانتينو السابق:

«وقد استشهد كانتينو على أن العرب قد تصوروا أن المصوت الطويل معادل لمصوتين قصيرين، فهو يرى أن هذا النص مهم وحاسم فى هذه المسألة!! بيد أنه يجب أن ننظر إلى تاريخ القارى (الهروى) المتوفى عام ١٠١٤ هـ ١٦٠٥ م. وكل ما يمكن أن نختم به هذا التعليق هو: أنه فى العصر الأخير توصل المؤلفون فى علم التجويد، والقارى الهروى من بينهم على الأقل (إذ لم يذكر برافمان سواه مثلا على مؤلفى هذا العلم) إلى استنتاج فكرة المد أو الكمية» (٢).

ولنا على كلام هنرى فليش ملاحظتان: الأولى أن تاريخ هذا النص يرجع إلى عصر أقدم من عصر على القارى، والثانية هى أن هذا النص لم يكن الوحيد لدى علماء التجويد من النصوص التى عالجت تحديد العلاقة بين حروف المد والحركات.

أما الملاحظة الأولى فتبين من الرجوع إلى النص المذكور فى مصدره الأصلى، وهو كتاب (المنح الفكرية على متن الجزرية) لعلى القارى، وذلك حيث قال: «اعلم أن الألف مركب من فتحتين، والواو مركب من ضمتين، والياء مركب من كسرتين. فإذا أشبعت الفتحة يتولد منها ألف، وإذا أشبعت الضمة يتولد منها الواو، وإذا أشبعت الكسرة يتولد منها الياء، كذا ذكره الشارح اليمنى» (٣).

فالنص إذن نقله على القارى عن أحد شراح المقدمة الجزرية، وقد سماه (الشارح اليمنى)، ولا بد أن يكون الشارح اليمنى قد عاش بين عصر ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) وعصر (١) دروس ص ١٥١.

(٢) التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٣، ص ٨٧، هامش (١).

(٣) المنح الفكرية ص ٥٠، وانظر: الدر كزلى: خلاصة العجالة ١٨١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٠

على القارى (ت ١١٠٤ هـ)، فالنص إذن يرجع إلى وقت أقدم مما تصوره هنرى فليش، وليس واضحا من هو هذا الشارح اليمنى، ومن بين شراح المقدمة عالم يمنى اسمه محمد بن عمر بن مبارك الحميرى الحضرمى الشهير بحرق، المتوفى سنة (٩٣٠ هـ) (١)، ولعل على القارى قصده بقوله (الشارح اليمنى)، وكان على القارى مطلعاً على شرح (بحرق) للمقدمة الجزرية، ونقل عنه فى أكثر من موضع (٢). ولا نستطيع أن نجزم بأن الشارح اليمنى هو بحرق إلا بعد الاطلاع على شرحه، وهذا غير متيسر لنا الآن (٣). ولكن بغض النظر عن تعيين اسم الشارح اليمنى فالنص المذكور يرجع إلى عصر أقدم من عصر على القارى. ولا يغض من قيمة هذا النص كونه يرجع إلى عصر متأخر.

و الملاحظة الثانية تدل عليها عدة نصوص تعالج موضوع العلاقة بين الحركات وحروف المد وهى جميعها ترجع إلى زمن أقدم من عصر على القارى. وأول تلك النصوص ما ورد فى قصيدة (الدر النضيد) لمعرفة التجويد) لمحمد بن قيصر بن عبد الله الماردىنى النحوى المتوفى سنة ٧٢١ هـ، فقد قال فى (الدر النضيد) وهى قصيدة لامية فى (٢٧١) بيتا، فى علم التجويد:

ومقداره ثلث من الأّم والأصّح نصف معا والحرف رأسين أرسلأ

(٤) وقد جاء فى مخطوطة هذه القصيدة تعليقات موجزة كتبت بين أبياتها تكوّن شرحا موجزا لها، ولا نستطيع تحديد كاتب هذه التعليقات الآن، والذى يهمنى منها هو ما كتب عن البيت السابق ونصه: «قال: (و مقداره): مقدار الحركة (ثلث من الأّم والأصّح



نصف): مقدار الفتحة ثلث ألف، والضمه ثلث واو، والكسرة ثلث ياء. والأصح عند الشيخ أنه نصف. (معا) يعني مع القول بالثلث. (و الحرف رأسين أرسلًا): يعني أرسل الحرف رأسين مع الحركات الثلاث «٥».

و يفهم من قول المارديني و من التعليق عليه أن هناك علماء سبقوا المارديني في بحث (١) انظر مصادر علم التجويد في الفصل الأول من هذا البحث رقم (٣٣- ز).

(٢) المنح الفكرية ص ١٢ و ٤٠.

(٣) و ذلك لأن شرح بحرق المسمى (ترجمة المستفيد) توجد منه نسخة في مكتبة رضا بالهند رقمها (٣٣٥) و لم تتمكن من الحصول عليها.

(٤) الدر النضيد ٦٣ و.

(٥) المصدر نفسه.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠١

هذا الموضوع، فمنهم من قال إن الحركة ثلث حرف المد، و منهم من ذهب إلى أنها نصف حرف المد، و قد رجح المارديني هذا المذهب و لا أستبعد اكتشاف نصوص جديدة ترجع إلى زمن أقدم من عصر المارديني تثبت أن علماء العربية و علماء التجويد كانوا مدركين لطبيعة العلاقة بين الحركات و حروف المد.

و أشار القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) إلى هذا الموضوع أيضا فقال: «و وزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها و لذلك سموا الفتحة الألف الصغرى، و الكسرة الياء الصغرى، و الضمة الواو الصغرى» (١).

و لم يكتف علماء التجويد بتحديد كمية الحركات و حروف المد، بل حاولوا بيان مقدار الحركات القصيرة جدا التي تلحقها ظاهرة الاختلاس و الروم، فقال أحمد بن الجزري:

«و الاختلاس و الروم يشتركان في التبعض، و بينهما عموم و خصوص، فالرؤم أخص من كونه لا يكون في الفتح و النصب، و يكون في الوقف دون الوصل، و الثابت من الحركة أقل من المحذوف، و الاختلاس أعم من كونه يتناول الحركات الثلاث و لا يختص بالآخر، و الثابت من الحركة أكثر من المحذوف، و ذلك أن تأتي بثلاثها، كأن الذي تحذفه أقل مما تأتي به.

و هذا (لا تحكمه) «٢» إلا المشافهة» «٣». و حدد بعض علماء التجويد الباقي من الحركة مع الروم بثلاثها «٤».

و لا يزال ضبط الزمن الذي يستغرقه نطق الأصوات الذائبة (حروف المد و الحركات) و كذلك الأصوات الجامدة، بواسطة تقديره بأجزاء الثانية- أمرا غير متحقق، و هو يحتاج إلى استخدام آلات القياس الحديثة «٥». و ما توصل إليه علماء التجويد من تقدير كميات الحركات و حروف المد عن طريق نسبة الصوت إلى نظيره، فالفتحة نصف الألف، و الألف ضعف الفتحة، أي ففتحان، و الروم النطق بثلاث الحركة، و الاختلاس النطق بثلاثها، يعد إنجازا عظيما في الدرس الصوتي العربي، و لم يبق إلا أن يخطو دارسو الأصوات العربية المحدثون الخطوة الأخيرة نحو قياس زمن تلك الأصوات بالثانية و أجزاءها. (١) لطائف الإشارات ١/ ١٧٨.

(٢) زيادة ليست في الأصل، يقتضيتها السياق.

(٣) الحواشي المفهومة ٧٧ ظ.

(٤) عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٧٥ ظ، و البقرى: غنية الطالبين ص ٨٢.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٥٥- ١٦٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٢

و ينبغي أن يؤخذ بالحسبان عند محاولة قياس زمن نطق الأصوات أن هناك عدة أشكال من النطق، مثل النطق المتأني الذي يأخذ وقتا أطول من النطق السريع. و هناك نطق وسط بين البطيء و السريع، و قد لاحظ هذه الظاهرة عبد الوهاب القرطبي حيث قال: «و لا

يدخل على ما أصيّلناه إشباع من أشبع الحركات و السكنات من أئمة القراءة زيادة على غيره في الإشباع، لأن من أشبع الحركات منهم أشبع الحروف التي أخذت منها أيضا، فتصير نسبة الحركة المشبعة عنده إلى الحروف المشبعة كنسبة الحركات إلى الحروف بغير إشباع عند غيره» (١).

و كان قد جاء في بعض النصوص التي نقلناها في هذا المبحث أن متقدمي النحويين كانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة و الضمة الواو الصغيرة و الكسرة الياء الصغيرة «٢». و هناك رواية نقلها بعض علماء التجويد لها صلة بالنص السابق، فقد روى أبو العلاء الهمداني العطار بإسناد كامل ينتهي إلى عبد الله ابن الصحابي بريدة بن الحبيب الأسلمي «٣» -رضى الله عنه- رواية جاء فيها: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كانوا يؤمرون، أو كنا نؤمر أن نتعلم القرآن، ثم السّنة، ثم الفرائض، ثم العربية: الحروف الثلاثة. قلنا: و ما الحروف الثلاثة؟ قال: الجرّ و الرفع و النصب «٤». فهذه الرواية تشير إلى أنهم كانوا يسمون الحركات حروفا، و هي من النصوص النادرة التي تتعلق بنشأة النحو العربي فهي ترجع إلى زمن أقدم من العصر الذي ظهر فيه نشاط أبي الأسود الدؤلي النحوي «٥».

### ثانيا: الواو و الياء بين الأصوات الجامدة و الأصوات الذائبة:

يشترط علماء العربية و علماء التجويد أن يكون قبل الواو و الياء حركة من جنسهما و أن يكونا ساكنين لكي يعدا من حروف المد، مثل الألف. و إذا تخلف هذا الشرط عنهما بأن تحركتا أو لم تكن حركة ما قبلهما من جنسهما لم يكونا حرفي مد و لحقا بالحروف الجامدة (أو الصحاح). و هذا التفرقة بين حالي الواو و الياء يبنى على أسس صوتية و صرفية معا.

و نجد أصول هذا التفرقة عند سيبويه، فهو يقول عن الياء «لما تحركت خرجت من أن (١) الموضح ١٨٣ ظ.

(٢) انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/ ١٩، و عبد الوهاب القرطبي الموضح ١٥٠ ظ.

(٣) انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٨٥.

(٤) التمهيد ١٠٣ و- ١٠٣ ظ.

(٥) هناك نصوص أخرى تتعلق بنشأة النحو العربي أوردها أبو العلاء الهمداني العطار في كتابه (التمهيد في التجويد) في المكان المشار إليه نفسه.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٣

تكون حرف لين، و صارت مثل غير المعتل «١». و قال في مكان آخر: «إذا تحركت لم تكن حرف لين، فبعد شبهها من الألف» «٢». و يقول ابن جنى: «إن الياء و الواو لما تحركتا قويتا بالحركة، فلحقنا بالحروف الصحاح» «٣».

و يخصص كثير من علماء التجويد مصطلح (حروف المد و اللين) للواو و الياء إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما، و مصطلح (حروف اللين) بالواو و الياء إذا كانا غير ذلك، قال مكى: «حروف المد و اللين، و هي ثلاثة أحرف الألف و الواو الساكنة التي قبلها ضمة، و الياء الساكنة التي قبلها كسرة» «٤». و قال: «حرفا اللين: و هما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، و الياء الساكنة التي قبلها فتحة» «٥».

و قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ): «الواو و الياء: تكون تارة من حروف المد و اللين بأن تسكنا و يكون ما قبلهما منهما، و تارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الموضع، بأن تسكنا و يفتح ما قبلهما، و متى وجد ذلك زال عنهما معظم المد، و بقي اللين و انبسط اللسان بهما، و صارتا بمنزلة الحروف الجوامد، فألقى عليهما حركات الهمزات، كما تلقى على غيرهما من الحروف الجوامد» «٦».

و قول القرطبي (و تارة يتحيز مخرجهما) يعبر عن موقف معين من مخارج حروف المد، و هو أنها تخرج من هواء الحلق و الفم و ليس لها مخرج معين، بينما الواو و الياء إذا انفتح ما قبلهما يتحيز مخرجهما أي يتحدد في نقطة معينة من أعضاء آلة النطق. و قد وضع القرطبي ذلك بقوله: «إن الواو و الياء حرفا مد، و الصوت يمتد بهما، و بالتشديد تخرجان عن المد و اللين و يتحيز مخرجهما فيكون

الواو من الشفتين و الياء من الشجر، و بالتحيز يبطل المد و يلتحقان بغيرهما من الحروف الصالح «٧».

و قال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): «و فى الواو لين و مد إذا سكنت و انضم ما قبلها، و فيها (١) الكتاب ١٩٣/٤.

(٢) الكتاب ١٩٧/٤.

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٢/١.

(٤) بالرعاية ص ١٠١.

(٥) بالرعاية ص ١٠١.

(٦) الموضح ١٦٤ ظ، و انظر: الدانى: التحديد ٢٩ و.

(٧) الموضح ١٧٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٤

لين إذا سكنت و انفتح ما قبلها، و فيها ثقل إذا تحركت. و كذا حكم الياء أن فيها مدا و لينا إذا سكنت و انكسر ما قبلها، و فيها لين إذا سكنت و انفتح ما قبلها، و فيها ثقل إذا تحركت.

و حروف المد و اللين ثلاثة: الواو و الياء و الألف «١».

و يلاحظ أن هناك اتجاها لدى بعض المتأخرين فى استخدام مصطلح (العله) للدلالة على بعض حالات الواو و الياء، فيقول الطبلاوى: «الواو و الياء إن تحركا بأى حركة ك (وفاقا و يعلم) أو سكنا فحرفا عله، و إن سكنا فإن لم تجانسهما حركة ما قبلهما كالخوف و البيت فحرفا لين. و إن جانستهما فحرفا مد و لين» «٢». لكن من المتأخرين من يعتبر مصطلح (عله) ذا دلالة عامة، و يكتفى بكلمة (المد) للحروف الثلاثة، و كلمة (اللين) للواو و الياء، يقول على القارى (ت ١٠١٤هـ): «و التحقيق أن هذه الحروف تسمى حروف العله بالمعنى الأعم، سواء تكون متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أو لا، ثم حروف المد، ثم اللين بالوجه الأخص، و هو مختص بالواو و الياء دون الألف» «٣».

و يقول المرعشى (ت ١١٥٠هـ): «و ترك المد بالكلية فى (قالوا) مثلا إما بحذف الواو و الاقتصار على اللام المضمومة، أو بإبقاء الواو ساكنا و ترك مده بالكلية، فيكون حرف لين لا حرف مد، و حاصل ذلك إعدام حرف، إذ ما لم يمتد الواو لا يصير حرف مد» «٤».

و نقل الدرکزلى (ت ١٣٢٧هـ) نصا يلخص ذلك التداخل فى استخدام المصطلحات المذكورة، و يظهر منه أن الاتجاه الغالب لدى المتأخرين هو تخصيص مصطلح (المد) بالحروف الثلاثة إذا كانت ساكنة و حركة ما قبله من جنسها. و تخصيص مصطلح (اللين) بالواو و الياء فى أحوالهما الأخرى، و ذلك حيث يقول: «و يصدق اللين على حرف المد، بخلاف العكس، لأنه يلزم من وجود الأخص وجود الأعم، و لا ينعكس، و إن اعتبر قبول اللين المدّ تساويا فى صدق الاسم عليهما. و على هذا فكل من حروف المد و حرفى اللين يصدق عليهما حروف لين على الأول، و حروف مد على الثانى، و حروف مد و لين عليهما».

«قلت (الدرکزلى): لكن الاصطلاح أن حرف المد ما قبله حركة مجانسة كما تقدم، و حرف اللين هو ما قبله حركة غير مجانسة، فعلى الاصطلاح بينهما مبانة، و كل من وقع فى (١) روح المريد ١٢٨ ظ.

(٢) مرشدة المشتغلين ٩ ظ.

(٣) المنح الفكرية ص ٩.

(٤) بيان جهد المقل ٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٥

عبارته حروف مد و لين إنما هو نظر للمعنى الآخر، و الله أعلم» «١».

و قد أدرك علماء التجويد أن التفريق بين حالتى الواو و الياء و تخصيص مصطلح معين لكل حالة يقوم على أسس صوتية و صرفية

معا، لا مجرد كونه اختلافا شكليا متمثلا في اختلاف الحركات التي تسبق أو تلحق كلا منهما.

أما من الناحية الصوتية فقد أدرك علماء التجويد أن مخرج الواو والياء إذا كانا حرف لين يختلف عنه إذا كانا حرفي مد، أما الألف فلا يكون إلا حرف مد. ومن ثم فإنهم اعتبروا مخرجيهما إذا كانا حرفي لين الواو من الشفة والياء من شجر الفم. وإذا كانا حرفي مد كان مخرجهما من الجوف، يقول على القارى: «و حيث لزم الألف هذه الطريقة المعتادة من كونها ساكنة و حركة ما قبلها من جنسها و هى الفتحة لم يختلف حالها من أنها دائما تكون هوائية، بخلاف أختيها فإنهما إذا فارقاها فى صفة المشابهة صار لهما حيز محقق، و من ثمة كان لهما مخرجان: مخرج حال كونهما مديتين و مخرج حال كونهما متحركتين» (٢).

وقال المرعشى: «و جعل مخرج حروف المدّ جوف الحلق و الفم هو مسلك الجمهور، لأن سيبويه جعل الألف من مخرج الهمزة، و الواو والياء المديين من مخرجيهما غير مديين» (٣).

و أدرك علماء العربية و علماء التجويد أن سلوك الواو والياء إذا كانا حرفي لين يختلف عنه إذا كانا حرفي مد. قال سيبويه: «و إذا كانت الواو قبلها ضمة و الياء قبلها كسرة فإن واحدة منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها. و ذلك قولك: ظلموا واقدا، و اظلمى ياسرا ... و إذا قلت و أنت تأمر: اخشى ياسرا، و اخشوا واقدا، أدغمت، لأنهما ليسا بحرفي المد كالألف، و إنما هما بمنزلة قولك: أحمد داود، و اذهب بنا» (٤).

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار (ت ٥٦٩ هـ): «فإن التقت ياءان أو واوان لم يخل التقاؤهما من أمرين: أحدهما أن تلتقيا و أولاهما ساكنة، و الثانية أن تلتقيا متحركتين. فإن التقت ياءان أو لاهما ساكنة و جب إشباع الكسرة التي قبل الأولى، و ذلك نحو قوله: (١) خلاصة العجالة ١٦٠ ظ.

(٢) المنح الفكرية ص ٩.

(٣) جهد المقل ١٠ و.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٤٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٦

فى يَتَامَى [النساء: ١٢٧] و فى يُوسُفَ [يوسف: ٧] و هُوَ الَّذِي يُصَلِّي [الأحزاب: ٤٣] و نظائرها ... و إنما لم يجز إدغام ذلك لأن الياء و الواو هاهنا تشبهان الألف فى السكون و مجانسة الحركة المتقدمة، فصار ذلك بمنزلة قولك: زورا ياسرا، و أكرما واقدا. و قد عرفت أن إدغام الألف غير ممكن. فإن انفتح ما قبل الواو الأولى، نحو قوله: عَصَوْا وَ كَانُوا [البقرة: ٦١] و عَفَوْا وَ قَالُوا [الأعراف: ٩٥] و آوَوْا وَ نَصَرُوا [الأنفال: ٧٢] و ما أشبه ذلك لزم الإدغام» (١).

و كان من علماء العربية المتقدمين من أدرك أن رمزى الواو والياء يمثلان زوجين من الأصوات فى الكتاب العربية. فقد قال ابن درستويه (عبد الله بن جعفر ت ٣٤٦ هـ) و هو يتحدث عن رموز حروف العربية: «و الذى لا صورة له مدتان و همزة، فإن مدتى الحرف المضموم و الحرف المكسور لم توضع لهما صورة فى المعجم، كما وضعت لمدى الحرف المفتوح الألف، و لكن كتبنا بصورة الواو و الياء ...» (٢).

و ما لاحظته علماء التجويد من كون الواو والياء لهما طبيعة مزوجة، فمرة يكونان حرفي مد (أى من الأصوات الذائبة) و مرة يكونان من الحروف الصراح (أى الجامدة) - أمر أكدته الدراسات الصوتية الحديثة. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان دائما أن يعالجا علاجيا خاصا، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه من أصوات اللين (يقصد الذائبة) و مع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف، و هذان الصوتان هما ما اصطاح علماء العربية على تسميتها بالياء و الواو فى مثل بيت و يوم» (٣).

و قال الدكتور كمال محمد بشر: «و الحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقترب من الحركات فى صفاتها، و لكنها فى

التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، و من هناك كانت تسميتها بأنصاف حركات» (٤).  
ثم تحدث عن وجهة المحدثين في التفريق بين حالي الواو والياء واختلافهم في ذلك (١) التمهيد ١٥٠ و.  
(٢) كتاب الكتاب ص ٦٤. وانظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص ٣٣.  
(٣) الأصوات اللغوية ص ٤٢.

(٤) الأصوات ص ١٧١. و يسميها البعض أشباه الحركات. انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٢. و محمود السعران: علم اللغة ص ١٩٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٧

فقال: «فالمعروف أن للواو والياء حالتين في العربية، فهما إما حركتان خالصتان، وإما صوتان صامتان أو بعبارة أدق نصفًا حركتين. و قد حاول كثير من العلماء التفريق بين هاتين الحالتين على أساس صوتي محض، فهما عندهم من النوع الأول إذا خرجتا من الفم دون أن يقف في طريق الهواء حال النطق بهما أي عائق أو مانع، و لكنهما من النوع الثاني إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيق يسمح بمروره و لكن مع شيء من الصعوبة بحيث يحدث هذا الهواء احتكاكا مسموعا».

«و قد رأينا نحن أن هذا التفريق غير واضح، بل يتضمن شيئا من التكلف و الصنع و لذا آثرنا أن يكون التفريق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية، فقررنا أنهما من الصوامت أو أنصاف حركات فيما لو وقعا في مواقع الأصوات الصامتة، و لخصنا هذه المواقع في خاصة تشترك فيها جميعا، تلك هي وقوعها متلوقة بحركة أو ساكنة بعد فتح. كما في نحو: بيت و يوم. و هما في هاتين الحالتين يقعان في مواقع الأصوات الصامتة الصرفة، و من ثم أخذنا حكمها...» (١).

و يتحدث علماء الأصوات المحدثون عن الحركة المركبة أو المزدوجة، و تعرّف بأنها تتابع مباشر لصوتى علّهُ يوجدان في مقطع واحد فقط» (٢). فقال بعضهم: «و مثال ذلك في العربية (أو) و (أى) فعند النطق بالكلمة الأولى يتخذ اللسان وضعه في منطقة الحركات للنطق بالفتحة التي تلي الهمزة، ثم لا يلبث أن يتحرك منه لاتخاذ موضع جديد هو موضع الكسرة» (٣).

و أنكر بعض الدارسين المحدثين وجود حركات مركبة في اللغة العربية، و فسر مثل (أو) و (أى) على أنه همزة ثم فتحة ثم واو أو ياء ساكنة، فيكون مثل (من) و ما أشبه ذلك. فيقول:

«و قد و هم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء في (حوض و بيت) جزءان من حركة مركبة.

و هو و هم خاطئ و لا- شك. إذ الحركة المركبة وحدة واحدة. و الموجود في حوض و بيت ليس وحدة واحدة، و إنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة+ الواو في (حوض). و الفتحة+ (أ) الأصوات ص ١٧٣. و انظر أيضا ص ١٠٥-١٠٨، و كذلك: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٨٣.

(٢) ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٨٠.

(٣) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ١٧٢. و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٢، و جان كانتينو: دروس ص ١٣٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٨

الياء في (بيت)» (١).

و لما كان موضوع وجود الحركة المركبة في اللغة العربية هو موضع جدل بين الدارسين المحدثين و أن علماء العربية و علماء التجويد اكتفوا بتقسيم الواو والياء إلى حروف مد (أصوات ذائبة) في مثل (نوحيا)، و إلى حروف صحاح (جامدة) في مثل (بيت) و (حوض) فإن صرف النظر عن فكرة الحركة المركبة هنا له ما يسوغه. و يكفي أن علماء العربية و علماء التجويد قد ميزوا بشكل واضح و كامل تلك الطبيعة الثنائية للواو والياء سواء من الناحية الصوتية أم من ناحية الوظيفة في بنية الكلمة.

و كان السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) قد انفرد بمذهب خاص به في تعيين (حروف اللين)، فقد قال: «و حروف اللين خمسة أحرف: الألف و

الواو والياء والهاء والنون الساكنة، سميت بذلك لأنها لانت في المخرج» (٢). و يبدو أن السمرقندي هنا يستخدم كلمة (اللين) بمعناها اللغوي، لا المعنى الاصطلاحي الذي استقر لها عند علماء العربية و علماء التجويد. و إطلاق كلمة (اللين) على النون و الهاء أمر مقبول من ناحية دلالة الكلمة اللغوية لأن هذين الصوتين قريبا الشبه بالأصوات الذائبة من حيث قلة الاحتكاك في مخرجيهما و حرية مرور الهواء في أثناء النطق بهما، سوى أن الهاء مهموسة و الن أنفية.

### ثالثا- مخارج الأصوات الذائبة:

هناك خمسة أصوات تتداني في المخارج شى شى و تتقارب في الصفات، و هى الواو والياء الجامدتان فى مثل (بيت و حوض). و الألف و الياء و الواو الذائبة فى مثل (نوحيا).

أما الياء و الواو الجامدتان فلا خلاف بين العلماء فى تحديد مخرجيهما، و قد مضى الحديث عن ذلك فى المبحث الخاص بمخارج الأصوات الجامدة (٣)، حيث اتفق علماء التجويد و علماء العربية على أن مخرج الياء الجامدة من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى، و أن مخرج الواو من بين الشفتين.

أما الأصوات الذائبة الثلاثة (حروف المد) فللعلماء فى تحديد مخرجها مذهبان، الأول مذهب سيبويه و من تابعه، و يتلخص فى أن مخرج الألف من الحلق من مخرج الهمزة (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٨٠، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠٣-٣٠٥.

(٢) روح المريد ١٢٦ ظ.

(٣) انظر ص ١٩٩ و ٢١٥ من هذا البحث.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٠٩

و الهاء (١). و لم يفرق سيبويه فى حديثه عن مخرج الياء و الواو بين الجامدة و الذائبة، و من ثم يحمل كلامه على أنه يجعل مخرج الياء و الواو المديين من مخرجيهما غير مديين (٢). و كان سيبويه مدركا لما تتميز به هذه الأصوات من اتساع مخرجها أكثر من غيرها من الأصوات (٣).

و لا نلمس فى حديث علماء العربية عن مخارج هذه الأصوات أنهم يفرقون بين كونها جامدة أو ذائبة.

أما المذهب الثانى فى تحديد مخارج حروف المد فهو مذهب جمهور علماء التجويد الذين يفرقون بين مخرجى الواو و الياء عند ما يكونان حرفين جامدين، و بين مخرجيهما عند ما يكونان حرفى مد (أى صوتين ذائبين)، حتى لقد صرح على القارى أن للواو و الياء مخرجين:

مخرج حال كونهما مدتين، و مخرج حال كونهما متحركتين (٤). و الكلام هنا عن مخرجيهما عند ما يكونان مدتين.

جعل كثير من علماء التجويد مخرج حروف المد من جوف الحلق و الفم، و هو الخلاء الداخلى فيهما (٥). و هم يعدون هذا المخرج مقدرا، لا يمكن تحديده فى نقطة معينة. قال المرعشى: «فلجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها فى موضع انضغاطا ينقطع به الصوت ... و بالجملة إن حروف المد لم تنقطع أصواتها فى موضع لم يكن لها مخرج محقق، فإن المخرج المحقق هو الذى انقطع الصوت فيه، بل قدروا لها جوف الحلق و الفم مخرجا، لأنه يمكن لك قطع أصواتها حين تم مرورها على هواء الحلق و الفم» (٦).

و علماء التجويد بموقفهم هذا من مخارج حروف المد يجمعون بين مذهب سيبويه الذى لم يفرق بين مخرجى الواو و الياء المديين و غير المديين، و جعل الواو من الشفتين و الياء من وسط اللسان، و بين مذهب الخليل الذى جعل مخرج الواو و الياء و الألف من الجوف و اعتبر (١) الكتاب ٤ / ٤٣٣.



(٢) المرعشى: جهد المقل ١٠ و.

(٣) الكتاب ١٧٦ / ٤. وانظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ١ / ٨ - ٩، و الأزهرى: تهذيب اللغة ١ / ٥١.

(٤) المنح الفكرية ص ٩.

(٥) على القارى: المنح الفكرية ص ٩، و المرعشى: جهد المقل ١٠ و.

(٦) جهد المقل ٦ و - ٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٠

هذه الأصوات هوائية و ميزها عن الحروف الصراح «١». فعلماء التجويد جعلوا المخرج الذى عينه سيويه للواو و الياء خاصا بغير المديتين (أى الجامدتين) و جعلوا المخرج الذى عينه الخليل للواو و الياء خاصا بالمديتين (أى الذائبتين). و إذا كانت حروف المد تخرج من مخرج واحد هو الجوف، فما الذى جعل أصواتها تتمايز فى السمع؟ لاحظ علماء التجويد أن حروف المد بالرغم من أن مخرجها الجوف فإن أوضاع اللسان و الشفتين تختلف مع كل صوت عنها مع الأصوات الأخرى. قال على القارى عن حروف المد: «ثم إنهن بالصوت المجرى أشبه منهن بالحروف، و يتميزن عن الصوت المجرى بتصدد الألف و تسفل الياء و اعتراض الواو» «٢».

قال المرعشى: «أما الواو المدية فضم شفتيك فيها اعتراض على الصوت و كذا رفع وسط لسانك إلى جهة الحنك فى الياء المدية لكن ذانك الاعتراضان قليلان لا يمنعان جريان الصوت بالكلية» «٣».

و إذا كان كثير من علماء التجويد يذهبون إلى أن مخرج الواو و الياء المديتين (الذائبتين) من الجوف و أن الواو الجامدة من الشفتين، و الياء الجامدة من وسط اللسان، فإن بعضهم قد لاحظ وجود قرب شديد بين مخرج كل من الصوتين حين يكون جامدا، فيقول المرعشى و هو يتحدث عن حالة الشفتين فى أثناء النطق بالواو: «و انضمامهما فى الواو المدية أقل من انضمامهما فى الواو غير المدية» «٤». و معنى ذلك أن ممر النفس فى مخرج الواو غير المدية يكون أضيق منه فى مخرج المدية.

و تلك الظاهرة تحدث عنها بعض علماء الأصوات المحدثين حيث قال: «إن الفراغ بين مقدم اللسان و بين الحنك الأعلى فى نطق الياء يكون أضيق منه حال النطق بالكسرة الطويلة (الياء الأخرى). و يترتب على ذلك أننا نسمع نوعا من الحفيف الخفيف فى نطق هذه الياء».

و كذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان و أقصى الحنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالضم الطويلة (و هى الواو الأخرى) و من ثم نسمع حفيفا بسيطا مع النطق بهذه الواو ... لهذه الأسباب عدت الياء و الواو من الأصوات الصامتة، بالرغم مما لهما (١) العين ١ / ٥٧ - ٥٨.

(٢) المنح الفكرية ص ٩.

(٣) بيان جهد المقل ٧ ظ.

(٤) جهد المقل ٩ ظ. و فى الأصل (الواو الغير المدية).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١١

من شبه صوتى بالحركات «١».

و لعل السمرقندى أراد ذلك بقوله: «و قيل إن الألف و الواو و الياء إذا سكنتا و تحرك ما قبلهما بجنسهما جوفية، أو هوائية، أو هاوية، لأنها لا تقع فى الأحياز التى ذكرناها، فتنسب إليها، لكنها تخرج من الجوف فتذهب فى هواء الفم. و الأصح أن الألف من هواء الحلق».

و الياء الساكنة المكسورة ما قبلها من هواء وسط الفم.



و الواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشفة.  
و الياء المتحركة و الساكنة المفتوح ما قبلها شجرية.  
و الواو المتحركة و الساكنة المفتوح ما قبلها شفوية» (٢).  
و قول السمرقندي (من هواء الشفة) يساوى قوله (شفوية) و لكن لعله يريد أن ممر الهواء فى الحالة الأولى أوسع منه فى الحالة الثانية،  
و كذلك قوله (من هواء وسط الفم) و قوله (شجرية) على ما أرجح.

و كان علماء التجويد قد وضحو العلاقة بين حروف المد الثلاثة، و بين الحركات الثلاث، و قالوا: إن الفتحة بعض الألف، و الكسرة  
بعض الياء، و الضمة بعض الواو، و لذلك نجدهم يشيرون إلى أن مخارج الحركات هى مخارج حروف المد نفسها، فيقول عبد  
الوهاب القرطبي و هو يتحدث عن موضوع الإشمام: (الضم من الشفتين) و (الكسر ليس من الشفة، و إنما هو من مخرج الياء، و مخرج  
الياء من شجر الفم). و (كذلك الفتح من الألف، و لا آلة للألف يدركها النظر، لأن مخرجها من الحلق) «٣».

و قال أبو العلاء الهمداني العطار: «فإن سكنتا و انفتح ما قبلهما و لقيهما ساكن و جب تبين حركة الياء بالكسر من وسط اللسان، و  
تبين حركة الواو بالضم من الشفتين و ذلك نحو قوله: طَرَفِي النَّهَارِ [هود: ١١٤] ... و لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ [البقرة: ٢٣٧] ...» «٤».

و نقل الدرر كزلى هذا النص: «الضمة حركة تضم لها الشفتان، و الفتح حركة يفتح لها (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٠٦. و  
انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٤٢.

(٢) روح المريد ١٢٥ ظ - ١٢٦ و.

(٣) الموضح ١٨٧ ظ.

(٤) التمهيد ١٤٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٢

الفم، و الكسر حركة ينكسر لها المخرج و يهوى إلى أسفل» «١».

و كان علماء العربية قد تحدثوا عن مخارج الحركات فقال الفراء: «فإنما يستقل الضم و الكسر، لأن لمخرجيهما مثنو على اللسان و  
الشفيتين، تنضم الرفعة بهما فيثقل الضمة، و يمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلًا. و الفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة»  
«٢».

و قال المبرد: «الفتحة من مخرج الألف» «٣».

هناك ظاهرة تتضح فى كلام علماء التجويد عن مخارج حروف المد، و هى أنهم حين يحددون مخرج الواو و الياء يشيرون إلى أن  
الصوت يهوى حتى ينقطع فى الحلق عند مخرج الألف أو الهمزة. يقول الداني عن الياء: «و هو حرف مد مجهور، يخرج من وسط  
اللسان بينه و بين وسط الحنك، ثم يهوى إلى الحلق، فينقطع آخره عند مخرج الألف» «٤». و يقول عن الواو: «و هو حرف مد مجهور،  
و يخرج من الشفة، ثم يهوى فى الفم، فينقطع آخره عند مخرج الألف» «٥».

و كان سيبويه قد وصف الألف بأنه الحرف (الهاوى) فقال: «و منها الهاوى و هو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع  
مخرج الياء و الواو، لأنك قد تضم شفتيك فى الواو، و ترفع فى الياء لسانك قبل الحنك، و هى الألف» «٦».

و فسر بعض علماء التجويد مصطلح (الهاوى) نحو من تفسير سيبويه لكن بعضهم أعطى معنى جديدا للهاوى غير اتساع المخرج لهواء  
الصوت، فقال عبد الوهاب القرطبي: «و أما الجرس فالألف الساكنة، لا يكون إلا كذلك، و يقال لها أيضا الهاوى، لأن الفم يفتح لها  
فتخرج بالنفس مستطيلة، و تهوى فى الفم إلى ما بين الهمزة و الهاء من الحلق» «٧». و قال أحمد ابن أبي عمر: «و الهاوى هو الألف  
وحدها، سميت بذلك لأنها تهوى إلى ناحية الحلق كأنها (١) خلاصة العجالة ١٨٩ ظ، و انظر أيضا ١٠٠ ظ.

(٢) معانى القرآن ١٣/٢.

- (٣) المقتضب ١/ ١٥٥، وانظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ١٧٢ هامش (١) حيث ينقل المحقق نصا من شرح السيرافي للكتاب يتضمن تحديدا لمخارج الحركات.
- (٤) التحديد ٢٩ و.
- (٥) التحديد ٤١ و.
- (٦) الكتاب ٤/ ٤٣٥.
- (٧) الموضح ١٥٨ ظ.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٣
- تخرج من جب» (١).

و اعتبر أبو العلاء الهمذاني العطار مصطلح (الهاوى) يشمل حروف المد الثلاثة، فقال:

- «و الهاوى الألف و الياء و الواو إذا سكنت بعد حركتهما، سميت بذلك لأنها تهوى فى حرف الفم إلى ما بين الهمزة و الهاء» (٢). و سمي بعض علماء التجويد الواو (الحرف المتصل) لأنها تهوى فى الفم حتى تتصل بمخرج الألف (٣).
- و هذه القضية تحتاج إلى توضيح و بيان، و قبل أن نحاول ذلك نشير إلى أن أصل هذه القضية يرجع إلى كلام علماء العربية الأوائل الخليل و سيبويه و المبرد الذى نصوا فى كلامهم على هذه الظاهرة. فقال الخليل و هو يتحدث عن الحروف المعتلة: «فالألف اللينة هى أضعف الحروف المعتلة، و الهمزة أقواها متنا، و مخرجها من أقصى الحلق من عند العين. قال: و الياء و الواو و الألف منوطات بها، و مدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصه نحو الغار الأعلى. و مدرجة الياء مختفضه نحو الأضراس، و مدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، و أصلهن من عند الهمزة» (٤). و نقل علم الدين السخاوى أن الخليل قال: «منتهى الصوت بحرف المد و اللين عند ابتداء الهمزة» (٥). و نقل ابن منظور أن الخليل قال: «المدات الثلاث منوطات بالهمزة» (٦). و معنى (منوطات) أى: معلقات بالهمزة أو موصولات بها.

و قال سيبويه فى (باب الوقف فى الواو و الياء و الألف): «و هذه الحروف غير مهموسات، و هى حروف لين و مد، و مخرجها متسعة لهواء الصوت، و ليس شىء من الحروف أوسع مخرج منها، و لا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة و لا لسان و لا حلق كضم غيرها، فهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره فى موضع الهمزة، و إذا تفتنت و وجدت مس ذلك. و ذلك قولك: ظلموا و رموا، و عمى، و حبلى. و زعم الخليل أنهم لذلك قالوا: ظلموا و رموا، فكتبوا بعد الواو ألفا» (٧). (١) الإيضاح ٧٤ ظ.

(٢) التمهيد ١٤٧ و.

(٣) مكى: الرعاية ص ١١٣، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٥٨ و.

(٤) نقلا عن الأزهرى: تهذيب اللغة ١/ ٥١.

(٥) جمال القراء ١٨٨ و.

(٦) لسان العرب ٩/ ٢٩٩ (نوط). و قد عثرت على قول الخليل هذا فى الجزء السابع من كتاب العين الذى طبع حديثا فى الصفحة ٤٥٦.

(٧) الكتاب ٤/ ١٧٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٤

و قال المبرد، و هو يشير إلى الظاهرة التى نتحدث عنها بكل وضوح: «و الواو تخرج من الشفة، ثم تهوى فى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف، و الياء تخرج من وسط اللسان، من مخرج الشين و الجيم، حتى تنقطع عند مخرج الألف» (١).

و يتضح من النصوص السابقة أن علماء العربية و علماء التجويد يربطون بين مخارج حروف المد و بين مخرج الهمزة، أو (ما بين الهمزة و الهاء) حسب تعبير بعض علماء التجويد.

فما تلك العلاقة وما وجه ذلك الارتباط؟ إننا يمكن أن ندرك الآن بسهولة أنهم يريدون بمخرج الهمزة الوترين الصوتيين، لأن الهمزة تنتج بأن ينطبق الوتران بحيث يحسنان النفس لحظة ثم ينفرجان، فيندفع النفس محدثاً صوت الهمزة. وإذا ذهبنا نبحث عن العلاقة بين حروف المد وبين الوترين الصوتيين وجدنا أن هذه الحروف جميعها مجهورة، والجهر صفة صوتية مصدرها الوتران، ومن هنا ربطوا بين مخارج حروف المد ومخرج الهمزة.

وكان علماء التجويد قد أدركوا أن حروف المد أصوات مجهورة، قال الداني عن الألف: «حرف هاو مجهور» (٢). وقال عن الياء: «حرف مد مجهور» (٣). وقال عن الواو:

«الواو حرف مد مجهور» (٤). وإذا أنعمنا النظر في طبيعة هذه الأصوات نجد أن صفة الجهر تشكل العنصر الواضح فيها الذي يمنحها قوة الإسماع، بحيث إن الناطق لو أوقف نزيز الوترين أثناء النطق بها لاستحالت نفساً، ولا يبقى لها في السمع أثر بين. ومن هنا قال الخليل: إن حروف المد منوطة بمخرج الهمزة. وقال سيبويه: فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة. وقال علماء التجويد إنها تهوى إلى ما بين الهمزة والهاء من الحلق.

وقد فسر بعض علماء التجويد مذهب سيبويه في جعل مخرج الألف من الحلق مع الهمزة والهاء على اعتبار أن مبدأ صوت الألف من هناك، فقال الجعبري: «و معنى جعل سيبويه الألف من مخرج الهمزة أن مبتدأه مبدأ الحلق، ثم يمتد ويمر على الكل، ومن ثم نسب إلى كل مخرج» (٥). ويقول مكى عن الألف: «و إنما تخرج من هواء الفم، حتى ينقطع النفس، (١) المقترض ١ / ٢٢١.

(٢) التحديد ٢٤ و.

(٣) التحديد ٢٩ و.

(٤) التحديد ٤١ و.

(٥) انظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١ / ١٩٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٥

و الصوت في آخر الحلق، ولذلك نسبت في المخرج إلى الحلق» (١).

إن ما ذهب إليه علماء العربية وعلماء التجويد من انقطاع أصوات حروف المد عند مخرج الهمزة معناه أن مصدر التصويت بهذه الأصوات في ذلك الموضع، حين يتذبذب الوتران الصوتيان فتحصل نغمة الجهر التي تشكل جوهر أصوات المد، ثم تتباين حروف المد بعد ذلك تبعاً لوضع اللسان والشففتين أثناء نطق كل صوت من تلك الأصوات (٢).

والخلاصة هي أن علماء التجويد استطاعوا أن يوضحوا مخارج الأصوات الذائبة، وهي حروف المد الثلاثة، والحركات الثلاث: الضمة والفتحة والكسرة. وكان تفريقهم بين مخرجي الواو والياء الجامدتين وبين مخرجي الذائبتين شيئاً صحيحاً أقرته الدراسات الصوتية الحديثة. وكذلك ربطهم بين مخارج الحركات وبين مخارج حروف المد شيء صحيح، لأنه ليس بين الحركات وبين حروف المد من فرق إلا في الكمية، فهي تنتج بطريقة واحدة إلا أن زمان نطق حروف المد هو ضعف زمان نطق الحركات.

و استطاع دارسو الأصوات من المحدثين ضبط مخارج الأصوات الذائبة، وذلك بالنظر إلى وضع اللسان والشففتين في أثناء النطق بها، واستنبطوا مقاييس تقاس عليها أصوات اللغات المختلفة، وتعرف تلك المقاييس بالحركات المعيارية (٣)، وأكتفى هنا بالقول إن ما حققه علماء التجويد في مجال تحديد مخارج الأصوات الذائبة يعد إنجازاً متميزاً، لا سيما إذا أخذنا بالاعتبار قضيتين:

الأولى: هي أن وسائلهم لم تتجاوز الملاحظة الذاتية، في الوقت الذي توفرت فيه لدارسي الأصوات من المحدثين الأجهزة الدقيقة التي يضمها مختبر الصوت.

الثانية: صعوبة الموضوع، لأن الأصوات الذائبة لا ينقطع الصوت في مخارجها على نحو محدد وبشكل قوى يسهل رصده. وقديماً قال ابن سينا عن مخارج حروف المد: «أمر هذه الثلاثة على مشكل» (٤). وحديثاً قال برجستراسر: «للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج

- الحروف الصامتة، غير أن تحديدها و تمييزها مشكل» (٥). (١) الرعاية ص ١٠٣.
- (٢) ينظر بحث: المصوتات عند علماء العربية، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس ١٩٧٩، ص ٤٤٢.
- (٣) انظر التفاصيل: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٠٩، و كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٧٩.
- (٤) أسباب حدوث الحروف ص ٤٣، و انظر ص ١٩.
- (٥) التطور النحوي ص ٤٠.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٦

#### رابعا- أنواع أخرى من الأصوات الذائبة:

في اللغة العربية ثلاث حركات هي: الفتحة و الضمة و الكسرة، و تقابلها حروف المد الثلاثة: الألف و الواو و الياء المديتان. فهذه طويلة و تلك قصيرة. و هي تشكل مجموعة الأصوات الذائبة الأساسية في العربية التي تقابل مجموعة الأصوات الجامة. إن آلة النطق لها إمكانيات كثيرة لإنتاج الأصوات الذائبة، و ما تحدثنا عنه في هذا المبحث يمثل الأصوات الذائبة الرئيسية في اللغة العربية، و هناك أنواع أخرى من تلك الأصوات أقل شيوعا في العربية إما لأنها خاصة بلغة من لغات العرب، أو لمجيئها في رواية من روايات القراءة، و قد عنى علماء التجويد بدراسة هذا النوع من الأصوات، مع علمهم بأنه يتصل في كثير من جوانبه باللهاجات العربية و القراءات القرآنية، و نحاول هنا تلخيص ما قالوه عنها.

ذكر علماء التجويد حالة واحدة تغير فيها جرس الكسرة و امتزج بجرس الضمة، و هو ما يطلق عليه إشمام الكسرة الضم. و حالة أخرى تقابلها و هي إشمام الضمة الكسر، و هذا شيء مروى عن بعض القراء في مثل (قيل، و غيض، و سيق) «١». و في مثل (البيوت، و الشيوخ، و العيون)، و لا يضبط نطق هذا الحركات المشمة بغير المشافهة «٢». و إشمام المتحرك إلى غير حركته كإمالة الممال إلى غير حركته «٣».

و قال الداني: «فأما الإشمام في قوله: (قيل، و سيء) و نظائرهما على مذهب من أشم أوله الضم، دلالة على الأصل، فحقه أن ينحى بكسرة فاء الفعل المنقول من عينه نحو الضمة، كما ينحى بالفتحة في قوله من النار و من نهار و شبههما إذا أريدت الإمالة المحضة نحو الكسرة، فكذاك ينحى بالكسرة إذا أريد الإشمام نحو الضمة، لأن ذلك كالممال سواء، و هذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء و النحويين» «٤».

و لا تسعف مصادر الدراسة الصوتية العربية القديمة و لا الحديثة التي اطلعت عليها في توضيح كيفية نطق الكسرة المشمة ضما، و لا الضمة المشمة كسرا، و لا يزال الأمر بحاجة إلى (١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٤١. و الداني: التيسير ص ٧٢.

(٢) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٧٨.

(٣) مكى: الكشف ١/ ١٢٣.

(٤) التحديد ١٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٧

دراسة و تحليل، لا سيما لأمثلة النطق في القراءات التي روى فيها هذا النوع من الحركات، عسى أن تضبط و يدون وصفها على نحو دقيق.

و كان علماء التجويد و علماء القراءات أكثر وضوحا حين تحدثوا عن صور نطقية للفتحة الطويلة (الألف) و وضعوا مقاييس دقيقة لوصفها. و قد أطلقوا على تلك الصور النطقية مصطلح (الإمالة)، و الإمالة ظاهرة ترتبط ببعض اللهجات العربية، و بعض القراءات القرآنية، و لم تكن ظاهرة صوتية عامة في لغة جميع العرب و لا شائعة في جميع القراءات القرآنية. و من ثم فإن علماء التجويد كانت

عنايتهم بدراسة (الإمالة) محدودة، لم تعد توضيح طبيعة الإمالة ودرجاتها دون الخوض في أسبابها وتفصيلاتها، وتركوا ذلك لعلماء العربية و علماء القراءات الذين ألف بعضهم كتباً مستقلة خاصة بهذا الموضوع «١». ونحن هنا لن نتجاوز الملاحظات التي كتبها علماء التجويد في كتبهم، وما يعين على توضيحها.

و للداني في كتابه (التحديد في الإتقان و التجويد) قول لخص فيه وجهه نظر علماء التجويد في أنواع الألف و ما هو مستخدم منها و ما هو متروك. و هو: «و أما المفتوح فحقه أن يؤتى به بين منزلتين، بين التفخيم الشديد الذي يستعمله أهل الحجاز في نحو الصلاة و الزكاة، فينحون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم، و هذه اللغة لا تستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها، و بين الإمالة المحضة التي يستعملها القراء، و هي التي دون الكسر الصحيح.

و أما الممال فعلى ضربين: مشبع و غير مشبع.

فالمشبع حقه أن يؤتى به بين الكسر الشديد الذي يوجب القلب لشدته، و ليس له إمام، و بين الفتح الوسط الذي ذكرناه و وصفنا حقيقته.

و غير المشبع حقه أن يؤتى به بين الفتح الوسط و بين الإمالة التي دون الكسر، و يسمّى القراء هذا الضرب بين اللفظين، و هما المذكوران «٢».

و ذكر الداني هذه التقسيمات في كتابه (الموضح لمذاهب القراء و اختلافهم في الفتح (١) من ذلك كتاب (الاستكمال في التفخيم و الإمالة) لعبد المنعم بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ) و كتاب (الموضح لمذاهب القراء و اختلافهم في الفتح و الإمالة) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) و كتاب (قرة العين في الفتح و الإمالة و بين اللفظين) لابن القاصح (ت ٥٨٠١ هـ). و لا تزال هذه الكتب الثلاثة مخطوطة فيما نعلم. و كتب الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي سنة ١٩٥٢ رسالته للماجستير عن (الإمالة في القراءات و اللهجات العربية)، و هي مطبوعة.

(٢) التحديد ١٥ ظ - ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٨

و الإمالة) و قسم الفتح إلى شديد و متوسط، و قسم الإمالة إلى متوسطة و شديدة، و هذا لا يختلف عما ذكره في النص السابق. و لكن تعريفه للفتح الشديد هنا فيه إضافة جيدة، و ذلك حيث قال: «الفتح الشديد هو نهاية فتح القارئ «١» لفيه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف» «٢».

و تحدث ابن الطحان في كتابه (مرشد القارئ) عن مصطلحي الفتح و الإمالة و بين خلال ذلك أنواع الألف، و جعل الفتح نوعاً واحداً، و ذلك حيث قال: «الفتح عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير مماله إلى مذاق الكسر، و تحديده أن يؤتى به على مقدار انفتاح الفم مثاله (كان) يركب صوت الألف على فتحة الكاف، و هي فتحة خالصة لا حظ للكسر فيها، معترضة على مخرج الكاف اعتراضاً، و تحقيقه أن يفتح له الفم في النطق بكان و نظيره، كانفتاح الفم في قال و نظيره.

و الفجر عبارة قديمة بمعنى الفتح، يقع في كتب المتقدمين من علمائنا رضی الله عنهم «٣».

و الإمالة: عبارة عن ضد الفتح، و هي نوعان: إمالة صغرى، و إمالة كبرى.

فالإمالة الصغرى حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلاً، و العبارة المشهورة في هذا بين اللفظين، و معنى بين اللفظين بين الفتح الذي حددنا و بين الإمالة الكبرى.

و الإمالة الكبرى حدّها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر كثيراً، و نهاية ذلك أن لا يزال فيه حتى تنقلب الألف ياء. و البطح و الإضجاع عبارتان قديمتان بمعنى الإمالة الكبرى تقعان في كتب المتقدمين «٤» من علمائنا رضی الله عنهم «٥».

و يمكن من خلال حديث الداني و ابن الطحان عن أنواع الإمالة أن نستخلص أنواع الألف التي تندرج بين حالتين لأعضاء آلة النطق:

الحالة الأولى (نهاية فتح القارئ لفيه) حسب تعبير (١) قال علم الدين السخاوي: (جمال القراء ١٨٠ و): (لو أبدل لفظ القارئ بالمتكلم لكان أسد).

(٢) الموضح ٢٤ و. و انظر: عبد الفتاح شلبي: الإمالة في القراءات و اللهجات العربية ص ٢٢.

(٣) روى العطار (التمهيد ٧٠ و) عن جبله بن سحيم أنه قال: «قرأت على عبد الله بن عمر: للفقراء و المساكين، قال فأخذها عليّ بالمد، ثم قال: «قرأتها على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - كما قرأتها، فأخذها عليّ كما أخذتها عليك، و فغرفاه».

(٤) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٣٩ و ٦٨٨.

(٥) مرشد القارئ ١٣٤ ظ - ١٣٥ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣١٩

الداني، و الحالة الثانية (و نهاية ذلك أن لا- يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء) حسب تعبير ابن الطحان، أي بين فتح الفم أقصى ما يمكن، و بين تضيقه إلى أدنى ما يمكن بحيث لا يصل إلى الحد الذي تصير فيه الألف ياء. و يمكن أن ترتب الأصوات التي تدرج بين تلك الحالتين فيما يأتي:

١- ألف التفخيم، و هي التي ذكرها سيبويه في الحروف الفرعية المستحسنه، و قال عنها في الكتاب: «و ألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة و الزكاة و الحياة» (١).

و هي التي أطلق عليها الداني مصطلح الفتح الشديد، و قال عنها: «و القراء يعدلون عنه و لا يستعملونه، و أكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان و من قرب منهم، لأن طباعهم في العجمة جرت عليه، و استعملوه كذلك في اللغة العربية، و هو في القراءة مكروه معيب» (٢). و هاهنا تناقض بين قول سيبويه في هذه الألف و قول الداني هنا و قبل قليل من أن هذه اللغة لا تستعمل في القرآن لأنه لا إمام لها. و يمكن أن يحمل ذلك التناقض على اختلاف الصوت الذي يتحدث عنه كل من الداني و سيبويه. بدليل قول مكى عن الألف المفخمة:

«و هي ألف يخالط لفظها تفخيم، يقربها من لفظ الواو، كما كانت الألف الممالة ألفا يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء، فهي نقيضة الألف الممالة. و بذلك قرأ ورش عن نافع في (الصلاة و مصلى و الطلاق و بظلام) و شبهه، و ذلك فاش في لغة أهل الحجاز» (٣). فقول مكى يؤيد ما قاله سيبويه عن ألف التفخيم و يرى أنها الألف التي قرأ بها ورش في الأمثلة السابقة بينما يظل كلام الداني يشير إلى ألف شديدة الميل نحو الواو. و قد قال ابن الجزرى عن الفتح الشديد الذي هو ألف التفخيم: «و لا- يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب» (٤). و لم يتحدث ابن الطحان عن ألف التفخيم الخارجة عن استعمال كلام العرب و اكتفى بذكر الألف المعتادة المركبة على فتحه خالصه غير ممالة إلى مذاق الكسر كما يقول، و مثل لها بألف (كان) و ألف (قال).

٢- الألف العربية التي سماها الداني بالفتح المتوسط الذي يقع بين الفتح الشديد و بين الإمالة المتوسطة. و هي التي ذكرها ابن الطحان. و قد سماها عبد الوهاب القرطبي بالألف (١) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٢) الموضح ٢٤ و.

(٣) الرعاية ص ٨٦.

(٤) النشر ٢ / ٣٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٠

المفتوحة الأصلية (١). و سماها ابن خروف ألف الطبيعة المعتادة (٢). و هي التي تغلب على النطق العربي الفصيح اليوم.

٣- ألف الإمالة المتوسطة، و هي التي تقع بين الفتح المتوسط و بين الإمالة الشديدة التي تقرب فيها الألف من الياء المديئة الخالصة.

٤- ألف الإمالة الشديدة أو الكبرى و هي التي تقرب فيها الألف من لفظ الياء المديئة الخالصة.



وقد قال الجعبري عن الإمالة: «وهي تنقسم إلى إمالة كبرى ويقال لها إمالة محضة، وهي الإمالة التي لو زيدت لصارت الألف ياء محضة، والفتحة كسرة محضة. و إلى إمالة صغرى، ويقال لها بين بين، أي بين الفتح الخالص وبين الإمالة الكبرى، وهي الإمالة التي لو نقصت لصارت الألف ألفا محضة، والفتحة فتحة محضة» (٣).

وما ذكره علماء التجويد من أنواع الألف شيء يؤيده الدرس الصوتي الحديث، فالناطق إذا فتح فاه إلى أقصى حد و أرسب لسانه في الحنك الأسفل فإن الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة هو ما سماه علماء التجويد بألف التفخيم، وكلما ضيق الناطق درجة الانفتاح تغير الصوت حتى إذا بلغ أقصى درجات التضيق التي ينتقل الصوت بعدها من نوع الأصوات الذائبة إلى الأصوات الجامدة كان الصوت الناتج هو ياء المد، وبين ألف التفخيم و ياء المد أنواع من الأصوات هي التي سماها علماء التجويد بالألف الخالصة المعتادة و بالإمالة المتوسطة و بالإمالة الشديدة، و سواء اعتبرنا تلك الأصوات فروعا للألف أو عددناها أصواتا مستقلة فإنها تندرج في المقياس الذي اهتدى إليه علماء الأصوات المحدثون و سموه بالحركات المعيارية (٤).

و كان علماء التجويد قد أدركوا أن الإمالة تقرب بين الأصوات مثل الإدغام (٥)، قال الداني: «وهي تخفيف كالإدغام سواء» (٦). و كذلك أدركوا أنها لغة لبعض العرب و رواية (١) الموضح ١٥٤ ظ.

(٢) انظر: السيوطي: همع الهوامع ٢٩٥ / ٦.

(٣) انظر: المرعشي: جهد المقل ٤١ و.

(٤) انظر: كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٧٩.

(٥) ابن الباذش: الاقناع ٢٦٨ / ١.

(٦) التحديد ٣٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢١

لبعض القراء دون سائرهم. فالفتح لغة أهل الحجاز، و الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم و أسد و قيس (١). و من ثم قال مكى: «اعلم أن أصل الكلام كله الفتح، و الإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعله، و الدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائر جائز، و ليست الإمالة بداخله إلا في بعضه في بعض اللغات لعله، فالأصل ما عم، و هو الفتح» (٢).

و الإمالة من هذا الجانب تختلف عن الإدغام، فالإدغام ظاهرة صوتية أكثر عموما، و هي ألصق بالتركيب منها باللهاجات و الروايات. و يعرف علماء التجويد الإمالة بقولهم: الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة و بالألف التي بعدها نحو الياء (٣). و ذلك بناء على مذهبهم في وجود حركات تسبق حروف المد مجانسة لها، فالألف قبلها فتحة و الياء قبلها كسرة و الواو قبلها ضمة. و من ثم فإن اعتراض بعض المحدثين على ذكر الفتحة قبل الألف في تعريف الإمالة يندرج في أصل اعتراضهم على وجود حركات قبل حروف المد (٤). و هذا أمر سنتحدث عنه في الفقرة الآتية.

### خامسا - السكون الحى و السكون الميت:

توصف حروف المد الثلاثة: الألف و الواو و الياء، بأنها أصوات ساكنة، و أنها مسبوقه بحركات من جنسها، فالألف قبلها فتحة، و الواو قبلها ضمة، و الياء قبلها كسرة، و هي تجتمع في هذه الكلمة (نوحيا). و هذا هو موقف علماء العربية و علماء التجويد من هذه الأصوات على السواء (٥).

و السكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، أو سلب الحركة و عدمها من النطق (٦). و لكن نجد لدى بعض علماء التجويد اتجاها متميزا في معالجة السكون، و ذلك بتقسيمه إلى حى و ميت. و كان ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠ هـ) أقدم من (١) الداني: الموضح ٢٣ ظ، و علم الدين السخاوى: جمال القراء ١٧٩ ظ.



(٢) الكشف ١/ ١٦٨.

(٣) انظر: مكى: الرعاية ص ١٠٥، و القرطبي: الموضح ١٥٤ و. و ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٦٨.

(٤) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٣٩.

(٥) سيبويه: الكتاب ٢/ ٢٢٠ و ٢٢١ و ٤/ ٤٤٢ و ٤٤٧. و المبرد: ١/ ٢١٠-٢١١. و الأزهرى: تهذيب اللغة ١/ ٥١، و ابن جنى سر صناعة الإعراب ١/ ٣١، و مكى: الرعاية ص ١٠١.

(٦) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٩/ ٦٧، و السيوطي: الأشباه و النظائر ١/ ١٧٦، و الدر كزلى: خلاصة العجالة ١٨٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٢

تحدث عن هذا الاتجاه، مما اطلعت عليه من مصادر علم التجويد. و لم يتابعه فى ذلك إلا القسطلانى (ت ٩٢٣ هـ) الذى تحدث عن الموضوع حديثا موجزا.

قال ابن الطحان: «و أما حد السكون فالسكون نوعان حى و ميت. فالحى هو الذى يتهاى له العضو و يأخذه فيسمع قرعه به، مثل: حكم و غير، فأنت تجد الكاف و الياء ظاهرتى الجسم و القرع، لإعمال العضو فيهما كما يعمل فى المحرك مثل حكم و (میل) «١». و المتحرك حى، فكذلك السكون الذى يوجد فيه أخذ العضو إياه حى أيضا.

و السكون الميت لا يكون إلا فى حروف المد و اللين الثلاثة، فى الألف الثابتة السكون، و فى الواو بعد الضم، و فى الياء بعد الكسرة. فأما الألف فشهرتها بعدم حكمها من أن ينقطع لها فى الفم جزء تتحيز إليه ظاهرة. و أما الواو و الياء فإنهما ما وقعتا بعد حركتها فإن سكونهما ميت، و ذلك أنه غير جار على عضو و لا حاصل فى حيز، إنما يصير الفم لصوتيهما كالأنبوب.

و هما إذا انفتح ما قبلهما كسائر الحروف، و سكونهما حى (لسكونهما) «٢».

إلا- أن السكون الحى يتفاضل بمقتضى طبع الحرف من القوة و تمكنه منها كما أنه فى الوقف أئدى منه فى الوصل، كما أنه فى الوقف (أتم) «٣» حياة منه فى الوصل.

فحد السكون الحى هو أن تكمل ضدته لتقيضه، و هو الحركة، فواجب على القارئ أن يعتمد عليه اعتمادا يظهر صيغته، و يبرز حليته. فإن وصله بغيره بينه بما يحقق له من صفاته القائمة بذاته من غير قطع مسرف و لا فصل متعسف سوى ما تحكم به طبيعته من احتباس العضو لإظهار قرعه. فإن وقف عليه بينه أيضا بما يجب له من صفاته القائمة بذاته المعينة على حياته، الشاهدة للقارئ بالإحسان و الإجادة و الإتيان فى تفريقه بين المهموس و المجهور، و بين المهموس الرخو و بين المهموس الشديد، و بين المجهور الرخو و بين المجهور الشديد و بين الشديد (الأصلى) «٤» و بين الشديد الفرعى، و بين صوتى النون مشددة و مخففة مع التعيين و إظهار اللطين و فى الياء و الواو الحيتين توقيف من الأداء، كذلك السكون الميت حده مقيد بالأداء من شرع القراء «٥». (١) يمكن أن تقرأ (سيل).

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) غير واضحة فى الأصل. و يمكن أن تقرأ (أنمى).

(٤) غير واضحة فى الأصل، و اخترت قراءة (الأصلى) على أساس قوله (الفرعى) بعده.

(٥) مرشد القارئ ١٣٦ و- ١٣٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٣

و قد نقلت هذا النص على طوله، مع ما فيه من غموض فى إمكانية قراءة بعض الكلمات، لأنه نص عزيز يعرض فكرة جديدة متميزة، إذ يتضح من هذا النص أن وجه التقابل بين السكون الحى و السكون الميت ليس قائما على أساس قابلية السكون الحى للحركة و عدم قابلية السكون الميت لها، كما هو المتبادر إلى الذهن، و إنما هو قائم على أساس طبيعة مخرج الصوت فى أثناء مرور النفس به. فجميع

الأصوات الجامدة سكونها حتى، لعمل أعضاء آلة النطق في مخارجها، إما بسد مجرى النفس بالكلية ثم إطلاقه، وذلك في الأصوات الشديدة، وإما بتضييق مجرى النفس عند مخرج الصوت، وذلك في الأصوات الرخوة. أما حروف المد فسكونها ميت لأن أعضاء آلة النطق لا تعترض مجرى النفس عند إنتاجها بسد ولا تضييق، وإنما تكون (كالأنبوب)، كما يقول ابن الطحان.

ولخص القسطلاني فكرة تقسيم السكون إلى حي وميت، من غير أن يخرج على أصل الفكرة، ومن غير أن يضيف إليها شيئاً جديداً، وذلك حيث قال: «و أما السكون فنوعان: حي وميت. فالثاني الألف وأختها، لأنهن لا حيز ولا مقطع لهن محقق، فإن انفتح ما قبل الواو والياء فسكونهما حي، لأخذ اللسان الياء، والشفيتين الواو، كسائر الحروف، فكما تجد الجيم التي هي أخت الياء في مخرجها قد أخذها اللسان، في قولك: رميت «١»، كذلك تجد الواو قد أخذتها الشفتان في قولك: عفوت «٢».

و إنه لأمر عجب ألا نجد نصوصاً أخرى تتعلق بفكرة تقسيم السكون إلى حي وميت، وإنني أتوقع ألا يكون ابن الطحان هو أول من شرح هذه الفكرة، كما أن القسطلاني ليس الوحيد الذي تحدث عنها بعد ابن الطحان، وأعجب من ذلك أن سيبويه تحدث عن قضية أعتقد أنها هي أصل تلك الفكرة لدى علماء التجويد، ولكن أحداً لم يشر إليها ولا تحدث عنها بعد سيبويه من القدماء ولا المحدثين، بقدر ما اطلعت عليه من المصادر.

يذهب سيبويه إلى تقسيم الألف والواو والياء إلى حية وميتة. وهو يريد بالحية (المتحركة)، وبالْميتة (الساكنة)، ومن ثم كانت الألف ميتة لأنها لا يفارقها السكون، قال:

«و إنما جسروا على حذف الألف لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب» «٣». وقال سيبويه (١) لا تخلو هذه العبارة من الاضطراب: ولعل تصحيحاً أخل بها، أو سقط منها شيء، ومع ذلك فالمعنى واضح، لا يخفى أنه يريد: أخذ اللسان الياء في قولك: رميت.

(٢) لطائف الإشارات ١/ ١٨٧.

(٣) الكتاب ٣/ ٣٥٦ و ٤٢٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٤

عن الواو في جدول: «و ذلك لأن هذه الواو حية» «١»، وقال عن حروف المد: «و إنما كانت هذه الأحرف الثلاثة الزوائد: الياء والواو والألف وما بعدها بمنزلة زيادة واحدة لسكونها وضعفها، فجعلت وما بعدها بمنزلة حرف واحد، إذ كانت ميتة خفية» «٢». وقال سيبويه أيضاً: «و سألت «٣» عن واو عجوز و ألف رسالة و ياء صحيفة، لأي شيء همزن في الجمع، و لم يكن بمنزلة معاون و معايش إذا قلت: صحائف و رسائل و عجائر؟

فقال: لأنني إذا جمعت معاون و نحوها، فإنما أجمع ما أصله الحركة فهو بمنزلة ما حركت كجدول. وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك و كانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال، و قد وقعت بعد ألف، لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرك ... فهذه الأحرف الميتة التي ليس أصلها الحركة أجدد أن تغير إذا همزت ما أصله الحركة» «٤».

و يتضح من هذه النصوص أن سيبويه يستخدم مصطلح (الحروف الحية) للدلالة على الواو والياء إذا تحركتا، و مصطلح (الحروف الميتة) على الألف والياء والواو الساكنة. و يفهم من النص الأخير أن الخليل بن أحمد استخدم مصطلح (الحروف الميتة)، و لا أستبعد أن يكون سيبويه أخذ الفكرة عن الخليل.

و يبدو لي أن فكرة ابن الطحان في تقسيم السكون إلى حي و ميت تعتمد على فكرة سيبويه في تقسيم الحروف الثلاثة إلى حية و ميتة، و إن كان هناك اختلاف يسير بينهما يتمثل في أن سيبويه يستخدم مصطلح (الحية) للدلالة على الواو والياء إذا تحركتا، بينما يستخدم ابن الطحان مصطلح (الحي) للدلالة على سكون الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما و كذلك على سائر الحروف الجامدة الأخرى إذا كانت ساكنة. و لا يزال هذا الموضوع بحاجة إلى نصوص أخرى، يمكن من خلالها تتبع تطور فكرة الحي و الميت في الحروف

من لدن سيويه إلى ابن الطحان.

و كان بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين قد أخذوا على علماء العربية قولهم إن حروف المد ساكنة و أنها مسبوقة بحركات تجانسها، على أساس أن حروف المد هي من (١) الكتاب ٣ / ٤٦٩، و انظر ٣ / ٣٥٥.  
(٢) الكتاب ٢ / ٢٦٢.

(٣) يريد أستاذه الخليل بن أحمد. قال السيرافي (أخبار النحويين البصريين ص ٤٠): «و كل ما قاله سيويه:  
و سألته، أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل».  
(٤) الكتاب ٤ / ٣٥٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٥

الناحية الصوتية حركات طويلة فلا يمكن أن توصف بأنها ساكنة و لا أن تكون مسبوقة بحركات من جنسها. و فسروا ذلك بقولهم:  
إن علماء العربية انخدعوا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل حروف المد و سكونا فوقها لاعتبارات كتابية لا صوتية محضة  
«١».

و إذا نظرنا إلى هذه القضية من وجهة نظر الكتابة وجدنا ما يسوغ رسم علامات الحركات قبل حروف المد مع وضع علامة السكون عليها في مثل (باع- نبيع- نقول) و ذلك لأن رموز الألف و الياء و الواو تمثل في الكتابة ستة أصوات، فرمز الألف يمثل الهمزة في مثل (أخذ) و حرف المد في مثل (قال)، و رمز الواو يمثل حرف المد في مثل (نقول) و الواو الجامدة في مثل (حوض)، و رمز الياء يمثل حرف المد في مثل (نبيع) و الياء الجامدة في مثل (بيت)، فرسم تلك العلامات أعنى الحركات قبل حروف المد و السكون فوقها بمثابة علامات تمييزية لتحديد دلالة تلك الرموز.

و من علماء التجويد من فرق بين سكون حروف المد و بين سكون غيرها من الحروف، و سُمي سكون حروف المد سكونا ميتا، و سُمي سكون غيرها من الحروف سكونا حيا. و يفهم من كلام ابن الطحان السابق أنه يقصد بوصف حروف المد بأنها ساكنة أكثر من كون السكون سلب الحركة، فهو يريد بالسكون الميت اتساع مخارجها للصوت حتى يصير الفم لأصواتها كالأنبوب.  
و يرى بعض المحدثين من دارسى الأصوات العربية أن ذكر الحركات فوق الحرف السابق لحروف المد يمكن أن يجد مسوغا في أن هذه الحركات يمثلن أوائل حروف المد التالية لها و يؤذن بتامها «٢».

و لا- يزال موضوع وجود حركات قبل حروف المد بحاجة إلى تحقيق، و إن من التسرع القول بأن علماء العربية أخطئوا حين قالوا إن حروف المد مسبوقة بحركات تجانسها، فهناك ظواهر لغوية و صوتية تؤيد و جهة نظر علماء العربية، فالفعل (أدعو) مثلا ينتهي بحرف مد (ضمه طويلا)، و في نظر الدارسين المحدثين أننا لا نحتاج إلى أى علامة كتابية توضع على العين أو الواو، بينما يجب في مذهب علماء العربية أن توضع ضمة على العين و سكون على (١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٣٩، و كمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ١ / ٢٠١-٢٠٢. و رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٣٥٤.

(٢) هنرى فليش: التفكير الصوتي عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٦٨، ج ٢٣، ص ٧٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٦

الواو (أدعو)، و إذا جاء هذا الفعل في مثل هذا السياق (لن أدعو) فسوف نحتاج حينئذ إلى أن نضع ضمة فوق العين و فتحة فوق الواو، و لا نستطيع أن نستغنى عن الضمة قبل الواو حينئذ و الفتحة بعد الواو. و كذلك الحال في الفعل (نرمي- لن نرمي). فلزوم الحركة قبل رمز الواو و الياء في الحالة الثانية للفعل يسوغ القول بوجود حركة قبل حرف المد تمثل الجزء الأول منه، بينما يمثل رمز الواو أو الياء الجزء الثاني من حرف المد باعتباره حركة طويلة مؤلفة من حركتين.

\*\*\* و إذا أردنا أن نلخص جهود علماء التجويد في دراسة الأصوات الذائبة (حروف المد و الحركات) فإنه يمكننا القول:

١- إنهم ميزوا بكل وضوح بين الأصوات الجامدة والأصوات الذائبة، و أدركوا ما تتميز به الأصوات الذائبة من اتساع مخارجها قياسا بالأصوات الأخرى.

٢- حددوا الأصوات الذائبة في العربية، و هي حروف المد الثلاثة: الألف و الواو و الياء الساكنتان المسبوقتان بحركة من جنسهما، و أدركوا العلاقة بين حروف المد و الحركات و قال الجمهور منهم إن الفتحة من الألف، و الضمة من الواو، و الكسرة من الياء و توصل بعضهم إلى تحديد نسبة الحركات من حروف المد، و قالوا: إن الألف مركب من فتحتين، و الواو مركب من ضميتين، و الياء مركب من كسرتين.

٣- و عرفوا أنواعا أخرى من الحركات الفرعية و حروف المد هي من مظاهر النطق اللهجي أو أنها ترتبط ببعض القراءات.

٤- ميز علماء التجويد بين الواو و الياء الجامدتين و بينهما حين يكونان صوتين ذائبتين (حرفي مد).

٥- حدد علماء التجويد مخارج الأصوات الذائبة (حروف المد و الحركات)، و قد ميزوا بين مخارج الواو و الياء الجامدتين و بين مخارج الأصوات الذائبة الأخرى، و ربطوا بين مخارج حروف المد و بين مخارج الحركات، و توصلوا في ذلك إلى نتائج تستحق تقدير الدارسين.

٦- إن مقولة علماء العربية و علماء التجويد (حروف المد أصوات ساكنة، و مسبوقة بحركات من جنسها) لا تزال بحاجة إلى بحث، و لا يمكن الجزم بتخطئهم فيها، و هي تجد الآن ما يسوغ القول بها من عدة نواح صرفية و صوتية و كتابية.

\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٧

## الفصل الثالث دراسة الأصوات العربية عند علماء التجويد متصله (على مستوى التركيب)

### إشارة

إن النظام الصوتي للغة العربية كما وصفناه في الفصل السابق مبني على أساس نظري تجريدي لا يلحظ الأصوات في جميع سياقاتها النطقية، فنحن حين نصف صوتا معينا بأنه مجهور فإن ذلك مبني على ملاحظة أحوال ذلك الصوت الغالبة، و إلا فمن المحتمل أن يأتي في بعض المواقع في السلسلة الكلامية المنطوقه مهموسا، و كذلك حين نصف صوتا بأنه مرقق فإن ذلك لا يعني أنه لا يلحقه التفخيم مطلقا، و مثل ذلك جملة الصفات و الخصائص الصوتية التي وصفنا بها الأصوات العربية، فإنها معرضة في الكلام المنطوق للتغير بدرجات متفاوتة بتأثير من الأصوات المجاورة.

و يقرر علماء الأصوات المحدثون أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء نطقا طبيعيا لا تكلف فيه نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعض، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضا لهذا التأثير. على أن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر. فمن الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على ما سواه من الأصوات. و مجاورة الأصوات بعضها لبعض، في الكلام المتصل، هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر (١).

و يلاحظ أن علماء الأصوات المحدثين الذي درسوا أصوات اللغة العربية قد وجهوا معظم عنايتهم إلى دراسة الخصائص النطقية للأصوات العربية، أي ما يتعلق ببيان مخارجها و صفاتها التي تمتاز بها حينما ينظر إليها مجردة عن الكلام المنطوق. أما الظواهر الصوتية (١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٨

الناشئة عن التركيب فلم يعتن بها إلا عدد قليل من الدارسين، من غير أن يستغرقوا بحث كل ما يتصل بها «١». وكان هذا الموضوع قد حظى بعناية علماء العربية المتقدمين، و علماء القراءات، و علماء التجويد. و الذى يعنينا هنا بدرجة أكبر هو معرفة موقف علماء التجويد من إدراك الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، و كيف وصفوا تلك الظواهر و صنفوها، و بيان مدى إدراكهم لقضية التأثير و التأثير بين الأصوات حين تكون فى كلام متصل و العوامل التى تؤدى إلى ذلك. و من ثم فإن هذا الفصل سوف يتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: فكرة التأثير و التأثير بين الأصوات المتجاورة عند علماء التجويد.

المبحث الثانى: الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة.

المبحث الثالث: الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة.

\*\*\*

(١) مثل إبراهيم أنيس فى (الأصوات اللغوية) ص ١٧٩ - ٢٠٧ و أحمد مختار فى (دراسة الصوت اللغوى) ص ٣٢٤ - ٣٣٨. و من المستشرقين برجستراسر فى (التطور النحوى) ص ١٨ و ما بعدها. و جان كانتينو فى (دروس فى علم أصوات العربية). حيث بحث تطور الأصوات العربية فى مواضع متعددة من كتابه.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٢٩

### المبحث الأول فكرة التأثير و التأثير بين الأصوات فى الكلام المتصل

كان واضحا لدى علماء التجويد أن الأصوات إذا تجاوزت فى الكلمة المفردة أو فى الكلام المتصل تعرضت صفاتها للتغير الجزئى أو الكلى إذا نطق بها متصلة، و ذلك بحسب طبيعة الصوت و ما يجاوره. و قد قال عبد الدائم الأزهرى (ت ٨٧٠هـ) كلمة تعبر بوضوح و على نحو شامل عن ذلك، و هى قوله: (المجاورة لها تأثير). و ذلك حيث قال: «احذر من تفخيم باء (برق) لمجاورتها الراء المفخمة، فإن اللسان يسبق إلى تفخيمها، و كذا (باطل) لمجاورتها الألف المديئة، فيسرع اللسان إلى تفخيمها و تفخيم الألف المديئة و الطاء، بسبب المجاورة، إذ المجاورة لها تأثير» «١».

و قال الدانى (ت ٤٤٤هـ) فى ذلك أيضا عبارة جامعة ردها علماء التجويد من بعده، و هى قوله: «و الحروف المهموسة إذا لقيت الحروف المجهورة، و الحروف المجهورة إذا لقيت الحروف المهموسة فيلزم تعميل تلخيصها و بيانها، لئلا ينقلب المهموس إلى لفظ المجهور، و المجهور إلى لفظ المهموس، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة، و تتغير معانيها» «٢».

و قد نقل قول الدانى هذا عبد الوهاب القرطبى فى كتابه (الموضح فى التجويد) «٣» و كذلك المرادى فى كتابه (المفيد فى شرح عمدة المجيد) «٤».

و يذهب الدانى إلى أن تأثير الأصوات بالمجاورة لا يقف عند حد الأصوات الجامدة و إنما يتجاوزه إلى الذوائب، و ذلك حيث قال: «و الترقيق فى الحرف دون الحركة إذا كان صيغته، و الإمالة فى الحركة دون الحرف إذا كانت لعل أو جبتها، و هى تخفيف كالإدغام (١) الطرازات المعلمة ٢٧ و.

(٢) التحديد ١٣١ طبعة دار عمار/الأردن.

(٣) الموضح ١٨٢ ظ.

(٤) المفيد ١١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٠

سواء «١».

و كانت هذه القضية واضحة لدى عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ)، حتى إنه رتب كتابه (الموضح في التجويد) على أساس منها، فخصص الباب الأول للحديث عن الحروف العربية في حالة الإفراد، وخصص الباب الثاني ما يلحق الحروف العربية من أحكام عند النطق بها في التركيب، و قال في أول هذا الباب: «الباب الثاني فيما يعرض في هذه الحروف من الأحكام عند اثتلافها و تركيبها ألفاظا، اعلم أن التأليف منه متعذر ممتنع، و منه ممكن و لكنه منبوذ مستكره، و منه ممكن و هو مستحسن مستعمل ... و هذا الضرب يعرض فيه عند الاثتلاف و التجاور من الأحكام زيادة على وضع بسيط الحروف: كالمد، و التشديد، و التلين، و الإظهار، و الإخفاء، و القلب، و ما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض بسبب المناسبة بينها و المباينة و المقاربة و المباعده. و نحن نبين ذلك بما يحضرنا من الاستقصاء، إن شاء الله» (٢).

و الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب التي ذكرها عبد الوهاب القرطبي منها ما يختص بالأصوات الذائبة، و هي: المد و التلين، و منها ما يختص بالأصوات الجامدة، مثل التشديد و الإظهار و الإخفاء و القلب. و هذا اتجاه أكده القرطبي في مكان آخر حيث قال عن مذهب ورش في تغليظ اللام إذا تحركت بالفتح خاصة، و كان قبلها حرف إطباق: «و أما مذهب ورش فوجهه طلب المناسبة بين الحروف، كما في إمالة الألف و ترقيق الراء و القلب و التشديد» (٣).

و كان أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠هـ) قد نقل عن أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت ٤٥٤هـ) أنه قال: «ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النقصان، لاستطالة حرف على حرف ...» (٤).

و قال ابن وثيق (ت ٦٥٤هـ) «إذا وقع في تلاوتك مطبق بين منفتحين، أو منفتح بين مطبقين، أو مستعمل بين منسفلين، أو منسفل بين مستعملين، أو شديد بين رخوين، أو رخو بين شديدين، أو مهموس بين مجهورين، أو مجهور بين مهموسين، أو حرف فيه غنة بين حرفين ليس فيهما غنة مشددين أو مخففين ساكنين، أو حرف ليس فيه غنة بين حرفين بغنتين (١) التحديد ٣٩ و.

(٢) الموضح ١٦٥ ظ - ١٦٦ و.

(٣) الموضح ١٦٤ ظ.

(٤) الإيضاح ٦٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣١

- فيجب عليك أن تكون عارفا بتخليص كل حرف منها، و إعطاء كل حرف حقه، و بمعرفة هذه الأوصاف و إعطاء كل حرف حقه من صفاته أجمع يكون الإنسان قارئاً ماهراً» (١).

و كان الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) قد جعل معرفة الأحكام الناشئة عن التركيب أحد أركان علم التجويد الأربعة في قوله الذي نقلناه من قبل و هو: «إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

و الثاني: معرفة صفاتها.

و الثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

و الرابع: رياضة اللسان بذلك و كثرة التكرار» (٢).

و هذه النصوص تبين أن علماء التجويد كانوا مدركين أن الدرس الصوتي لا يتوقف عند معرفة مخارج الحروف و صفاتها، بل لا بد من دراسة ما يحدثه التركيب من آثار على صفات الأصوات، و قد جعل ابن الجزري معرفة أحكام الحروف الناشئة عن التركيب شرطاً لإتقان التجويد فقال: «إذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفّ حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، و ذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة و لا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس و مقارب، و قوى و ضعيف، و مفخم و مرقق، فيجذب القوى الضعيف، و يغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على



حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان و التدريب» (٣).  
و لم يقف علماء التجويد عند حد الإشارة إلى الأحكام الصوتية الناشئة عن التركيب أو الاكتفاء بتوضيحها، وإنما حاولوا تفسير تلك الأحكام تفسيراً عاماً يمكن أن نرجع إليه جميع الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، و تكاد تفسيرات علماء التجويد للظواهر الصوتية التركيبية تنحصر في إرادة الناطق السهولة و الاقتصاد في الجهد بالعدول عن الأثقل إلى الأخف. (١) كتاب في تجويد القراءه و مخارج الحروف ٧٨ و.

(٢) الواضحة ص ٣٠.

(٣) النشر ١/ ٢١٤ - ٢١٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٢

و كان بعض علماء العربية قد أشاروا إلى ذلك في أثناء حديثهم عن ظاهرة الإدغام خاصة، التي هي أكثر الظواهر الصوتية التركيبية دورانا في كلام العرب. فقال سيويوه، و هو يتحدث عن قلب الواو ياء في مثل الميزان و الميعاد: «فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغام، و كما أنهم إذا أدنوا الحرف من الحرف كان أخف عليهم، نحو قولهم: ازدان، و اصطبر» (١). و قال الفراء، و هو يتحدث عن إدغام لام هل و بل: «و كذلك فافعل بجميع الإدغام، فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم، و ما سهل لك فيه الإظهار فأظهر و لا تدغم» (٢).

و كان حديث علماء التجويد عن ذلك أكثر تفصيلاً و وضوحاً، فقال مكي (ت ٤٣٧ هـ):

«و القوى من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبته إلى نفسه، إذا كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة» (٣). و قال: و اعلم أن أصل الإدغام إنما هو في الحرفين المثليين. و علة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك، و شبهه النحويون بمشي المقيد، لأنه يرفع رجلاً ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منه. و شبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين، و ذلك ثقيل على السامع» (٤).

و قال مكي أيضاً بعد أن ذكر مذهب ورش في تفخيم اللام: «فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً. و هذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا يقربون الحرف من الحرف، ليعمل اللسان عملاً واحداً. و يقربون الحركة من الحركة ليعمل اللسان عملاً واحداً، و على هذا أتت الإمالات في عللها، و على هذا أبدلوا من السين صاداً إذا أتى بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء، ليعمل اللسان في الإطباق عملاً واحداً، فذلك أخف عليهم من أن يتسفل اللسان بالحرف، ثم يتصعد إلى ما بعده» (٥).

و قال الداني: «اعلم أرشدك الله أن الإدغام تخفيف و تقريب ... و إنما أدغمت العرب و القراء طلباً للتخفيف و كراهة للاستتقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها إليه، إذ في (١) الكتاب ٤/ ٣٣٥ و انظر أيضاً ٤/ ٣٦٥. و انظر: ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٧٦.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٥٤.

(٣) الرعاية ص ١٨٠ و انظر أيضاً ص ١٥٠ و ١٦٣ و ١٩٠ و ١٩٣.

(٤) الكشف ١/ ١٣٤.

(٥) الكشف ١/ ٢١٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٣

ذلك من التكلف ما لا خفاء فيه، ألا ترى أن الخليل رحمه الله شبه ذلك بمشي المقيد، و بإعادة الحديث مرتين، فخففوا بالإدغام من أجل ذلك مع توفر المعنى به» (١).

و صرح عبد الوهاب القرطبي في أكثر من مكان بأن الغرض من الإدغام أو تقريب الحروف بعضها من بعض هو طلب السهولة على



اللافظ، «لأن اللسان يفرّ إلى الأخرى و يطلبه» (٢). فمن ذلك قوله: «إذا كانت الجيم مع بعض الحروف المقاربة لها، ولا سيما إذا كانت ساكنة صعب إخراجها لشدة الجيم و مال الطبع بالنطق إلى الأسهل» (٣).

وقال أيضا و هو يتحدث عن المشدد (أى المدغم): «و العلة فى ذلك أن اعتماد آلة النطق على موضع و ارتفاعها عنه و عودها إليه ثم ارتفاعها عنه مستثقل يشبه مشى المقيّد، فجعل اللسان أو غيره من المخارج ينبو عنهما نبوة واحدة، طلبا للخفة، و لما فى ذلك من السهولة على اللفظ» (٤).

و يقرر دارسو الأصوات المحدثون أن نظريته السهولة هى من أكبر العوامل التى تؤدى إلى تطور اللغات (٥)، و بذلك يكون علماء التجويد على حق حين فسروا الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب بميل اللفظ إلى الأسهل و الأخرى فى النطق، لأن هذه الظواهر هى فى الواقع ضرب من ضروب التطور الصوتي.

\*\*\*

(١) الإدغام الكبير ٥ و- ٥ ظ، و انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٢٥.

(٢) الموضح ١٨٤ و.

(٣) الموضح ١٥٥ و.

(٤) الموضح ١٦٩ ظ.

(٥) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٢٣٥-٢٣٨، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٩-٣٢١ و ٣٣٨-٣٣٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٤

## المبحث الثانى الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة

### أولا- تقسيمات علماء التجويد لظواهر التأثير بين الأصوات الجامدة:

#### إشارة

تعدد صور التأثير بين الأصوات الجامدة فى اللغة العربية، و هناك مصطلح يستخدم للتعبير عن مجموع تلك الصور، و هو مصطلح (الإدغام)، و إن كان بعض العلماء لا- يستخدمه إلا- فى الحالات التى يفنى فيها الصوت فى الصوت المجاور له، و لا يبقى له أثر، و يستخدم مصطلحات أخرى للتعبير عن صور التأثير الأخرى التى لا تبلغ درجة الفناء التام، مثل مصطلح (الإخفاء) أو (التقريب). و كان علماء التجويد قد درسوا ظاهرة الإدغام على نحو مفصل، و ميزوا بين عدة أنواع من ظواهر تأثير الأصوات بما يجاورها فى الكلام المتصل، و من ثم قسموا الإدغام إلى عدة أقسام:

### ١- المقبل و المدبر و المتبادل:

قال عبد الوهاب القرطبي: «ثم الإدغام فى المتقاربين: تارة يكون بقلب الأول إلى الثانى، و هو الأكثر الأشيع، كقولك: النعيم و السلام، و هو الأصل.

و تارة يكون بقلب الثانى إلى الأول، نحو (مدّكر) فى لغة من أبدل تاء (افتعل) ذالا معجمة و أدغمها فى الذال الأصلية.

و تارة يكون بأن يبدل بحرف مناسب لهما ثم يدغم، و ذلك نحو (مدّكر) بدال غير معجمة.

و منه ما يقبل الأول من جنس الثانى، و يترك من الحرف الأول شائبة ما، و ذلك مثل (أحطت) فى إبقاء شائبة من إطباق مع التاء

عند الإدغام، و مثل مَنْ يَهْدُ اللَّهُ [الأعراف]:

[١٧٨]. و مِنْ وَرَائِهِمْ [الجاثية: ١٠] فى إبقاء الغنة مع إدغام النون فى الياء و الواو «١». و لم (١) الموضح ١٦٩ ظ، و ينظر: الفراء: معانى القرآن ١/ ٢١٥-٢١٦، ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٥

يستخدم عبد الوهاب القرطبي لهذه الأنواع أسماء خاصة بها.

و قد استخدم بعض دارسى الأصوات العربية من المحدثين مصطلحات خاصة لأنواع الإدغام، فوجد المستشرق الألماني برجستراسر قد استخدم المصطلحات الثلاثة (مقبل، و مدبر، و متبادل) و هو يريد بالمقبل أن يؤثر الحرف الأول فى الحرف الثانى مثل (مذكر) فإن الأصل (مذتكر) فقلبت تاء الافتعال إلى جنس الحرف السابق له و هو الذال، و أدغم فيه. و يريد بالمدبر أن يؤثر الحرف الثانى فى الحرف الأول نحو (عبدت) حيث تصير الكلمة فى النطق (عبت) حيث قلب الحرف الأول و هو الدال إلى جنس الحرف الثانى و هو التاء و أدغم فيه. و أما المتبادل فهو أن يقلب الحرفان الأول و الثانى إلى حرف ثالث مخالف لهما، و ذلك فى مثل (مذكر) بالدال حيث قلبت الذال و التاء فى (مذتكر) كلاهما إلى صوت الدال، فالتقى دالان الأول ساكن و الثانى متحرك فأدغم الأول فى الثانى «١».

و استخدم بعض المحدثين من دارسى الأصوات العربية مصطلح التأثر (الرجعى) و التأثر (التقدمى) فى مقابل (المدبر و المقبل)، و لم يضع مصطلحا للمتبادل «٢». و هناك اتجاه لدى المحدثين نحو استخدام كلمة (المماثلة) للتعبير عن ميل الأصوات إلى التماثل فى الكلام المتصل، و هذه الكلمة أقرب إلى أن تكون مرادفة لكلمة (الإدغام). و قد استخدم بعضهم مصطلح (مماثلة تقدمية) و (مماثلة رجعية) «٣».

و لا يخلّ بتقسيم عبد الوهاب القرطبي للإدغام أنه لم يضع مصطلحا لكل نوع من أنواعه، لا سيما أن نوعا واحدا هو الشائع الغالب فى العربية، و هو الذى يتأثر فيه الأول و الثانى.

## ٢- الإدغام الناقص و الإدغام التام:

لا- يصل التأثر بين الأصوات أحيانا إلى حد أن يفنى الصوت فى الصوت الآخر، بل يبقى للصوت الأول أثر، و من هنا قسم علماء التجويد الإدغام إلى ناقص و هو ما يبقى معه للصوت المدغم بقية، و كامل و هو ما يتحول فيه الصوت المدغم إلى جنس الصوت المدغم فيه «٤».

و يبدو أن محمدا المرعشى هو خير من وضع هذا التقسيم للإدغام، و ذلك حيث قال: (١) انظر: التطور النحوى ص ١٨-١٩.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨١.

(٣) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥.

(٤) انظر: مكى: الرعاية ص ٢٣١، و النابلسى: كفاية المستفيد ١٧ ظ- ١٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٦

«ثم إن الإدغام ينقسم إلى تام و ناقص، لأن الحرف الأول إن أدرج فى الثانى ذاتا و صفة بأن كانا مثلين أو متقاربين لكن انقلب ذات الأول إلى ذات الثانى و صفته إلى صفته فالإدغام حينئذ تام، مثل إدغام (مد)، و إدغام الذال فى الظاء نحو إِذْ ظَلَمُوا [النساء: ٦٤].

و إن أدرج الحرف الأول فى الثانى ذاتا لا صفة بأن كانا متقاربين فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الثانى و لم تنقلب صفته إلى صفته بل بقى فى التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص، و الصفة باقية من الحرف الأول:

إما غنة، و هى فى إدغام النون الساكنة و التنوين فى الواو و الياء.

و إما إطباق، و هو فى إدغام الطاء المهملة فى التاء المشناة الفوقية نحو أَحَطْتُ [النمل: ٢٢].  
و إما استعلاء، و هو فى إدغام القاف فى الكاف فى أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ [المرسلات:  
[٢٠] «...» (١).

و هذا تقسيم صحيح للإدغام، و قد عبر عنه بعض المحدثين باستخدام مصطلح (التشابه الكلى) إذا تطابق الحرفان تماما، و (التشابه الجزئى) إذا لم يتطابق الحرفان تماما «٢». و استخدم بعضهم مصطلح (المماثلة الكلية) و (المماثلة الجزئية) «٣». و لا يعدو هذا الاختلاف فى استخدام المصطلحات أن يكون لفظيا، إلا أن مصطلح (المماثلة الجزئية) ينطبق على (الإدغام الناقص) و ينطبق على صور أخرى يكون التأثير فيها على نحو أقل من مثل ما سماه بعض علماء التجويد بدخول شوائب الحروف بعضها على بعض «٤». على ما سنذكر ذلك مفصلا بعد قليل.

### ٣- إدغام التماثلين و المتجانسين و المتقاربين:

قسم علماء التجويد الإدغام بالنظر إلى مقدار التشابه بين الأصوات التى يحصل فيها الإدغام، و انتهى ذلك بهم إلى هذه الأقسام الثلاثة.

يقول أبو بكر أحمد بن الجزرى: «اعلم أن الحرفين إذا التقيا إما أن يكونا مثلين أو جنسين أو متقاربين، فالمثلان ما اتفقا مخرجا و صفة، كالباء و التاء و التاء و التاء، و الجيم (١) جهد المقل ٢٥ و. و انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٢٩.  
(٢) برجستراسر: التطور النحوى ص ١٨.

(٣) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥.

(٤) انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٧

و الجيم، و اللام و اللام.

و المتجانسان ما اتفقا مخرجا و اختلفا صفة كالدال و الطاء، و التاء و الذال، و كاللام و الراء عند الفراء و من تابعه.

و المتقاربان ما تقاربا فى المخرج أو الصفة، كالدال و السين، و التاء و الضاد و الشين «١»، و يستخدم بعض المتأخرين مصطلح (المتماثلين) بدل (المثلين) «٢».

و يجد الدارس أن أصول هذا الاتجاه قديمة ترجع إلى كتابات علماء العربية و علماء التجويد المتقدمين، فهذا سيبويه يستخدم مصطلح المثلين و المتقاربين «٣». و كذلك استخدمهما مكى «٤». و الدانى «٥»، و لكن الذى ميّز استخدام المتأخرين أنهم استخدموا مصطلح (المتجانسين) و جعلوا له و لمصطلح (المتقاربين) دلالة محددة، بينما نلمح عند المتقدمين أن مصطلح (المتقاربين) يؤدي دور المصطلحين معا.

و كان أحمد بن أبى عمر (ت بعد ٥٥٠ هـ) قد استخدم المصطلحات الثلاثة حيث قال:

«و اعلم أن الإدغام هو أن تصل حرفا بحرف من المتماثل أو المتجانس أو المتقارب، فترفع لسانك بلفظ الثانى منهما بنبرة واحدة مشددة من غير إبقاء أثر من الأول منهما، إلا إذا كان الأول مطبقا أو أغن فإن فيها اختلافا» «٦». و لكنه حين تحدث عن أنواع الإدغام لم يذكر إلا- اثنين، و ذلك حيث قال: «و الإدغام على وجهين: إدغام التماثلين و إدغام المتقاربين، و لا يجوز إدغام المتباعدين، و كلما كان أقرب فإدغامه أقوى، و لا يكون إدغام المتقاربين إلا بقلب أحدهما إلى الآخر، حتى يصح الإدغام» «٧».

و لابن وثيق (ت ٦٥٤ هـ) اتجاه آخر فى استخدام المصطلحات، و إن كان لا يتعدد كثيرا عما ذكرناه، و ذلك حيث يقول: «و يدخل الإدغام عليها (أى على حروف العربية) بثلاثة (١) الحواشى المفهومة ٤٠ ظ، و انظر: عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٣٤ و.

النايلسي: كفاية المستفيد ١٥ ظ، و المرعشى: جهد المقل ٢٤ ظ.

(٢) الطبلأوى: مرشدة المشتغلين ٢ و.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٧٣.

(٤) انظر مثلاً: الكشف ١ / ١٣٥.

(٥) انظر مثلاً: الإدغام الكبير ٦ و.

(٦) الإيضاح ١٠٦ ظ.

(٧) الإيضاح ١١٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٨

أوجه: بالمثلية و التقارب و الشبه. فالمثلية: كُنْتُمْ مِنْ [البقرة: ١٩٨] و شبهه، و التقارب:

نَخْلُقُكُمْ «١» و شبهه، و الشبه: قَدْ سَمِعَ [المجادلة: ١] و شبهه، لأن الحروف، فى أنفسها على قسمين: قسم منها لا يتشابه و لا يتناسب مثل الباء و الجيم و الحاء و الخاء و الكاف و الهاء و الياء و ما أشبهها. و قسم منها يتناسب و يتشابه فأدغم بالتناسب و التشابه، مثل: التاء و الثاء و الزاى و الراء و الدال و السين و ما أشبه هذا، فإذا سئلت: بما ذا أدغمت قَدْ سَمِعَ؟ فقل:

بالتناسب و الشبه «٢». فابن وثيق هاهنا يستخدم مصطلح (الشبه) فى مقابل (المتقارب) عند غيره، و يستخدم مصطلح (التقارب) فى مقابل (المتجانس) عند غيره تقريباً، لأنه مثل له بالقاف و الكاف، و هما و إن وصفاً بأنهما لهويان إلا أنهما ليسا من مخرج واحد. و تقسيم الأصوات العربية إلى متماثلة و متجانسة و متقاربة، و تقسيم الإدغام على وفق ذلك أمر يدل على إدراك لخصائص الأصوات، فهى فعلاً إذا التقت إما أن تكون متفقه فى المخرج و الصفات فهى حينئذ متماثلة، و إما أن تكون متفقه فى المخرج مختلفة فى الصفات فهى حينئذ متجانسة، و إما أن تتقارب فى المخرج أو الصفات و لكن دون أن تكون متفقه، فهى حينئذ متقاربة. و هى بعد ذلك قد تتباعد فى كل شىء فتوصف حينئذ بأنها متباعدة. و لا شك فى أن الإدغام يتوقف على مقدار القرب و البعد بين الأصوات، فكلما تداخت حسن الإدغام، و هكذا.

#### ٤- الإدغام الكبير و الإدغام الصغير:

الإدغام هو وصلك حرفاً ساكناً بحرف آخر مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع العضو عنهما ارتفاعاً واحداً «٣». فلا بد أن يكون الحرف الأول ساكناً، لأنه إذا كان متحركاً فصلت الحركة بين الحرفين، و حالت دون حصول التأثير بينهما. و هذا هو المتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة الإدغام، و يوصف أحياناً بالإدغام الصغير «٤». (١) فى الأصل (يخلقكم) و هو فى الزمر آية ٦، و القاف هنا مضموم، و الذى يناسب التمثيل (نخلقكم) فى سورة المرسلات آية ٢٠ حيث القاف مجزوم.

(٢) كتاب فى تجويد القراءة ٧٦ ظ.

(٣) انظر: الزجاجى: الجمل ص ٣٧٨. و الدانى: الإدغام الكبير ٥ و. و ابن الباذش: الإقناع ١ / ١٦٤.

و علم الدين السخاوى: جمال القراءة ١٧٥ ظ، و ابن عصفور: الممتع فى التصريف ٢ / ٦٣١.

(٤) ابن الباذش: الإقناع ١ / ١٩٥ و ٢٣٨. و ابن الجزرى: النشر ١ / ٢٧٥ و النايلسي: كفاية المستفيد ١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٣٩

و كان مذهب أبى عمرو بن العلاء خاصة أنه إذا التقى الحرفان و هما من كلمتين و كانا متحركين أسكن الأول و أدغمه فى الثانى، سواء كانا مثلين أم متقاربين. و هو فى المثليين لا يحتاج إلى أكثر من إسكان الأول، أما فى المتقاربين فلا بد من قلب الأول إلى جنس

الثاني، قال الداني: «و حقيقة إدغام الحرف المتحرك في مثله أن يسكن ثم يدغم، و حقيقة إدغام المتقارب أن ينقلب إلى لفظ الثاني ثم يدغم» (١). فالمثلان نحو قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ [البقرة: ١٨٥] و لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ [البقرة: ٢٠] و المتقاربان نحو فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا [الصفات: ٢] و الصَّالِحَاتِ سُنْدُخُلُهُمْ [النساء: ٥٧] (٢).

و يسمي مذهب أبي عمرو هذا في الإدغام باسم الإدغام الكبير، و اختلف في سبب تسميته كبيراً، فقال ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ): «سموه كبيراً لأنه أكثر من الصغير، و لما فيه من تصيير المتحرك ساكناً، و ليس ذلك في الإدغام الصغير و لما فيه من الصعوبة» (٣). و قال أحمد ابن أبي عمر: «و إنما سمي المتحرك كبيراً و الساكن صغيراً لأن المتحرك حتى لحركته، و الساكن كالميت لسكونه، فلزيادة التي في المتحرك، و هي الحركة، سمي كبيراً، و للنقصان الذي في الساكن و هو عدم الحركة سمي صغيراً» (٤).

و الإدغام منه ما انفرد به بعض القراء، مثل الإدغام الكبير، و منه ما اتفق عليه القراء، مثل إدغام لام التعريف و معظم أحكام النون الساكنة و التنوين، و إدغام المتجانسين، و منه ما اختلفوا فيه و هو بقية أحكام الإدغام الصغير المذكورة في كتب القراءات مثل دال (قد) و ذال (إذ) و لام (هل و بل) (٥). و لم يعتن علماء التجويد في كتبهم إلا بالإدغام المتفق عليه، و تركوا تفصيلات ما اختلفت فيه القراء من أنواع الإدغام الأخرى لكتب القراءات (٦).

و كان ابن جنى قد استخدم مصطلح الإدغام الأصغر و يريد به (تقريب الحرف من الحرف (١) الإدغام الكبير ٦ و.

(٢) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١١٦، و الداني: التيسير ص ٢٠، و ابن الجزري: النشر ١/ ٢٧٤.

(٣) الإقناع ١/ ١٩٥. و انظر: ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٧٤.

(٤) الإيضاح ١١٠ و.

(٥) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١١٣-١٢٥، و ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٣٨ و ما بعدها، و ابن الجزري: النشر ٢/ ٢١٢.

(٦) انظر ص ٧١ من هذا البحث.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٠

و إدناءه منه من غير إدغام يكون هناك) و قد مثل له بالإمالة و بتقريب السين من الصاد في نحو (سقت) و بتقريب الصاد من الزاي في نحو (مصدر) و نحو ذلك مما لا إدغام فيه. و استخدم ابن جنى مصطلح الإدغام الأكبر و هو يريد به ما سماه علماء التجويد بالإدغام الصغير الذي يقلب فيه الحرف الأول إلى مثل الحرف الذي يليه و يدغم فيه (١). و هذا الاستخدام للمصطلحات خاص بابن جنى و لم نجد له صدى عند علماء العربية و لا علماء التجويد.

## ٥- الأقوى و الأضعف:

يقسم علماء التجويد الأصوات إلى قوية و ضعيفة، بحسب ما فيها من صفات القوة و الضعف. و سبق أن بينا الصفات القوية و الصفات الضعيفة لدى علماء التجويد و علاقة ذلك بقوة الحروف و ضعفها (٢). و قد طبق بعض علماء التجويد فكرة القوة و الضعف في الحروف على ظاهرة الإدغام، فقالوا إن الإدغام إنما يحسن في المواضع التي ينقل فيها الأضعف إلى الأقوى.

و مثلما كان مكى رائد نظرية القوة و الضعف في الأصوات كذلك كان رائداً في تطبيق هذه النظرية على موضوع الإدغام، فقد بحث هذا في كتابيه (الرعاية) و (الكشف). فمما قاله في الأول: «و القوى من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة» (٣). و قال أيضاً: «و إنما ينقل أبداً الأضعف إلى الأقوى، إذا تقاربت المخارج، ليقوى الكلام، فهذا هو الأكثر في الأصل، و ربما خالف اليسير ذلك لعلّه توجهه، و إذا نقل الأقوى إلى الأضعف ضعف الكلام» (٤).

و مما قاله مكى في (الكشف): «و ليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف، و إنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا

أن يردوا الأضعف إلى الأقوى» (٥). وهناك نص تضمن عرضا مفصلا لموضوع الإدغام من ناحية قوة الحروف و ضعفها مقرونا بالأمثلة، ورد في كتاب (الكشف)، أجد من تمام الموضوع إيراد بنصه، لا سيما أن أحدا من علماء (١) الخصائص ٢ / ١٣٩ - ١٤٥، و انظر: حسام النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ص ٣٣٩.

(٢) انظر ص ٣٢٨ من هذا البحث.

(٣) الرعاية ص ١٨٠.

(٤) الرعاية ص ١٨١.

(٥) الكشف ١ / ٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤١

التجويد لم يتطرق إلى هذا الموضوع بهذا الشكل من الشمول.

قال مكى: «و اعلم أن الإدغام إنما يحسن في غير المثلين و يقوى إذا سكن الأول، و هو على ضربين:

أحدهما: إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، و الحرف الأول أضعف من الثاني، فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة، لأنك تبدل من الأول حرفا من جنس الثاني، فإذا فعلت ذلك نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذلك حسن جيد.

و الضرب الثاني: أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين، فيحسن الإدغام، إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام. و ضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، و هو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني، فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام.

فالذى يزداد قوة مع الإدغام هو كإدغام التاء في الطاء نحو و قَالَ طَائِفَةٌ [آل عمران:

٧٢] و وَدَّتْ طَائِفَةٌ [آل عمران: ٦٩] لأن التاء حرف ضعيف للهمس الذى فيه، و الطاء حرف قوى للإطباق و الجهر و الاستعلاء و الشدة اللواتى فيها، فهو أقوى من التاء كثيرا، فإذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف إلى قوة مكررة، فهذا لا تكاد العرب تظهره، و كذلك أجمع القراء على الإدغام فى هذا.

فإن نقصت قوة الحرف الثانى، و هو مع نقص قوته أقوى من الأول حسن الإدغام و الإظهار نحو لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ [الحج: ٤٠] و حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا [الأنعام: ١٤٦] لأن الصاد نقصت عن قوة الطاء لعدم الجهر، و كون الهمس فيها، و الطاء نقصت عن قوة الطاء لعدم الشدة، و كون الرخاوة فيها.

و الذى تتساوى قوة الحرفين فيه إدغام الذال فى التاء «١». و ذلك أن الذال فيها ضعف و قوة، فالضعف من جهة أنها رخوة، و القوة من جهة أنها مجهورة. كذلك التاء فيها ضعف و قوة، فالضعف من جهة أنها مهموسة، و القوة من جهة أنها شديدة، فقد تقاربتا فى القوة، و الضعف من صفاتها، فجواز الإدغام حسن، و الأول حسن فى الإدغام، لأنك تزيد الحرف الأول قوة بالإدغام.

و الذى يقبح الإدغام فيه لقوة الأول و ضعف الثانى نحو إدغام الراء فى (١) مثل أَخَذْتُمْ فى آل عمران ٨١، و عُذْتُ فى غافر ٢٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٢

اللام «١»، و هو قبيح لقوة الراء بالجهر و التكرير اللذين فيه، و ضعف اللام لعدم التكرير فيه، و ضعف الجهر فيه، فإذا أدغمت نقلت الأقوى إلى الأضعف، و ذلك مكروه ضعيف، فقس عليه هذا فإنه الأصل الذى يعتمد عليه «٢».

و كان الدانى قد أشار إلى ذلك المعنى حيث قال: «... فلا يدغم الأفضل فى الأنقص لذلك، و يدغم الأنقص فى الأفضل لأنه يخرج بذلك إلى الحرف الأقوى، و إخراج الأضعف إلى الأقوى جائز لأنه يقوى فيه» «٣».

## إشارة

هذا مصطلح استخدمه عبد الوهاب القرطبي ليدل به على معنى خاص يتعلق بصفات الحروف التي يمكن أن تؤثر في الأصوات المجاورة. فالصوت المجهور يمكن أن يؤثر على الصوت المهموس، و الصوت المطبق يمكن أن يؤثر على الصوت المنفتح، و الصوت الأنفي (الأغن) يمكن أن يؤثر على الفموى. و قد خصص مبحثا طويلا لدراسة الظواهر المتعلقة بهذا الموضوع «٥».

و قد وضع القرطبي في مطلع كلامه السبب الذي من أجله دخلت شوائب الحروف بعضها على بعض فقال: «فأحسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض، فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، إما بتفخيم، أو إطباق، أو تفش أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزية فيه لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذب به إلى حيزه و يسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما. و الذي ينبغي أن يعتمد القارئ في ذلك حسن التخلص منه بإفراد كل منهما بمزيتة و التعامل لإيراده بخاصيته» «٦».

و لم يكن عبد الوهاب القرطبي الوحيد بين علماء التجويد الذي عالج موضوع الشوائب، (١) مثل يَعْفِرُ لَكُمْ في نوح ٤. (٢) الكشف ١/ ١٣٥-١٣٦.

(٣) الإدغام الكبير ٦ ظ.

(٤) الشوب- في اللغة- الخلط، و الشائبة واحدة الشوائب، و هي الأقدار و الأذناس (لسان العرب ١/ ٤٩٢-٤٩٤ شوب) و الشائبة أيضا: الشيء الغريب يختلط بغيره (المعجم الوسيط ١/ ٥٠١ شوب).

(٥) الموضح ١٧٩ ظ- ١٨٢ ظ.

(٦) الموضح ١٧٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٣

فهناك عدد من العلماء لا سيما من المتقدمين يشاركونه في ذلك، إلا أنه يمكن القول، بقدر ما يتيسر من معلومات، أن عبد الوهاب القرطبي انفرد باستخدام مصطلح شوائب الحروف.

و تكاد معظم الحالات التي رصدها علماء التجويد في موضوع الشوائب تندرج في الظواهر الصوتية التي لا يقرها الاستخدام اللغوي، حتى على مستوى اللهجات، و إنما اعتنى بها علماء التجويد حرصا منهم على تقديم صورة الصحيح، و توضيح ما يمكن أن يشوب ذلك النطق من شوائب الانحراف، بسبب تجاور الحروف في الكلام المتصل و ميلها إلى التماثل و الاقتصاد بالمجهود، و مع ذلك فإن عناية علماء التجويد بمثل هذا النوع من الظواهر الصوتية يدل على عمق النظرة في فهم تلك الظواهر التي لو سمح لها بالظهور لأدت إلى تطور النطق العربي دون ضوابط واضحة و لا حدود مرسومة، و لتغير نطق القرآن الكريم، و هو ما جاهد علماء التجويد قرونا من أجل الحيلولة دون وقوعه، و تكفل جهدهم بالنجاح الذي نلمس مظاهره في النطق العربي الفصيح اليوم.

و بإمكان المدارس أن يقدم عشرات الأمثلة التي توضح عناية علماء التجويد بما يمكن أن ينتج عن تجاور الأصوات في الكلام، سواء من الظواهر الصوتية المعترف بها في مستوى اللغة الفصيح أم من الظواهر التي تعد من باب اللحن الذي هو في حقيقته تغير صوتي يخضع لقوانين صوتية معينة، و سوف أكتفي هنا بإيراد عدد من الأمثلة مبوبة حسب نوع الشائبة الصوتية، أي الصفة التي أثرت في الصوت المجاور، مثل الجهر و الهمس، و الإطباق و الانفتاح، و الأنفية.

## أ- الجهر و الهمس:

نقلنا في صدر المبحث الأول من هذا الفصل مقولة الداني في تأثير الأصوات المجهورة في المهموسة و المهموسة في المجهورة إذا



تجاوزت «١». و هو أمر لا شك فيه، و تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة «٢». و هذه أمثلة لتأثر الأصوات المهموسة بمجاورة الأصوات المجهورة، مما لاحظته علماء التجويد:

١- س ج- ز ج، قال مكي: «و إذا سكنت السين و أت بعدها جيم، و جب بيان السين، لثلا يذهب اللفظ بها إلى الزاي، لأن الزاي بالجيم أشبه من السين بالجيم، لأن السين مهموسة و الجيم مجهورة، و الزاي مجهورة فهي بالجيم أشبه، و هي من مخرج السين، فاللفظ (١) انظر ص ٣٨٨ من هذا البحث.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٨٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٤

يبادر إلى الزاي في موضع السين، لاتفاقها مع الجيم في الجهر، ولأنها من مخرج السين.

و ذلك نحو قوله تعالى: وَ اسْجُدْ [العلق: ١٩] وَ الْمَسْجِدِ [البقرة: ١٤٤] وَ اسْجُدِ [آل عمران: ٤٣] وَ يُسْجِرُونَ [غافر: ٧٢] وَ الْمَسْجُورِ [الطور: ٦] و شبهه. لا بد من التحفظ بإظهار لفظ السين لثلا تصير زاء» «١».

٢- ص د- (ز) د. قال عبد الوهاب القرطبي: «و كذلك إذا سكنت أيضا (أى الصاد) قبل دال في مثل قوله: وَ مَنْ أَصْدَقُ [النساء: ٨٧] وَ وَ تَصْدِيغُ [الأنفال: ٣٥] وَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر: ٩٤]. أخلص إطباقها، و إلّا صارت زاء لأن الزاي أخت الصاد في الصفير و أخت الدال في الجهر، فالدال تجذب الصاد إليها، و هو قبيح عند الجماعة، ما خلا حمزة و الكسائي، فإنهما يلفظان الصاد مشوبة زاء» «٢».

و هذا الصوت الذي يحذر منه ليس في الحقيقة زاء خالصة، إنما هو مجهور الصاد، و هو أحد الحروف الفرعية المستحسنة، الذي يوصف بأنه الصاد التي كالزاي، أى الصاد التي لحقها الجهر. و مثله الشين التي كالجيم في مثل (أشدرق) حيث تصير الشين مجهورة «٣».

و هناك أمثلة أخرى نكتفي بالإشارة إليها من غير نقل ما قاله علماء التجويد عنها، و ذلك مثل تحذيرهم من جهر الحاء في نحو قوله تعالى فَاصْفَحْ عَنْهُمْ [الزخرف: ٨٩] «٤». و جهر التاء التي قبل الدال في نحو قوله: أَعْتَدْنَا [النساء: ١٨] «٥».

و من أمثلة تأثر الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة:

١- ع ث- ح ث: قال الداني: «و كذا إن التقى (العين) بالثاء و الفاء و التاء و الشين و الصاد و سائر حروف الهمس لخص و بين، و إلّا ربما انقلب حاء، لما بين الحاء و بينهن من المشاركة في الهمس. نحو قوله تعالى يَوْمِ الْبَعْثِ [الروم: ٥٦]، وَ لَا بَعَثُكُمْ [لقمان:

٢٨]، وَ لَا تَعْتَوُوا [البقرة: ٦٠]، وَ أَعْتَرْنَا [الكهف: ٢١]، وَ فَاعْتَفُوا [البقرة:

١٠٩]، وَ لِيَعْفُوا [النور: ٢٢]، وَ يَعْفُونَ [البقرة: ٢٣٧]، وَ فَاعْتَرَفُوا [الملك:

١١]، وَ فَاعْتَلَوْهُ [الدخان: ٤٧]، وَ يَعْتَدُونَ [البقرة: ٦١]، وَ وَ لَا تَعْتَدُوا (١) الرعاية ص ١٨٨، و انظر: الداني: التحديد ٣٥، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨١ ظ.

(٢) الموضح ١٨٠. و انظر: السعيدى: التنبيه ٥٠ ظ، و مكي: الرعاية ص ١٩٢، و الداني: التحديد ٣٤ ظ.

(٣) انظر سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٣٢، و القرطبي: الموضح ١٥٤ و.

(٤) مكي: الرعاية ص ١٤٠، و عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٧٦ و.

(٥) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٥

[البقرة: ١٩٠]، و يا مَعْشَرَ [الأنعام: ١٢٨]، وَ وَ مَنِ يَعْشُ [الزخرف: ٣٦]، وَ مِعْشَارَ [سبأ: ٤٥]، وَ وَ مَنِ يَعْصِ [النساء: ١٤]، وَ إِغْصَارُ [البقرة: ٢٦٦]، وَ الْمَعْصِرَاتِ [النبا: ١٤]، وَ يَعْصِرُونَ [يوسف: ٤٩]، وَ أُمَّتَعَنَّ [الأحزاب: ٢٨]، وَ يُمَتِّعُكُمْ [هود: ٣]، و شبهه» «١».

٢- غ ش- خ ش: قال عبد الوهاب القرطبي: «و كذلك الغين إذا سكنت و بعدها شيء من حروف الهمس، في مثل قوله تعالى:

فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ [المائدة: ٦]، فَاغْسِينَاهُمْ [يس: ٩]، مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ [ص: ٤٢]، إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ [البقرة: ٢٤٩]، لَوْ تَغْفُلُونَ [النساء: ١٠٢]، مَنْ أَعْفَلْنَا [الكهف: ٢٨]، وَيَغْفِرُ لَكُمْ [آل عمران: ٣١]، أَلْبَلَّغَهُ مَأْمَنَهُ [التوبة: ٦]، يَبْدِكَ ضِعْفًا [ص: ٤٤]، وما أشبه ذلك. وجب أن يؤتى بها بألف ما يمكن لتخلص من شائبة الخاء

لقرب الغين من الخاء و مشاركة هذه الحروف للخاء في الهمس، سيما مع الشين في مثل قوله تعالى فَاغْسِينَاهُمْ [يس: ٩] و اسْتَعْسَوْا ثِيَابَهُمْ [نوح: ٧]، فإن ذلك أوقع في الشائبة، فبته عليه من أجله «٢».

٣- ج ت- (ش) ت: قال السعيدى: «و مما يحفظ أيضا بيان الجيم عند التاء في قوله اجْتَبَاهُ [النحل: ١٢١]، و وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ [يوسف: ٦]، و فَاجْتَبِيُوا الرُّجَسَ [الحج: ٣٠]، و اجْتَبِيُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج: ٣٠]، و الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ [الجاثية: ٢١]، و فَاقْصِمْ وَجْهَكَ [الروم: ٣٠]، و ما أشبهها، يؤمر القارئ ببيان ذلك جيدا لثلاثا تختلط بالشين» «٣». و الجيم إذا اختلطت بالشين فإن ذلك يعنى أنها صارت مهموسة، و هى حينئذ تمثل أحد الحروف الفرعية العربية غير المستحسنة «٤».

و هناك أمثلة أخرى لتأثر الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة، نحو الدال إذا جاورت الخاء تصير تاء إذا لم يتعمل لإظهار جهرها «٥»، و ذلك فى مثل يَدْخُلُونَ [النساء: ١٢٤]، و كذلك الظاء إذا جاورتها الفاء تصير (تاء مطبقة) إذا لم يعتن (١) التحديد ٢٦ ظ، و انظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح ١٨٢ و.

(٢) الموضح ١٨٢ و، و انظر السعيدى: التنبيه ٥٠ و، و مكى: الرعاية ص ١٤٤، و الدانى: التحديد ٢٧ و.

(٣) التنبيه ٥٠ و، و انظر: مكى: الرعاية ص ١٥١، و الدانى: التحديد ٢٨ ظ، و القرطبي: الموضح ١٨١ و.

و العطاء: التمهيدي ١٥٢ ظ.

(٤) انظر: سيويوه: الكتاب ٤ / ٤٣٢ و القرطبي: الموضح ١٥٥ و، و السيوطى: همع الهوامع ٦ / ٢٩٥.

(٥) السعيدى: التنبيه ٥٠ و، و الدانى: التحديد ٣٢ و، و القرطبي: الموضح ١٨٠ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٦

بجهرها «١»، فى مثل اذكر [الفتح: ٢٤]. و كذلك الذال الساكنة إذا أتى بعدها كاف فى مثل و اذكر [آل عمران: ٤١] و جب أن تصان عن شائبة التاء «٢»، و الزاى الساكنة إذا أتى بعدها تاء فى مثل كَنْزْتُمْ [التوبة: ٣٥] تهيأت أن تصير سينا بمجاورة التاء «٣».

## ب- الإطباق و الانفتاح:

فى العربية أربعة أصوات مطبقة هى الطاء و الظاء و الصاد و الضاد، فإذا وقع قبل أحد هذه الأصوات صوت ساكن منفتح، و كان له نظير مطبق، انقلب إلى نظيره المطبق بتأثير الإطباق فى الصوت الذى يليه. و كذلك تؤثر حروف الاستعلاء مثل تأثير حروف الإطباق. و كذلك تفعل الراء المفخمة، لأن الإطباق و الاستعلاء و التفخيم من واد واحد. و هذه أمثلة تبين إدراك علماء التجويد لتلك الظاهرة.

١- س ص- ص ط: قال عبد الوهاب القرطبي: «و من ذلك السين إذا كانت ساكنة مع حرف من حروف الإطباق فى كلمة، كقوله تعالى: وَزُنُوا بِالْقِسْطِ [الإسراء: ٣٥]، فَمَا اسْطَاعُوا [الكهف: ٩٧]، يَسْطُونَ بِالَّذِينَ [الحج: ٧٢]، تَسْطَعُ [الكهف:

٨٢]، بَسَّطَهُ فِي الْعَالَمِ [البقرة: ٢٤٧]، و لا- تَبَسَّطَهَا كَلَّ التَّبَسُّطِ [الإسراء: ٢٩]، و كذلك إن تحركت فى مثل قوله بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ [الشورى: ٢٧] و بَسَّطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ [المائدة: ٢٨] فتوصل إلى تخليص السين من الإطباق فى رفق و توده لثلاثا تصير صادًا بالقرب من حروف الإطباق.

و كذلك إن أتى قبله أو بعده حرف من حروف الاستعلاء، مثل قوله تعالى: لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [القيامة: ١]، و أَقْسَمُوا بِاللَّهِ [الأنعام: ١٠٩]، و لا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ [إبراهيم:

[١٧]، ذِي مَسْعَبَةٍ [البلد: ١٤]، إِنْ تَشَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ [هود: ٣٨]، فتوصل إلى اللفظ به برقة في حال سكونه و حركته كراهية أن يتحول صادًا، لأن مجاورة الاستعلاء كمجاورة الإطباق.

و كذلك إن اتصل براء مفخمة توصل إلى النطق به في رقة و رفق لثلا يصير صادًا بتفخيم الراء، لأن التفخيم و الإطباق و الاستعلاء من واد واحد، في مثل قوله تعالى: سَرْمَدًا (١) الداني: التحديد ٣٣، و القرطبي: الموضح ١٨٢ ظ.

(٢) الداني: التحديد ٣٣ ظ، و القرطبي: الموضح ١٨٠ ظ.

(٣) مكى: الرعاية ص ١٨٤، و القرطبي: الموضح ١٨١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٧

[القصص: ٧١]، وَ قَدَّرَ فِي السَّرِّدِ [سبأ: ١١]، وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [نوح: ٩]... «١».

٢- ت ط - ظ: قال عبد الوهاب القرطبي أيضا: «التاء إذا جاورت حرفا من حروف الإطباق فيين همسها و أحسن تخليصها من الإطباق، و إلا- صارت طاء في مثل قوله تعالى فَاحْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ [الكهف: ٤٥]، مِنْ اسْتِطَعَتْ مِنْهُمْ [الإسراء: ٦٤] وَ لَا- تُطْع [الكهف: ٢٨]، لَا- تَطْلُمُونَ وَ لَا- تُظْلَمُونَ [البقرة: ٢٧٩]، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ [محمد: ٤]، وَ أَنْ تَصْبِرُوا [النساء: ٢٥] و كذلك أَعْرَضْتُمْ [الإسراء: ٦٧] و شبهه.

و ذلك لأن التاء من مخرج الطاء، و إنما تمتاز الطاء بالإطباق، فإذا جاورها إطباق شابتها شائبة لذلك. و وَ سَيُجِيبُهَا الْأَتَقَى [الليل: ١٧]، وَ رَتَقًا [الأنبياء: ٣٠]، وَ أَتَقَنَ [النمل: ٨٨]، فإنه يخاف عليها أن تشوبها الطاء، لما قدمناه من أن الاستعلاء نظير الإطباق «٢».

٣- ذر - ظ ر: قال الداني: «فإن التقى (الذال) بالراء فيلزم إنعام بيانه و تكلف تلخيصه، و يلفظ به رقيقا و بالراء بعده مفخمة و لا يتساهل في ذلك، و إلا ربما انقلب الذال ظاء ... و ذلك نحو قوله تعالى: أَنْذَرْتُكُمْ [فصلت: ١٣] و إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ [الأحقاف: ٢١] و ما كَانَ يَعْبُدُ [الأعراف: ٧٠]... «٣».

و كما أن الصوت المطبق يؤثر في الصوت المنفتح إذا جاوره، كذلك لاحظ علماء التجويد أن الصوت المطبق يتأثر بمجاورة الصوت المنفتح، و يزول عنه الإطباق إذا لم يتحفظ بيانه، و هذه أقوال علماء التجويد التي توضح ذلك:

١- ط ف - ت ف: قال الداني: «و إذا وقع قبله (أى قبل الفاء) طاء أنعم بيان الطاء، لثلا ينقلب تاء، لما بين التاء و الفاء من الاشتراك في الهمس. و ذلك نحو مِنْ نُظْفَمَةٍ [النحل: ٤]، وَ الْخُطْفَمَةَ [الصفاء: ١٠]، وَ الْأَطْفَالَ [النور: ٥٩]، وَ لِيُطْفِئُوا [الصف: ٨]، وَ أَطْفَأَهَا اللَّهُ [المائدة: ٦٤] و ما أشبهه» (٤). و لا شك في أن انفتاح الفاء يؤثر على الطاء فيؤدي إلى زوال الإطباق فيها فتصير تاء، إذا لم ينعم بيانها.

٢- ص ت - س ت: قال مكى: «و إذا وقع بعد الصاد تاء المخبر أو تاء المخاطب (١) الموضح ١٨٠، و انظر: مكى: الرعاية ص ١٨٦، و الداني: التحديد ٣٤ ظ.

(٢) الموضح ١٨١ ظ، و انظر: مكى: الرعاية ص ١٨٠، و الداني: التحديد ٣٢ و- ٣٢ ظ.

(٣) التحديد ٣٣، و انظر: مكى: الرعاية ص ١٩٨، و القرطبي: الموضح ١٦٠ و.

(٤) التحديد ٤٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٨

بادر اللسان إلى لفظ السين في موضع الصاد، لأن السين أقرب إلى التاء من الصاد إلى التاء، إذ السين و التاء ليس فيهما إطباق و لا استعلاء مثل ما في الصاد، و كلاهما مهموس ... و ذلك نحو قوله حَرَضْتُمْ [النساء: ١٢٩]، وَ وَ لَوْ حَرَضْتَ [يوسف: ١٠٣] و شبهه» (١).

يتميز النون و الميم بأنهما أنفيان، أى أن النفس يخرج أثناء النطق بهما من الأنف، و هو ما يسميه علماء العربية و علماء التجويد بالغنة. و لما كانت النون يعتمد لها بطرف اللسان فقد شاركت مجموعة كبيرة من الأصوات فى ذلك. و من ثم فإن غنة النون ربما لحقت أصوات طرف اللسان إذا وقعت ساكنة قبل النون، و هو أمر يحذر منه علماء التجويد كثيرا لأنه يؤدي إلى خلل فى نطق الألفاظ. و لدينا عدة نصوص توضح عناية علماء التجويد بأصوات طرف اللسان إذا وقعت ساكنة قبل النون خشية أن تلحقها صفة الأنفية، منها:

١- ل ن- ن ن: حظيت هذه الحالة بعناية علماء التجويد، و يكفى أن أشير إلى أن الجيل الأول لكبار علماء التجويد قد أشع هذه الحالة بحثا، مثل السعيدى، و مكى، و الدانى، و القرطبي. و سوف أقتبس بعضا من أقوالهم من غير محاولة تقصى كل ما قالوه فى ذلك فإنه يخرج بنا إلى إطالة لا يحتملها البحث.

قال السعيدى: «و مما يحفظ أيضا تخلص اللامات إذا سكنت عند النونات، و تخفيف النون بعدها، فى مثل قوله: أَرْزَلْنَا، و أَرْسَلْنَا، و جَعَلْنَا، و قُلْنَا، و شبههن. و يحتاج ذلك إلى حذق، لأن كثيرا من الناس ربما يتكلف لسكونها فيحركها و هو لا يدري. فإذا أردت اللفظ بها على حسب ما يجب ألصقت طرف لسانك بما يليه من الحنك من مخرج اللام، ثم نطقت بنون فتحرك بها لسانك حركة خفيفة من غير أن تضطرب اللام عند خروج النون، فإن ذلك يؤدي إلى الحركة، و يتكلف عندها لثلا تتشرب غنة النون، لأنهما قريبتا المخرج فربما يختلطان» (٢).

و قال مكى: «و إذا سكنت اللام و أتت بعدها نون و جب التحفظ ببيان اللام ساكنة، لثلا تندغم فى النون للتناسب الذى بينهما ...» (٣).

و روى أبو عمرو الدانى عن أحمد بن نصر بن منصور الشذائى، تلميذ ابن مجاهد، أنه (١) الرعاية ص ١٩٣.

(٢) التنبيه ٥٠ ظ، و انظر: القرطبي: الموضح ١٧٤ ظ، و العطار: التمهيد ١٥٤ و.

(٣) الرعاية ص ١٦٢، و انظر: الدانى: التحديد ٣٨، و ابن الباذش: الإقناع ١/١٩٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٤٩

قال: «و جدت جماعة قراءوا على شيخنا (يعنى ابن مجاهد) و على غيره من القراء لا يفرقون بين وَاَلْنَا [سبأ: ١٠] و وَأَسَلْنَا [سبأ: ١٢]...» (١). ثم بين الدانى الفرق بينهما، و هو ينحصر فى أن لام الفعل فى أَلْنَا نون و فى أَسَلْنَا لام، و إذا لم يعتن القارئ بها ربما صارت فى اللفظ (أَسْنَا) و هو لحن.

٢- ر ن- ن ن: قال الدانى: و إن التقى (الراء) بالنون تعمّل بيانه، و إلا- صار نونا مدغمه، نحو: فَبَشَّرْنَا [الصفافات: ١٠١] و بَشَّرْنَاكَ [الحجر: ٥٥]...» (٢).

٣- ظ ن- ن ن: قال عبد الوهاب القرطبي: «الظاء إذا سكنت و بعدها نون فى مثل وَحَفِظْنَا [الحجر: ١٧] ينبغى أن تشحّ (٣) عليها لثلا تنقلب نونا و تندغم فى النون فتصير: حفنّاه، و هو عادة قبيحة» (٤).

٤- ذ ن- ن ن: و قال الدانى: «و كذلك ينبغى أن يتعمل بيانه (أى الدال) عند النون فى نحو قوله: و إِذْ أَخَذْنَا [البقرة: ٦٣] و وَأَخَذْنَا [النساء: ٢١]... و إِذْ نَادَى [مريم: ٣] و شبهه، و إلا ربما اندغم» (٥).

٥- د ن- ن ن: قال مكى: «فإذا سكنت الدال و أتت بعدها نون و جب أن تبين الدال، لثلا تخفى عند النون لسكونها، و اشتراكهما فى الجهر، و تقارب مخارجهما. و ذلك نحو قوله أَدْنَى [البقرة: ٦١]، و وَعَاذْنَا [البقرة: ٥١]، و فَوَجَدْنَا [الجن: ٨]، و وَأَمِدَدْنَاكُمْ [الإسراء: ٦]، و وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ [آل عمران: ١٢٣]، و رَدَدْنَا [الإسراء: ٦] و شبهه» (٦).

\*\*\* إن عناية علماء التجويد بما تحدّثه الحروف بعضها فى بعض، إذا تجاوزت فى الكلمة الواحدة أو عند اتصال الكلمات فى الكلام المتصل، من تأثير- يدل على الحس المرهف و الملاحظة الدقيقة التى كانوا يتمتعون بها، فهذه الظواهر الصوتية هى من اللحن الخفى الذى (١) التحديد ٢٣ و.

(٢) التحديد ٣٦ و. وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٧ و.

(٣) شح عليه: حرص (المعجم الوسيط ١/ ٤٧٦ شح).

(٤) الموضح ١٧٦ ظ.

(٥) التحديد ٣٣ ظ.

(٦) الرعاية ص ١٧٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٠

لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء و مشاهير العلماء.

و كان لاهتمام علماء التجويد بوصف تلك الظواهر الصوتية أثر في ترسيخ النطق الصحيح و اجتناب بوادر اللحن الخفى التي وضع تحذير علماء التجويد منها حدا لجريانها على الألسنة و حال دون غلبتها، لأن ألسنة الناطقين تميل نحو السهولة و الاقتصاد بالمجهود، و لو ترك الأمر من غير ضوابط لأدى تراكم تلك الانحرافات إلى تغير النطق العربى و ابتعاده عن صورته الأولى التي كانت سائده فى وقت نزول القرآن الكريم، لكن جهود علماء القراءة فى التلقى الشفوى، و جهود علماء التجويد فى دراسة الأصوات العربية و توضيح خصائص النطق الفصيح تكاملت مع جهود علماء العربية التي أدت مجتمعة إلى المحافظة على اللغة العربية حية، بعيدة عن التطور الصوتى الذى يؤدي إلى تغيير ملامحها الأساسية.

و كان تحليل علماء التجويد لتلك الظواهر الصوتية يبنى على معرفة تامة بخصائص الأصوات، و خبرة واسعة فى طرائق النطق، فلم يكن اكتشاف تلك الظواهر الصوتية و رصدتها و توضيحها و تحذير الناطقين منها إلا دليلا على تلك المعرفة و هذه الخبرة، و هذا أمر ينتقل بالدرس الصوتى العربى إلى المستوى التطبيق العملى الذى لا تزال الدراسات الصوتية العربية الحديثة تفتقر إليه.

### ثالثا- ظواهر الإدغام التي عالجها علماء التجويد:

كانت عناية علماء التجويد الأوائل مثل مكى و الدانى و عبد الوهاب القرطبي متجهة إلى ظواهر الإدغام المتفق عليها بين القراء، خاصة إدغام لام التعريف، و النون الساكنة و التنوين، أما ما اختلف القراء فى إدغامه فإنهم لم يتعرضوا له فى كتب علم التجويد، إنما يذكره العلماء فى كتب القراءات.

و ظل ذلك منهج علماء التجويد فى دراسة موضوع الإدغام، إلا أن بعض المتأخرين من علماء التجويد صاروا يشيرون إلى بعض ظواهر الإدغام المختلف فيها. و سوف ألخص وجهة نظر محمد المرعشى (ت ١١٥٠هـ) فى هذا الموضوع، و هو يمثل رأى علماء التجويد المتأخرين فى طريقة دراسة ظواهر الإدغام.

قال المرعشى: «و اعلم أن بيان الإدغام على رأى أهل العربية مستوفى فى كتب التصريف. و المقصود فى هذه الرسالة بيان ما وقع فى القرآن من الإدغام مما اتفقت القراء و أهل الأداء و اختلفوا فيه، و لا نذكر من المختلف فيه إلا الإدغام الصغير، لأن الإدغام الكبير لم يقع فى قراءة عاصم أصلا. و هنا فصلان:

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥١

الفصل الأول: فى إدغام المثليين:

اعلم أن المثليين إذا سكن أولهما يجب الإدغام عند أهل اللغة و القراء و أهل الأداء، بلا خلاف سواء كانا فى كلمة نحو يُدْرِكُكُمْ المَوْتُ [النساء: ٧٨] أو فى كلمتين نحو اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ [البقرة: ٦٠] و إِذْ ذَهَبَ [الأنبياء: ٨٧]، آوُوا وَ نَصَرُوا [الأنفال:

٧٢]، إلا إذا كان الأول حرف مد ...

الفصل الثانى: فى إدغام المتقاربين اللذين سكن أولهما، و الواقع منه فى القرآن أخذ عشر نوعا ... «١» ثم بين المرعشى تلك الأنواع،

و هذا ملخص ما قاله فيها: «٢».

النوع الأول: إدغام الذال المعجمة في مقاربها، اتفق القراء على إدغام ذال (إذ) في الطاء في نحو إِذْ ظَلَمُوا [النساء: ٦٤]. ثم إن القراء اختلفوا في إدغام الذال في التاء في نحو فَبَدَّتْهَا «٣»، و عُدْتُ [غافر: ٢٧]، و اتَّخَذْتُمْ [البقرة: ٥١] و أمثالها. وكذا اختلفوا في إدغام ذال (إذ) في ستة أحرف: في التاء، و الدال، و السين، و الصاد، و الزاي، و الجيم، و قد أظهرها عاصم في الجميع.

النوع الثاني: إدغام التاء المثناة في مقاربها، و لم يأت في القرآن بعدها من مقاربها إلا- الذال و التاء. أما الذال ففي يَلْهَثْ ذَلِكَ [الأعراف: ١٧٦] لا غير، و قد اختلفوا في إدغام التاء و إظهاره. و عاصم يدغمه. و أما في التاء ففي لَبِثَتْ [البقرة: ٢٥٩]، و لَبِثْتُمْ [الإسراء: ٥٢]، و أَوْرَثْتُمُوهَا [الأعراف: ٤٣]، اختلفوا في إدغام التاء في التاء، و عاصم يظهره.

النوع الثالث: إدغام الدال المهملة في مقاربها. اتفق القراء على إدغام الدال في التاء إذا كانا في كلمة نحو عَيَّدْتُمْ [الكافرون: ٤]، و أَرَدْتُ [هود: ٣٤]. و اختلفوا في إدغامه في التاء في قوله و مَنْ يَرِدْ تَوَابَ [آل عمران: ١٤٥]، و عاصم يظهره. أما دال (قد) فقد اتفقوا على إدغامها في التاء نحو قَدْ تَبَيَّنَ [البقرة: ٢٥٦] و اختلفوا في إدغامه في ثمانية أحرف: الجيم، و الذال، و الزاي، و السين، و الشين، و الصاد، و الضاد، (١) جهد المقل ٢٥ و- ٢٥ ظ.

(٢) جهد المقل ٢٦ ظ- ٢٨ و. و ينظر أيضا عن القراءات الواردة هنا: مكى: الكشف ١/ ١٤٤- ١٦٠، و الداني: التيسير ص ٤١- ٤٥.

(٣) في سورة طه آية ٩٦ (فبذتها).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٢

و الطاء، و اختار عاصم في الجميع الإظهار.

النوع الرابع: إدغام التاء في مقاربها. اتفق القراء على إدغام التاء في الطاء و الدال نحو و قَالَتْ طَائِفَةٌ [آل عمران: ٧٢] و وَدَّتْ طَائِفَةٌ [آل عمران: ٦٩] و أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا [يونس: ٨٩]. و اختلفوا في إدغام تاء التانيث المتصلة بالفعل في ستة أحرف:

التاء، و الجيم، و الزاي، و السين، و الصاد، و الضاد، و الطاء. و اختار عاصم في الجميع الإظهار.

النوع الخامس: إدغام الطاء في مقاربها، و الواقع منه في القرآن إدغامها في التاء فقط، نحو أَحَطَّتْ [النمل: ٢٢] و بَسَطَتْ [المائدة: ٢٨]، و فَرَّطَتْ [الزمر: ٥٦]، و فَرَّطْتُمْ [يوسف: ٨٠]. اتفق القراء على إدغام الطاء في التاء مع إبقاء صوت الإطباق، و سموه إدغاما ناقصا. و اختلفوا في حقيقته، و سوف أعود إلى مناقشته بعد أن أفرغ من عرض ملخص ما قاله المرعشي في أنواع الإدغام.

النوع السادس: إدغام الباء في مقاربها. اختلف القراء في إدغامها في الميم في يا بَنِيَّ اِرْكَبْ مَعَنَا [هود: ٤٢]، أدغمه عاصم و بعض القراء. و اختلفوا أيضا في إدغامها في الفاء حيث وقع، نحو قوله تعالى: أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ [النساء: ٧٤] و شبهه. أظهره عاصم و بعض القراء.

النوع السابع: إدغام الفاء في مقاربها، اختلفوا في إدغامها في الباء في قوله تعالى نَحْسِفُ بِهِمْ [سبأ: ٩]. أدغمه الكسائي و أظهره الباقون.

النوع الثامن: إدغام القاف في مقاربها، اتفق مشايخ الأداء على إدغام القاف في الكاف في نحو قوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ [المرسلات: ٢٠]، لكن اختلفوا في بقاء استعلاء القاف مع الإدغام و عدم بقائه، و سوف أناقش ذلك في موضوع الإدغام التام و الإدغام الناقص بعد قليل.

النوع التاسع: إدغام اللام في مقاربها، اعلم أن اللام إما حرف تعريف أو لا. فإذا لم يكن حرف تعريف فالقراء اتفقوا على إدغامها في الراء نحو بَلْ رَانَ [المطففين: ١٤] و قُلْ رَبِّ [المؤمنون: ٩٣] إلا حفصا فإنه يسكت على (بل)، و من ثم فات الإدغام.

و اختلفوا في إدغام (هل و بل) في ثمانية أحرف هي: التاء، و التاء، و الزاي، و السين، و الضاد، و الطاء، و الطاء، و النون. و قد اختار عاصم الإظهار في الجميع. و ليس كل من (هل و بل) تلتقى في القرآن مع كل من الحروف الثمانية، و إنما تختص كل واحدة منهما



ببعض الحروف و تشتركان في بعض.

و إذا كانت اللام حرف تعريف فإنهم يدغمونها وجوبا في أربعة عشر حرفا، و هي: اللام

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٣

و التاء و الثاء و الدال و الذال و الراء و الزاي و السين و الشين و الصاد و الضاد و الطاء و الظاء، و النون. و أسماء الحروف كافية عن الأمثلة كما يقول المرعشي. و تسمى هذه الحروف شمسية. و يظهرونها وجوبا فيما عداها، و هي أربعة عشر حرفا، و تسمى قمرية، و الألف لا تقع أولا لأنها مدهة، و من ثم لم تدخل عليها لام التعريف.

تتميم لكلام المرعشي عن لام التعريف: عد بعض علماء التجويد المتقدمين الحروف التي تدغم فيها لام التعريف ثلاثة عشر حرفا، بإسقاط اللام «١». و قد عداها بعضهم أربعة عشر حرفا «٢».

و يبدو أن تسمية ما تدغم فيه اللام بالحروف الشمسية و تسمية ما عداها بالقمرية ليست قديمة، فأقدم من ذكرها من المصادر التي اطلعت عليها هو ابن الجزري (ت ٨٣٢ هـ) و عبارته تشير إلى أنه ليس أول من استخدمها «٣». و علل ناصر الدين الطبري (ت ٩٦٦ هـ) تلك التسمية بقوله: «و تسميتها شمسية و قمرية من باب تسمية الكل باسم الجزء، و هو لام الشمس و القمر» «٤».

و علل مكي إدغام لام التعريف فيما أدغمت فيه بقوله: «و علل إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلما سكنت و لزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين. و الأول ساكن، و كثرة الاستعمال لها. مع أن أكثر هذه الحروف أقوى من اللام، ليس منها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء، فكان في إدغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك. و لا تدغم في باقي حروف الفم لتباعدها عن مخرج الفم منهن أو في الصفة أو في القوة» «٥». و قد حذر بعض علماء التجويد من إدغام لام التعريف في الجيم في مثل (الجنة) لمبادرة اللسان إلى ذلك، لأن الجيم أدنى الحروف القمرية إلى اللام «٦».

النوع العاشر: إدغام الراء في مقاربتها، و لم يأت في القرآن إدغامها في مقاربتها إلا في اللام نحو وَيَغْفِرْ لَكُمْ [آل عمران: ٣١] و وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ [الطور: ٤٨]. و لم يدغم فيها (١) الداني: التحديد ٣٨، و القرطبي: الموضح ١٧٢ ظ.

(٢) مكي: الكشف ١ / ١٤١.

(٣) النشر ١ / ٢٢١ - ٢٢٢.

(٤) مرشدة المشتغلين ٥.

(٥) الكشف ١ / ١٤١.

(٦) السعيدى: التنبيه ٥٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٤

غير أبي عمرو بن العلاء.

النوع الحادى عشر: إدغام النون الساكنة و لو تنوينا في مقاربتها. أما الميم الساكنة فلم تدغم في مقاربتها بل مثلها.

قال المرعشي: «و لما جرت العادة في كتب هذا الفن بإفراد أحوالهما بالتبويب نسلك مسلكهم و نضع بايين، الباب الأول في النون الساكنة و التنوين ... الباب الثانى في الميم الساكنة» «١».

و مذهب المرعشى في دراسة الظواهر الصوتية المتعلقة بالأصوات الأنفية (النون و الميم) في بايين منفصلين مذهب مقبول من حيث كثرة الأحكام التي تتعلق بالموضوع، إلى جانب أن معظم تلك الأحكام مما اتفق عليه القراء. و أفراد أحكام النون الساكنة و التنوين بباب مستقل اتجاه قديم يرجع إلى مؤلفات علم التجويد الأولى، مثل (الرعاية) لمكى، و (التحديد) للداني اللذين تضمن كل منهما بابا مستقلا في ذلك «٢». و ما زال هذا المنهج مناسباً لدراسة الموضوع فيما أعتقد.

و قبل أن نعرض أحكام الأصوات الأنفية (الغَن) لا بد من بيان حقيقة الإدغام الناقص، لكي يتضح إدغام الطاء في التاء و القاف في



الكاف المذكورين في النوعين الخامس و الثامن من أنواع الإدغام التي ذكرها المرعشي.

#### رابعا - حقيقة الإدغام الناقص:

يقسم علماء التجويد الإدغام إلى كامل و ناقص، على نحو ما ذكرنا من قبل. و الإدغام الناقص «هو إدغام الحرف المفخم في المرقق إذا تجانس الحرفان أو تقارب المخرجان، مع إبقاء صفة التفخيم، نحو: أحطت، و بسطت» (٣). و كذلك يدخل فيه إدغام الحرف المستعلى في الحرف المستفل و الأغن في غيره مع بقاء صفتيهما. قال المرعشي: «و الصفة الباقية من الحرف الأول: إما غنة، و هي في إدغام نون الساكنة و التنوين في الواو و الياء.

و إما إطباق، و هو في الطاء المهمله في التاء المثناة الفوقية نحو (أحطت). (١) جهد المقل ٢٨ و.

(٢) انظر: الرعاية ص ٢٣٦، و التحديد ٢٠ و.

(٣) النابلسي: كفاية المستفيد ١٧ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٥

و إما استعلاء، و هو في إدغام القاف في الكاف في ألم تَخْلُقُكُمْ ... (١)

و سوف نعالج إدغام النون الساكنة مع بقاء الغنة في الفقرة الآتية من هذا المبحث، حيث نناقش أحكام الأصوات الأنفية. و نكتفي هنا بتوضيح موقف علماء التجويد من إدغام الصوت المستعلى و الصوت المطبق، لا سيما أن إبقاء الغنة يختلف عن إبقاء صفة الإطباق و الاستعلاء، و ذلك راجع للاختلاف بين طبيعة الصوت المطبق و الصوت المستعلى و بين طبيعة الصوت الأغن (الأنفي).

و الكلام في هذا الموضوع قديم، ناقشه علماء العربية الأوائل، و لكن كلامهم فيه كان موجزا، و لم يتوغلوا فيه كما فعل علماء التجويد. و كان سبويه قد أشار إلى جواز إبقاء الإطباق و جواز إذهابه، فقال و هو يتحدث عن إدغام الطاء في الدال، و هو ينطبق على حكم إطباق الطاء في التاء، و قد صرح سبويه نفسه بذلك: «الطاء مع الدال، كقولك: اضبّد لما (اضبط دلما) لأنهما من موضع واحد، و هي مثلها في الشدة إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تذهبه ... و مثل ذلك إدغامهم النون فيما تدغم فيه بغنة. و بعض العرب يذهب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواء، أرادوا أن لا تخالفها إذ آثروا أن يقلبوها دالا، كما أنهم أدغموا بلا غنة. و كذلك الطاء مع التاء إلا- أن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلا، لأن الدال كالطاء في الجهر و التاء مهموسة. و كلّ عربي» (٢). و أكد سبويه هذا الموقف حين تحدث عن إدغام الصاد في السين في مثل (افحص سالما)، و قال: «تدع الإطباق على حاله، و إن شئت أذهبته» (٣).

و تحدث عن هذا الموضوع أيضا الفراء في كتابه (معاني القرآن)، و يتضمن حديثه موقفا جديدا. فكلام سبويه السابق يندرج في باب الإدغام المدبر (الرجعي) الذي هو أصل الإدغام في العربية، لكن كلام الفراء يذكر مذهباً للعرب في إدغام الحرف المطبق في مجانسه يندرج في باب الإدغام المقبل (التقدمي)، و ذلك حيث قال: «و قوله: فَقَالَ أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ [النمل: ٢٢]. قال بعض العرب: أحطّ، فأدخل الطاء مكان التاء. و العرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء. فيقولون: أحطّ، كما يحولون الطاء تاء في قوله أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ [الشعراء: ١٣٦] ...» (٤) و ذلك في (١) جهد المقل ٢٥ و.

(٢) الكتاب ١/ ٤٦٠.

(٣) الكتاب ١/ ٤٦١.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٨٩. و انظر أيضا ١/ ١٧٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٦

(أ و عظت) «١».

و يتلخص من كلام سبويه و الفراء أن للعرب في إدغام الطاء الساكنة إذا جاءت بعدها التاء في مثل (أحطت) ثلاثة مذاهب:

١- جعل الطاء تاء و إدغامها في التاء فيكون اللفظ (أحت)، و هو من باب إدغام الأول في الثاني إدغاما خالصا، و هو الأصل في الإدغام.

٢- جعل التاء طاء و إدغام الطاء الأولى فيها فيكون اللفظ (أحط)، و هو من باب إدغام الثاني في الأول، أعنى قلب الثاني إلى جنس الأول.

٣- إدغام الطاء في التاء مع الملاحظة على إطباقها فيكون اللفظ (أحطت) بحيث يرتفع اللسان بالطاء و التاء ارتفاعاً واحداً، مع المحافظة على إطباق الطاء و إخلاص لفظ التاء. و هذه الحالة هي التي سماها علماء التجويد بالإدغام الناقص، و هي مدار الكلام. و لم ترد القراءة إلا بالوجه الثالث، قال الداني: «فإن التقت الطاء و هي ساكنة بتاء أدغمت فيها بيسر و بين إطباقها مع الإدغام، و إذا بين امتنعت من أن تنقلب تاء خالصة، لأنها بمثابة النون و التنوين، إذا أدغما و بقيت غنتهما. هذا مذهب القراء. و قد يجوز إدغامها و إذهاب صوتها كما جاز ذلك في النون و التنوين، و ذلك نحو: (فرطتم، و أحطت، و بسطت) و ما أشبهه» (٢).

و قال عبد الوهاب القرطبي: «الطاء إذا سكنت و بعدها تاء فإن الإدغام يجب لتقارب المخرج، و يبقى صوت من الإطباق، كقوله تعالى: (أحطت) و (فرطت) و (فرطتم) و كان قياسه قلب الطاء تاء و إدغامها في التاء، كما في الحروف المتقاربة مثل هَيْلٌ تُؤَبَّ [المطففين: ٣٦] و مِثْنٌ رَبِّهِمْ [البقرة: ٥] و ما أشبه ذلك. إلا أنه لما كان من أحكام الإدغام أن الحرف إذا كان له فضيلة و مزية على مقاربه امتنع الإدغام، و كان للطاء فضيلة و مزية على التاء بالإطباق الذي في الطاء كره ذهاب إطباقها بالإدغام مع القلب المحض، فغادروا فيه صوتا من الإطباق لئلا يجحفوا بها و يسلبوها مزيتها فأدغمت في التاء مع إبقاء شائبة من الطاء (١) قال علم الدين السخاوي (جمال القراء ١٩٣ ظ): «و قد روى نصير و جماعة عن الكسائي (أوعت) بإدغام الطاء و صوتها كما تقول (أو عدت) من الوعد». قال الداني (التحديد ٣٢ ظ): «إن ذلك لا يصح في الأداء و لا يؤخذ به في التلاوة». و انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ١٨٧.

(٢) التحديد ٣١ ظ، مكى: الرعاية ص ١٧٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٧

لذلك» (١).

و ذكر ابن الجزري في كتابه (التمهيد في علم التجويد) هذا النص: «قال شريح في نهايته (٢): «من العرب من يبدل التاء طاء، ثم يدغم الطاء الأولى في الثانية فيقول: أحط، و هذا مما يجوز في كلام الخلق لا في كلام الخالق» (٣).

و اعترض ابن الحاجب، و هو نحوي من القراء (٤)، على النحويين في إطلاقهم الإدغام في الحروف المطبقة و اشتراطهم بقاء الإطباق، و كذلك اعترض على تشبيههم بقاء صوت الإطباق مع الإدغام ببقاء الغنة، لأن الغنة في رأيه لا يتوقف حصولها على مجيء النون لأنها من الخيشوم و النون من الفم، و ليس كذلك الإطباق لأنه لا يستقيم إلا بنفس الحرف، ثم قال:

«و أشبه ما يجاب به (أنه) في الحقيقة ليس بإدغام، و لكنه لما اشتد التقارب و أمكن النطق بالثاني بعد الأول من غير نقل اللسان كان كالنطق بالمثل بعد المثل، فأطلق عليه الإدغام لذلك، و لذلك يحس الإنسان من نفسه ضرورة عند قوله (أحطت) النطق بالطاء حقيقة و بالتاء بعدها، فلا يجوز أن يقال إن الطاء مدغمة، لأن إدغامها يوجب قلبها إلى ما بعدها. و قد علم أنها لم تنقلب، و لا يصح أن يقال إن ثم حرفا آخر أدغم في التاء مع بقاء الطاء الأولى، لما يؤدي إليه من إدغام الحرف و إظهاره في حالة واحدة، و لما يؤدي إليه من التقاء الساكنين، و ذلك فاسد. فثبت أن الأمر على ما ذكرناه من أن الطاء مبينة، و إنما اشتد التقارب حتى نطق بالتاء بعدها من غير فصل، فأطلق لفظ الإدغام لذلك» (٥).

و قد أكد ابن الحاجب اعتراضه على تسمية مجيء الطاء الساكنة قبل التاء مع المحافظة على إطباق الطاء، إدغاما، فقال: «و الإطباق في نحو (فرطت) إن كان مع إدغام فهو إتيان بطاء أخرى، و جمع بين ساكنين» (٦). و قد نقل الأسترآبادي أن ابن الحاجب قال: «و الحق أنه (١) الموضح ١٧٢ و، و انظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ١٩٣ و.

(٢) هو شريح بن محمد الرعيني صاحب كتاب (نهاية الإتقان في تجويد القرآن) انظر رقم ٩ من مصادر علم التجويد في هذا البحث.

(٣) التمهيد ص ٤٤.

(٤) ترجم له ابن الجزرى في غاية النهاية ١/ ٥٠٨.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٥٠٩. و انظر: الجاربردى: شرح الشافية ص ٢٥٥، و الوفائى: الجواهر المضية ٥١ و.

(٦) انظر: الأسترآبازى: شرح الشافية ٣/ ٢٨٠. و قد أشكل على طاش كبرى زاده فهم هذه العبارة، و ذهب

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٨

ليس مع الإطباق إدغام صريح بل هو إخفاء يسمى بالإدغام لشبهه به «١» و لا نعلم أين ذكر ابن الحاجب هذا القول، فلم نثر عليه فى (الإيضاح فى شرح المفصل)، كما أنه ليس فى الشافية.

و يبدو لى أن إطلاق مصطلح (الإدغام الناقص) «٢» على الحالة السابقة أدق من استخدام كلمة (الإخفاء) التى لها معنى محدد يتصل بأحكام النون الساكنة فقط، و القول بأن (الإخفاء) حالة بين الإدغام و الإظهار ليس كافيا فى توضيح الطبيعة الصوتية لما يجرى فى مثل (أحطت).

و قد نقل المرعشى قول ابن الحاجب السابق، عن الجاربردى: «و لذلك يحس الإنسان من نفسه ضرورة عند قوله (أحطت) النطق بالطاء حقيقة، و بالتاء بعدها، انتهى»، ثم علق عليه المرعشى بقوله: «أقول: لكن تعدم قلقلة الطاء حينئذ، إذ هى لا تحصل إلا برفع اللسان عن المخرج» «٣».

و تعليق المرعشى يفتح الباب لتوضيح طبيعة الصوت فى نطق (أحطت)، فمن المعلوم أن الصوت الشديد (الانفجارى) يتكون من حبس النفس ثم إطلاقه. و قد اجتمع فى (أحطت) حرفان شديدان من مخرج واحد هما الطاء و التاء، و نطقهما يقتضى حبس ثم إطلاق، يليه حبس ثم إطلاق، لكن الذى يحصل عند نطق (أحطت) حبس واحد للنفس يليه إطلاق. و هو عين ما يسميه العلماء بالإدغام حين يرتفع اللسان عن الحرفين ارتفاعاً واحدة، لكن زمن حبس النفس فى حالة الإدغام أطول من زمن حبسه فى الصوت الواحد الشديد.

و تداخل نطق صوتى الطاء و التاء فى (أحطت)، بحيث صار نطق الصوتين يتكون من حبس واحد للنفس يليه إطلاق واحد، يفسر لنا قول المرعشى (تعدم قلقلة الطاء حينئذ) لأن القلقلة ما هى إلا الصوت الناتج عن إطلاق نفس الصوت الشديد بعد حبسه، و إطلاق النفس فى هذه الحالة صار للتاء، و هو ليس من حروف القلقلة.

فقول علماء العربية و علماء التجويد فى وصف نطق الطاء و التاء فى (أحطت) و كل إلى أن إبقاء الإطباق مع الإدغام يقتضى زيادة طاء قبل التاء المشددة، (انظر: شرح المقدمة الجزرية (له) ٢٢ ظ) و قد بالغ على القارى فى الرد عليه (المنح الفكرية ص ٣٠).

(١) شرح الشافية ٣/ ٢٨٢.

(٢) على القارى: المنح الكفرية ص ٢٩، و النابلسى: كفاية المستفيد ١٧ ظ، و المرعشى: جهد المقل ٢٦ ظ.

(٣) جهد المقل ٢٧ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥٩

الأمثلة التى تشبهه بأنه إدغام قول صحيح. و قول علماء التجويد بأنه إدغام ناقص قول دقيق و صائب، لبقاء شائبة إطباق فى النطق. و تفسير ذلك أن الطاء و التاء من مخرج واحد و أن الطاء يتميز عن التاء بالإطباق، و القراء يحرصون على عدم الإجحاف بهذه الصفة، و يتحقق لهم ذلك مع حصول الإدغام الذى يهدف إلى الاقتصاد بالجهد، و يتم ذلك بأن يشرب حبس النفس صوت الإطباق، و هو يمثل صوت الطاء، و يعدم الإطباق فى الجزء الثانى من الصوت و هو إطلاق النفس الذى يمثل صوت التاء. فالصوت الناتج من إدغام الطاء فى التاء يتألف، فيما يبدو لى، من نصف طاء، و نصف تاء، مع مكوث أطول بين حبس النفس و إطلاقه، فقول علماء التجويد أن

هذا إدغام ناقص قول له ما يسوغه من ناحية النطق لبقاء بعض صفات الصوت الأول الذي يجب أن يفنى في الصوت الثاني لو كان إدغاما كاملا خالصا.

و إذا وقعت القاف الساكنة قبل الكاف في مثل (نخلقكم) من قول الله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ [المرسلات: ٢٠] فإن بعض القراء يدغم القاف في الكاف إدغاما محضا لا يبقى للقاف معه أثر، و يصير النطق (نخلقكم) بكاف مشددة. مثل إدغام الطاء في التاء في (أحطت) إدغاما كاملا، فيكون النطق (أحتت) بناء مشددة، و بعض القراء يدغم القاف في الكاف مع إبقاء صفة الاستعلاء التي يتصف بها القاف، فيكون حينئذ إدغاما ناقصا ينطبق عليه ما ذكرناه مع إدغام الطاء في التاء مع إبقاء صفة الإطباق. قال ابن الباذش: «و أنت مختير في إبقاء الصفة مع الإدغام أو إذهابها، و كأن إجماعهم على إبقاء الإطباق في (أحطت) يقوى إبقاء الاستعلاء هنا، و كلا الوجهين مأخوذ به، و الله أعلم» (١).

قال ابن الجزرى: «فأما إذا كانت ساكنة قبل الكاف كما هي في قوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ فلا خلاف في إدغامها، وإنما الخلاف في إبقاء صفة الاستعلاء مع ذلك، فذهب مكى و غيره إلى أنها باقية مع الإدغام كهى في أحطت و بسطت» (٢). و ذهب الدانى و غيره إلى إدغامه إدغاما محضا (٣). و الوجهان صحيحان» (٤).

فمذهب من أدغم القاف في الكاف مع إبقاء صفة الاستعلاء في القاف يكون من باب الإدغام الناقص الذى يبقى معه للحرف الأول بعض صفاته. و هو فى ذلك نظير الإدغام فى (١) الإقناع ١/ ١٨٣ - ١٨٦.

(٢) الرعاية ص ١٤٥.

(٣) التحديد ٢٧ ظ - ٢٨ ظ.

(٤) النشر ١/ ٢٢١. و انظر: المرعى: جهد المقل ٢٧ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٠

(أحطت) مع ملاحظة أن الطاء و التاء من مخرج واحد، بينما القاف و الكاف من مخرجين، لكن تدانيهما فى المخرج ييسر ارتفاع اللسان بهما ارتفاعاً واحدة من غير فصل بينهما. فيحمل الاحتباس للنفس صفة الاستعلاء المقترن بالقاف، بينما يتميز إطلاق النفس بالاستفال المتصف به صوت الكاف.

## خامسا - أحكام الأصوات الأنفية (الغن):

### إشارة

الأصوات الأنفية هي النون و الميم، و هي التى سماها علماء العربية و علماء التجويد بحروف الغنة، قد عدّها بعض العلماء ثلاثة أصوات فأضاف إليها التنوين، و هو فى الحقيقة نون ساكنة (١). قال المرادى (ت ٧٤٩ هـ): «اعلم أنه جرت عادة القراء بالتنصيص على التنوين مع أنه مندرج فى قولهم النون الساكنة، و إنما أفردوه بالذكر لأنه يسقط خطأ، بخلاف غيره من أقسام النون الساكنة» (٢). و قد قال أبو شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ)، و هو يتحدث عن الحروف التى تصحبها الغنة فقال: «و هي: التنوين و النون و الميم، فهذه ثلاثة، و (هي) فى الحقيقة حرفان: النون و الميم، لأن التنوين نون خفيفة فى المخرج و الصفة، و إنما الفرق بينهما عدم ثبات التنوين فى موضع الوقف و فى صورة الخط، و أنه لا- يكون إلا- زائدا على هجاء الكلمة، فلهذا يعتنى القراء بالتنصيص عليه كقولهم: باب أحكام النون الساكنة و التنوين ... و أما سيبويه و أتباعه فلم يذكروا إلا النون و الميم» (٣).

و وضع الشيخ زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ) خصائص كل من النون الساكنة و التنوين فقال: «فالنون الساكنة تثبت لفظا و خطأ، و وصلا و وقفا، متوسطة و متطرفه، و تكون فى الأسماء و الأفعال و الحروف. و التنوين نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظا لا خطأ، و

وصلا لا وقفا، لغير توكيد، ولا تكون إلا في الأسماء» (٤).

و الأصوات الأنفية أكثر الأصوات العربية أثرا بمجاورة غيرها، لا سيما النون الساكنة و التنوين، و من ثم كثرت أحكامها، و اعتنى بها علماء التجويد عناية كبيرة، و لعل تطرف مخرج (١) انظر: ابن الطحان: مرشد القارئ ١٢٩ و. و زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص ٢.

(٢) المفيد ١١١ و. و انظر: الطبلاوى: مرشدة المشتغلين ٢ و.

(٣) إبراز المعاني (باب مخارج الحروف) ص ٧.

(٤) تحفة نجباء العصر ص ٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦١

الميم (من بين الشفتين) و توسط النون مخارج حروف الفم (من بين طرف اللسان و اللثة) هو الذى جعل أحكام النون أكثر من أحكام الميم، على الرغم من أن الصوتين كليهما أنفيان، و قد بلغ من عناية علماء التجويد بأحكام النون الساكنة و التنوين أن أفردا كثير منهم برسائل مستقلة (انظر رقم ٣١ من مصادر علم التجويد).

## ١- أحكام النون الساكنة و التنوين:

### إشارة

يذهب بعض علماء التجويد إلى جعل أحكام النون الساكنة و التنوين إذا وقعت قبل غيرها من الأصوات أربعة أحكام، هي: الإظهار (البيان)، و الإدغام، و القلب و الإخفاء «١». و هذا هو الاتجاه الغالب عند من درسوا الظواهر الصوتية المتعلقة بالنون الساكنة. و لكن بعض علماء التجويد عدل في ذلك التقسيم فزاد في العدد حتى صارت خمسة أو ستة، و بعضهم أنقص حتى صارت الأحكام ثلاثة.

فذكر الشيخ زكريا الأنصاري أن الجعبرى (ت ٧٣٢هـ) جعل الأحكام ثلاثة هي:

إظهار، و إدغام محض و غيره، و إخفاء محض مع قلب و دونه «٢».

أما الذين زادوا في الأحكام على الأربعة فإن منهم من يجعل الإدغام قسمين هما: إدغام كامل بلا غنة في الراء و اللام، و إدغام ناقص لبقاء الغنة مع بقية حروف الإدغام، فتلك مع الإظهار و القلب و الإخفاء خمسة أحكام «٣». و منهم من يجعل إدغام النون ثلاثة أقسام: إدغامها في الراء و اللام قسم، و فى النون و الميم قسم، و فى الياء و الواو قسم، فيكون مجموع الأحكام حينئذ ستة، و هو مذهب مكى بن أبى طالب «٤».

و قد قال البقرى (ت ١١١١هـ)، و هو يتحدث عن تلك المذاهب: «إن بعض العلماء جعل للنون و التنوين أحكاما خمسة، و بعضهم جعلها أربعة، و بعضهم جعلها ثلاثة، و الأمر فى ذلك سهل. فأما من جعلها خمسة فقال: هي إدغام بغنة، و إدغام بلا غنة، و إظهار، و إقلاب، و إخفاء. و من جعلها أربعة أسقط الإدغام الذى بلا غنة و أبهم الإدغام، فشمّل الشيتين. و من جعلها ثلاثة فعل كذلك أسقط الإقلاب و أدخله فى الإخفاء، فعلى كلامه يكون الإخفاء معه (١) الدانى: التحديد ٢٠ و، ٣٥ ظ. و ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٤٧. و العطار: التمهيد ١٥٦ ظ.

(٢) تحفة نجباء العصر ص ٢. و انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٤٥.

(٣) ابن الجزرى: التمهيد ص ٥٢-٥٣.

(٤) الرعاية ص ٢٣٦، و الكشف ١/ ١٦١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٢

قلب أو لا قلب معه. و الأولى أن تعد خمسة، تقريبا للمبتدئين و تسهيلا عليهم» (١).

### أ- الإظهار:

معنى الإظهار هو أن يكون مخرج النون الساكنة و التنوين من الفم (٢). و ذلك بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة و يجرى الصوت غنة في الخيشوم، على نحو ما مرّ في تحديد مخرج النون.

و إنما يظهران إذا لقيهما حرف من حروف الحلق الستة: الهمزة و الهاء و العين و الحاء و الغين و الخاء. أما الألف فلا يكون ما قبلها إلا متحركا، فلذلك خرجت عن نظائرها. و ذلك نحو قوله تعالى: وَيَنبَأُونَ [الأنعام: ٢٦]، و مَنْ آمَنَ [البقرة: ٦٢]، و مِنْ شَيْءٍ إِلَّا [الحجر: ٢١]، و نحو وَيَنْهَوْنَ [آل عمران: ١٠٤]، و مَنْ هَاجَرَ [الحشر: ٩]، و جُرِّفَ هَارٍ [التوبة: ١٠٩]، و نحو أَنْعَمْتَ [الفاطحة: ٧]، و مَنْ عَمِلَ [الأنعام: ٥٤]، و مَنْ عَلِمَ [العلق: ٢]، و نحو وَ تَنحِتُونَ [الأعراف: ٧٤]، و مَنْ حَيَّاءَ اللَّهِ [المجادلة: ٢٢]، و نَارًا حَامِيَةً [القارعة: ١١]، و نحو فَسَيَنْغِضُونَ [الإسراء: ٥١]، و مِنْ غَلٍّ [الأعراف: ٤٣] و قَوْمًا غَيْرَكُمْ [محمد: ٣٨]، و نحو وَ الْمُنْخَنِقَةُ [المائدة: ٣]، و مِنْ خَيْلٍ [الحشر: ٦] و يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً [الغاشية: ٢] (٣).

و كان علماء العربية قد درسوا أحكام النون الساكنة إذا لقيت غيرها من الحروف، فنص سيبويه على إظهارها عند حروف الحلق الستة و علل ببعدها عن مخرج النون (٤). و ذهب علماء المذهب نفسه في تفسير عدم تأثر النون بمجاورة حروف الحلق. فقال السعيدى: «إنما ظهرت النون الساكنة عند حروف الحلق لأنها تخرج من ذلق اللسان، و هى بعيدة من الحلق، و لا يكون الإخفاء و الإدغام إلا لمقاربة الحرفين أو تزامهما في المخرج الواحد» (٥). و قال مكى:

«و العلة في إظهار ذلك عند هذه الحروف أن الغنة و النون بعد مخرجهما من مخرج حروف الحلق، و إنما يقع الإدغام فى أكثر الكلام لتقارب مخارج الحروف فلما تباعدت المخارج و تباينت وجب الإظهار، الذى هو الأصل، و لم يحسن غيره» (٦). (١) غنية الطالبين ص ٤٧.

(٢) سيبويه: الكتاب ٢٥٤ / ٤، و ابن الباذش: الإقناع ٢٥٤ / ١.

(٣) انظر: مكى: الرعاية ص ٢٣٦، و الدانى: التحديد ٢٠، و ابن الباذش: الإقناع ٢٥٣ / ١.

(٤) الكتاب ٤٥٤ / ٤. و انظر: المبرد: المقتضب ٢١٦ / ١.

(٥) اختلاف القراء ٦٠ ظ.

(٦) الرعاية ص ٢٣٦-٢٣٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٣

و ذكر سيبويه أن «بعض العرب يجرى الغين و الخاء مجرى القاف» (١) فى إخفاء النون قبلها، و قال: «ألا ترى أنه يقول بعض العرب: منخل و منغل فيخفى النون كما يخفىها مع حروف اللسان و الفم لقرب المخرج من اللسان» (٢). و ذكر علماء القراءات أن من القراء من قرأ بإخفاء النون الساكنة و التنوين عند الخاء و الغين، فى بعض الروايات (٣).

و علل عبد الوهاب القرطبي ما يلحق النون قبل الخاء و الغين من الإخفاء فى لغة بعض العرب و مذهب بعض القراء، فقال: «فأما الغين و الخاء فإنهما أقرب حروف الحلق إلى حروف الفم، فتأثرا بذلك القرب حتى جاز فيهما الإخفاء و الإظهار جميعا. و قد قرئ بهما.

فمن أخفى النون عندهما أجراهما مجرى حروف الفم، و من أظهرها معهما فكأنه اعتبر قريهما من باقى حروف الحلق، فأجرى عليهما



حكما من الإظهار» (٤).

وقسم الداني حروف الحلق بالنسبة لإظهار النون عندها قسمين: ما تظهر معه النون بتعمل، و ما تظهر معه بغير تعمل. و ذلك حيث قال: «و إنما بينت النون و التنوين عند هذه الحروف لبعدها المسافة التي بينهما و بينهن، إلا أن بيانها عند هن على ضربين: بتعمل و غير تعمل.

و التي يتعمل بيانها عندهن ثلاثة: الهمزة و الغين و الخاء، لأنه متى لم يتعمل ذلك عندهن و لم يتكلف انقلبت حركة الهمزة عليهما و سقطت من اللفظ، و خفيا عند الغين و الخاء، لأن ذلك قد يستعمل فيهن، كما رواه ورش عن نافع في الهمزة (...) «٥». و رواه المسيبي عنه في الغين و الخاء، لقربهما من حرفي أقصى اللسان.

و التي لا يتعمل بيانها عندهن، إذ لا بد منه ضرورة ثلاثة أيضا: الهاء و العين و الحاء.

كما حدثني الحسين بن علي، حدثنا أحمد بن نصر، قال: سمعت ابن مجاهد يقول: النون الساكنة و التنوين تبيان عند الحاء و الهاء و العين ضرورة من غير تعمل» (٦). (١) الكتاب ٤ / ٤٥٤.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٥١.

(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٢٥.

(٤) الموضح ١٧٨ و.

(٥) كلمه غير واضحة في الأصل.

(٦) التوحيد ٢٠ و- ٢٠ ظ. و قال السيرافي (شرح كتاب سيويه ٦ / ٥٣٢): سمعت أبا بكر بن مجاهد رحمه الله يقول: حروف الحلق التي تبين النون قبلها ستة، فأما ثلاثة فإن النون الساكنة تبين عندها ضرورة من غير تعمل، و هي الحاء و الهاء و العين...».

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٤

و التعمل في بيان النون الساكنة و التنوين عند الهمزة هو لأجل ألا تسقط، لا خشية الإخفاء كما في الغين و الخاء، و ذلك لأن و رشا كان يلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها فيتحرك بحركتها و تسقط هي من اللفظ، و ذلك إذا كان الساكن غير حرف مد و لين، و كان آخر كلمه و الهمزة أول كلمه أخرى، فالتنوين مثل كُفُوءاً أَحِيدُ [الإخلاص: ٤] و مُيِّينٌ \* أَنْ اعْتَدُوا اللَّهَ [نوح: ٢-٣]، و النون الساكنة مثل مَنْ آمَنَ و مِنْ إِسْتَبْرَقِ [الرحمن:

٥٤] «١». فيكون النطق على قراءة ورش (كفون حد). و (من ستبرق). و لهذا نجد عبد الوهاب القرطبي يقول: «إن إخفاء النون عند الهمزة مستحيل غير ممكن، و لو تكلف متكلف ذلك لسقطت حركة الهمزة على النون و ذهب الهمزة. و إخفاؤها عند العين و الحاء و الهاء كذلك، و لو أمكن لأمكن مع قبح، و إخفاؤها مع الغين و الخاء ممكن مستحسن فجاز معهما أعنى الغين و الخاء الإظهار و الإخفاء، و امتنع الإخفاء و وجب الإظهار فيما عداهما» (٢).

و مما يجب أن يقف عنده الدارس قول ابن مجاهد: «النون الساكنة و التنوين تبيان عند الحاء و الهاء و العين ضرورة من غير تعمل» (٣). و يمكن أن يفسر قوله (ضرورة) بأنه لا يتأتى عند نطق النون قبل هذه الحروف إلا إظهارها، أي إن إخفاءها قبلهن (مستحيل غير ممكن) كما جاء في قول عبد الوهاب القرطبي السابق. و إذا كان ذلك هو مراد ابن مجاهد، فكيف يمكن تفسيره من الناحية الصوتية، و هل يؤيده الدرس الصوتي الحديث؟

إن عناية دارسى الأصوات العربية المحدثين بالظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب محدودة جدا «٤». و من ثم فإن ما نجده عن أحكام النون الساكنة و التنوين لديهم لا يسعف الدارس في تقويم قول ابن مجاهد. ذلك القول الذي كان مجهولا لم يطلع عليه أحد من دارسى الأصوات العربية المحدثين الذين اطلعنا على أعمالهم.

و يمكن أن نجد في طبيعة إنتاج أصوات الحلق و صوت النون تفسيرا لقول ابن مجاهد، (١) انظر: الداني: التيسير ص ٣٥-٣٦.



(٢) الموضح ١٧٨ ظ.

(٣) و هم محقق كتاب الإقناع لابن الباذش حينما نقل قول ابن مجاهد (٢٥٦/١) هكذا (... عند الهاء و الخاء و الغين) و قد قال فى الهامش رقم (٢): «فى الأصل (عند الهاء و الحاء و العين) و ما أثبتته من حاشيته» فإنه بذلك حذف الصحيح و أثبت المصحف. (٤) كان الدكتور إبراهيم أنيس أكثرهم عنايةً بذلك (انظر الأصوات اللغوية ص ٦٩-٧١) و على نحو أقل جان كانتينو: دروس ص ٦٠-٦١. ثم أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٥

فأصوات الحلق، و بشكل أكيد الهمزة و الهاء و العين و الحاء، تخرج من نقطة أعمق من تلك النقطة التى يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الخيشوم، و هو ما يحصل عند نطق النون، و من ثم لا يمكن أن تنطق الأصوات الأربعة مع الغنة، لأنها تتشكل قبل أن يصل النفس منطقة اللهاة التى تفتح مجرى النفس إلى الخيشوم لإنتاج صوت الغنة، و قد يمكن سد مجرى النفس نهائيا من الفم و فتحه عبر الخيشوم (الأنف) فى أثناء نطق تلك الأصوات و يكون الصوت الحاصل حينئذ صوتا سمجا لا وجود له فى أصوات اللغوة. و من هنا يعد قول ابن مجاهد صحيحا، إذ لا يمكن أن تتأثر النون بأصوات الحلق الأربعة: الهمزة، مع الحرص على عدم تسهيلها، و الهاء و الحاء و العين. فتخرج النون الساكنة قبلها بينة مظهرة من غير تعمل، إذ لا يخشى عندها من الإدغام أو الإخفاء. أما الخاء و الغين فإنهما أقرب حروف الحلق إلى اللسان (الفم)، و يترجح لدى أنهما يخرجان من نقطة تقع بعد النقطة التى يمكن أن يتخذ فيها النفس مجراه عبر الأنف، و من ثم يمكن أن تتأثر النون بمجاورتها إذا لم يتعمل بإخراجها من مخرجها، فتخفى عندهما كما تخفى عند القاف، و سوف نوضح معنى الإخفاء بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فإذا صح هذا التفسير لقول ابن مجاهد فإن ذلك يدل على إدراك علماء التجويد للصفات الدقيقة للأصوات، و يكون ابن مجاهد بذلك قد سبق إلى تقرير حقيقة لم تدر فى خلد علماء الأصوات المحدثين الذين درسوا أصوات اللغوة العربية. و ذهب بعض علماء التجويد إلى أن الغنة ساقطة من النون و التنوين إذا أظهرها قبل حروف الحلق، قال ابن الجزرى: «قد ذكر بعض القراء فى كتبهم أن الغنة باقية فيهما. و ذكر شيخ الدانى (ت ٤٤٤هـ)، فارس بن أحمد (ت ٤٠١هـ)، فى مصنف له أن الغنة ساقطة منهما إذا أظهرها، و هو مذهب النحاة و به صرحوا فى كتبهم» (١).

و علق على القارى على قول ابن الجزرى السابق بما نصه: «أقول يمكن أن يكون النزاع لفظيا، لأن من قال ببقائها أراد فى الجملة لعدم انفكاك أصل الغنة عن النون. و من قال بسقوطها أراد عدم ظهورها» (٢). و عقب المرعشى على ذلك بقوله: «أقول: فظهر أن غنتهما حينئذ كغنتهما متحركتين» (٣). (١) التمهيد ص ٥٢.

(٢) المنح الفكرية ص ٤٢.

(٣) جهد المقل ٢٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٦

و إذا كانت الغنة هى الصوت الذى يخرج من الخيشوم فإنها حينئذ لا- تنفك عن النون، كما قال على القارى، و يكون قول بعض العلماء بأنها تسقط من النون الساكنة و التنوين إذا أظهرها قبل حروف الحلق لا معنى له، إلا إذا فسرنا بقاءها أو سقوطها على نحو آخر، مثل أن يراد بكونها باقية إطالة الصوت بها، و أن يراد بكونها ساقطة عدم إطالة الصوت بها. و قد قال بعض المحدثين: «و ليست الغنة إلا إطالة الصوت بالنون مع تردد موسيقى محبب فيها» (١).

لكن نحتاج حينئذ إلى إثبات أن معنى الغنة إطالة الصوت بالنون، و هو ما يتعارض مع تعريف علماء التجويد للغنة (٢) و إلى إثبات أن من قال بسقوط غنة النون المظهرة أراد عدم إطالة الصوت بها، و هو ما لا نملك دليلا عليه.

و كل ما يمكن قوله بصدد هذه القضية أن إظهار النون الساكنة و التنوين عند حروف الحلق معناه اعتماد طرف اللسان على مخرج

النون في الفم، و هو اللثة، و مرور النفس أثناء ذلك من الخيشوم محدثا صوت الغنة المصاحب لنطق النون.

## ب- الإدغام:

إذا تجاوزنا الحروف الستة التي تظهر النون الساكنة و التنوين قبلها فإننا نجد أنهما إذا وقعتا قبل بقية حروف العربية، يلحقهما نوع من التأثر، بتلك المجاورة. و قد يكون ذلك التأثر كاملا (كليا)، و قد يكون ناقصا (جزئيا). و النون تميزت بأن لها معتمدا في الفم، حيث يعتمد طرف اللسان على ما فوق الثنايا (أو اللثة)، و لها مجرى للنفس من الخيشوم ينتج عنه الصوت المصاحب للنون و الذي يسميه العلماء بالغنة. و تأثر النون بالمجاورة قد يقتصر على تغير معتمد اللسان في الفم، و يبقى مجرى النفس من الأنف. و قد يشمل المعتمد و المجرى حين يفنى صوت النون في الصوت الذي يليه فناء تاما.

و قد ميز علماء التجويد بين تينك الحالتين اللتين تتعرض النون فيهما للتأثر، فسموا التأثر الكامل بالإدغام، و سموا التأثر الناقص المتمثل بتغير المعتمد في الفم بالإخفاء، و بحثوا كل حالة على نحو مستقل. إلا- أن بعض الأصوات يمكن أن تؤثر في النون تأثيرا كاملا- و تأثيرا ناقصا في الوقت نفسه، و هي حينئذ تتأرجح بين حالتى الإدغام و الإخفاء، لكن علماء التجويد و علماء العربية بحثوا تلك الأصوات في باب الإدغام. و نحن هنا نتبع منهجهم و نبين وجهة (١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧١.

(٢) انظر موضوع (الغنة) ص ٣٠٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٧

نظرهم، و لا يمنع ذلك من أن نبدى في الموضوع رأيا بعد أن نستكمل توضيح موقفهم.

و الحروف التي تدغم فيها النون الساكنة ستة عند أكثر علماء التجويد و علماء العربية، و قد جمعها بعضهم بقوله (يرملون) «١»، و بعضهم بقوله (و لنمير) «٢»، و قد عدها أبو عمرو الداني خمسة و جمعها بقوله (لم يرو)، و قال: «و القراء يزيدون حرفا سادسا و هو النون، نحو من نُور [النور: ٤٠] و يَوْمِيذٍ نَاعِمَةٌ [الغاشية: ٨]. و لا معنى لذكرها معهن، لأنها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثليين» «٣». و هذا ما يفهم من كلام سيبويه «٤». و هو ما نص عليه المبرد بقوله: «النون تدغم في خمسة أحرف: الراء و اللام و الياء و الواو و الميم» «٥».

و لعل الذين ألحقوا النون بحروف الإدغام أرادوا أن تكون أحكام النون الساكنة و التنوين شاملة لجميع الحروف، لا يشذ منها شيء. و يعلل علماء التجويد إدغام النون الساكنة و التنوين في هذه الحروف للتقارب بينهما في المخارج أو التناسب في الصفات، قال الداني: «و إنما أدغمت النون و التنوين في هذه الحروف للقرب الذي بينهما و بينهما و التشاكل و المشابهة: فأدغما في الراء و اللام لقرب مخرجهما من مخرجهما على طرف اللسان، و قد قيل: إنهن من مخرج واحد.

و أدغما في الميم للمشاركة التي بينهما و بينها في الغنة، حتى كأنك تسمع النون كالميم و الميم كالنون لنداوة صوتهما. و أدغما في الواو للمؤاخاة التي بين الواو و الميم في المخرج، إذ كانا يخرجان من بين الشفتين، و أيضا فإن المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم.

و أدغما في الياء لمؤاخاتها الواو في المد و اللين، و قربها أيضا من الراء، لأنه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب إلى الراء من الياء، و لذلك يجعل الأئمة الراء ياء» «٦». (١) مكى: الرعاية ص ٢٣٧، و انظر: ابن خالويه: الحجة ص ٤٤. و الأسترآبادى: شرح الشافية ٣/ ٢٧٣.

(٢) القرطبي: الموضح ١٧٠ ظ.

(٣) التحديد ٢٠ ظ، و انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٤٦ و ٢٤١.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٥) المقتضب ١ / ٢٢١، وانظر: السيرافي: ما ذكره الكوفيون من الإدغام مجلة المورد، مج ١٢، ج ٢، ص ١٣٦.

(٦) التحديد ٢٠ ظ - ٢١ و. وانظر: القرطبي: الموضح ١٧٠ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٨

ولا- يتعد ما قدمه مكى فى تعليل إدغام النون الساكنة و التنوين فى الحروف الستة عما قاله الدانى، فقال عن إدغامها فى اللام و الراء: «و العلة فى ذلك قرب مخرج النون من مخرج اللام و الراء» (١). و قال عن إدغامها فى النون و الميم: «و العلة فى إدغامها (أى النون) فى النون اجتماع المثليين، و الأول ساكن، فلا بد من الإدغام فى كل مثليين التقياء، و الأول ساكن ... و العلة فى إدغامها فى الميم أن الميم تشاركها فى الغنة، فتقاربا للمشاركة فحسن الإدغام» (٢). و قال أيضا: «و العلة فى إدغامها فى الياء و الواو أن الغنة التى فى النون أشبهت المد و اللين اللذين فى الياء و الواو، فوجب الإدغام لهذه المشابهة» (٣).

و يقسم علماء التجويد الحروف الستة إلى ما تدغم فيه النون الساكنة إدغاما تاما لا تبقى معه غنة، و إلى ما تدغم فيه إدغاما ناقصا بغنة. «فأما الراء و اللام فيدغم النون و التنوين فيهما بغير غنة، هذا المأخوذ به فى الأداء، فينقلبان من جنسهما قلبا صحيحا، و يدغمان إدغاما تاما، و يصير مخرجهما من مخرجهما، و ذلك باب الإدغام» (٤). و ذلك مثل قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الْحَجْرَاتِ: [١١] وَ خَيْرًا لَهُمْ [آل عمران: ١١٠] وَمِنْ رَبِّهِمْ [البقرة: ٥] وَ غُفُورًا رَحِيمًا [البقرة: ١٨٢].

و قد ذكر سيوييه أن النون تدغم فى الراء و اللام بغنة و بغير غنة (٥). و قال المبرد:

«و إدغامها فيهما على وجهين: بغنة، و بغير غنة، و إظهار الغنة أحسن لثلاثا: تبطل، و إن شئت أذهبت الغنة» (٦). و قال السيرافي: «الأجود فى إدغام النون فى الراء أن تكون بغنة» (٧). لكن الأسترآباذى قال: «الأولى ترك الغنة» (٨).

و أكثر علماء الأداء يابون إظهار غنة النون حين تدغم فى الراء و اللام، و ذكر المرادى أن المهدوى ادعى الإجماع على ذلك (٩). و قال مكى: «و أجاز النحويون إظهار الغنة مع اللام (١) الرعاية ص ٢٣٧.

(٢) الرعاية ص ٢٣٨، و الكشف ١ / ١٦٣.

(٣) الرعاية ص ٢٣٩، و الكشف ١ / ١٦٤.

(٤) الدانى: التحديد ٢١ و.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٥٢. و انظر: السيرافي: شرح كتاب سيوييه ٦ / ٥١٧.

(٦) المقتضب ١ / ٢١٧.

(٧) شرح كتاب سيوييه ٦ / ٥١٥، و انظر: المرادى: شرح التسهيل ٣٠٨ ظ.

(٨) شرح الشافية ٣ / ٢٧٣.

(٩) شرح التسهيل ٣٠٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٦٩

خاصة، و الذى أجمع عليه القراء إدغام الغنة مع الراء و اللام، و ذلك نحو قوله مِنْ لَدُنْهُ [النساء: ٤٠] وَمِنْ رَبِّهِمْ. و ذلك إجماع من القراء، و الإظهار فى مثل هذا يعده القراء لحنا لبعده من الجواز. و قد أتت به روايات شاذة غير معمول بها» (١).

و مع ذلك نجد ابن البادش يذكر فى كتابه (الإقناع فى القراءات السبع) الروايات التى جاء من طريقها إدغام النون فى الراء و اللام مع إبقاء الغنة، ثم يقول: «و الآخذون بالغنة فى الراء و اللام كثير جدا عن جميع القراء. و إنما ذكرت من قرأت له بها من طرق هذا الكتاب، و هو مذهب مشهور، لا ينبغى أن نستوحش منه، لتظاهر الروايات به، و صحته فى العربية، و بعضهم يرجحه على إذهابها، كما كان ذلك فى حروف الإطباق، و كذلك أيضا عند الواو و الياء.

و سألت أبي رضى الله عنه: أيهما أحب إليك فى الراء و اللام؟ فقال: الأمر فى هذا متقارب.

قال: و إنما أميل إلى ذهاب الغنة» (٢).

قال الدانى: «و أما الياء و الواو فيدغمان فيهما و تبقى غنتهما، و هذا مذهب الجماعة من القراء غير حمزة، فإنه اختلف عنه فى ذلك. و إذا بقيت غنتهما لم ينقلبا قلبا صحيحا، و لا أدغما إدغاما تاما، و إنما يتمكن ذلك فيهما إذا ذهبت تلك الغنة بالقلب الصحيح» (٣). و ذلك مثل قوله تعالى: «وَمَنْ يَقُلْ [الأنبياء: ٢٩] وَ بَرَقَّ يَجْعَلُونَ [البقرة: ١٩] وَ مِنْ وَال [الرعد: ١١] وَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ [الحاقة: ١٦].»

و قال الدانى: «و أما الميم فيدغمان فيهما إدغاما تاما، و يقلبان من جنسها قلبا صحيحا، مع الغنة الظاهرة. و إنما خصت الميم بذلك لأن فيها غنة كهما، فإن ذهبت غنة النون و التنوين بالقلب بقيت غنتها. و كذا حالهما مع النون كالميم سواء. حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا ابن مجاهد، قال: لا يقدر أحد أن يأتى (بعمّن) بغير غنة، لعل غنة الميم. قال ابن كيسان: إذا أدغمت النون فى الميم فالغنة غنة النون.

و قال غيره: الغنة للميم، و بذلك أقول، لأن النون قد زال لفظها بالقلب، فصار مخرجها (١) الكشف ١/ ١٦٢.

(٢) الإقناع ١/ ٢٥١. و قد قال السيرافى (شرح كتاب سيويه ٦/ ٥١٨): «و قد جاءت القراءات و كلام العرب بالأمرين جميعا».

(٣) الدانى: التحديد ٢١. و انظر: مكى: الرعاية ص ٢٣٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٠

من مخرج الميم، فالغنة لا شك للميم لا لها» (١). و هو ما نص عليه بعض دارسى الأصوات من المحدثين (٢).

و تحدث عبد الوهاب القرطبى عن تفسير ما أدغم بغنة و ما أدغم بغير غنة فقال: «و وجه الإدغام بغير غنة أن الإدغام فى المتقاربين يوجب قلب النون إلى جنس الحرف الذى أدغمت فيه، فتقلب مع الراء راء، و مع اللام لاما، و مع الياء ياء، و هذه الحروف لا غنة فيها فلم يجب مع ذلك إبقاء غنة كسائر الحروف المتقاربة. و أما من أدغم بغنة فلأن الحرف إذا كان له مزية على الحرف امتنع إدغامه فيه و النون لها غنة فى نفسها سواء كانت من الفم أو من الأنف، لأن الغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف، و كان خروجه من الفم، فاجتمع فيها مقاربتها لهذه الحروف و مزيتها عليها بالغنة، فجذبها كل واحد منهما إلى حكمه، فأدغمت للمقاربة و بقيت الغنة لحفظ المزية التى يمنع ذهابها الإدغام، و كأنهم كرهوا ذهاب الغنة حتى لا يكون لها أثر البتة، و هم يجدون سبيلا إلى الإتيان بها. فأما إذا أدغمت فى مثلها أو فى الميم فإنك غير محتاج إلى غنة، لأن فى كل واحدة من الميم و النون غنة» (٣).

و كان سيويه قد نص على أن النون إذا وقعت قبل حروف الإدغام المذكورة فى كلمة واحدة و جب إظهارها، و ذلك حيث قال: «و تكون ساكنة مع الميم إذا كانت من نفس الحرف بينة. و الواو و الياء بمنزلتها مع حروف الحلق. و ذلك قولك: شاء زماء، و غم زمم، و قنواء، و قنية، و كنية، و منية. و إنما حملهم على البيان كراهية الالتباس فيصير كأنه من المضاعف، لأن هذا المثال قد يكون فى كلامهم مضاعفا، ألا- تراهم قالوا امحى حيث لم يخافوا التباسا، لأن هذا المثال لا تضاعف فيه الميم ... و لا نعلم النون وقعت ساكنة فى الكلام قبل راء و لا لام» (٤).

و أورد علماء التجويد تلك الفكرة مع شىء من التوضيح و الأمثلة من كلمات القرآن فقال الدانى: «هذا الذى ذكرناه من الإدغام فى حروف (لم يرو) إنما يكون ذلك إذا كانت النون معهن من كلمتين، فإن كانت معهن من كلمة لم يجز الإدغام نحو قنوان [الأنعام: ٩٩] و صنوان [الرعد: ٤]، و بُنيانه [التوبة: ١٠٩]، و الدُّنيا [البقرة: ٨٥]، و كذا: (١) الدانى: التحديد ٢١ ظ. و انظر: مكى: الرعاية ص ٢٣٧.

(٢) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧٤.

(٣) الموضح ١٧١ و.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٥٥. و انظر: المبرد: المقتضب ١/ ٢٢٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧١

شاة زماء و ما أشبهه. و ذلك مخافة أن يشتهب ذلك إذا أدغم بالمضاعف الذى على مثال (فَعَال) نحو: صَوَان، و حَيَان، و شاة جَمَاء، فعدل عن الإدغام لذلك» (١).

و قال عبد الوهاب القرطبي بعد أن أسهب فى توضيح الفكرة: «و هذا و إن قلّ مثله فى القرآن إلا أنا ذكرناه لثلاثا يتوهم من يسمعه أنه لحن خفى، فنبهنا عليه ليسلم منه» (٢).

و كان سيويه قد ذكر فى (الكتاب) قضية كانت مثار جدل من بعده لدى بعض العلماء، فقد قال و هو يتحدث عن النون: «و هى مع الراء و اللام و الياء و الواو إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، و لكن صوت الفم أشرب غنة. و لو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها فى الواو و الياء و الراء و اللام، حتى تصير مثلهن فى كل شىء» (٣). و هذا النص ليس من الوضوح بما فيه الكفاية، و يفهم منه أن الغنة الظاهرة عند إدغام النون بغنة ليست غنة النون «و لكن صوت الفم أشرب غنة» و ليس واضحا ما يريده سيويه من (صوت الفم) هنا، أ هو الصوت الذى تدغم فيه النون أم شىء آخر؟

و كان الأسترآبازى قد نقل رأى سيويه، و ذكر أن مراد سيويه من (صوت الفم) هو الصوت الذى تدغم فيه النون. لكن الأسترآبازى لا يوافق سيويه على ذلك. و هذا نص كلامه:

«و مذهب سيويه و سائر النحاة أن إدغام النون فى اللام و الراء و الواو و الياء مع الغنة أيضا إدغام تام. و الغنة ليست من النون، لأن النون مقبولة إلى الحرف الذى بعدها، بل إنما أشرب صوت الفم غنة ... أما على ما اخترناه فالغنة للنون التى هى كالمدغمة. و أما على ما قال النحاة فلاشرب الواو و الياء المضعفين غنة» (٤).

و ظهرت فكرة سيويه السابقة عند بعض علماء التجويد، و إن لم يزايلها الغموض. قال مكى و هو يتحدث عن النون الساكنة و التنوين: «إنهما يدغمان فى الياء و الواو من كلمتين، مع إظهار الغنة فى حال اللفظ بالمشدد، لا فى نفس الحرف الأول ... بخلاف إظهار الغنة مع الإدغام فى الميم و النون، فيكون ذلك أيضا إدغاما غير مستكمل التشديد، لبقاء بعض الحرف، و هو الغنة. و إنما لم تكن الغنة فى نفس الحرف الأول كما كانت مع النون و الميم، لأنك إذا أدغمت الأول فى الياء أبدلت منه ياء، و لا غنة فى الياء. و كذلك إذا أدغمت فى الواو (١) التحديد ٢١ ظ.

(٢) الموضح ١٧١ ظ.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٥٤.

(٤) شرح الشافية ٣ / ٢٧٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٢

أبدلت منه واوا، و لا غنة فى الواو، فصارت الغنة تظهر فيما بين الحرفين لا فى نفس الحرف الأول. و صارت مع الميم و النون تظهر فى نفس الساكنة عند حروف الفم» (١).

و يتميز كلام مكى فى النص السابق عن فكرة سيويه أنه يجعل الغنة تظهر بين الحرفين، و فكرة البينية هذه جديدة على الموضوع. و قد صرح بها مكى مرة أخرى فى كتابه (الكشف)، حيث قال: «لكن الغنة ظاهرة مع اللفظ بالمشدد، لا فى نفس الحرف الأول، كأنها بين الحرفين المدغمين» (٢). و أشار ابن البادش فى كتابه (الإقناع) إلى هذه الفكرة و قال: إن الغنة بين الحرفين، و ليست فى نفس الحرف الأول» (٣).

و لم تنل هذه الفكرة عند علماء التجويد إلا قليلا من الاهتمام، على الرغم من أن بعضهم نص على أن الغنة الظاهرة عند إدغام النون فى الواو و الياء هى غنة النون، لكن ذلك لم يكن فى معرض الحديث عن الفكرة التى ذكرها سيويه. قال عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦٢هـ):

«فالغنة تقدر باقية من النون، وإن كانت قد انقلبت واوا أو ياء. ومثله (أحطت) و (فرطت) فإن الطاء تدغم بإبقاء شائبة منها مع أنها تنقلب تاء، و الإطباق لها لا للتاء» (٤). وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): «وهذه الغنة التي بقيت مع الواو والياء غنة النون والتنوين، إذ لا غنة للواو والياء أصلاً» (٥). وكان الداني (ت ٤٤٤هـ) قد قال قولاً عاماً في الغنة، وهو «إذ غير ممكن أن تكون منفردة في غير حرف أو مخالطة لحرف لا غنة فيه، لأنها مما تختص به النون والميم لا غير» (٦).

و كلام القرطبي و السمرقندي هو الذي يتناسب مع حقيقة نطق النون إذا أدغمت بغنة في الواو والياء، فالنون لها معتمد في الفم، و صوت يخرج من الخيشوم هو الغنة. و هذه الغنة باقية مع الإدغام إلا- أن معتمد اللسان في الفم في موضع النون يتحول إلى مخرج الحرف الذي تدغم فيه. و قد عبر مكى (ت ٤٣٧هـ) عن هذه الفكرة تعبيراً واضحاً، بالرغم من أنه يقول إن الغنة كأنها بين الحرفين. و ذلك حيث قال: «و الحرف الذي فيه الغنة إن كان ميماً فمن الشفتين (١) الرعاية ص ٢٣٩.

(٢) الكشف ١/ ١٦٤.

(٣) الإقناع ١/ ٢٥٣.

(٤) الموضح ١٧١ و- ١٧١ ظ.

(٥) روح المرید ١٣٤ و.

(٦) نقلاً عن ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٣

يخرج، و إن كان نونا فمن طرف اللسان و أطراف الثنايا يخرج، فحرف الغنة له مخرجان، فإذا أدغمت ما يخرج من الفم منه، و أقيت ما يخرج من الخياشيم ظاهراً، فلا- يتمكن التشديد مع بقاء الغنة ظاهرة، فإن أدغمت حرف الغنة في الراء و اللام أدغمت ما يخرج من المخرجين جميعاً، و لم تبق شيئاً فيتمكن التشديد، إذ لم تبق من الحرف شيئاً» (١).

و قد ذهب جماعة من علماء التجويد إلى أن ما بقيت فيه الغنة (إخفاء و ليس بإدغام، و لو كان إدغاماً لذهبت الغنة بانقلاب النون إلى حرف لا غنة فيه، لأن حكم الإدغام أن يكون لفظ الأول من الحرفين كلفظ الثاني» (٢). و قد سماه ابن مجاهد إخفاء» (٣).

و قال الداني: «فمن بقي غنة النون و التنوين مع الإدغام لم يكن ذلك إدغاماً صحيحاً في مذهبه، لأن حقيقة باب الإدغام الصحيح أن لا يبقى فيه من الحرف المدغم أثر إذ كان لفظه ينقلب إلى لفظ المدغم فيه فيصير مخرجه من مخرجه، بل هو في الحقيقة كالإخفاء الذي يمتنع فيه الحرف من القلب لظهور صوت المدغم و هو الغنة» (٤). و قال أيضاً: «هو قول الحذاق و الأكابر من أهل الأداء» (٥).

و قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) في شرح الشاطبية: «و اعلم أن حقيقة ذلك في الواو والياء إخفاء لا إدغام، و إنما يقولون له إدغاماً مجازاً، و هو في الحقيقة إخفاء على مذهب من يبقى الغنة، لأن ظهور الغنة يمنع تمحيض الإدغام، إلا أنه لا بد من تشديد يسير، و هو قول الأكابر، قالوا: الإخفاء ما بقيت معه الغنة» (٦). و نقل هذا النص السمرقندي في كتابه (روح المرید) (٧).

و يأبى جماعة من علماء التجويد و علماء العربية تسمية ذلك إخفاء، و يقولون إنه إدغام، لكنه إدغام ناقص لبقاء الغنة. قال ابن أبي الأحوص الأندلسي (ت ٦٧٩هـ)، مؤلف كتاب (الترشيد في علم التجويد): «هو الصواب بدليل إبقائهم الإطباق في (أحطت) مع أنه إدغام (١) الكشف ١/ ١٦٤.

(٢) ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٥٢.

(٣) كتاب السبعة ص ٦٤٦.

(٤) نقلاً عن ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٨. و انظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٤٤.

(٥) انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ٢٥٣، و المرادي: المفيد ١١١ ظ.

(٦) انظر: المرادي: المفيد ١١١ ظ.



(٧) روح المريد ١٣٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٤

صحيح و لم يقل أحد أنه إخفاء» (١). لكن ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) قال فعلا إنه في (أحطت) إخفاء» (٢). وقد بينا حقيقة هذا القول من قبل عند الكلام عن الإدغام ناقص.

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «الصحيح من أقوال الأئمة أنه إدغام ناقص من أجل صوت الغنة الموجودة معه، فهو بمنزلة صوت الإطباق الموجود مع الإدغام في (أحطت، و بسطت)، والدليل على أن ذلك إدغام وجود التشديد فيه، إذ التشديد ممتنع مع الإخفاء» (٣).

وقال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): «التحقيق أن الإدغام مع عدم الغنة محض كامل التشديد، ومع الغنة غير محض ناقص التشديد» (٤). وهذا الخلاف بين علماء التجويد هو خلاف في الاصطلاح، لا في حقيقة النطق، لأنهم جميعا يقولون إن إدغام النون في الواو والياء إذا كان بلا غنة فهو إدغام كامل، وذلك بأن تقلب النون واوا أو ياء و تندغم في الحرف الذي بعدها، وإذا كان بغنة، ومعناه انتقال مخرج النون إلى مخرج الحرف الذي تدغم فيه مع بقاء جريان النفس من الأنف، فإن بعضهم سماه إدغاما ناقصا، لبقاء شيء من الصوت الأول، وبعضهم سماه إخفاء لأنه تنطبق عليه صفة الإخفاء.

على ما سنوضح ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى. وقد سماه بعض المحققين قلبا ناقصا، وذلك حيث قال: «فهو نوع من القلب تبعه إدغام، ولكنه قلب ناقص، إذ لم يتحول الصوت المقلوب إلى كل صفات الصوت المقلوب إليه، مما جعل القدماء يسمون هذا النوع من الإدغام إدغاما ناقصا» (٥). وهذه التسمية لا تحمل معنى جديدا بالنسبة لما قاله علماء التجويد.

ويتلخص من ذلك أن أكثر علماء التجويد يذهبون إلى أن النون الساكنة والتنوين يدغمان في ستة أحرف، تجتمع في (يرملون). و أنهما عند هذه الحروف على قسمين، قسم يدغمان فيه بغنة، وهو حروف (يومن)، ولا يلتفت علماء التجويد إلى روايته بعض القراء إدغام الواو والياء بلا غنة. وقسم يدغمان فيه بلا غنة، أي إدغاما كاملا، وهو الراء واللام، وهم لا يلتفتون أيضا إلى مذهب بعض النحاة والقراء في جواز إدغامهما في اللام والراء بغنة. (١) نقلا عن المرادي: شرح التسهيل ٣٠٨ ظ.

(٢) انظر: الأسترآباذي: شرح الشافية ٢٨٢ / ٣.

(٣) النشر ٢٨ / ٢.

(٤) اللثالي السنية ٢٥ و.

(٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٥

### ج - القلب:

إذا وقعت النون الساكنة قبل الباء تتأثر بها، ويتغير نطقها، ولكن لا يصل ذلك التأثير إلى حد الفناء التام في الباء، إنما تنقلب النون إلى صوت وسط بينها وبين الباء، وهو الميم، فهو من مخرج الباء، ويشارك النون في الغنة وهذا أمر قرره علماء العربية منذ سيبويه، الذي قال:

«و تقلب النون مع الباء ميما» (١).

وتحدث علماء التجويد عن ذلك، و اهتموا بالجوانب المتعلقة بالأداء فيه، قال الداني:

«و الحال الثالثة أن يقلبها ميما من غير إدغام، وذلك إذا لقيها الباء، نحو أن بُورِكَ [النمل: ٨]، و أَنْبِئْهُمْ [البقرة: ٣٣]، و جُدِّدْ بِيضُ [فاطر:



٢٧]، و ظلماتٌ بَعْضُهَا [النور: ٤٠]، و ما أشبهه. و إنما قلبا ميمًا عندها خاصةً من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة و مشاركتها للباء في المخرج فقلبا ميمًا من أجل ذلك» (٢).

و قال مكي: «و لا تشديد في هذا، و الغنة ظاهرة فيه في نفس الحرف الأول، لأنك أبدلت من حرف فيه غنة حرفا آخر فيه غنة، و هو الميم الساكنة. فالغنة لازمة للمبدل و المبدل منه في نفسه، فلا بد من إظهارها في هذا على كل حال.

و العلة في إبدال النون الساكنة و التنوين ميمًا عند الباء أن الميم مؤاخية للباء، لأنها من مخرجها، و مشاركة لها في الجهر و الشدة. و هي أيضا مؤاخية للنون في الغنة و الجهر. فلما وقعت النون قبل الباء، و لم يمكن إدغامها فيها لبعدها المخرجين، و لا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء و هي الميم، أبدلت منها ميمًا لمؤاخاتها النون و الباء» (٣).

و إذا قلبت النون عند الباء ميمًا، و يسميه بعض العلماء إبدالاً (٤)، صار لها حكم جديد، هو حكم الميم إذا لقيت الباء، فإن أن بُورِكَ تصير (أم بورك). قال عبد الوهاب القرطبي:

«ثم بعد قلبها ميمًا يتحول اللفظ إلى الإخفاء، لأن حظ الميم إذا سكنت أمام الباء الإخفاء، و غنة النون و الميم عند الباء تشتهبه، فلا يوجد في اللفظ فرق بين قوله أم بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ [الرعد: ٣٣]، أم بِهِ جِنَّةً [سبأ: ٨]، و بين قوله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ [نوح: ١٧]، (١) الكتاب ٤/٤٥٣. و انظر: المبرد: المقتضب ١/٢١٨.

(٢) التحديد ٢٢ و.

(٣) الرعاية ص ٢٤٠. و انظر: الكشف ١/١٦٥.

(٤) ابن الباذش: الإقناع ١/٢٥٧. و ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٦

أَنْبُوتُنِي [البقرة: ٣١]. سواء كان قبل الباء نون أو ميم، لا فرق بينهما، كله في اللفظ سواء» (١).

و ذكر السيرافي أن الفراء قال: «العنبر و كل نون ساكنة قبل الباء مخفية، أخفيت النون قبل الباء» (٢). و ذكر ذلك ابن الباذش فقال: «قال لي أبي رضى الله عنه: زعم الفراء (٣) أن النون عند الباء مخفأة، كما تخفى عند غيرها من حروف الفم. و تأويل قوله أنه سمي البدل إخفاء.

و قد أخذ بظاهر عبارته قوم من القراء المنتحلين في الإعراب مذهب الكوفيين، و تبعهم قوم من المتأخرين، خلطوا بين مذهب سيوييه و عبارة الفراء (٤)، من القلب و الإخفاء فغلطوا» (٥).

و يفهم من قول السعيدى (ت في حدود ٤١٠ هـ) الآتى أنه يأخذ بمذهب الفراء، قال:

«فلما لقيت النون باء، أمنوا الإدغام أو التشديد، فأخفوها كإخفائها عند سائر الحروف، و بقيت الباء مخففة على جهتها» (٦). و قال في مكان آخر: «هي مثل إخفاء الميم عند الباء في قراءة أبي عمرو» (٧).

و كان السيرافي قد اعترض على مذهب الفراء السابق، حيث قال: «و الذى قاله سيوييه و البصريون: إنها ميم و هو الصحيح ... فإن ادعى مدّع أنها نون مخففة غير بينة و هي ساكنة بعدها باء، قيل له: اجعلها ميمًا، فإذا جعلها ميمًا فانظر هل بينها و بين النون المخففة فرق؟ لا يوجد فرق بينهما إذا تأملته. و إذا كانت مخففة مع الباء فهي بمنزلتها مع القاف و الكاف و نحوهما، و الذى يسمع غير ذلك» (٨).

و لم نطلع على رأى الفراء بشكل مباشر (٩)، و يفهم من النصوص السابقة أنه يسمى ما يجرى للنون عند ما تقع ساكنة قبل الباء إخفاء، بينما يسميه غيره قلبا أو إبدالاً، فيكون حكم (١) الموضح ١٧٩ و.

(٢) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، مجلة المورد، مج ١٢، ج ٢، ص ١٣٨.

(٣) فى الأصل المطبوع (القراء) بالقاف، و هو تصحيف.

(٤) انظر الهامش السابق.

(٥) الإقناع ١/ ٢٥٨.

(٦) اختلاف القراء ٦١ و.

(٧) التنبيه ٤٦ ظ.

(٨) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، مجلة المورد، مج ١٢، ج ٢، ص ١٣٨.

(٩) لم أعتز على رأى الفراء فى كتابه (معانى القرآن) عند مراجعتى له وقت إعداد مادة هذا البحث.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٧

النون بعد أن تقلب ميما الإخفاء عند الباء. ولمذهب الفراء وجه من الصواب سوف نوضحه بعد أن نقف على معنى الإخفاء.

**د- الإخفاء:****إشارة**

إذا وقعت النون الساكنة قبل بقية حروف المعجم كان حكمها الإخفاء، وقد ذكر ذلك سيويوه حيث قال: «و تكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، و كان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها و هى من الفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختروا الخفة إذا لم يكن لبس، و كان أصل الإدغام و كثرة الحروف للفم، و ذلك قولك: من كان، و من قال، و من جاء» «١».

و علماء التجويد حين درسوا موضوع إخفاء النون قدّموا تفصيلات قيمة تتعلق بكيفية أداء النون المخفأة، و بتوضيح مخرجها. فقالوا: إن النون المخفأة لا يكون لها حظ فى الفم، و تصير غنة فى الخياشيم لا غير «٢». و قال الدانى: «و أما إخفاء النون و التنوين فحقه أن يؤتى بهما لا مظهرين و لا مدغمين، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير، و يبطل عمل اللسان بهما، و يمتنع التشديد لامتناع قلبهما» «٣». و قال ابن الطحان و هو يتحدث عن الإخفاء:

«و حقيقته أن يبطل عند النطق بها الجزء المعمل لها من اللسان عند التحريك و البيان، فلا يسمع إلا صوت مركب على الخيشوم» «٤». و قد علل الدانى ظاهرة الإخفاء بقوله: «و إنما أخفيا عندهن لأنهما لم يبعدا منهن كبعد هما من حروف الحلق، فيجب الإظهار للتراخى، و لم يقربا منهن كقربهما من حروف (لم يرو) فيجب الإدغام للمزاحمة، فأخفيا فصارا لا مظهرين و لا مدغمين، و غنتهما مع ذلك باقية، و مخرجهما من الخيشوم خاصة، و لا- عمل للسان فيهما. و الخيشوم خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم» «٥». (١) الكتاب ٤/ ٤٥٤. و انظر: الفراء: معانى القرآن ٢/ ٥٦ و ٢١٠، و المبرد: المقتضب ١/ ٢١٥.

(٢) انظر: السعيدى: اختلاف القراء ٦٠ ظ، و مكى: الرعاية ص ٢٤١.

(٣) التحديد ١٥ ظ. و انظر: المحكم (له) ص ٧٥.

(٤) مرشد القارئ ١٣٣ ظ.

(٥) التحديد ٢٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٨

و قول علماء التجويد: إن النون المخفأة لا عمل للسان فيها لا يوضح بدرجة كافية وضع اللسان أثناء النطق بها. إلا أن عبد الوهاب القرطبي أماط اللثام عن ذلك الجانب الخفى من كلام علماء العربية و علماء التجويد، و قرر أن مخرج النون المخفأة يتصل بمخارج الحروف التى تقع بعدها، أى أن معتمد اللسان فى الفم مع النون ينتقل إلى مخرج الحرف الذى تخفى عنده، و لكن يظل صوت الغنة

جاريا من الأنف. وقد ورد ذلك في نص طويل تضمن التعريف والتعليل والأمثلة، ولذا آثرت نقله بتمامه.

قال عبد الوهاب القرطبي: «النون والتونين تخفيان عند خمسة عشر حرفا من حروف الفم، وهى: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء والفاء» (١).

ومعنى خفائها ما قدمنا من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان «٢»، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم، ولذلك إذا لفظ بها اللفظ وسد أنفه بان الاختلال فيها. ولو تكلف متكلف إظهارها وأخرجها من الفم لأمكن ولكن بعلاج «٣»، وهذا يبين بالمحنة.

فمثال إخفاء النون مع القاف قوله تعالى: وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ [الأنعام: ٩٣]، ومع الكاف مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ [البقرة: ٩٨]. ومع الجيم مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ [النمل: ٨٩]، ومع الشين وَ لَئِنْ شِئْنَا [الإسراء: ٨٦]، ومع الضاد وَمَنْ ضَلَّ [يونس: ١٠٨]، ومع الصاد مِنْ صَلْصَالٍ [الحجر: ٢٦]، ومع السين مِنْ سَبِيلٍ [التوبة: ٩١]، ومع الزاي مِنْ زَوَالٍ [إبراهيم: ٤٤]، ومع الطاء عَنْ طَائِفَةٍ [التوبة: ٦٦]، ومع الدال مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ [فصلت: ٤٩]، ومع التاء أَنْ تَبَوَّءَا [يونس: ٨٧] ومع الظاء مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ [سبأ: ٢٢]، ومع الذال مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا [ص: ٨]، ومع التاء مِنْ ثَمَرَةٍ [البقرة: ٢٥]، ومع الفاء مَنْ فَعَلَ هذا [الأنبياء: ٥٩].

وإنما خفيت النون مع هذه الحروف لأنها حروف الفم، والنون أيضا لها مخرج من الفم، والإخفاء فى طلب الخفة به كالإدغام فى طلب الخفة به، فلما أمكن استعمال الخيشوم (١) أشرنا من قبل إلى مذهب بعض العرب وبعض القراء فى إخفاء النون قبل الغين والخاء (انظر ص ٣٦٣ من هذا البحث).

(٢) قال فى الموضح (١٧٤ و): وحقيقته السترة، لأن المخرج يستتر بالاتصال.

(٣) قال المازنى: إظهارها عند هذه الحروف لحن. (انظر: ابن البادش: الإقناع ١ / ٢٦٠).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٧٩

وحده فى النون ثم استعمال الفم وحده فيما كان أخف عليهم من استعمال الفم فى إخراج النون ثم عودهم إليه فيما بعدها. وهذا معنى قول سيويوه- رضى الله عنه:- (كان أخف عليهم ألا- يستعملوا ألسنتهم إلا- مرة واحدة) «١» ولا- يقع لبس فى خروجها من الخيشوم. وساغ ذلك فى حروف الفم دون حروف الحلق لقرب مدخل الخيشوم ومخرجه من حروف الفم دون حروف الحلق «٢». ولم يسهم دارسو الأصوات العربية من المحدثين فى تجلية حقيقة الإخفاء بشىء زيادة على ما قاله علماء التجويد، بل إن النفر القليل الذين تحدثوا عن الموضوع جاء كلامهم فيه من التردد وعدم الوضوح بما يبعده عن مرتبة الحقيقة المقررة. قال الدكتور إبراهيم أنيس:

«الدرجة التى تلى إظهار النون هى ما اصطلاح القدماء على تسميته بالإخفاء، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتا عند جمهور القراء هى: القاف ... و الفاء، وليس ما سموه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون، وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغنة. هذا إلى أننا نلاحظ مع ما يسمونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها» «٣». وقد لخص الدكتور أحمد مختار عمر النص السابق بقوله وهو يتحدث عن النون المخففة: «فهى تطول و تميل إلى مخرج الصوت الذى بعدها» «٤».

إن كون النون المخففة تطول، و كونها تميل إلى مخرج الصوت الذى بعدها أمران لم يوف النصان السابقان حظهما من الوضوح، و نبدأ بمناقشة كون النون المخففة تميل إلى مخرج الصوت الذى بعدها، ثم ناقش كون النون المخففة تطول عند الكلام عن مقدار طول الغنة بعد قليل.

إن القول بأن (النون المخففة تميل إلى مخرج الصوت الذى بعدها) لا يتضح منه المقصود بذلك الميل ولا مقداره. بينما يقرر علماء التجويد أن معتمد اللسان فى الفم عند النطق بالنون المخففة ينتقل إلى مخرج الصوت الذى بعدها، فهو ليس مجرد ميل، إنما انتقال إلى مخرج الصوت التالى، كما يحدث عند الإدغام، إلا أن الغنة باقية فى الإخفاء بينما هى تزول فى الإدغام. يؤكد ذلك ما نسمعه من

نطق مجيدى قراءة القرآن الكريم اليوم، و أقوال (١) الكتاب ٤ / ٤٥٤.

(٢) الموضوع ١٧٧ ظ.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٧١ - ٧٢.

(٤) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٠

علماء التجويد التي نقلنا بعضها قبل قليل، و نضيف إلى ذلك قول مكى: «فالغنة التي في الحرف الخفى هي النون الخفية، و ذلك أن النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان و أطراف الثنايا، و معها غنة تخرج من الخياشيم، فإذا خفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، و بقى ما كان يخرج من الخياشيم ظاهرا» (١).

إن الدارس حين يتأمل نطق مثل (من قال) و (من كان) يجد أن معتمد النون قد انتقل من طرف اللسان إلى أقصاه حيث يعتمد للصوت التالى للنون. و كذلك الحال فى مثل (إن جاء) و (إن شاء) فإن معتمد اللسان لصوت النون ينتقل إلى مخرج الجيم و الشين. و مثل ذلك يحدث فى مثل (من تاب) و (عن ذكر) و (من سأل) و (من فعل). و اللسان يعتمد للنون و للصوت الذى بعدها فى كل ذلك اعتماداً واحدة، إلا أن الجزء الأول منها مصحوب بغنة هي بقية النون، بينما الجزء الأخير من الاعتماد هو للصوت الذى يلي النون حالياً من الغنة.

و يلاحظ هنا أن اعتماد اللسان للنون المخفأة إذا كان عند صوت شديد (انفجاري) فإن الغنة تخرج خالصة من الخياشيم، و أن اعتماده لها إذا كان عند صوت رخو (احتكاكى) فإن النفس فى أثناء خروجه من الأنف يكون مصحوبا بتسرب جزء منه من الفم من الموضوع الذى يعتمد فيه للحرف الذى يأتى بعد النون، يتأكد ذلك بسد الأنف فى أثناء النطق بالحالتين حيث تبطل الغنة فى الحالة الأولى، من غير أن يشعر الناطق بجريان النفس من الفم، بينما تبطل الغنة فى الحالة الثانية و يظل النفس جاريا فى مخرج الحرف. هذا ما نجده من ملاحظته نطق مجيدى قراءة القرآن فى زماننا، مع ما نشعر به من حاجة الموضوع إلى تحليل صوتى آلى دقيق، لا يتيسر لنا القيام به الآن.

أما كون الإخفاء (محاولة الإبقاء على النون و ذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغنة) كما ذهب إليه بعض المحدثين فأمر يفتقر إلى الوضوح، و لا يخلو من القصور. فالإخفاء ليس محاولة للإبقاء على النون إنما يمثل درجة من درجات تأثرها بما يجاورها من الأصوات. كما أن القول بإطالة النون حتى تؤدي إلى الغنة كلام لا يتناسب مع حقيقة صوت النون الذى لا تنفك عنه الغنة إلا إذا أدغم إدغاما كاملا.

و لم يترك علماء التجويد الأمر غامضا، فقد بينوا حقيقة الإخفاء، و حذروا من إطالة (١) الكشف ١ / ١٦٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨١

الغنة معه، فقال المرعشى: «و ليحذر من تطويل غنة الإخفاء» (١)، و قال أيضا: «و اجعل غنة النون أكمل من غنة الميم، لأنها أغن من الميم، لكن احذر عن تطنين الغنة عند الوقف عليهما لأن إظهار الغنة و إن احتاج إلى تمديد لكن المبالغة فى التمديد لحن، و هو معنى التطنين» (٢)، و كان علماء التجويد قد حذروا من تطنين النون، و يعدون ذلك من معايب النطق التى يجب أن يجتنبها القراء (٣). و حاول بعض علماء التجويد المتأخرين توضيح مقدار الزمن الذى يستغرقه نطق الغنة، على مقدار ما أسعفتهم وسائلهم و قد أشار المرعشى إلى أنه لم ير فى مؤلف تقدير امتداد الغنة (٤)، لكنه قال: «لكن لا يصل امتدادها إلى قدر ألف أو أزيد» (٥). و كان الدر كزلى أكثر وضوحا فى ذلك حيث قال: «و أما زمنها فهو أطول من زمن الحرف و أقصر من زمن الحرفين، فيكون قريبا من زمن المد الطبيعى» (٦).

و قياس طول الصوت يعد من دقائق علم الأصوات التى لا تزال تفتقر إليها دراسة الأصوات العربية فى الوقت الحاضر، و محاولة علماء

التجويد تحديد زمن الغنة أمر جدير بالملاحظة، و لم يكن ذلك مقتصرًا على الغنة كما أنه لم يكن محصورًا لدى علماء التجويد المتأخرين. و كان عبد الوهاب القرطبي متميزًا بمعالجة هذا الجانب، مكثرا من الموازنة بين أطوال الأصوات. من ذلك قوله: «إن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن» (٧). و قوله عن المشدد: «و يلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعا واحدا، إلا أن مكثه و احتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه و احتباسه في المخفف» (٨). ثم قوله: «الواجب (١) جهد المقل ٥٦ ظ. و قد قال النابلسي (كفاية المستفيد ٩ و): «و ليحترز القارئ من المد قبل إخفاء النون في نحو (كنتم) لثلا- يتولد منها و او فتصير: كونتم». و انظر: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص ٤.

(٢) جهد المقل ٦٣ ظ.

(٣) انظر: السعيدى: التنبيه ٤٦، و ٥١ و.

(٤) جهد المقل ٣١ ظ.

(٥) بيان جهد المقل ٥ ظ.

(٦) خلاصة العجالة ٥٠ و.

(٧) الموضح ١٦٦ و، و انظر: السيرافى: شرح كتاب سيبويه ٤٦٨ / ٦.

(٨) الموضح ١٦٩ و- ١٦٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٢

معرفته من كيفية النطق بالمشدد و صفه التلفظ به و هو أن يكون مقدار زمان النطق بحرفين ساكن و متحرك، و لا يزيد على ذلك فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، و لا يقصر دونه» (١) و من ذلك أيضا قوله: «و إن زمان النطق بالتليين أطول من زمان النطق بالتشديد، لأن المد يبقى مع التليين و يذهب مع التشديد، فلذلك كان زمان التليين أطول» (٢).

و إذا كان علماء التجويد لم يوفقوا في تحديد زمن كل صوت بالثانية و أجزاءها فإن هذا أمر لا تزال الدراسة الصوتية المعاصرة تفتقر إليه. و يظل لعلماء التجويد فضل السبق في طرق أبواب الموضوع و استخدام الملاحظة الذاتية في تقريب زمن نطق الأصوات عن طريق الموازنة بينها و قياس طول الصوت بالنسبة إلى صوت آخر، و اعتقد أن مثل قول المرعشى الآتى لا يزال مقبولا تؤيده الملاحظة الذاتية و إن كان بحاجة إلى التحديد الدقيق، يقول المرعشى:

«و بالجملة إن الحروف على أربع مراتب:

آنى لا يمتد أصلا، و هى الحروف الشديدة.

و زمانى يمتد قدر ألف، و هى حروف المد.

و زمانى يقرب من قدر ألف، و هى الضاد المعجمة و حروف التنشى.

و زمانى يقرب من الآنى، و هى بواقي الحروف» (٣).

و ما قرره علماء التجويد من كون طول زمن الغنة يقرب من زمن حرف المد، و أنه ينبغى التحفظ من إطالة الغنة عند الإخفاء، كان شيئا عاما حاول بعض علماء التجويد التفصيل فيه، فجعلوا الإخفاء على درجات بحسب قرب أو بعد النون عن الأصوات التى تخفى عندها النون. فقال الدانى: «و إخفاؤهما على قدر قربهما و بعدهما، فما قربا منه كانا عنده أخفى مما بعدا عنه» (٤). و قال عبد الوهاب القرطبي: «إن حروف الإخفاء أيضا ترتبت فى التوسط، فكان فيها أقرب و أبعد، فكان الإخفاء فى الأقرب أكثر منه فى الأبعد، فصار الأبعد بين الإخفاء و الإظهار» (٥). (١) الموضح ١٦٩ ظ.

(٢) الموضح ١٧٤ و.

(٣) جهد المقل ١٧ ظ.

(٤) التحديد ٢٢ و.

(٥) الموضح ١٧٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٣

و وضح المرعشى ذلك بقوله: «الإخفاء يشبه المد، لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج إلى التراخي ... و اعلم أن الإخفاء على ثلاث مراتب، يتوقف بيانها على تقديم مقدمة، و هي أن الغنة صفة النون الساكنة و أثرها الباقي عند إخفاء ذاتها فمعنى صغر إخفاء النون كبير أثرها الباقي، و معنى كبير إخفائها صغر أثرها الباقي، إذ ذاتها معدومة عند الإخفاء على كل حال.

و حروف الإخفاء على ثلاث مراتب: أقربها مخرجا إلى النون ثلاث: الطاء و الدال المهملتان و التاء المثناة الفوقية، و أبعدها القاف و الكاف، و البواقي متوسطة في القرب و البعد ...

أقول (المرعشى): و بالجملة إن مراتب الحروف ثلاث: فإخفاؤهما عند الحروف الثلاث الأول أزيد، و غنتهما الباقية قليلة، بمعنى أن زمان امتداد الغنة قصير. و إخفاؤهما عند القاف و الكاف أقل و غنتهما الباقية كثيرة، بمعنى أن زمان امتدادها طويل. و إخفاؤهما عند بواقي الأحرف متوسط، فزمان غنتهما متوسط. و لم أر في مؤلف تقدير امتداد الغنة في هذه المراتب» (١).

و قسم الدركرلى الإخفاء إلى كبير و صغير و ذلك حيث قال: «الإخفاء نوعان، كبير و صغير أى غير تام. فالأول لا يكون إلّا عند القاف و الكاف، و الثانى عند ما عدهما من باقى الحروف المذكورة» (٢).

و تقسيم الإخفاء إلى مراتب سواء أ مرتبتين كانت أم ثلاثا مقبول من الناحية الصوتية، و تؤيده الملاحظة الذاتية، لكن الأمر لا يزال بحاجة إلى أجهزة مختبر الصوت التى يمكن أن نتبين من خلالها درجات إخفاء النون عند حروف الإخفاء الخمسة عشر، و هذه الملاحظة لا تغض من قيمة ما قدمه علماء التجويد فى دراسة ظاهرة الإخفاء و غيرها من أحكام النون الساكنة، لأن الدراسات الصوتية العربية المعاصرة لم تصل إلى المرحلة التى وصل إليها علماء التجويد فى دراسة كثير من الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب.

### رأى فى أحكام النون الساكنة و التنوين:

إن علماء التجويد حين اختلفوا فى حصر أحكام النون الساكنة و التنوين بين ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة لم يكن اختلافهم يتجاوز التقسيم الشكلى إلى الاختلاف فى حقيقة فهم الظواهر الصوتية، فكان لكل واحد منهم وجهة نظر يعتمد عليها فى حصر أحكام النون الساكنة (١) جهد المقل ٣١ و- ٣١ ظ.

(٢) خلاصة العجالة ٦٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٤

من غير أن تتناقض مع مذاهب غيره من العلماء، كما يتضح من العرض السابق لأرائهم. و هذه محاولة لإعادة النظر فى مذاهب علماء التجويد فى حصر أحكام النون الساكنة من حيث التقسيم لا من حيث المادة، ثم محاولة اختيار المذهب الأكثر انسجاما مع حقائق الدرس الصوتى.

و هذه المحاولة تعتمد على فهم معين لنطق صوت النون، هذا الفهم يقوم على أساس أن نطق النون يتميز بكون طرف اللسان يعتمد على اللثة فينسد مجرى النفس عبر الفم، فيتحول إلى الخيشوم، فتحصل الغنة التى هى جوهر صوت النون مع ما يصاحب ذلك من دوى يحصل فى الفم. و حين تتجاوز النون ساكنة مع بقية الحروف فإنها تتأثر بها، و لذلك التأثر درجتان:

تأثر كامل و ناقص، فإذا انحصر التأثر بزوال معتمد طرف اللسان على اللثة و انتقل صوب مخرج الصوت الآتى بعد النون مع بقاء جريان النفس من الألف، و هو صوت الغنة، فالتأثر حينئذ ناقص. و إذا امتد التأثر إلى وقف جريان النفس من الأنف، و هو يعنى زوال



الغنة، إلى جانب زوال معتمد اللسان من موضع النون فإن التأثير حينئذ كامل، فينقلب صوت النون إلى جنس الصوت الآتى بعده و يدغم فيه إدغاما محضاً. وهذا كله مقرر في كلام علماء التجويد، مؤيد بنتائج الدرس الصوتي الحديث، ولكن الأمر الذي تباينت فيه كلمة علماء التجويد هو في استخدام المصطلحات و في نسبة الأصوات إلى كل حالة من أحوال النون الساكنة، على نحو ما ذكرنا في أول الكلام عن هذا الموضوع.

و تلخص هذه المحاولة في تقسيم أحكام النون الساكنة و التنوين إلى ثلاثة أحكام، و هي: الإظهار و الإخفاء و الإدغام. فإذا حافظت النون على معتمدها في الفم مع بقاء الغنة من الأنف كان إظهاراً، و إذا زال معتمدها في الفم مع بقاء الغنة من الأنف كان إخفاءً و إذا زال معتمدها مع زوال الغنة كان إدغاما. و هذه نظرة ذهب إليها بعض علماء التجويد، و قد نسبها زكريا الأنصاري إلى الجعبري «١». و قال على القاري: «و قد قال بعض المحققين في أحكام النون الساكنة و التنوين: التحقيق أنها ثلاثة: إظهار، و إدغام محض و غيره و سبق بيانه، و إخفاء مع قلب و دونه» «٢».

و ما نذهب إليه يختلف جزئياً مع ما ذهب إليه الجعبري و نقله على القاري، و ذلك في (١) تحفة نجباء العصر ص ٢. (٢) المنح الفكرية ص ٤٤-٤٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٥

جعل الإدغام محضاً و غير محض، و نحن لا نرى أن يطلق مصطلح الإدغام إلا إذا كان محضاً، أما إذا كان غير محض، و هو ما بقيت معه الغنة، فالأولى أن يسمى إخفاءً و قد قال قديماً أحمد ابن نصر الشذائي (ت ٣٧٣ هـ) و هو تلميذ ابن مجاهد: «المخفي ما تبقى معه غنة» «١». و من ثم يمكن أن تدرس أحكام النون الساكنة على هذا النحو:

١- الإظهار، و ذلك عند حروف الحلق الستة، بغض النظر عن إخفاء بعض العرب و بعض القراء النون قبل الخاء و العين.  
٢- الإدغام، و أعني به الإدغام التام أو الكامل أو المحض الذي لا يبقى معه للنون أثر، و ذلك مع اللام و الراء، حيث تصير النون قبل الراء راء، و قبل اللام لاما، من غير أن يلتفت إلى ما رواه بعض علماء العربية و بعض علماء القراء من إبقاء الغنة مع اللام و الراء. أما إدغام النون في النون فهذا أمر مفروغ منه على أساس قاعدة أن المثلين إذا التقيا و كان أولهما ساكناً أدغم الأول في الثاني و ارتفع العضو بهما ارتفاعاً واحدةً و شدد الصوت.

و أما الواو و الياء فإن جمهور القراء يذهبون إلى إدغام النون فيهما مع إبقاء الغنة و نحن لهذا السبب نرى أن يلحقا بباب الإخفاء. و هو ما ذهب إليه عدد من كبار علماء التجويد كما ذكرناه عند الكلام عن إدغام النون فيهما من قبل.

و أما الميم فإن تأثير النون الساكنة بها يمكن أن يسمى إدغاما لأن النون تحولت إلى مثل الصوت الذي بعدها، و هو الميم، و ذلك في مثل (من ماء) حيث تصير في النطق (مم ماء).

و يمكن أن يسمى إخفاءً لأن الإخفاء هو أن يزول معتمد النون في الفم و يبقى صوت الغنة، و هو ما يحصل في هذه الحالة، فإن معتمد النون قد زال من طرف اللسان و انتقل إلى مخرج الصوت الآتى بعد النون، و هو الميم التي يعتمد لها في الشفتين. لكن حدث هنا أن الميم صوت يشارك النون في الغنة، فحين انتقل معتمد النون إلى مخرج الميم مع بقاء الغنة بدت النون مثل الميم، لأن معتمدهما صار واحداً، مع جريان الغنة معهما من الأنف، و توفرت حينئذ شروط الإدغام.

٣- الإخفاء: و هو ما يزول معه معتمد النون من الفم و ينتقل إلى مخرج الصوت الآتى بعد النون بأن يتقدم أو يتأخر حسب طبيعة الصوت، مع المحافظة على الغنة. و هو حكم ينطبق على النون إذا وقعت قبل الحروف الخمسة عشر التي ذكرها علماء التجويد، إلى جانب الواو (١) التحديد ١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٦

و الياء، و قد تحدثنا قبل قليل عن الأساس الذي يلحقان بموجبه بحروف الإخفاء، و إلى جانب صوت الباء، و لعل ذكر الباء مع حروف



الإخفاء يبدو أمرا غريبا، لكن لا ينبغي أن نستوحش من ذلك، لأنه من الناحية النطقية ينطبق عليه تعريف الإخفاء. و كان الفراء قد سماه إخفاء كما ذكرناه حين درسنا حكم القلب.

فالنون الساكنة إذا وقعت قبل الباء في مثل (من بعد) لا تدغم في الباء لأنها لم تقرب منها قرب اللام والراء، كما أنها لا تظهر لأن الباء لم تبعد من النون بعد حروف الحلق. و من ثم كانت النون في مرتبة متوسطة بين الإظهار والإدغام، فانقلت معتمد النون في الفم إلى معتمد الصوت الآتي بعدها وهو الباء، ولكن الصوت الناتج حينئذ من انتقال معتمد النون إلى الشفتين مع إبقاء صوت الغنة هو مثل صوت الميم، و ما حدث في هذه الحالة، هو عين ما حدث في مثل (من ماء) حين آلت النون إلى صوت الميم، لكن الصوت الآتي بعد النون في (من ماء) صوت أنفي أغن بينما الصوت الآتي بعد النون في مثل (من بعد) صوت ليس فيه غنة.

إننا حين نقول إن النون قلبت ميمًا في مثل (من بعد) يجب أن نقول من الناحية النطقية أن النون قلبت ميمًا بالطريقة نفسها في مثل (من ماء)، ولكن الميم الناتجة من انتقال مخرج النون إلى الشفتين صادفت في الحالة الأولى صوتا ليس فيه غنة فتوقف تأثر النون عند حد صيرورتها ميمًا، و صادف في الحالة الثانية صوتا أنفيا ينتج بنفس الطريقة فتبع قلب النون ميمًا إدغامها في الميم.

إن ما حصل للنون الساكنة قبل الميم والباء يشبه من الناحية النطقية ما حصل للنون قبل القاف والكاف و ما سواهما من حروف الإخفاء الخمسة عشر التي يذكرها علماء التجويد، و ما يحصل للنون قبل الياء الواو أيضا، فإذا قلنا (من قال) أو (من كان) فإن معتمد النون بدلا من أن يتقدم نحو الشفتين كما في مثل (من بعد) و (من ماء) يتراجع نحو أقصى اللسان، و يظل النفس جاريا من الأنف، و هو ما نسميه بالغنة.

و الفرق بين النون المخفأة في (من قال) و بين النون المخفأة في (من بعد) ليس صوتيا بالدرجة الأساس، و ذلك لأن تعريف الإخفاء ينطبق على الحالتين فهما متفتحتان نطقيا أو عضويا، من حيث انتقال معتمد النون في الفم مع بقاء الغنة من الأنف. و إنما الفرق بينهما أن الصوت الناتج من انتقال معتمد النون إلى مخرج الصوت الآتي بعدها في (من بعد) يعد حرفا مستقلا في اللغة العربية، بينما الصوت الناتج من انتقال معتمد النون إلى مخرج الصوت الآتي بعدها في (من قال) ليس حرفا أو وحدة صوتية مستقلة إنما هو تنوع موقعي لصوت النون.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٧

فالأصوات الأنفية في العربية اثنان: النون و يعتمد لها بطرف اللسان على اللثة، و الميم و يعتمد لها بين الشفتين. و يمكن من الناحية النطقية إنتاج عدد آخر من الأصوات الأنفية، و ذلك في كل حالة يمكن أن يحصل فيها اعتماد في الفم مع بقاء صوت الغنة جاريا من الأنف، و هو ما ينطبق على جميع الأصوات الناتجة من إخفاء النون عند حروف الفم الخمسة عشر و الياء و الواو أيضا، و لكن جميع هذه الأصوات الأنفية تعد تنوعا موقعا لصوت النون، و لا يعد أي منها صوتا مستقلا يدخل في بنية الكلمة العربية كأن يقع فاء أو عينا أو لاما.

و من ذلك يتأكد أن أحكام النون الساكنة حين تلتقى بغيرها تعد من الناحية النطقية (أي العضوية) ثلاثة أحكام هي: الإظهار و الإخفاء و الإدغام و لكن هناك جانب آخر ينبغي أن يؤخذ بالحسبان، و هو أن جعل حكم النون الساكنة قبل الباء داخلا في الإخفاء يتعارض مع مبدأ تبسيط القواعد الذي يتطلبه تعليم المبتدئين. و من ثم فإن هذا المبدأ يقتضى أن نفرد حكم النون الساكنة قبل الباء كما فعل جمهور علماء التجويد حين سموها هذه الحالة بالقلب أو الإقلاب.

و لا شك أن التمييز بين مستويين من الدرس الصوتي و هما المستوى التعليمي و المستوى التحليلي الوصفي الخالص أمر مطلوب، و قد مر بنا أن البقرى حين عرض أحكام النون الساكنة قال: «و الأولى أن تعد خمسة تقريبا للمبتدئين و تسهيلا عليهم» (١). و من ثم فنحن إذا نظرنا إلى الموضوع من الناحية الصوتية المحضة نقول إن أحكام النون الساكنة ثلاثة، و إذا نظرنا إلى الموضوع من الناحية التعليمية جعلناها أربعة بإضافة حكم القلب أو الإقلاب لأنه من غير اليسير على المبتدئين تصور أن يكون حكم النون الساكنة قبل الباء

إخفاء و هم يرون صيرورتها في النطق ميمًا.

## ٢- أحكام الميم الساكنة:

### إشارة

إن تأثر الميم الساكنة بمجاورة غيرها من الأصوات يكاد يكون معدوماً، على الرغم من أنها تشارك النون في صفة الأنفية، حيث تنطبق الشفتان عند نطق الميم و يجرى النفس غنة في الخياشيم. و هناك عاملان أثرا في علاقة الميم بغيرها من الأصوات، هما: العامل الأول: هو أن الإدغام يكثر في حروف الفم و يقل في حروف الحلق و الشفتين «٢»، قال الداني: «و اعلم أن أصل الإدغام إنما هو حروف الفم و اللسان لكثرتها في (١) غنية الطالبين ص ٤٧.

(٢) انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٦٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٨

الكلام و قرب تناولها، و يضعف في حروف الحلق و حروف الشفتين لقلتها و بعد تناولها» (١).

و قال مكى: «يجب أن تعلم أن حروف الحلق لا يدغم في حروف الفم و لا في حروف الشفتين. و قد تدغم بعض حروف الحلق في بعض لتقارب المخارج. و تعلم أن حروف الفم لا تدغم في حروف الحلق و لا في حروف الشفتين ... و تعلم أن حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق و لا- في حروف الفم لبعدها ما بينهن في المخرج» (٢). و كان السعيدى قد بين أساس كل تأثر بين الأصوات حين قال: «و لا يكون الإخفاء و الإدغام إلا لمقاربة الحرفين أو لتزاحمهما في المخرج الواحد» (٣).

العامل الثانى: هو أن كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتا منه لما يلحق الإدغام من الاختلال (٤). و قد قال ابن الباذش: «و المزايا التى تذهب للإدغام خمس، و هى: الاستطالة و التفشى و التكرير و الصفير و الغنة» (٥). و من العلماء من يعد الأصوات التى تمتنع أن تدغم فى غيرها خمسة هى الراء و الشين و الضاد و الفاء و الميم، و من العلماء من يعدها ثمانية يضيف إليها السين و الصاد و الزاى (٦).

و قد وضع الدانى علل امتناع إدغام بعض الأصوات فى غيرها، و هى عنده ثمان (٧)، و ذلك حيث قال: «و كلما تقاربت المخارج و تداقت كان الإدغام أقوى، و ما تكافأ فى المنزلة من المتقاربين فإدغامه جائز، لأنه لا يعرض ما يمنعه من الإدغام. و ما تفاضل بالإدغام فى المنزلة بزيادة الصوت فإدغامه ممتنع لما يدخله من الاختلال بذهاب صوته بالإدغام، فلا يدغم الأفضل فى الأنقص لذلك، و يدغم الأنقص فى الأفضل لأنه يخرج بذلك إلى الحرف الأقوى.

و إخراج الأضعف إلى الأقوى جائز لأنه يقوى فيه.

و جملة الحروف التى تمتنع من الإدغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، و قد جمعها فى (١) الإدغام الكبير ٦ و.

(٢) الكشف ١/ ١٤٠.

(٣) اختلاف القراء ٦٠ ظ.

(٤) ابن الباذش: الإقناع ١/ ١٧٠. و انظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٤٧، و ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٣.

(٥) الإقناع ١/ ١٨٨.

(٦) انظر: القرطبي: الموضع ١٥٩ و.

(٧) انظر: التحديد ١٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٨٩

قولك (فرم ضرس شص): الشين والضاد والراء والصاد والسين والزاي والميم والفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها. وأما الضاد فلاستطالتها، وأما الراء فلتكريرها، وأما الصاد والسين والزاي فلصغيرهن، وأما الميم فلغنتها، وأما الفاء فلتفشيها» (١).  
وقد أثر هذان العاملان في علاقة الميم بغيرها من الأصوات لأن الميم شفوية غناء، فالعامل الأول يحد من المجال الذي يمكن أن يحدث فيه التأثر، ويقصره على حروف الشفتين مثل الباء والواو وتلحق بهما الفاء. والعامل الثاني يمنع أن يقع التأثر بين الميم والأصوات الأخرى التي تشاركها في المخرج، لتمييز الميم عليها بالغنة، ومن ثم يكاد الدارس يسقط من موضوع الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب كل ما يتعلق بأحكام الميم الساكنة لولا بعض المناقشات التي دارت بين علماء التجويد، مما هو جدير بالوقوف عنده، ولولا بعض الروايات التي يلاحظ فيها تأثير الميم بالأصوات المجاورة. وقد قسم المتأخرون من علماء التجويد والقراءات أحكام الميم الساكنة إلى ثلاثة أقسام هي (٢):

### أ- الإدغام:

وذلك إذا لقيت الميم الساكنة ميمًا أخرى، قال مكي: «وإذا لقي الميم وهي ساكنة ميم أخرى وجب الإدغام» (٣). وذلك نحو خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ [البقرة: ٢٩]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ [يونس: ٤٠]، وَ لَهُمْ ما يَدْعُونَ [يس: ٥٧]. والميم في هذا مثل غيرها من الأصوات المتماثلة إذا التقت، وكان الصوت الأول ساكنًا. ولا تدغم الميم في غيرها. قال الداني عن الميم: «إذا التقى بمثله أدغم فيه لا غير» (٤).

### ب- الإظهار:

وذلك إذا وقع بعد الميم الساكنة بقية حروف المعجم ما عدا الباء. ويجب إنعام بيانها لا سيما إذا وقع بعدها فاء أو واو لمشاركتها لهما في المخرج. قال الداني: «وإن التقى بالفاء أو الواو أنعم بيانه للغنة التي فيه» (٥). وقال السعدي: «ومما يحفظ أيضا إسكان الميم الساكنة إذا أردت إظهارها عند الفاء والواو في مثل قوله تعالى عند الفاء وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ [البقرة: ١] الإدغام الكبير ٦-٦ ظ. (٢) انظر: ابن الجزري: النشر ١/ ٢٢٢. المرعشي: جهد المقل ٣٢.

(٣) الرعاية ص ٢٠٧.

(٤) التحديد ٤٠ ظ.

(٥) التحديد ٤٠ ظ. وانظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ١٧٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٠

١٥] ... وعند الواو نحو قوله أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ [الأعراف: ٧١] ... وما أشبه هذه الحروف. يلفظ بهذه الميمات كلها ساكنة ويتوقى فيها من الحركة، فإذا أطبقت شفتيك للميم وأوردت النطق بالفاء ألحقت ثنيتك بمخرج الفاء من الشفة السفلى، وليكن ذلك عند انفتاح شفتيك من الميم في وقت واحد من غير اضطراب بينهما ولا إبطاء، فإن ذلك يؤدي إلى تحريك الميم» (١).

وقد وضّح عبد الوهاب القرطبي حقيقة الإظهار بقوله: «فأما الإظهار فهو حكم يجب عند اجتماع حرفين تباعدا إما في المخرج أو في الخاصية، والأول منهما ساكن ... فأما كيفية اللفظ بالمظهر فأن يكون قطعك مخرج الحرف المظهر بإسكانه وأخذك في الحرف المتحرك بعده في زمان واحد ووقت واحد من غير إبطاء يوهم التشديد ولا إزعاج يأخذ بك إلى الإقلال والتحريك، وهذا مع

إخلاص سكون الساكن و إشباع حركة المتحرك» (٢).

وقال أبو العلاء الهمداني العطار: «و إظهارها عند الواو أسهل منه عند الفاء، وذلك لأن الميم توافق الواو في المخرج، فأما عند الفاء فيحتاج إلى تكلف لأن الفاء بانحدارها إلى الفم باعدت الميم» (٣). و يبدو لي أن ملاحظة العطار صحيحة لكن التعليل لا يمكن القطع به، وذلك لأن البعد في المخرج أدعى إلى سهولة الإظهار، ولعل ما في الفاء من التفشى هو السبب في أن إظهار الميم قبل الواو أسهل منه عند الفاء.

وهناك روايات لا يأخذ بها جمهور القراء جاء فيها إدغام الميم الساكنة في الفاء، قال الداني: «على أن أحمد بن أبي سريح قد روى عن الكسائي إدغامه في الفاء، وذلك غير صحيح ولا جائز» (٤). وقال السعيدى: «و هو ردىء عند أهل الأداء، و قليل من يأخذ به لبعده مخرج الفاء من الميم في الشفة السفلى. و قد قال أبو مزاحم الخاقاني في قصيدته بيتا في هذا المعنى و هو (٥):

و لا تدغمن الميم إن جئت بعدها بحرف سواها و اقبل العلم بالشكر

(١) التنبية ٥٢ ظ - ٥٣ و. و انظر: القرطبي: الموضح ١٧٦ ظ.

(٢) الموضح ١٧٤ و.

(٣) التمهيد ١٥٥ ظ.

(٤) التحديد ٤٠ ظ.

(٥) انظر: بحث (علم التجويد: نشأته و معالمه الأولى) في مجلة كلية الشريعة، العدد السادس ١٩٨٠ ص ٣٥٢.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩١

و له أيضا بيت آخر في هذا المعنى و هو:

أدغم إذا ما قرأت اللام في الراء و بين الميم عند الواو و الفاء

«١» و قال الشذائي: «إدغام الميم في الفاء لحن» (٢).

و كذلك جاء في بعض الروايات إخفاء الميم عند الواو و الفاء. و هو يخالف مذهب الجمهور (٣)، كما أن العلاقة بين الميم و كل من الواو و الفاء لا يتضح معها وجه لإخفاء الميم عندهما، لكون الأصوات الثلاثة من مخرج واحد، و معنى الإخفاء انتقال المخرج و بقاء الغنة، و ذلك لا يستقيم إلا إذا فسرنا الإخفاء على نحو آخر، قال ابن البادش: «فأما الفاء و الواو فغير ممكن فيهما الإخفاء إلا بإزالة مخرج الميم من الشفتين، و قد تقدم امتناع ذلك، فإن أرادوا بالإخفاء أن يكون الإظهار رفيقا غير عنيف فقد اتفقوا على المعنى و اختلفوا في تسميته إظهارا أو إخفاء، و لا تأثير لذلك، و أما الإدغام المحض فلا وجه له» (٤).

## ج- الإخفاء:

و ذلك عند الباء فقط على خلاف بين أهل الأداء. قال الداني: «فإن التقت الميم بالباء نحو آمئتم به [البقرة: ١٣٧] ... و أم بعيذ [الأنبياء: ١٠٩] و ما أشبهه فعلمناؤنا مختلفون في العبارة عنها معها. فقال بعضهم: هي مخفأة لانطباق الشفتين عليهما كانطباقهما على إحداهما. و هذا مذهب ابن مجاهد فيما حدثنا به الحسين بن علي عن أحمد بن نصر عنه.

قال: و الميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى، لأن لها صوتا في الخياشيم تواخى به النون الخفيفة. و إلى هذا ذهب شيخنا علي بن بشر رحمه الله. قال أبو العباس محمد بن يونس النحوي المقرئ: في أهل اللغة من يسمى الميم الساكنة عند الباء إخفاء، قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر (٥).

و قال آخرون هي مبينة للغنة التي فيها. قال أبو الحسين بن المنادي: أخذنا عن أهل الأداء بيان الميم الساكنة عند الواو و الفاء و الباء

في حسن من غير إفحاش. و قال أحمد بن (١) التنبيه ٥٣ و.

(٢) ابن الباذش: الإقناع ١ / ١٨١.

(٣) الأهوازي: الوجيز ١٣ ظ، و السخاوي: جمال القراء ١٩٣ ظ.

(٤) الإقناع ١ / ١٨١ - ١٨٢.

(٥) ما عثرت عليه في الكتاب (٤/ ٤٣٨) هو أن المخفى بزنة المتحرك.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٢

يعقوب التائب: أجمع القراء على تبيين الميم الساكنة و ترك إدغامها إذا لقيتها باء في جميع القرآن. و قال: و كذلك الميم عند الفاء، و ذهب إلى هذا جماعة من شيوخنا. و حكاه أحمد بن صالح عن ابن مجاهد، و بالأول أقول «١».

و قال مكى: «و إذا سكنت الميم و جب أن يتحفظ بإظهارها ساكنة عند لقائها باء أو فاء أو واو ... لا بد من بيان الميم الساكنة في هذا كله ساكنة من غير أن يحدث فيها شيء من حركة، و إنما ذلك خوف الإخفاء و الإدغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن، لأنهن كلهن يخرجن من ما بين الشفتين» «٢».

و قال أبو العلاء الهمداني العطار: «و أكثر أهل الأداء على إظهارها أيضا عند الباء» «٣».

و قال المرادي: «القول بالبيان أشهر، و عليه الأكثر» «٤».

و قال ابن الباذش: «قال لى أبى - رضى الله عنه-: المعول عليه إظهار الميم عند الفاء و الواو و الباء، و لا يتجه إخفاؤها عندهن إلا بأن يزال مخرجها من الشفة، و يبقى مخرجها من الخيشوم، كما يفعل ذلك في النون المخفأة. و إنما ذكر سيبويه الإخفاء في النون دون الميم «٥»، و لا ينبغي أن تحمل الميم على النون في هذا ... إلا أن يريد القائلون بالإخفاء انطباق الشفتين على الحرفين انطباقا واحدا، فذلك ممكن في الباء وحدها في نحو: أكرم يزيد» «٦».

و يبدو لى أن القول بإظهار الميم الساكنة عند الباء هو الصحيح، و ذلك لأن انطباق الشفتين على الحرفين انطباقا واحدا لا يكفي لتسمية ذلك بالإخفاء الذى قد يلتبس معناه لا سيما إذا انصرف الذهن إلى معنى إخفاء النون عند حروف الفم. و قولنا بالإظهار هنا لا يراد منه قطع نطق الميم عن الباء، لأن ذلك يكون في الغاية من الثقل و الاستبشاع «٧». و المتأمل يجد أن نطق الميم الساكنة قبل الباء يكون واحدا عند من سماه إخفاء و عند من سماه إظهارا. (١) التحديد ٤٠ ظ، و لخص القرطبي في الموضح (١٧٨ ظ) كلام الدانى المذكور هنا.

(٢) الرعاية ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) التمهيد ١٥٥ ظ.

(٤) المفيد ١١٥ و.

(٥) انظر: الكتاب ٤ / ٤٥٤.

(٦) الإقناع ١ / ١٨١.

(٧) انظر: القرطبي: الموضح ١٧٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٣

فالاختلاف على الأرجح لفظي فالأولى إغفاله و إجراء حكم الميم الغالب عليها و هو الإظهار.

و كان المرعى قد عالج هذا الموضوع و دقق في خفاياه و فرّق بين حالة الإخفاء و حالة الإظهار من الناحية الصوتية، و ذلك حيث قال: «إن معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية بل إضعافها و ستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها و هو الشفتان، لأن قوة الحرف و ظهور ذاته إنما هو بقوة الاعتماد على مخرجها ...

و بالجمله إن الميم و الباء يخرجان بانطباع الشفتين، و الباء أدخل و أقوى انطباعا كما سبق في بيان المخارج، فتلفظ بالميم في (أن بورك) بغنة ظاهرة و بتقليل انطباع الشفتين جدا، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباعهما و تجعل المنطق من الشفتين في الباء أدخل من المنطق في الميم.

فزمان انطباعهما في (أنبورك) أطول من زمان انطباعهما في (أبورك)، و زمان انطباعهما في الميم أطول من زمان انطباعهما في الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم، إذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها على امتداد.

و لو تلفظت بإظهار الميم هنا لكان زمان انطباعهما فيه كزمان انطباعهما في الباء لإخفاء الغنة حينئذ، و يقوى انطباعهما في إظهار الميم فوق انطباعهما في إخفائه، لكن دون قوة انطباعهما في الباء، إذ لا غنة في الباء أصلا، بخلاف الميم الظاهرة فإنها لا تخلو عن أصل الغنة و إن كانت خفية. و الغنة تورث للاعتماد ضعفا» (١).

و لا يبدو الفرق جليا بين إخفاء الميم و إظهارها في كلام المرعشى السابق، مع تقديرنا لدقة تحليله، و لا نكاد نجد تفسيراً لقوله في أول كلامه: إن إخفاء الميم هو إضعافها بتقليل الاعتماد على مخرجها، فالناطق لا يحتاج إلى تكلف هذا النوع من الإخفاء حين ينطق الميم ساكنة قبل الباء، و يكفيه أن يضم شفثيه و يجرى النفس من الخيشوم حتى تستوفى الميم حظها من الغنة، ثم يضغط الهواء عند الشفتين قبل أن ينفرجا حتى ينال الباء حظه من الشدة، فانطباع الشفتين للحرفين انطباع واحد و هو شيء تقتضيه طبيعة الصوتين، و هما في أثناء ذلك يحتفظ كل صوت منهما بخواصه النطقية» (٢). (١) جهد المقل ٣٠ ظ - ٣١ و.

(٢) يفسر بعض المجودين المعاصرين إخفاء الميم عند الباء على نحو لا يتضح له أصل في كلام علماء التجويد الذين اطلعت على كتبهم. و هو أنهم يرون أن الإخفاء هو أن تجافى بين شفثيك حين تنطق

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٤

و يتضح من العرض السابق أن أحكام الميم الساكنة إذا تجاوزنا بعض الروايات الضعيفة تنحصر في الإظهار، فإدغام الميم لا يتأتى إلا في مثلها، و هذا لا يستلزم إفراده بحكم مستقل، و إخفاؤها عند الباء لا يظهر له وجه، و يحمله كثير من العلماء على معنى الإظهار. و من ثم قلت في أول دراسة هذا الموضوع أنه لو لا بعض المناقشات و لو لا بعض الروايات لما وجد الدارس مسوغاً لإفراد أحكام الميم الساكنة ببحث مستقل.

## سادسا - حقيقة النطق بالحرف المشدد:

### إشارة

الإدغام يعنى النطق بصوتين متماثلين الأول منهما ساكن و الثانى متحرك، سواء حصلت تغييرات صوتية تؤدي إلى التقاء المثلين أم أن الصوتين متماثلان أصلا. قال ابن يعيش: «إذا أدغمت المثلين المتحركين عملت شيئين أسكنت الأول و أدغمته في الثانى، مثل: جعل لك، و جعل لهم. فإن كان الأول ساكنا قبل الإدغام عملت شيئا واحدا و هو الإدغام، مثل: قل لهم، و اجعل له. و إذا أدغمت المتقاربين المتحركين عملت ثلاثة أشياء: أسكنت الأول منهما، و قلبت الأول إلى لفظ الثانى، و أدغمت، نحو: بيت طائفة. و إن كان أحد المتقاربين ساكنا في أصله مثل لام المعرفة فليس إلا عملا: قلب الأول، و إدغامه، مثل: الرجل و الذاهب» (١).

و يراد بالتشديد الإدغام، و بالحرف المشدد الحرف المدغم، سواء أ كان الإدغام ناتجا من التركيب مثل: جعل لك، و الرجل، أم كان من بنية الكلمة مثل: شد و مد و قدّم و قطع. و قد قال الخليل إن «التشديد علامة الإدغام» (٢). و يسمّى التشديد أيضا التضعيف، و ذكر سيبويه أن علامة التضعيف الشين (٣).

و كانت عناية علماء التجويد بظاهرة الإدغام و بالمشددات كبيرة، و قد وقفنا من قبل على جوانب منها. و نريد أن نختم الحديث عن



موضوع الإدغام بالنظر في بعض النقاط التي تتعلق بالميم شيئاً قليلاً، ثم تطبقهما عند نطق الباء بعدها. و كان الشيخ عامر السيد عثمان، وهو أحد علماء القراءة في الأزهر، و محقق الجزء الأول من كتاب (لطائف الإشارات لفنون القراءة) للقسطلاني بالاشتراك مع الدكتور عبد الصبور شاهين - لا يقبل ممن يقرأ عنده إطباق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء و يأبى إلا انفراجهما، و ذلك عند ترددي عليه للقراءة سنة ١٩٧٥ م، وقت إقامتي في القاهرة لدراسة الماجستير. و لكني لم أجد في كتب علم التجويد ما يؤكد هذا الاتجاه في فهم إخفاء الميم.

(١) شرح المفصل ١٠ / ١٣١.

(٢) العين ١ / ٤٩.

(٣) الكتاب ٤ / ١٦٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٥

بحقيقة الصوت المدغم أو المشدد. و لا شك في أن علماء التجويد كانوا مدركين أن المشدد هو الصوت المدغم. قال عبد الوهاب القرطبي: «أما التشديد فيحدث إذا التقى حرفان مثلان أو حرفان متقاربان الأول منهما ساكن و الثاني متحرك، فيقلب أحدهما إلى الآخر فيجب الإدغام، و ذلك بأن يجعل الاعتماد على الحرفين مرة، فيكون النطق بهما دفعة من غير وقف على الأول و لا فصل بين الحرفين بحركة و لا روم، و يكون الحرفان ملفوظا بهما و يصيران بالتداخل كحرف واحد لا مهلة بين بعضه و بعضه، و يلزم اللسان أو غيره من المخارج موضعاً واحداً، إلا أن مكثه و احتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه و احتباسه في المخفف، كقولك: قَطَّ و ثَمَّ، و كان الأصل قَطَط و ثَمَم. و قد جعل، و هل ثوب، و الأصل فيه قد جعل و هل ثوب» «١».

و تدرج الموضوعات المتعلقة ببيان حقيقة النطق بالصوت المشدد في نقطتين اثنتين، الأولى تتعلق بطول الصوت المشدد، و الثانية تتعلق بمراتب التشديد، و ما يتبع ذلك من بيان عناية علماء التجويد بالمشددات إذا تابعت.

## ١- طول الحرف المشدد:

كل صوت لغوي يحتاج إلى زمن معين لإنتاجه، يمكن أن نقول مثلاً إن صوت الدال يحتاج إلى ربع الثانية لإنتاجه، و مثله صوت التاء. و نحن هنا غير متأكدين من زمن نطق الدال في واقع اللغة، و إنما قلنا ربع الثانية ليستقيم لنا المثال، و ربما كان في الحقيقة أقل من ذلك أو أكثر. مع علمنا أيضاً أن طول الصوت قد يتأثر بموقعه فلا- شك أن الصوت إذا كان ساكناً يختلف عنه إذا كان متحركاً، كذلك يختلف إذا كان موقوفاً عليه أو غير موقوف عليه.

و الصوت المشدد ينتج من التقاء صوتين ساكن ثم متحرك، و القضية التي كانت موضع نقاش بين علماء التجويد هي هل أن طول الصوت المشدد يساوي ضعف طول الصوت المفرد، أي هل يساوي الدال في (قَدَم) و التاء في (بَتَّ) دالين و تائين، و يحتاج كل منهما من الوقت ضعف ما يحتاجه الدال المفرد و التاء المفرد، فيستغرقان من الوقت نصف ثانية؟ أم أنهما بسبب الإدغام يفقدان بعض خواصهما فيقل زمانهما عن نصف ثانية؟

كان لعلماء التجويد مذهباً في فهم طبيعة الصوت المشدد، الأول هو أن المشدد يقوم مقام حرفين و يستغرق نطقه ما يستغرقه الحرفان من الوقت. و الثاني أن زمان الصوت المشدد (١) الموضح ١٦٩ و انظر: الداني: التحديد ١٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٦

أطول من زمان الحرف الواحد، و أقصر من زمان الحرفين.

و كان مكى (ت ٤٣٧ هـ) قد أخذ بالمذهب الأول، و ذلك حيث قال: «اعلم أن المشدد المفرد في القرآن و الكلام كثير، و كل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن و اللفظ، و الحرف الأول منهما ساكن و الثاني متحرك» «١». و قال في موضع آخر: «إذا اجتمع في



اللفظ حرفان مشددان فهما بوزن أربعة أحرف، فيجب على القارئ أن يبين ذلك في لفظه، و يعطى كل حرف حقه من التشديد البالغ، و التشديد المتوسط، و متى فَرَطَ في ذلك فهما أسقط حرفين في تلاوته، و إن فرط في أحدهما أسقط حرفا من تلاوته» (٢). و قال مكى أيضا: «إذا اجتمع في اللفظ ثلاث مشددات متواليات فهن مقام ستة أحرف في الوزن و الأصل» (٣). و مثال التشديد المفرد وَ عَلَّمَ [البقرة: ٣١]، و مِنْ مَاءٍ [البقرة: ١٦٤]، و مثال اجتماع المشددين: اَطْيُونَا [النمل: ٤٧]، و وَ أَرْيَيْتَ [يونس: ٢٤]، و مثال اجتماع الثلاثة فِي بَحْرِ لُجِّي يَعْنَاهُ [النور: ٤٠].

و ذهب عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) هذا المذهب أيضا حيث قال: «الواجب معرفته من كيفية النطق بالمشدد و صفه التلغظ به هو أن يكون مقدار زمان النطق بحرفين ساكن و متحرك، و لا يزيد على ذلك فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، و لا يقصر دونه فيكون قد أدخل من الكلام بحرف، بل يتحرى من ذلك ما يكفيه مؤونة الزيادة و النقصان، و ينظم له المقصود في أبهى معرض من الحسن و الإحسان» (٤).

و قال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ): «و كفيته أن يجعل أول الحرفين اللذين يراد إدغام الأول في الثاني من جنس الثاني، و تسلب حركة المتحرك منهما، فأدخل الأول منهما في الثاني تقديرا، و نبا اللسان بهما نبوة واحدة، فصارا لشدة الامتراج في السمع كالحرف الواحد، و إلا- فهو حرفان في الحقيقة، و عَوْض التشديد، و هو حبس الصوت في الحيز بعنف، و ليس التشديد عوضا عن الحرف المدغم، بل عما فاته من الاستقلال في اللفظ، و إذا أصغيت إلى لفظك سمعته ساكنا مشددا ينتهي إلى محرك مخفف» (٥). (١) الرعاية ص ٢١٩. و انظر: ابن الجزرى: التمهيد ص ٧٤.

(٢) الرعاية ص ٢٢١.

(٣) الرعاية ص ٢٢٥.

(٤) الموضح ١٦٩ ظ.

(٥) شرح المقدمة الجزرية ٢٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٧

و قال أبو الفتوح الوفاي (ت ١٠٢٠ هـ): «الناطق بالحرف المدغم ناطق بحرفين أولهما ساكن و الثاني متحرك» ثم قال: «الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما» (١).

أما المذهب الثاني الذى يقدر الحرف المشدد بأقل من حرفين فيمكن أن يفهم ذلك من قول الدانى (ت ٤٤٤ هـ): «و يلزم اللسان موضعا واحدا، غير أن احتباسه في موضع الحرف لما زاد فيه من التضعيف أكثر من احتباسه بالحرف الواحد» (٢).

و كان الأسترآباذى (ت ٦٨٨ هـ) قد صرح بذلك في قوله: «و الذى أرى أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين، بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوى، سواء كان الحرف متحركا نحو يمدّ زيد، أو ساكنا نحو يمدّ، وقفا» (٣). كما أن الجاربردى قال: «و زمانه أطول من زمان الحرف الواحد، و أقصر من زمان الحرفين» (٤). و قد أخذ بهذا المذهب بعض علماء التجويد المتأخرين فنقلوا قول الجاربردى (٥).

و قال المرعشى (ت ١١٥٠ هـ): «اعلم أن هيئة الحرف المشدد أن يعتمد على المخرج اعتمادا واحدة قوية فوق الاعتماد في المخفف». فيكون الأول كالمستهلك لعدم استقلاله في التلغظ، «و معنى عدم استقلاله في التلغظ عدم الفراغ عند تلفظه قبل الثاني، و الفراغ إنما يكون برفع اللسان في اللسانى، و الشفة في الشفوى، و الحلق في الحلقى، عن مخرج الحرف، و ذلك الرفع إن وجد يكون فاصلا بين الحرفين و يستقل الحرف الأول، و ينتفى الإدغام.

فحقيقه الإدغام التلغظ بالمثل الثاني قبل الفراغ عن المثل الأول، و معنى وحدة الاعتماد في المشدد في قول الرضى هو عدم وجود ذلك الفاصل» (٦).

ذلك هو رأى علماء التجويد فى الحرف المشدد، فأين يقف رأيهم بالنسبة إلى الدرس الصوتى المعاصر؟ الواقع أن علماء الأصوات المحدثين لم يتعدوا كثيرا عما قرره علماء التجويد، بل إنهم لم يتجاوزوه إن أردنا الدقة. ذلك أن بعضهم ذهب إلى أن المشدد لا يقابل (١) الجواهر المضئية ٥٣ و، ٥٤ ظ.

(٢) التحديد ١٥ و.

(٣) شرح الشافية ٣ / ٢٣٥.

(٤) شرح الشافية ص ٢٣٤.

(٥) أحمد فائز الرومى: شرح الدر اليتيم ١٥ و. والمرعى: جهد المقل ٢٤ و.

(٦) جهد المقل ٢٤ و. وانظر: الرضى الأسترآباذى: شرح الشافية ٣ / ٢٣٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٨

صوتين مستقلين إنما هو صوت واحد أطيل زمن الاعتماد عليه «١». وقد قال بعضهم: «التشديد مد للحروف الصامتة نظير لمد الحروف الصائتة» (٢).

و ذهب بعض المحدثين إلى أن الصوت المشدد يقابل صوتين اثنين، وقال: «إن طريقه لفظ الأصوات اللغوية ليس هو المقياس لاعتبارها صوتا واحدا أو صوتين، وإنما المقياس هو التحليل الذى يفسر الظواهر اللغوية تفسيراً أفضل. ومن وجهة النظر هذه نجد أنه لا بد من اعتبار الصوت المشدد فى اللغة العربية صوتين لغويين متماثلين لا صوتا واحدا، وذلك لأسباب عدة» (٣). وذكر عدة أسباب تتلخص فى أن الصوت المشدد يقابل صوتين فى بنية الكلمة العربية فالدال فى (ارتد) تقابل صوتين فى (ارتدت) والنون فى (أسنة) تقابل صوتين فى (سنان). والدال فى (مد) تساوى صوتين لأنها على وزن (فعل) بدليل (مددت). وكذلك فإن العروض العربى يقتضى اعتبار المشدد صوتين صحيحين متوالين «٤».

و نحن هنا أمام اتجاهين فى معالجة الصوت المشدد، الاتجاه الأول يعتمد على التحليل الصوتى فىكون الصوت المشدد على أساسه صوتا واحدا أطيل الاعتماد عليه، ولكن دون أن يستغرق زمان صوتين اثنين فى طوله. والاتجاه الثانى يعتمد على التحليل الصرفى، فىكون الصوت المشدد على أساسه قائما مقام صوتين متماثلين صحيحين غير ناقصين.

و يبدو لى أن المنهج الصحيح فى فهم الصوت المشدد ينبغى أن يراعى نوع الدراسة التى يعالجها الدارس، وعلى أساسها تتحدد طبيعة الصوت المشدد. فالدرس الصوتى يعتمد فى تحديد الصوت المشدد على ما هو منطوق و مسموع، بينما الدرس الصرفى يعتمد فى تحديد طبيعة الصوت المشدد على دوره فى بنية الكلمة.

و ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن الصوت المشدد ينبغى أن ينظر إليه من ناحيتين الأولى صوتية (نطقية)، والثانية صرفية، و ذلك حيث قال: «... فإذا نظرنا فى نطق الصامت المضعف إلى طبيعة العملية النطقية و وحدتها - قلنا: إنه صامت طويل، يشبه الحركة الطويلة التى تساوى ضعف الحركة القصيرة. هذا من الناحية الصوتية. (١) انظر: فندريس: اللغة ص ٤٩.

(٢) برجستراسر: التطور النحوى ص ٣٤.

(٣) داود عبده: أبحاث فى اللغة العربية ص ٣٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه ص ٣٠ - ٣٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٩٩

و أما إذا نظرنا إلى أصله من الناحية الصرفية، أى من حيث جواز تقسيمه إلى صامتين قصيرين، قلنا: إنه صامت مكرر «١».

و يلاحظ هنا أن كلام دارسى الأصوات المعاصرين عن المشدد يتجه إلى القول بأنه صوت طويل أو أنه صوتان متواليان، أكثر من اتجاهه إلى تحديد طول الصوت المشدد و تحديد زمان النطق به على نحو واضح و محدد، كما لاحظنا فى كلام علماء العربية و

علماء التجويد حين قالوا: «إن زمان النطق بالمشدد أطول من زمان الحرف الواحد، و أقصر من زمان الحرفين»، فقول المعاصرين إن المشدد صوت طويل لا يوضح الزمان الذى يحتاج إليه نطقه.

ولما كان علم التجويد يعنى بالناحية الصوتية والعملية النطقية فإنى أميل إلى القول بأن الصوت المشدد صوت طويل يحتاج نطقه إلى زمان أطول من زمان الصوت الواحد ولكنه أقصر من زمان الصوتين. ولا نستطيع الدخول فى التفاصيل واستخدام أجزاء الثانية فى تحديد زمان النطق بالصوت المشدد، لكون ذلك غير متيسر الآن، وربما مضى وقت غير قصير قبل أن يتمكن دارسو الأصوات العربية من الحديث عن الزمن الذى يحتاجه نطق كل صوت من أصوات اللغة العربية. ويظل علماء التجويد فى كلامهم عن طول الصوت و الزمان الذى يحتاجه فى النطق متقدمين على ما كتبه دارسو الأصوات العربية فى زماننا الذى تقدمت فيه الدراسات الصوتية فى العالم تقدما لم يقف عند حد، و صار يعتمد على أدق الأجهزة فى اختبار الأصوات و قياس أطوالها، و لكن شيئا من ذلك لم يوضع فى خدمة الدراسات الصوتية العربية بشكل جدى و متيسر للباحثين.

## ٢- درجات التشديد:

يتفاوت الصوت المشدد فى مقدار التلبث فى نطقه تبعا لطبيعة الصوت المشدد، فلا شك فى أن الصوت الشديد حين يشدد يكون نطقه أسرع من نطق الصوت الرخو إذا شدد.

وهما أسرع فى النطق من الصوت المشدد الأخرى. و قد قسم علماء التجويد المشدات إلى مراتب تبعا لذلك. و بين أيدينا محاولتان لتقسيم المشدات الأولى ذكرها مكى فى كتابه (الرعاية)، و الثانية نقلت عن ابن وثيق.

قال مكى (ت ٤٣٧هـ): «اعلم أن الحروف المدغمات على ثلاثة أضرب:

ضرب مدغم فيه زيادة مع الإدغام الذى فيها، و ذلك نحو الراء المشددة، فيها إخفاء (١) المنهج الصوتى للبنى العربية ص ٢٠٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٠

تكريرها مع الإدغام الذى فيها، فهو زيادة فى الإدغام، و زيادة فى التشديد.

و الثانية: إدغام لا زيادة فيه، و هو كل ما أدغم لا إخفاء معه و لا إظهار غنة، و لا إطباق و لا استعلاء معه، نحو الياء من (ذرية)، و الياء و الجيم من (لجى) فهذا تشديده دون الراء المشددة، لأجل زيادة الإخفاء للتكرير فى الراء.

و الثالث: مدغم فيه نقص من الإدغام، و ذلك نحو ما ظهرت معه الغنة أو الإطباق أو الاستعلاء نحو (من يؤمن) و (أحطت) و (ألم نخلقكم) فهذا تشديده دون تشديد الثانى الذى لا نقص معه فى إدغامه و لا زيادة» (١).

و المحاولة الثانية نقلها ابن الجزرى فى كتابه (التمهيد) على هذا النحو: «قاعدة: ذكر صاحب التجريد (٢)، فيما حكاها عن أبى إسحاق إبراهيم بن وثيق (ت ٦٥٤هـ) أن المشدات على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يشدد بخطفه (٣)، و هو بلا غنة فيه.

الثانية: ما يشدد بتراخ، قال: و هو ما شدد و بقيت فيه غنة مع الإدغام، و هو إدغام الحرف الأول بكماله، و ذلك لأجل الغنة.

الثالثة: ما يشدد بتراخى التراخى، و هو إدغام النون الساكنة و التنوين فى الواو و الياء، انتهى.

قلت (ابن الجزرى): و هذا قول حسن، و تظهر فائدته فى نحو (إن ربى على صراط مستقيم. و إن تولوا) (٤) فأبلغ التشديد على الباء ثم الميم، ثم الواو» (٥).

و يولى علماء التجويد عناية خاصة بالأصوات الغنة إذا شددت سواء أ كان التشديد خالصا أم ناقصا لأجل الغنة التى فيها، و التى تحتاج إلى تمهل لأنها تشبه صوت المد. من ذلك قول (١) الرعاية ص ٢٢٩.

(٢) أبو الحسن على بن يعقوب بن شجاع، المعروف بالعماد بن أبى زهران الموصلى (ت ٦٨٢هـ) و هو تلميذ ابن وثيق، و مؤلف كتاب

التجريد في التجويد (انظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٥٨٤).

(٣) الخطرقة: يمكن أن تفسر بالسرعة (انظر: لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٤٢٦ خطرقة).

(٤) في المصحف .. صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا [هود: ٥٦-٥٧]. لكن الذي يناسب كلام ابن الجزري هو (و إن لم)، و من ثم أبقيت النص على ما مثل به.

(٥) التمهيد ص ٧٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠١

عبد الوهاب القرطبي: «و ينبغي أن يكون التشديد و لا غنة فيه بزنة حرفين، و مع الغنة أقل من إظهار حرفين» (١). و كذلك قوله في الميم و النون إذا شددتا: «و ينبغي أن يكون تشديد هذا الباب أعنى تشديد الميمين آخذا حالا متوسطة من غير إشباع و لا ترفيه، لما يحافظ عليه من إبقاء الغنة ... و كذلك حال النون» (٢).

و قال على القارى: «بالغ في إظهار الغنة الصادرة من نون و ميم مشددتين، نحو أن و ثم.

و إنما قدرنا المبالغة لأن الغنة صفة لازمة للنون و الميم تحركتا أو سكتتا ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين ...» (٣).

و الناظر في كتب علم التجويد يلاحظ اهتمام علماء التجويد بالمشددات، لا سيما إذا تتابعت، و قد بالغ مكى في العناية بذلك، حتى حملته تلك العناية على أن يفرد بابا مستقلا طويلا للمشددات، تحدث فيه عن المشدد إذا جاء مفردا، و عما اجتمع فيه مشددان، و عما اجتمع فيه ثلاثة مشددات. كما تحدث فيه عن مراتب المشددات و عن الوقف على الصوت المشدد (٤).

و لم يهمل علماء التجويد الآخرون موضوع المشدد، لكن لا يتناسب مع منهجنا في البحث أن ننقل كل ما نجده في كتب علم التجويد عن هذا الموضوع، و لهذا سوف نكتفى بإيراد بعض النصوص التي توضح جانبا من جهد علماء التجويد في هذا المجال. و هي و ما تقدم في صدر الكلام عن المشدد كافي في إعطاء صورة واضحة عن موقف علماء التجويد من موضوع المشددات.

فمن ذلك قول الداني: «ينبغي أن يعطى كل مشدد حقه من الإدغام، من غير إفراط و لا سكت و لا قطع على أول المدغم» (٥). و قول أبي العلاء الهمداني العطار: «إذا توالى حرفان مشددان أو ثلاثة أحرف مشددة نحو قوله قَدْ بَيَّنَّا [البقرة: ١١٨] و زَيْنًا [الأنعام:

١٠٨] و وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ [الفلق: ٤]، و نظائرها، فأخلق بتمييزها» (٦). (١) الموضح ١٧٠ ظ.

(٢) الموضح ١٧٢ و.

(٣) المنح الفكرية ص ٣٩.

(٤) الرعاية ص ٢١٩-٢٣٥.

(٥) التحديد ٣٠ ظ.

(٦) التمهيد ١٥٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٢

و قد نبه عبد الوهاب القرطبي على ضرورة العناية بالمشددات إذا تتابعت، أكثر من العناية بالمشدد المفرد، و ذلك حيث قال: «و مما تتعين ملاحظته في باب التشديد ترك التفريط فيه، و اعتماد مؤاخاته، فيما إذا توالى عدة تشديدات و تجاوزت ... لأن بعضه يصير كالمثقال للبعض، فيعلم باجتماعه و تواليه ناقصه من زائده، و تصير نسبة الإفراط فيه إلى التفريط فيه نسبة المشدد إلى المخفف، فيبين خلل ذلك، بخلاف ما إذا كان التشديد متفرقا فإنه لا يكون هناك ما يوزن به، فلا يبين الخلل فيه» (١).

سابعا- الترقيق و التفخيم:

التفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد، وقد سبق الحديث عن هذه الصفات و عن أصدادها: الترقيق والانفتاح والاستفال في مبحث صفات الحروف «٢». وإنما عدنا إلى هذا الموضوع مرة أخرى لأن بعض أحكامه ناشئة عن التركيب. فالإطباق والاستعلاء وضدهما من صفات الأصوات اللازمة، وهي تورث موصوفها التفخيم، لكن بعض الأصوات يلحقها التفخيم أو الترقيق حين تجاور أصواتا أخرى.

قال المرعشى: «و التفخيم فى الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلى الفم بصداه. و التفخيم و التسمين و التجسيم و التغليظ بمعنى واحد. و الترقيق عبارة عن نحول جسم الحرف فلا يمتلى الفم بصداه «٣». و حروف الاستعلاء كلها مفخمة، و لا يجوز تفخيم شىء من حروف الاستفالة إلا الراء و اللام فى بعض أحوالهما، و سيجىء بيان ذلك، و إلا الألف المدية فإنها تابعة لما قبلها ... ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ فى التفخيم من باقى حروف الاستعلاء ... و بالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق «٤».

و هناك اتجاه لدى بعض علماء التجويد نحو تخصيص مصطلح معين يستخدم مع اللام فى مقابل الترقيق و هو التغليظ، و مع الراء فى مقابل الترقيق و هو التفخيم. كما أن بعضهم (١) الموضح ١٧٣ و. (٢) انظر ص ٢٨٧ من هذا البحث.

(٣) أصل التعريف الوارد هنا لكل من التفخيم و الترقيق هو لابن الطحان فى كتابه: مرشد القارئ ١٣٥ و.

(٤) جهد المقل ١٥ ظ، و انظر: على القارى: المنح الفكرية ص ٢٦، و النابلسى: كفاية المستفيد ١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٣

استخدم للتعبير عن الترقيق فى الراء الإمالة بين اللفظين، و هو تجوز إذ الإمالة تختص بالألف «١» أو على حد تعبير بعضهم: الترقيق فى الحرف دون الحركة، و الإمالة فى الحركة دون الحرف «٢».

و ذكر المرادى أن حروف الاستعلاء من غير المطبقة لا تفخيم فيها، و هى القاف و الغين و الخاء. و ذلك حيث قال: «و قول بعضهم إن الخاء مفخمة على كل حال، و كذلك الغين، يعنى بالتفخيم ما فى صوتها من الاستعلاء. و التحقيق إن المفخم من حروف الاستعلاء أربعة أحرف، و هى المطبقة، و باقى حروف الاستعلاء أعنى القاف و الغين و الخاء لا تفخيم فيها، و بين التفخيم و الاستعلاء فرق مذكور فى موضعه» «٣».

و من ثم فإن المرادى حين ذكر حروف التفخيم أخرج منها الحروف الثلاثة، و ذلك حين قال: «و اعلم أن الحروف بالنسبة إلى التفخيم و الترقيق أربعة أقسام:

١- مفخم مطلقا، و هو حروف الإطباق.

٢- و مرقق مطلقا و هو سائر الحروف إلا الراء و اللام.

٣- و ما أصله التفخيم و قد يرقق، و هو الراء.

٤- و ما أصله الترقيق و قد يفخم، و هو اللام» «٤».

و قد خالف المرادى جميع من اطلعت على آرائهم من علماء العربية و علماء التجويد حين أخرج الحروف الثلاثة من حروف التفخيم. و قوله السابق (و بين التفخيم و الاستعلاء فرق مذكور موضعه) لم نقف على الموضوع الذى أشار إليه. و الذى يفهم من كلام علماء التجويد هو أن التفخيم صفة صوتية ناتجة عن الإطباق و الاستعلاء، و من ثم وجدنا المرعشى يقول:

«و بالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق» «٥». و قد أكد الدرس الصوتى الحديث إن التفخيم ظاهرة صوتية ناتجة عن الإطباق، حيث يأخذ اللسان شكلا مقعرا، و عن الاستعلاء حيث يتراجع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك «٦». (١) انظر: ابن الجزرى:

(٢) انظر: الدانى: التحديد ٣٩، و، و على القارى: المنح الفكرية ص ٢٦.

(٣) المفيد ١٠٥ و.

(٤) شرح الواضحة ص ٥٥.

(٥) جهد المقل ١٦ و.

(٦) انظر: تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٩٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٤

و يبدو أن الوفائى كان يرد على مذهب المرادى السابق حين قال: «ثم اعلم أن الحروف بالنسبة إلى التفخيم والترقيق على أربعة أقسام: منها ما هو مفخم مطلقاً، و هي حروف الإطباق الأربعة و بقیة حروف الاستعلاء على الصواب ...» (١) فقولہ (على الصواب) فيه إشارة إلى مذهب من خالف، و هو المرادى.

و قد قال على القارى: «و أما الحروف المستعليه فمفخمة كلها من غير استثناء شىء منها» (٢). إلا أن تفخيم حروف الاستعلاء على درجات، لأن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق. قال المرعى: «اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء، فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ فى التفخيم من باقى حروف الاستعلاء، كما صرح به ابن الجزرى فى نظمه، و لما كانت الطاء المهملة أقوى فى الإطباق من أخواتها كان تفخيمها أزيد من تفخيم أخواتها، كما فى الرعاية و التمهيد.

أقول (المرعى): لما كان الصاد و الضاد متوسطتين فى الإطباق كما عرفت كانتا متوسطتين فى التفخيم أيضاً، و لما كانت الطاء المعجمة أضعف حروف الإطباق فى الإطباق كان تفخيمها أقل من تفخيم أخواتها، و بالجملة إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق.

فالطاء المهملة أفخم الحروف. و لما كان القاف أبلغ فى الاستعلاء من الغين و الخاء المعجمتين كما عرفت كان أفخم منها. قال (٣): و حروف الاستعلاء عن ابن الطحان الأندلسى (٤) ثلاثة أضرب فى مقدار التفخيم:

الأول: ما تمكن أى قوى فيه التفخيم و هو ما كان مفتوحاً.

و الثانى: ما كان دونه و هو المضموم.

و الثالث: ما كان دون المضموم و هو المكسور ...» (٥).

و يبدو أن كون الحروف الثلاثة: القاف و الخاء و الغين أقل الحروف المفخمة تفخيماً هو (١) الجواهر المضية ٥٠ ظ.

(٢) المنح الفكرية ص ٢١.

(٣) انظر: ابن الجزرى: التمهيد ص ٣٨، و النشر ١/ ٢١٨.

(٤) هو عبد العزيز بن على بن محمد الأندلسى (ت حوالى ٥٦٠هـ) المعروف بابن الطحان، و هو مؤلف كتاب (الأنباء فى تجويد القرآن) و كتاب (مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ). انظر: رقم ١١ من قائمة مصادر علم التجويد فى هذا البحث.

(٥) جهد المقل ١٥ ظ - ١٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٥

الذى حمل المرادى على إخراجها من المفخمت، و هو الذى حمل بعض المحدثين على القول إن لها بعض القيمة التفخيمية لكنها لا توصف بأنها مفخمة (١). لكن الذى عليه جمهور العلماء هو أن جميع حروف الاستعلاء مفخمة، و قد تقدم بشأنها ما فيه الكفاية. و بقى أن ننظر فى الأحوال التى تفخم فيها الحروف الثلاثة: الراء و اللام، ثم الألف التى سنتحدث عنها بعد ذلك.



اختلف علماء القراءة و التجويد في أصل الراء هل هو التفخيم أو الترقيق. فذهب الجمهور إلى الأول. و احتج له مكى بقوله: «الدليل على أن أصلها التعليل (أى التفخيم) أن كل راء غير مكسورة فتغليظها جائز، و ليس كل راء يجوز فيها الترقيق. أ لا ترى أنك لو قلت: رغدا، و رقد، و نحوه، بالترقيق لغيرت لفظ الراء إلى نحو الإمالة؟ و هذا لا يمال، و لا علة فيه توجب الإمالة فيه» (٢).

و لا- يتضح وجه لاستدلال مكى على أن أصل الراء التفخيم بقوله: «إن كل راء غير مكسورة فتغليظها جائز» لأن هذا القول معناه أن الراء غير المكسورة يجوز فيها الترقيق و التفخيم، و هو ما لا- يقوم به دليل، و كلام مكى بنصه السابق لا يخلو من تناقض، لأنه مسوق للاستدلال به على أن الأصل فى الراء التفخيم بينما هو يمكن أن يستدل به على العكس. و لو كان النص (كل راء مكسورة فتغليظها جائز، و ليس كل راء غير مكسورة يجوز فيها الترقيق) لكان مستقيما. و نقل القسطلانى عبارة مكى على هذا النحو (كل راء مكسورة تغليظها غير جائز) (٣). و هو تصرف فى العبارة لا يحل الإشكال الموجود فى النص.

و احتج غير مكى «على أن أصل الراء التفخيم بكونها متمكنة فى ظهر اللسان فقربت بذلك من الحنك الأعلى الذى به تتعلق حروف الإطباق، و تمكنت منزلتها لما عرض لها من التكرار حتى حكموا للفتحة فيها بأنها فى تقدير فتحتين، كما حكموا للكسرة فيها بأنها فى قوة كسرتين.

» و قال آخرون: ليس للراء أصل فى التفخيم و لا فى الترقيق، و إنما يعرض لها ذلك (١) انظر: تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص ٩٦ و ١٠١ - ١٠٢.

(٢) الكشف ٢٠٩ / ١، و انظر: ابن الجزرى: النشر ١٠٨ / ٢.

(٣) لطائف الإشارات ٢٠١ / ١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٦

بحسب حركتها فترقق مع الكسرة لتسفلها، و تفخم مع الفتحة و الضمة لتصعدهما، فإذا سكنت جرت على حكم المجاور لها ... و إنما كلام العرب على تمكينها من الطرف إذا انكسرت فيحصل الترقيق المستحسن فيها إذا ذاك، و على تمكينها إلى ظهر اللسان إذا انفتحت أو انضمت فيحصل لها التعليل الذى يناسب الفتحة و الضمة» (١).

و مع أن الكلام عن أصل الراء هل هو التفخيم أو الترقيق لا- يغير من أحكامها شيئاً إلا أن القول بأن تفخيمها و ترقيقها تابع لحركتها أولى من غيره، فإن حكم الراء يتضح ارتباطه بحركتها أو حركة ما قبلها على نحو واضح و أكيد.

و قد لخص ابن الجزرى حكم الراء من حيث الترقيق و التفخيم بقوله: «ترقق مع الكسرة لتسفلها، و تفخم مع الفتحة و الضمة لتصعدها» (٢). و هذا قانون عام فى موضوع الراء، و قد تكفلت كتب القراءات و كتب التجويد بشرحه و تفصيل الأحكام التى تبنى عليه على نحو ليس فيه اضطراب و لا غموض. و كانت لعلماء التجويد طرائق متعددة فى عرض تلك الأحكام.

فمن علماء التجويد من يقسم أحكام الراء بحسب الاتفاق و الاختلاف فى التفخيم و الترقيق (٣). و من ذلك قول القسطلانى: «و أنت إذا اعتبرت مذاهبهم فيها وجدتها على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلفوا فى تفخيمه عملاً بالأصل، و قسم اختلفوا فيه فرقه ورش، و قسم لم يختلفوا فى ترقيقه و ذلك لموجب، هو إذا كانت الراء مكسورة كسرة لازمة أو عارضة تامة أو ناقصة، سواء كانت أولاً أو وسطاً أو طرفاً، منونة أو غير منونة، سكن ما قبلها أو تحرك، وقع بعدها حرف مستفل أو مستعل فى اسم أو فعل» (٤).

و من علماء التجويد من قسم أحكام الراء بحسب حركتها هى، قال المرعشى: «أما الراء فهى إما متحركة و إما ساكنة، و الساكنة إما ساكنة لأجل الوقف أو لا، فهنا ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فى الراء المتحركة، و هى إما مكسورة، و هى ترقق بلا- خلاف، سواء كانت كسرتها لازمة مثل رزق [البقرة: ٦٠] أم عارضة (٥) مثل وَدَّرِ الَّذِينَ [الأنعام:

٧٠]. و سواء لم يقع بعدها حرف استعلاء كما فى المثاليين المذكورين، أو وقع نحو (١) النشر ١٠٨ / ٢ - ١٠٩، و انظر: الدر كزلى:



خلاصة العجالة ١٦٤ ظ.

(٢) النشر ١٠٨ / ٢.

(٣) انظر: ابن الباذش: الإقناع ١ / ٣٢٤، و ابن الجزرى: النشر ٢ / ٩١.

(٤) اللثالي السنية ورقة ١٨ و.

(٥) فى الأصل (و أما متحركة) لكن الذى يناسب السياق هو (أم عارضة).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٧

الرَّقَابِ [البقرة: ١٧٧]. و إما مفتوحة أو مضمومة، و هما تفخمان نحو رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاحة: ٢] و رُؤْيَاكَ [يوسف: ٥]، كذا قال. أقول:

هذا عند جمهور القراء و عاصم معهم، و ليس عند الجميع، لأن ورشا يرقق الراء المضمومة بعد الكسرة اللازمة ...

و كذا يرقق المفتوحة مع إمالتها قليلا بعد الياء الساكنة ... و بيان تلك المواضع فى كتب القراءات ...

الفصل الثانى: فى الراء الساكنة التى ليس سكونها لأجل الوقف، و هى إما واقعة بعد الفتحة أو الضمة فإنها حينئذ تفخم بلا خلاف و لا اشتراط شىء، نحو العَرْشِ [الأعراف]:

[٥٤] و كُزَّة [البقرة: ٢١٦] و وَ أَنْحَرِ [الكوثر: ٢] و وَ أُمُرِ [الأعراف: ١٤٥]. و إما واقعة بعد الكسرة فإنها حينئذ ترقق بشروط ثلاثة:

الأول: أن تكون الكسرة لازمة غير عارضة.

و الثانى: أن تكون الكسرة متصلة بالراء فى كلمتها.

و الثالث: أن لا يكون بعد الراء فى كلمتها حرف استعلاء ...

الفصل الثالث: فى حكم الراء الساكنة التى سكونها لأجل الوقف عليها، و إنما قيد به لأنها إذا وقف عليها و كانت ساكنة قبل الوقف عليها نحو: وَ أَنْحَرِ، وَ ثِيَابَكَ فَطَهَّرْ، وَ الرَّجَزَ فَاهْجُرْ فهى كما فى الوصل فى جميع الأحوال و قد سبق بيانه. و إما إذا كانت متحركة قبله و سكنت لأجل الوقف عليها بالروم فهى كما فى الوصل ... و إن وقف عليها بالسكون المحض فإن كان ما قبل الراء الساكنة مكسورا فالراء ترقق عند الجميع ... و إن كان ما قبل الراء الساكنة فى الوقف مفتوحا أو مضموما فإنها تفخم حينئذ عند الجميع ...» (١).

و اكتفى عبد الغنى النابلسى بحصر المواضع التى ترقق فيها الراء، و ذلك حيث قال:

«و أما الراء فهى مفخمة حيث وقعت، لا يجوز ترقيقها إلا بأحد سببين:

السبب الأول: كسرها مطلقا، و لو كسرة عارضة، نحو: وَ أَنْذِرِ النَّاسَ [إبراهيم]:

[٤٤] و أَدُكِرِ اسْمَ رَبِّكَ [المزمل: ٨].

السبب الثانى للترقيق: كسر ما قبلها فيما إذا كانت ساكنة سكونا لازما، نحو فِرْعَوْنَ [البقرة: ٤٩] أو عارضا نحو بُعِثَرِ [العاديات: ٩] فى

حالة الوقف بشرط أن لا يكون بعدها حرف مفخم نحو: فِرْقَةَ [التوبة: ١٢٢]، و قِرْطَاسٍ [الأنعام: ٧]، (١) جهد المقل ٢١ ظ - ٢٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٨

و لِبَالْمِرْصَادِ [الفجر: ١٤]، و أن لا تكون الكسرة قبلها عارضة نحو إِنْ ارْتَبْتُمْ [المائدة]:

[١٠٦]، و إلا تفخم.

و الياء الساكنة تقوم مقام كسر ما قبلها نحو قَدِيرٍ [البقرة: ٢٠] و خَبِيرٍ [البقرة]:

[٢٣٤] حالة الوقف. و الحرف الساكن بين الراء و بين الكسرة ليس بمانع من الترقيق، نحو أَهْلَ الذُّكْرِ [النحل: ٤٣] حالة الوقف، و لو

كان صادًا نحو ادْخُلُوا مِصْرَ [يوسف]:

[٩٩]، (أو طاء) «١» نحو عَيْنَ الْقِطْرِ [سبأ: ١٢] فإن الراء ترقق فى جميع ذلك. و فيما عدا ذلك تفخم» (٢).

و قد وضّح عبد الوهاب القرطبى كيفية إنتاج الراء المرفقة و الراء المفخمة، و ذلك حيث قال: «و اعلم أن الراء يتغير اللفظ بها من

حيث أنها ترق في حال و تغلظ في حال و ذلك تابع لحركتها و سكونها، فإن كانت متحركة فلا تخلو من أن تكون مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة.

فإن كانت مكسورة رقت، و كان العمل فيها برأس اللسان، و معتمدها أدخل إلى جهة الحلق في الحنك الأعلى يسيرا، و أخذ اللسان من الحنك أقل مما يأخذ مع المفخمة، فينخفض اللسان حينئذ فلا ينحصر الصوت بينه و بين الحنك فتجىء الرقة ...

فإن كانت مضمومة أو مفتوحة فخمت، و كان ما يأخذه طرف اللسان منها أكثر مما يأخذه مع الترقيق، و كان معتمد اللسان أخرج في الحنك الأعلى يسيرا، فينبسط حينئذ اللسان و ينحصر الصوت بينه و بين الحنك، فيحدث التفخيم لذلك» (٣).

و كانت عناية دارسى الأصوات العربية من المحدثين بأحكام الراء محدودة، و يكاد الدكتور إبراهيم أنيس يكون أكثرهم اهتماما بالموضوع، لكن كلامه الموجز في ذلك جاء مشحونا بجوانب القصور، فهو يقول: «و رغم اختلاف القراء في تفخيم الراء و ترقيقها إلى حد يشبه الاضطراب، يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء» (٤). و لا يقال عن مثل هذا الكلام إلا ما قاله ابن الجزرى من قبل: «و هذا كلام من لم يطلع على مذاهب القوم في اختلافهم في ترقيق الراءات» (٥). فما هي مظاهر الاضطراب التي (١) زيادة ليست في الأصل يقتضيها السياق، و يدل عليها ما ورد في جهد المقل (ورقة ٢٣ ظ) للمرعى.

(٢) كفاية المستفيد ١٢ و.

(٣) الموضح ١٦١ و.

(٤) الأصوات اللغوية ص ٦٦.

(٥) النشر ٢/٩٥-٩٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٠٩

يشكو منها الدكتور إبراهيم أنيس، و أين تلك الآراء المتشعبة التي ضل في متاهاتها؟

إن الدارس حين يلاحظ تعدد الحالات المتعلقة بظاهرة ترقيق الراء لا ينبغي أن يحمله ذلك على رمى علماء القراء بالاضطراب و لا الاعتماد بأن ذلك التعدد من علامات القصور في دراسة الموضوع، بل إن الدارس الحديث يرى في ذلك التعدد المنهج الصحيح لدراسة الظواهر اللغوية، ذلك المنهج الذى يعنى بوصف الظواهر اللغوية كما هي من غير أن يكون من هدفه اختصارها أو توحيدها، بل غاية ما يمكن أن يفعله بعد وصفها هو تقديم تفسير لها.

و إذا تجاوزنا مقولة الدكتور إبراهيم أنيس السابقة و انتقلنا إلى النظر في الضوابط العامة التي وضعها وجدناه يقع في أخطاء كان يكفيه في تجنبها أن يرجع إلى أى كتاب من كتب علم التجويد أو كتب القراءات، و ينظر في موضوع أحكام الراء. و لكى لا يظن أننا نبالغ حين ننسب التقصير إلى رائد الدراسات الصوتية العربية الحديثة أنقل نص الضوابط التي وضعها لأحكام الراء و ذلك حيث قال: «... و يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء.

١- تفخم الراء المفتوحة إلا إذا سبقها كسرة أو ياء مد، نحو: رزقكم- صبروا. و لكنها ترقق في مثل: لم يكن الله ليغفر لهم- فقد خسر خسرا مبينا- و إن كانت لكبيرة.

٢- ترقق الراء المكسورة مطلقا مثل: رزق- رجس.

٣- و أما الساكنة التي يسبقها كسر فترقق مثل: فرعون، إلا إذا وليها صوت استعلاء مثل: قرطاس.

أما الراء المضمومة أو الساكنة و قبلها ضم فحكمها غامض لا نكاد نهتدى فيه إلى رأى ينطبق على ما نسمعه من أفواه القراء في الوقت الحاضر» (١).

و أول ما يلاحظ على هذه الضوابط أنها تفتقر إلى المنهج الواضح في عرض أحكام الراء، ثم هي بعد ذلك تتضمن بعض جوانب القصور، فما ورد في رقم (١) يحتاج إلى تعديل أو توضيح، فما دام الأمر بصدد وضع ضوابط (يكاد يجمع عليها القراء) فيكفى أن

يقال حينئذ (تفخم الراء المفتوحة)، لأن ترقيق الراء المفتوحة التي قبلها كسرة أو ياء انفرد به ورش دون سائر القراء. ولا يناسب واقع الحال إطلاق القول بترقيق مثل لِيُعْفِرَ- و حَسِبَ- و لَكَبِيرَةٌ لأن الجمهور يفخمونها على الأصل في تفخيم الراء المفتوحة. (١) الأصوات اللغوية ص ٦٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٠

وما جاء في خاتمة الضوابط من كلام عن الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم من أن (حكماها غامض)- لا يقوم على دليل، فالنصوص الواردة في كتب علم التجويد والقراءات صريحة في وصف مثل تلك الراء بالتفخيم وهو المسموع من القراء اليوم. يقول مكي (فأما الراء المفتوحة والمضمومة فكل القراء على تغليظها) «١». وقال عبد الوهاب القرطبي: «فإن كانت مضمومة أو مفتوحة فحُمت» «٢». وقال المرعشي: «الراء الساكنة التي ليس سكونها لأجل الوقف، وهي إما واقعة بعد الفتحة أو الضمة فإنها حينئذ تفخم بلا خلاف ولا اشتراط شيء» «٣».

إن الضوابط العامة التي قدمها الدكتور إبراهيم أنيس لترقيق الراء وتفخيمها تعطى مثالا لما لحق الدرس الصوتي العربي الحديث من ضرر بسبب عدم الاطلاع على ما كتبه علماء التجويد في دراسة الأصوات، فأحكام الراء التي ذكرها علماء التجويد يمكن أن تلخص، بغض النظر عن التفصيلات، فيما يأتي:

١- ترقق الراء إذا كانت مكسورة أو جاءت ساكنة بعد كسر.

٢- تفخم الراء إذا كانت مضمومة أو مفتوحة أو جاءت ساكنة بعد فتح أو ضم.

## ٢- تفخيم اللام و ترقيقها:

### إشارة

الغالب على اللام في العربية الترقيق، وهو الأصل فيها لكثرة «٤». و ضد الترقيق التفخيم، و يرادفه التسمين و التغليظ، و يذهب بعض العلماء إلى استخدام التغليظ في اللام، و التفخيم في الراء «٥». و يتأتى تفخيم اللام بأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، و أدخل قليلا من مخرجها «٦».

و تفخم اللام في حالتين، الأولى متفق عليها بين جمهور القراء، و الثانية انفرد بها ورش عن نافع، و ترقق فيما عداهما. (١) الكشف ١/ ٢١٠.

(٢) الموضح ١٦١ و.

(٣) جهد المقل ٢٢ و.

(٤) القرطبي: الموضح ١٦٤ و.

(٥) ابن الجزري: النشر ٢/ ١١١.

(٦) القرطبي: الموضح ١٦٤ و. و انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١١

## الحالة الأولى:

هي أن اللام من اسم الله المعظم تفخم إذا وقعت بعد ضمة أو فتحة، و ترقق إذا سبقت بكسرة. وقد وضع الداني ذلك بقوله: «فأما اللام من اسم (الله) عز وجل فالجميع مجمعون على ترقيقها مع الكسرة من أجلها، عارضة كانت أو غير عارضة نحو: (بسم الله)، و (الحمد لله) ... فإن وليها فتحة أو ضمة أجمعوا على تغليظها من أجلها، نحو: قال الله [المائدة: ١١٠]، و ضَرَبَ اللهُ [إبراهيم: ٢٤] ...» (١).

وقدم بعض علماء التجويد لتفخيم اللام في اسم الله تعالى تعليلا غير صوتي، فقال عبد الوهاب القرطبي: «و الوجه في تفخيم اللام في اسم الله - تعالى ذكره - ما يحاول من التنبيه على فخامة المسمى به و جلاله، و ذلك أصل فيه إلا أن يمنع منه مانع» (٢). و قدم السعيدى تعليلا صوتيا لترقيق اللام في اسم الله تعالى بعد الكسرة فقال: «و إنما كرهوا التفخيم بعد الكسرة لأن الكسرة حرف مستفل و التفخيم فيما تصاعد، فصعب عليهم أن ينتقلوا من التسفل (إلى التفخيم)» (٣) و التفخيم فيما تصاعد، فيكون في ذلك كلفة على اللسان» (٤).

و يبدو لى أن تفخيم اللام في اسم الله تعالى نطق قديم، و أنه كان يشمل نطق اسم الله المعظم إذا وقعت قبله كسرة أيضا. و لما كان نطق اللام الغالب في العربية الترقيق و أن الكسرة يناسبها الترقيق، كان من المقبول صوتيا أن ترقق اللام بعد الكسرة، و تحافظ على التفخيم بعد الفتحة و الضمة اللتين يناسبهما التفخيم. و من ثم فإن تعليل علماء التجويد لترقيق هذه اللام يندرج في ميل الأصوات إلى المناسبة و المشاكلة في اللفظ، أما تعليل ظاهرة التفخيم فلا يدخل في مجال الدرس الصوتي، و ربما لجأ إليه بعض علماء التجويد حين لم يجدوا تفسيراً صوتياً لهذه الظاهرة.

و رب قائل يقول: لما ذا لا يكون أصل اللام في اسم الله تعالى الترقيق، مثل حكم اللام في سائر الكلمات الأخرى، و أنها فحمت قبل الضمة و الفتحة لأنهما يناسبهما التفخيم؟

فنقول: إن ذلك احتمال وارد. و لكن نقول: لما ذا لم تفخم اللام في سائر الكلمات الأخرى (١) التحديد ٣٩ و. و انظر: السعيدى: التنبيه ٥١. و مكى: الرعاية ص ١٦٥ و الكشف ١/ ٢١٩.

(٢) الموضح ١٦٤ ظ.

(٣) زيادة ليست في الأصل يقتضيها السياق.

(٤) السعيدى: اختلاف القراء ٦٠ و. و انظر: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٩٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٢

حين تقع بعد ضمة أو فتحة نحو: اللبن و اللحم و الليل و غيرها من الكلمات المماثلة لو لا- أن التفخيم أصل في اللام في اسم الله خاصة، و أن الترقيق فيه بعد الكسرة تحوّل لاحق حصل في حقه سبقت نزول القرآن الكريم. و هناك رواية جاءت مخالفة لما أجمع عليه القراء من تفخيم اللام من اسم الله تعالى بعد الفتحة و الضمة، و هي منقولة عن بعض أهل البصرة، و قد وافقهم فيها أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار البغدادي (ت ٣٥٤ هـ). حيث جاء أنهم يقرءون بترك التفخيم في اسم الله تعالى.

قال السعيدى في ذلك: «و أهل البصرة ينكرون التفخيم و لا يستعملونه في قراءتهم، و كذلك أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ من أهل بغداد، و هو صدر في القراءة، فكان ينكر التفخيم إنكاراً شديداً، و يقول: يلزمكم أن تقولوا: اللبن و اللجام فتفخم كلا اللامين، من هذا الجنس الغالب على أهل بغداد. و سائر الناس (على) «١» التفخيم في القرآن و الأذان و الكلام.

و رأيت العرب في البادية و الحجاز و اليمن يفخمون سائر اللامات، فيقولون: ثلاثة، فيفخمونها، و هي لغة أهل الشام و المغرب، و لا يجوز ذلك في القرآن إلا لقوم تلك لغتهم، فلا يقدرّون على تحويل لسانهم» (٢).

لا يلتفت أكثر علماء القراءة إلى رواية من ينكر تفخيم اللام في اسم الله المعظم، و يعدون ذلك شذوذاً. فقد روى أحمد بن أبي عمر

أن أبا الفضل الخزاعي قال: «الاختيار التفخيم، و عليه الأئمة من القراء و أهل اللغة. و إياك أن تفخم اللام إذا انكسر ما قبلها فإنه من أسمع اللفظ و أقبح اللحن، إلا تقوم تلك لغتهم فلا يقدرّون على غيرها» (٣).

و قال علم الدين السخاوي: «و قد وقع الإجماع منهم على تغليظ اللام من اسم الله عز و جل، إذا لم يكن قبلها كسرة، و على ترقيقها مع الكسرة نحو: (لله). و ترقيقها في هذا طلبا للمشاركة و تفخيمها في غيره من خصائص هذا الاسم الشريف تعظيما له» (٤). (١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) اختلاف القراء في اللام و النون ٦٠ و.

(٣) الإيضاح ٩٩ و.

(٤) جمال القراء ١٩٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٣

و قد تحدث ابن الجزري عن هذا الموضوع، و نقل عدة نصوص كلها تؤكد ما ذكرناه من أن جمهور العلماء يقولون بتفخيم اللام من اسم الله تعالى بعد الضمة و الفتحة. و هذا نص كلامه: «قال الحافظ أبو عمرو و الداني في جامعه (١)، حدثني الحسن بن شاكر البصري، قال ثنا أحمد بن نصر يعنى الشذائي، قال: التفخيم في هذا الاسم، يعنى مع الفتحة و الضمة، ينقله قرن عن قرن، و خالف عن سالف. قال: و إليه كان شيخنا أبو بكر بن مجاهد و أبو الحسين بن المنادي يذهبان، انتهى.

«و قد شد أبو على الأهوازي فيما حكاه من ترقيق هذه اللام، يعنى بعد الفتح و الضم، عن السوسى و روح (٢). و تبعه في ذلك من رواه عنه كابن البادش في إقناعه (٣)، و غيره. و ذلك مما لا يصح في التلاوة، و لا يؤخذ به في القراءة» (٤).

## الحالة الثانية:

روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظ اللام إذا تحركت بالفتح و وليها من قلبها صاد أو ظاء أو طاء، و تحركت هذه الحروف الثلاثة (٥) بالفتح أو سكنت لا غير. نحو: الصَّلَاة [البقرة: ٣]، و قَيْضَلْب [يوسف: ٤١]، و الطَّلَاق [البقرة: ٢٢٧]، و مُعَطَّلَةٌ [الحج: ٤٥]، و مَنْ أَظْلَمُ [البقرة: ١١٤]، و ظَلَمُوا [البقرة: ٥٩]، و ما أشبهه.

و القراء بعد يرققونها من غير إفحاش (٦).

و قد علل ذلك عبد الوهاب القرطبي بقوله: «و أما مذهب ورش فوجهه طلب المناسبة بين الحروف، كما في إمالة الألف و ترقيق الراء و القلب و التشديد» (٧). و هذا تفسير صوتي (١) أى (جامع البيان في القراءات السبع المشهورة)، و هو مخطوط، و له عدة نسخ، و كنت قد اطلعت عليه سنة ١٩٧٥ م بدار الكتب المصرية في القاهرة (رقم ٣ م قراءات).

(٢) انظر: الوجيز ٩ و. و السوسى هو أبو شعيب صالح بن زياد (ت ٢٦١ هـ)، روى قراءة أبي عمرو بن العلاء عن الزبيدي (انظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١ / ٣٣٢). و روح هو روح بن عبد المؤمن البصرى (ت ٢٣٤ هـ) و هو من جلة أصحاب يعقوب الحضرمي (انظر: غاية النهاية ١ / ٢٨٥).

(٣) الإقناع ١ / ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٤) النشر ٢ / ١١٥ - ١١٦.

(٥) ذكر معها عبد الوهاب القرطبي صوت الضاد (انظر: الموضح ١٦٤ و).

(٦) انظر: الداني: التيسير ص ٥٨ و التحديد ٣٨ ظ، و مكى: الرعاية ص ١٦٤. و ابن البادش الإقناع ١ / ٣٣٩، و ابن الجزري: النشر ٢ / ١١١.

(٧) الموضح ١٦٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٤

صحيح لهذه الظواهر الناشئة عن التركيب كما أنه تعليل صحيح لظاهرة تفخيم اللام في مذهب ورش، وذلك لأن فتحة اللام تناسب التفخيم، كما أن حروف الإطباق قبلها تقتضى ارتفاع ظهر اللسان وانطباقه على الحنك الأعلى وهو يشبه ما يحدث عند تفخيم اللام إلى حد كبير «١».

وقد قال مكى: «وعلته من فخم هذا النوع أنه لما تقدم اللام حرف مفخم مطبق مستعل أراد أن يقرب اللام نحو لفظه، فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً» «٢».

ومع أن مذهب ورش في اللام إذا جاورت صوتاً مطبقاً له تفسير صوتي واضح إلا أن أحداً من القراء لم يذهب مذهبه. وقشى شيء اختص المصريون برواية مذهب ورش في اللام لم يشاركهم فيها سواهم «٣». ومن ثم قال أبو العلاء الهمداني العطار: «فأما ما روينا عن ...

ورش ... من تغليظ اللام إذا انفتحت بعد صاد أو ضاء نحو: الصلاة، و صلوات، و صلى، و ظلم، و ظلموا، فإن ذلك و ما يجرى مجراه لا يؤخذ به ما وجد مندوحة منه» «٤».

ولا أستبعد أن تكون لطبيعة التأثير الصوتي السابق الذي وقع من الصوت الأول و هو الصوت المطبق باتجاه الصوت الثاني و هو اللام- علاقة بقله من أخذ بذلك الاتجاه في تغليظ اللام من القراء، لأن أكثر صور التأثير بين الأصوات في العربية هي أن تكون من الصوت الثاني باتجاه الصوت الأول.

\*\*\*

(١) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٦٥.

(٢) الكشف ١ / ١١٩.

(٣) النشر ٢ / ١١١.

(٤) التمهيد ١٥٤ و- ١٥٤ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٥

## المبحث الثالث الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة

### إشارة

مضى الحديث عن موقف علماء التجويد من إنتاج الأصوات الذائبة و تحديد مخارجها و توضيح العلاقة بين الحركات و حروف المد، و كل ما يتصل بالخصائص الصوتية لهذا القسم من أصوات العربية «١». و هذا المبحث معقود للكلام عن موقف علماء التجويد من الظواهر الصوتية المتعلقة بالأصوات الذائبة الناشئة عن التركيب، و بيان مقدار إدراكهم لأثر التركيب على خصائص تلك الأصوات.

و كان دارسو الأصوات العربية المعاصرون قد ردوا القول بأن علماء العربية القدامى لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها. و قد أشرت إلى خطأ هذه المقولة من قبل «٢». و في هذا المبحث دليل جديد نضعه بجانب ما أوردناه سابقاً عن الأصوات الذائبة، و إنني لأعتقد أن الأمر قد تجاوز مرحلة تصيد النصوص النادرة لإثبات أن علماء العربية القدامى قد اعتنوا بدراسة الحركات، فالدارس هنا أمام ما لا يحصى من النصوص، لا بل أنه أمام فصول و أبواب كاملة تعالج موضوع الأصوات الذائبة (الحركات و حروف المد). على

نحو مبوب و مفصل يشمل كل ما يتصل بكيفية نطق الحركات و ما يعرض لها في التركيب من ظواهر صوتية. و هذه إشارة إلى من خصص فصلاً أو باباً لدراسة ما يتعلق بالحركات مما اطلعت عليه من كتب علم التجويد:

١- باب ذكر أحوال الحركات في الوقف، و بيان الروم و الإشمام- في كتاب (التحديد في الإتقان و التجويد) «٣»، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ).

٢- الباب الثالث في الكلام على الحركات و السكون- في كتاب (الموضح في علم (١) انظر: المبحث السادس من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٣) التحديد ٤١ ظ- ٤٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٦

التجويد) «١». لعبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦٢هـ).

٣- فصل في حدود الحركات و السكون- في كتاب (مرشد القارئ) «٢»، لأبي الأصبع عبد العزيز بن علي بن محمد الأندلسي، المعروف بابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ).

٤- الباب التاسع: في كيفية التلفظ حال التلاوة بها (بحروف العريضة)- في كتاب (التمهيد في التجويد) لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت ٥٦٩هـ).

و قد قال في أول هذا الباب: «اعلم أن هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام، فالقسم الأول في حروف المد و اللين، و القسم الثاني في الحلقية، و القسم الثالث فيما عداهما. و إنما بدأنا باللين لأنها أكثر دوراً من غيرها، و الحركات ناشئة عنها» «٣».

و تلك عناوين تدرج تحتها تفصيلات كثيرة، سوف نتعرف على كثير منها في هذا المبحث، حيث ندرس الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب التي تخص الأصوات الذائبة، و التي يمكن أن نصنفها إلى صنفين؛ ظواهر صوتية تتعلق بالنوعية، و ظواهر صوتية تتعلق بالكمية. و لعلماء التجويد كلام عن موقع الحركة بالنسبة للحرف، و عن كيفية نطق الحركات و المحافظة على خواصها حين تكون في التركيب، و أجد من المناسب الحديث عن ذلك قبل دراسة الظواهر الصوتية النوعية و الكمية.

## ١- موقع الحركة من الحرف:

كان ابن جنى قد درس في كتابه (سر صناعة الإعراب) موضوع موقع الحركة من الحرف حين النطق بالكلمات، و هل هي في المرتبة قبله، أو معه، أو بعده؟ و قد ناقش هذه الاحتمالات الثلاثة، و رجح أن تكون الحركة منطوقة بعد الحرف، لا قبله و لا معه «٤». و أشار في كتابه (الخصائص) إلى أن ذلك مذهب سيوييه «٥».

و درس علماء التجويد هذا الموضوع في كتبهم، لكن بعضهم نحا منحى ابن جنى في العرض و الاستدلال، على نحو ما فعل عبد الوهاب القرطبي، و بعضهم نحا منحى آخر، كما (١) الموضح ١٨٣ و- ١٨٨ و.

(٢) مرشد القارئ ١٣٥ ظ- ١٣٦ ظ.

(٣) التمهيد ١٤٧ ظ. و قد استغرق القسم الأول الأوراق ١٤٧ ظ- ١٥٠ ظ.

(٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢- ٣٧، و نقل السيوطي ذلك في الأشباه و النظائر ١ / ١٥٢- ١٥٦.

(٥) الخصائص ٢ / ٣٢١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٧

فعل مكى بن أبى طالب الذى يفهم من كلامه أنه يناقش قضية تاريخية تتلخص فى معرفة أيهما كان أسبق فى الاستخدام اللغوى



الحروف أم الحركات؟ وهو يرجح أن الحروف والحركات لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال «١». ويبدو لي أن مناقشة الموضوع على هذا النحو تشبه الكلام عن نشأة اللغة في عدم جدواها من ناحية الدرس اللغوي. أما عبد الوهاب القرطبي فإنه اقتفى أثر ابن جنى في مناقشة الموضوع، واستدل بأدلته «٢». وهي معروفة منذ أن تداول الدارسون المحدثون كتاب (سر صناعة الإعراب) بعد طبع الجزء الأول منه. لكن عبد الوهاب القرطبي ختم كلامه عن الموضوع بملاحظة دقيقة استدلت بها على أن الحركة تحدث مع الحرف. فهو بعد أن نقل ما ذكره ابن جنى من مذهب أبي على الفارسي إلى أن الحركة تحدث مع الحرف، قال مؤيدا هذا المذهب:

«و مما يبينه أيضا أن الحركات الثلاث إنما عملهن بالفم، فإذا ضمته حدث الضم، وإن كسرت حدث الكسر، ومتى فتحته حدث الفتح، وفي حال تحريك الحرف بالضم يكون اللفظ به قاطعا للصوت على مخرج الحرف و ضامما شفثيه معا في حالة واحدة، من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس. وكذلك في حال كسر الحرف يكون كاسرا بفمه مع قطع الصوت على مخرج الحرف المكسور. وكذلك في حال الفتح يكون قاطعا للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غير فصل بينهما. وهذا دليل على أن الحركة تحدث مع الحرف المتحرك من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه» «٣».

ولا شك في أن ملاحظة عبد الوهاب القرطبي السابقة صحيحة ودقيقة، فلو تأملنا حالة أعضاء النطق عند التلفظ بهذه الكلمات: قرب، وقول، وقسم. لوجدنا أن شكل أعضاء النطق عند بداية التلفظ يختلف في كل كلمة عنه في الكلمة الأخرى، على الرغم من أن الكلمات الثلاث تتفق في البدء بصوت القاف. فحين تنطق الكلمة الأولى نجد أن الناطق يضم شفثيه في ذات الوقت الذي يبدأ بنطق صوت القاف، بينما يفتح شفثيه في الكلمة الثانية، ويكسرهما في الكلمة الثالثة. وهذا أمر يؤيد ما ذكره عبد الوهاب القرطبي في النص السابق. ولكنني أعتقد أن ذلك لا يدل على أن الحركة تحدث مع الحرف بقدر ما يدل على شدة اتصال الحركة بالحرف (١) الرعاية ص ٧٧-٨٠. وقد أخذ هذه الفكرة عن مكى كل من: ابن الجزري: التمهيد ص ١٩-٢٠ والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٢) الموضح ١٥١ و- ١٥١ ظ.

(٣) الموضح ١٥١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٨

بحيث أن أعضاء النطق تبدأ بالتهيؤ للصوت الثاني قبل الفراغ من نطق الصوت الأول. وذلك لأن عملية النطق الاعتيادية سريعة جدا بحيث لا تدع فرصة لنطق الصوت مستقلا ثم البدء بنطق الصوت الذي يأتي بعده، وذلك لشدة اتصال الأصوات المتجاورة. ولو لا ذلك التداخل وشدة الاتصال لما حدث تأثير الأصوات بعضها ببعض بحيث يؤثر الصوت الثاني في الأول.

## ٢- العناية بكيفية نطق الحركات:

### إشارة

أولى علماء التجويد الحركات عناية خاصة، فوضحوا كيفية نطقها والمحافظة على خواصها عند ما تتوالى في التركيب و حين تجاور أصوات اللين خاصة، لما بينها وبين الحركات من تقارب في النطق.

فمن ذلك قول الداني: «فأما المحرك من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحه والكسرة والضمه فحقه أن يلفظ به مشبعا، ويؤتى بالحركات كوامل، من غير اختلاس ولا توهين يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ يوجب الإتيان بعدهن بألف و ياء و واو غير ممكنات فضلا عن الإتيان بهن ممكنات.

و أما المسكن من الحروف فحقه أن يخلى من الحركات الثلاث و من بعضهن، من غير وقف شديد و لا- قطع مسرف عليه سوى احتباس اللسان في موضعه قليلا في حال الوصل» (١).

و مثل ذلك قول عبد الوهاب القرطبي في أول الباب الثالث الذي خصصه للكلام عن الحركات: «قد بينا أن الحركات أبعاض حروف المد و اللين، و كشفنا فيما تقدم عن حقيقة السكون، فلا حاجة إلى اقتصاصه ثانيا، و الذي يخص هذا الباب التنبيه على كيفية أداء ذلك و اللفظ به، فنقول: الذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات و السكنات، فلا يشيع الفتحة بحيث تصير ألفا، و لا الضمة بحيث تخرج واوا، و لا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعا للحرف موضع الحركة، و لا يوهنا و يختلسها و يبلغ فيضعف الصوت عن تأديتها و يتلاشى النطق بها و تتحول سكونا» (٢).

و كذلك نبه علماء التجويد على العناية بالحركات حين تتوالى، فيؤتى بها على وزن واحد، قال عبد الوهاب القرطبي: «إذا توالى الحركات في مثل أَحَدَ عَشَرَ كَوَّكَبًا [يوسف:

٤]، إِلَّا اللَّهُ لَفَسَّ دَنَا [الأنبياء: ٢٢]، وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ [التوبة: ٩٩]، (١) التحديد ١٢ ظ. و أورد الداني هذا النص في شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٨ ظ.

(٢) الموضح ١٨٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤١٩

و رُسُلِكُمْ [غافر: ٥٠] و رُسُلُهُمْ [الأعراف: ١٠١]، و ما أشبه ذلك من قليل التوالى و كثيره، ينبغي أن يتعمل للتسوية بينهن بحيث لا تنفرد إحدهن بإشباع و تمطيط و الأخرى باختلاس و توهين. لأن ذلك يظهر و يبين أكثر من بيانه و ظهوره فيما إذا لم تتوالى الحركات» (١).

و لاحظ علماء التجويد أن الحركات في آخر الكلمات قد يطغى بها اللسان، فحذروا من ذلك و استثنوا بعض المواضع التي يحتاج فيها إلى التعمل لإظهار الحركة في أواخر الكلمات في الدرج لا الوقف. و قد جمع ذلك كله عبد الوهاب القرطبي في قوله: «اعلم أن أواخر الكلم إذا كانت متحركة و جب أن تكون حركاتها مطففة لأن اللسان عند انقضائها يكاد يطغى، لأن النفس لما تستشعره من فراغ الكلمة تجد راحة من اللفظ فتلقى بعض ما عندها من الصوت المعد العتيد، و يخرج النفس معه، فتتوفر الحركة، فنبه على اجتناب طغيان اللسان بها بترك التمكث فيها لذلك، كقولك الْحَمْدُ لِلَّهِ [الفاحة: ٢] غَيْرِ الْمَغْضُوبِ [الفاحة: ٧].

هذا هو الأصل، إلا أن يمنع مانع، و المانع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدهما: أن يكون آخر الكلمة حرفا خفيا، و الحروف الخفية أربعة: الألف و الواو و الياء و الهاء. و قد تقدم ذكرها آنفا في هذا الكتاب، إلا أن الألف لا يتحرك، فمتى كان حرف من هذه الحروف في آخر كلمة أو في أى موضع كان منها تعين إشباع حركته و سكونه، لأن الحركة و السكون يخفيان بخفائه، فتعين إظهارهما.

الثاني: أن يكون آخر الكلمة حرفا من حروف الحلق، فإن الحركات و السكنات تثقل بثقلها فلا تظهر، فحضر أئمة القراء على إظهارها لذلك، و سواء جاءت هذه الحروف، أعنى الخفية و الحلقيه وسطا أو طرفا، فإن إشباع حركاتها و سكونها يتعين كقوله تعالى: فَاتَّبِعْ سَبِيلًا [الكهف: ٨٥]، أَوْ تَسْمَعْ لَهُمْ [مریم: ٩٨]، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ [المائدة: ١٦]، وَ رَفَعْنَا [مریم: ٥٧]، يُسَبِّحُ لَهُ [النور: ٣٦]، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ [الواقعة: ٧٤] فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ [طه: ١٢] حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [الكهف: ٦٠] نَسْلُخْ مِنْهُ النَّهَارَ [يس: ٣٧]، لَسَبًا فِي [سبا: ١٥]، وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ [يونس: ١٠٩]، أَسْمِعْ بِهِمْ وَ ابْصُرْ [مریم: ٣٨]، فَإِنَّ اللَّهَ يُتَوَبُّ عَلَيْهِ [المائدة: ٣٩]، فَبُهْدَاهُمْ مَقَدَّةً [الأنعام: ٩٠] و ما أشبه ذلك. (١) الموضح ١٨٦ ظ. و انظر: الداني: التحديد ٣١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٠

الثالث: اجتماع حرفين مثلين في آخر كلمة و أول أخرى، كقوله تعالى الرَّحِيمِ\* مَالِكِ [الفاتحة: ٣-٤]، الْكِتَابِ بِأَيْدِيهِمْ [البقرة: ٧٩]، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا [هود]:

[٤٩]. و سواء وقع المثلان وسطا أو طرفين تتعين توفية حركتهما، كقوله تعالى: فَاقْصُصِ الْقَصَصَ [الأعراف: ١٧٦]، أَمَر رَبُّكُمْ [الأعراف: ١٥٠] قَالَ لَهُمْ [طه: ٦١]، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ [الشورى: ٢٨] حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ [البقرة: ١٩١]، ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ [المائدة: ٧٣]، تَعْرِفُ فِي [الحج: ٧٢]، حَقَّ قَدْرِهِ [الأنعام: ٩١]، الْحَقُّ قُلُ [الأنعام: ٦٦] و ما أشبه ذلك، لأن تكرار الحرف الواحد ثقيل في اللفظ

لما فيه من الشبه بمشى المقيد الذى يرفع رجله و يردّها إلى الموضع الذى منه رفعها. و هذا دليل الثقل، و لأجله استخف الإدغام. و متى لم توف الحركة حقها سبق السكون و الإدغام، لأن اللسان يفر إلى الأخرى و يطلبه، سيما إذا كان الحرفان خفيين، كقوله تعالى وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ [النحل: ٩٠]، وَ وُضِعَ الْكِتَابُ [الزمر: ٦٩]، أو حرفى حلق، كقوله تعالى: فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ [سبأ: ٢٣]، لا- أَبْرُحَ حَتَّى [الكهف: ٦٠]. و قد يكونان حرفى حلق و من الحروف الخفية، كقوله تعالى فِيهِ هُدًى [البقرة: ٢]. و ذلك أولى أن تكون حركته وافية.

و جميع ما ذكرناه احتياجه إلى إظهار الحركة عليه من الحروف هو محتاج إلى إظهار السكون عليه أيضا، فإن الحروف الخفية و حروف الحلق يتعين إظهار السكون عليهما كما تعين إظهار الحركة» (١).

و الحركات إذا أتت قبل الواو و الياء أو بعدهما وجب العناية بنطقها خشية ذهابها أو الزيادة فى تمكينها حتى يتولد عنها حرف من جنسها. و قد عقد كثير من علماء التجويد فصولا و مباحث لتوضيح كيفية النطق بالحركات فى مثل ذلك» (٢). و كان السعيدى أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع حيث عقد أربعة أبواب فى كتابه (التنبية على اللحن الجلى و اللحن الخفى) لمعالجة ما يتعلق بهذا الموضوع.

و قد خصص السعيدى الباب الأول للواو إذا انفتحت و ما قبلها مضموم حيث قال: «باب الواو إذا انفتحت و ما قبلها مضموم، كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي [التوبة: ٣٣]، وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص: ١]، وَ لَهْوٌ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ [الحج: ٥٨]، وَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنفال: ٦١]. (١) الموضح ١٨٣ ظ- ١٨٤ و.

(٢) انظر: السعيدى: التنبية ٤٨ ظ، و مكى: الرعاية ٢٠٩، و الدانى: التحديد ٢٩ ظ، و القرطبي: الموضح ١٨٥ و. و العطار: التمهيد ١٤٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢١

ينبغى أن تكون الضمة قبل هذه الواوات و ما أشبهها مختلصة غير مشبعة، و لا يزداد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت فى اللفظ واوين، الأولى ساكنة و الثانية مفتوحة، كقوله: هُوَ الَّذِي، و قل هو و الله أحد، و لهو و خير الرازقين، و ما أشبهها و ذلك غير جائز عند أهل الضبط.

و كذلك إذا كانت الواو مشددة و قبلها ضمة تختلس الضمة قبلها، و لا يزداد على لفظها، كقوله تعالى: ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [الذاريات: ٥٨]، وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ [هود]:

[٥٢]، وَ وَ التَّبَيُّوتُ [آل عمران: ٧٩] فى قراءة من لا يهمز، و ما أشبهها. فإنها إن أزيلت عن حد الاختلاس ضعف تشديد الواو بعدها، و إنما تحرك ضمة هذه القاف بمقدار ضمة القاف من قولك: قَدَّ، و الصاد من قولك: صَدَّ، و ما أشبههما» (١).

و بالطريقة نفسها عالج السعيدى فى الباب الآخر (الياء إذا انفتحت و ما قبلها مكسور) «٢». و فى البابين الآخرين تحدث السعيدى عن (الواوين إذا اجتمعتا و الأولى ساكنة مضموم ما قبلها و الثانية مفتوحة) و عن (الياءين إذا اجتمعتا و الأولى ساكنة مكسور ما قبلها و الثانية مفتوحة) «٣».

و ذكر الدانى فى كتابه (التحديد) مجموعة من الحالات التى يجب على القارئ أن يعتنى بها و يحافظ على الحركات فيها «٤». و قد

أوردها القرطبي في كتابه (الموضح) بعد أن زاد عليها و أعاد ترتيبها على هذا النحو: «و الحركة تشع في الياء و الواو إذا كانتا خفيفتين، في أول الكلام كانتا أو في وسطه أو في آخره، مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ [البقرة: ١٠٤]، بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ [البقرة: ٢٢٥]، قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ [البقرة: ٢١٩]، وَ تَشَاوُرِ [البقرة: ٢٣٣] ... فأشبعها في جميع ذلك.

و لا تتهيب الضمة في الواو سواء كانت لالتقاء الساكنين أو لغيره، في مثل قوله تعالى:

فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ [البقرة: ٩٤]، وَ لَا تَسْتَوْا الْفُضْلَ [البقرة: ٢٣٧]، وَ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ [التكاثر: ٦]. (١) التنبيه ٤٨ ظ.

(٢) التنبيه ٤٨ و.

(٣) التنبيه ٤٩ و.

(٤) التحديد ٢٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٢

و أشبع بيان حركة الواوين بتكلف و تثبت في مثل قوله تعالى: وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ [النمل: ١٦] و ما أشبه ذلك.

و إذا انضم ما قبل الواو الساكنة منهما فأشبع ضمة الأولى لتخلص إلى سكون الثانية، كقوله تعالى ما وُورِيَ عَنْهُمَا [الأعراف: ٢٠]، و داوُدَ وَ سُلَيْمَانَ [الأنعام: ٨٤]، و ما أشبه ذلك.

و كذلك أشبع الحركة من غير تشديد في الياءين و الواوين في مثل قوله تعالى: لِنُجِّبِي بِهِ [الفرقان: ٤٩]، و وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ [هود: ٦٦]، و وَ الْبُغْيِ يَعِظُكُمُ [النحل: ٩٠]، و مِنْ اللَّهْوِ وَ مِنَ التَّجَارَةِ [الجمعة: ١١]، خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ [الأعراف: ١٩٩]، أَنْ يَأْتِي يَوْمَ [البقرة: ٢٥٤].

و إذا كان بعدها حرف مشدد في مثل قوله: يَا صَاحِبِي السَّجْنِ [يوسف: ٣٩] تعين تخليص تخفيف الياء و كسرهما من تشديد السين، و كذلك مِنْ ثُلْثِي اللَّيْلِ [المزمل: ٢٠]، بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ [الحجرات: ١].

و متى كانت الواو و الياء مشددتين و بعدهما مثلهما فدونك الإشباع فيهما من أجل حراسه الإدغام، كقوله تعالى: بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ [الأعراف: ٢٠٥]، و وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف: ٢٨] «١».

و يؤكد علماء التجويد ترك التكلف في نطق الحركات حتى لا تخرج عن حدها، و حتى تأتي القراءة سهله خالية من التكلف. و قد قال ابن البناء في (باب في تعديل الوزن و الترتيل):

«يجب على قارئ القرآن أن يأتي بحروف القرآن في وزن عادل و ترتيل متماثل، بجعل مفتوح الحروف و منصوبها لبقه تعالى خفيفة التوالى، و مضمومها و مرفوعها إشارة لطيفة، و كذلك مكسورها و مخفوضها حركة خفية، إلا ما كان من ذلك محتاجا إلى الإشباع فإنه حينئذ يشع من غير تعد» (٢)».

### أولاً - الظواهر النوعية:

تكاد التأثيرات الصوتية النوعية التي تلحق الأصوات الذائبة عند وقوعها في التركيب تنحصر في الألف و أختها الفتحة حيث يلحقهما التفخيم و الترقيق تبعاً للأصوات التي (١) الموضح ١٨٥ و.

(٢) بيان العيوب ١٧٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٣

تجاورهما، أما الواو و أختها الضمة و الياء و أختها الكسرة فإنها أقل تأثراً.

و قد وضع علماء التجويد قاعدة في معرفة تفخيم الألف و ترقيقها، و هي تنطبق على الفتحة أيضاً، قال ابن الجزري: «الألف حرف هوائى لا يوصف بإمالة و لا تفخيم» (١). و قال على القارى: «الألف تتبع ما قبلها في تفخيمها و ترقيقها» (٢). و قال أيضاً: «إذا كانت

بعد حرف مستعل فإنها تكون تابعة له في التفخيم بناء على القاعدة المقررة من أن الألف لازمة للحرف الذي قبلها «٣». و قال: «إذ يعرف كل من له أدنى دراية أن الحروف إذا فحمت تفخم حركتها و إذا رقت رقت فكذا ما يكون تابعا لحركتها، أعنى الألف» «٤» و قال الشيخ أحمد فائز الرومي: «و الحاصل أن ترقيق الألف و تفخيمه يعرف بتطبيق قاعدة تبعية الألف لما قبلها» «٥».

ان قد ظهر بين علماء التجويد في القرن الثامن الهجري اتجاه نحو إخراج الألف من بين حروف التفخيم على كل حال، حتى لو وقعت بعد حرف مستعل. و يبدو أن الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) هو رائد هذا الاتجاه، فقد قال في قصيدته (تحقيق التعليم في الترقيق و التفخيم) و هو يتحدث عن (متفق اشى شى لتفخيم من الحروف) «٦»:

فالإطباق فخم باتفاق كصادق و طاب و ضاق الظالمون ففسرا

و إن فحمت غين و خاء و قافها أو انضم هذا قول تفخيمها انصرا

و إياك و استصحب تفخيم لفظها إلى الألفات التاليات فتعرا

و قد أخذ هذا القول عن الجعبري تلميذه أبو بكر عبد الله بن أيدغدى بن عبد الله الشهير بابن الجندى (ت ٧٦٩ هـ) قال ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ): «و قال شيخنا ابن الجندى رحمه الله: و تفخيم الألف بعد حروف الاستعلاء خطأ، و ذلك نحو: خائفين، و غالبيين، و قال، و طال، و خاف، و غاب، و نحو ذلك» «٧». و أخذ به أيضا ابن الجزرى في أول حياته العملية، حيث قال في كتابه (التمهيد في علم التجويد) و هو يتحدث عن الخاء: «و احذر إذا فحمتها قبل (١) النشر ٩١ / ٢».

(٢) المنح الفكرية ص ٢٢.

(٣) المنح الفكرية ص ٢١.

(٤) المنح الفكرية ص ٢٢.

(٥) شرح الدر اليتيم ٣٠ ظ.

(٦) تحقيق التعليم ٢٩ و- ٢٩ ظ.

(٧) التمهيد ص ٣٨.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٢٤

الألف أن تفخم الألف معها، فإنه خطأ لا يجوز» «١».

و يبدو أن الحسن بن قاسم المرادى (ت ٧٤٩ هـ) كان يأخذ بهذا الاتجاه أيضا، فقد قال في (شرح الواضحة): «الألف لا حظ لها في التفخيم» «٢». و قال في (المفيد شرح عمدة المجيد): «و مما يجب الاحتراز منه تفخيم الألف، و خصوصا عند مجاورة المفخم» «٣». و لكن هذا الاتجاه ظهر من يعارضه في القرن الثامن الهجري ذاته. حتى أن ابن بضحان الدمشقي (ت ٧٤٣ هـ) كتب كتاب (التذكرة و التبصرة لمن نسى تفخيم الألف أو أنكره) «٤».

و قد قال فيه: «اعلم أيها القارئ أن من أنكر تفخيم الألف فإنكاره صادر عن جهله أو غلظ طباعه، أو عدم اطلاعه، أو تمسكه ببعض كتب التجويد التي أهمل مصنفوها فيها التصريح بذكر تفخيم الألف». و كان قد وقف على هذا الكتاب أستاذ العربية و القراءات أبو حيان الأندلسي، فكتب عليه: «طالعته فرأيت قد حاز إلى صحة النقل كمال الدراية، و بلغ في حسنه الغاية» «٥».

و ابن الجزرى الذى كان متحمسا لنصرة مذهب شيخه ابن الجندى، و شيخ شيخه الجعبري، في كتابه (التمهيد في علم التجويد) الذى ألفه سنة ٧٦٩ هـ «٦». رجع عن ذلك في كتابه (النشر في القراءات العشر) الذى انتهى من تأليفه سنة ٧٩٩ هـ «٧». حيث قال فيه: «و أما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق و لا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها، فإنها تتبعه ترقيقا و تفخيما، و ما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها وإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو، أو يريدون التنبه على ما هي مرققة فيه. و أما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فهو شىء و هم فيه، و لم يسبقه إليه أحد، و قد رد

عليه الأئمة المحققون من معاصريه. و رأيت من ذلك تأليفا للإمام أبي عبد الله محمد بن بضحان سماه: التذكرة و التبصرة لمن نسي تفخيم الألف أو (١) التمهيد ص ٣٨، و انظر: الصفاقسي: تنبيه الغافلين ص ٥٦.

(٢) الواضحة ص ٦٦.

(٣) المفيد ١٠٤ و.

(٤) انظر: رقم ٢٦ من قائمة مصادر علم التجويد في الفصل الأول من هذا البحث.

(٥) نقلا عن ابن الجزري: النشر ١/ ٢١٥-٢١٦.

(٦) انظر: التمهيد ص ٨٣.

(٧) انظر: النشر ٢/ ٤٦٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٥

أنكره» (١).

و يبدو أن القاعدة القائلة إن الألف تتبع ما قبلها في الترقيق و التفخيم قد استقرت بعد عصر ابن الجزري و بفضل ما كتبه عن الموضوع في كتابه النشر. و قد قال على القاري (ت ١٠١٤ هـ): «و الحاصل أن الصحيح بل الصواب هو الذي مشى عليه الناظم في النشر» (٢).

و قال الصفاقسي (ت ١١١٨ هـ): «الصواب ما في النشر و التعويل عليه لا على ما في التمهيد» (٣).

و تطرق المرعشي إلى ترقيق و تفخيم الواو و الياء المديين فقال: «و لما كان في الياء و الواو المديين عمل عضو في الجملة كما سبق لم يكونا تابعين لما قبلهما، بل هما مرفقان في كل حال، كذا يفهم من إطلاقاتهم، و لعل الحق أن الواو المديية تفخم بعد الحرف المفخم» (٤).

لكنه عاد إلى الموضوع مرة أخرى يتأمله و يتعمق فيه حتى انتهى إلى أن قال في كتابه (بيان جهد المقل): «قوله (و لعل الحق أن الواو المديية تفخم بعد المفخم) و ذلك لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو: الطور، و الصور، و قوا، لا يمكن إلا بإشرابها صوت الياء المديية بأن يحرك وسط اللسان إلى جهة الحنك، كما يشهد به الوجدان الصادق، مع أن الواو ليس فيه عمل اللسان أصلا، و قد رجوت أن يوجد التصريح بذلك أو الإشارة إليه في كتب هذا الفن لكنني أعياني الطلب، فمن وجده فليكتبه هنا. و أما الياء المديية فلا شك في أنها مرفقة في كل» (٥).

و قد جاء الدرس الصوتي الحديث يؤيد ما ذهب إليه جمهور علماء التجويد من أن الحركات و حروف المد، و الألف خاصة، تتبع ما قبلها في الترقيق و التفخيم، فهذا أحد دارسى الأصوات العربية من المعاصرين يقول: «الفتحه مثلا قد تكون مفخمة، و قد تكون مرفقة و قد تكون بين التفخيم و الترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، و هي الصاد و الضاد و الطاء و الظاء، و هي في الحالة الوسطى بين التفخيم و الترقيق مع القاف و الغين و الخاء، و لكنها مرفقة في المواقع الصوتية الأخرى. فلدينا إذن بحسب النطق الفعلي ثلاثة أمثلة للفتح أو ستة حين نأخذ الطول و القصر في الاعتبار، إذ أن الفتحه الطويلة يعترها ما يعترى الفتحه القصيرة من (١) النشر: ١/ ٢١٥.

(٢) المنح الفكرية ص ٢٢-٢٣.

(٣) تنبيه الغافلين ص ٥٧.

(٤) جهد المقل ١٥ ظ.

(٥) بيان جهد المقل ١٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٦

التفخيم و إخوته.

و هذا الشيء نفسه يطبق على الكسرة و الضمة (طويلة و قصيرة) فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق، و بين التفخيم و الترقيق مع القاف



و الغين و الخاء. و لكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى. فلدينا ثلاث كسرات (أو ست)، و ثلاث ضمات (أو ست)، فالحركات العربية إذن بهذا الاعتبار السياقي تسع أو ثمانى عشرة» (١).

و يتضح من هذا أن مفهوم الترقيق و التفخيم فى الحروف الذائبة (الحركات و حروف المد) يكاد يكون متفقا عليه بين علماء التجويد و دارسى الأصوات من المحدثين. ما عدا نقطتين، و الأولى اعتبار الحركات بين الترقيق و التفخيم بعد القاف و الغين و الخاء لدى المحدثين بينما هى مفخمة لدى علماء التجويد. و يمكن أن نجد فى قول المرعشى:

«و بالجملة أن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء و الإطباق» (٢). ما يقرب بين وجهه نظر الطرفين. و النقطة الثانية: شمول الضمة و الكسرة، و واو المد و ياءه بأحكام الترقيق و التفخيم لدى المحدثين، بينما كان كلام علماء التجويد يدور بشكل أساسى حول الفتحة و الألف، لأنه أكثر ظهورا فيهما، و قد ذهب المرعشى إلى شمول واو المد بها، بينما عد الياء مرققة. و لا تزال هذه النقطة بحاجة إلى مزيد من الدرس فيما يبدو لنا.

### ثانياً - الظواهر الكمية:

#### إشارة

الأصوات الذائبة فى العربية، و هى الحركات و حروف المد، لكل منها مقدار محدد من الطول، كما أن لكل صوت من الأصوات الجامدة مقدارا من الطول أيضا، و لا يتحقق ذات الصوت إلا بعد أن يستوفى حظه من الطول. و يبدو أن الأصوات الذائبة أكثر تعرضا للزيادة و النقصان فى زمن النطق من الأصوات الجامدة، لأن طبيعتها نطقها تحتل ذلك، حيث يمكن للناطق أن يمد صوته بالأصوات الذائبة ما أسعفه النفس.

و ما الفرق بين الحركات و حروف المد إلا بمقدار الزمن الذى يستغرقه نطق كل منها، فالحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد، و كذلك حرف المد إذا قصر زمن النطق به رجع إلى الحركة، لأن الفرق بين الحركات و حروف المد فرق فى الكمية لا أكثر. و هذا الأمر كان واضحا عند علماء التجويد و ضوحا لا مزيد عليه. (١) كمال محمد بشر: الأصوات ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) جهد المقل ١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٧

و كان علماء التجويد قد أدركوا أن الحركات و حروف المد تتعرض للزيادة و النقص فى طولها عند ما تكون فى التركيب، فدرسوا ذلك و حددوا مواضعه، و بحثوا فى علله و أسبابه، و حذروا من عوارضه و شوائبه. و كان من ذلك ما هو خاص بالحركات و ما هو خاص بحروف المد. على نحو ما يتضح من العرض الآتى.

### ١- الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالحركات:

#### إشارة

الحركات الرئيسية فى العربية ثلاث: الفتحة و الضمة و الكسرة. و لها فى النطق مقدار يجب على الناطق أن يراعيه من غير زيادة و لا نقصان. و قد مضى فى صدر هذا المبحث من النصوص التى أكد فيها علماء التجويد على العناية بحفظ مقادير الحركات بلا توهين يؤدى بها إلى السكون و لا إشباع يؤول بها إلى التمطيط حتى تصير الحركة حرفا.



وقد لاحظ علماء التجويد أن الحركات يلحقها في التركيب من التغيير ما يؤدي إلى حذفها أو تقصيرها، فتحدثوا عن هذه الظاهرة و حددوا مواضعها، و ميزوا بين درجاتها، و كان قد سبقهم إلى كثير من ذلك علماء العربية منذ زمن سيوييه، إلا أننا حين ننظر في جهود علماء التجويد في هذا المجال نجد أنها تتميز ببعض النظرات الشاملة التي تدرك العلاقة بين الظواهر، كما تتميز بدقة التحليل، و عمق إدراك الظواهر.

و من النصوص المتميزة لدى علماء التجويد التي عالجت ما يلحق الحركات في التركيب من التقصير الفصل الذي كتبه ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠هـ) في كتابه (مرشد القارئ) و جعل عنوانه (فصل في حدود الحركات و السكون) و قال فيه: «الحركات ثلاث: رفع و نصب و خفض، فحق كل حرف تحرك بأحدها أن يلفظ به ممكنا من مخرجه، معتمدا عليه في مدرجه حتى يحكى بجميع صفته و تمام حركته، معتدلة في الوزن الحسن، يعتمد بعد أدائها حتى يوجب الاعتماد و الخروج عن الحد حدوث حرف يقوم عن ذاتها، فيأشباع الفتحة يحدث الألف، و يأشباع الضمة يحدث الواو، و يأشباع الكسرة تحدث الياء. و تنقسم الحركات الثلاث المذكورة على (أربع) «١» درجات:

الدرجة الأولى: الكمال، و هو الحركة التي ذكرناها، حتى يصرفها عن ذلك صارف.

الدرجة الثانية: الاختلاس، و قد حددناه و ذكرنا أن حركته تامه في الوزن تمام حركة (١) في الأصل (ثلاث)، لكن الذي يناسب السياق هو (أربع).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٨

الكمال ببرهان النظر و الاستدلال.

الدرجة الثالثة: الإخفاء، و هو نقصان الصوت بحرفها.

الدرجة الرابعة: الروم و قد شرحناه. و بمقدار ما يبقى من حركته عند علمائنا حكم حركة الكمال على ما يتحقق في مكانه إن شاء الله. فيجب على القارئ أن تكون عنايته (تامة) «١» يكمال الحركة، حتى يخاطب بغيره من الدرجات. فمتى استعمل غير الإكمال فيما لم يجيء به توقيف فقد لحن لأن القراءة سنه.

و أما حد السكون، فالسكون نوعان: حى و ميت «...» «٢».

فالحركات الثلاث تتعرض للتقصير حتى يصل ذلك إلى حد السكون، و هو زوال الحركة البتة. و بعض ذلك يرتبط بالوقف و بعضه لا يختص بمكان من الكلام. و المصطلحات التي ذكرها ابن الطحان، و هى الروم و الإخفاء و الاختلاس، و مثلها الإشمام الذي ذكره ابن الطحان في مكان سابق «٣»، كلها مصطلحات قديمة ذكرها سيوييه في الكتاب «٤». و قصدنا هنا أن نعرض كيفية معالجة علماء التجويد لهذه الظواهر.

### أ- الروم و الإشمام:

يعرض الروم و الإشمام للحركات عند الوقف قال سيوييه: «فأما المرفوع و المضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، و بغير الإشمام كما تقف عند المجزوم و الساكن، و بأن تروم الحركة التحريك، و بالتضعيف» «٥».

وقد فصل الدانى ذلك تفصيلا في قوله: «اعلموا أن الأصل أن يوقف على الكلم المتحرك في الوصل، إذا كانت حركاتهن إعرابا و بناء، بالسكون لأن الوقف ضد الوصل، لأن معنى الوقف أن يوقف عن الحركة أى تترك، كما يقال وقفت عن كلامك، أى تركته.

و اختار عامة شيوخنا و رؤساء أئمتنا في مذهب الجماعة الوقف على ذلك بالإشارة لما فيها من الدلالة على كيفية الحركة في الوصل، طلبا للبيان. و الإشارة على ضربين، تكون روما (١) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) مرشد القارئ ١٣٥ ظ - ١٣٦ و.

(٣) مرشد القارئ ١٣٥ و.

(٤) الكتاب ١٦٨ / ٤ و ٢٠٢ و ٤٣٩.

(٥) الكتاب ١٦٨ / ٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٢٩

و تكون إشماما.

و الروم أتم من الإشمام، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صوت خفى يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، و يستعمل في الحركات الثلاث. إلا أن عادة القراء أن لا يروموا المنصوب و لا المفتوح لخفتها و سرعة ظهورهما إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما، فيبدو الإشباع لذلك.

و أما الإشمام فلرؤية العين لا غير، إذ هو إيما بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع، و لذلك لا يعرفه إلا البصير، و يستعمل فيما يعالج بالشفتين من الحركات، و هو الرفع و الضم لا غير» (١).

و قد لخص المرعشى موانع الإشمام و الروم في الحركات و ذلك حيث قال: «اعلم أن الروم و الإشمام لا يكونان في هاء التانيث، و لا في ميم الجمع، و لا في الحركة العارضة في الوصل. و المراد من هاء التانيث تاء التانيث المبدلة هاء في الوقف و المراد بميم الجمع ما يوصل بواو عند بعض القراء. و الحركة العارضة هي الحركة العارضة لالتقاء الساكنين، نحو: لم يكن الذين» (٢).

و مذهب النحاة أن الروم يكون في الحركات الثلاث، إلا أنه في المنصوب و المفتوح يحتاج إلى رياضة لخفة الفتحة و تناول اللسان لها بسرعة» (٣). و لذلك لم يجزه القراء فيه «٤». قال عبد الوهاب القرطبي: «و إنما كان الروم في المكسور و المضموم إعرابا كان أو بناء دون المفتوح و إن كان الأصل استواءهما في الروم، لأن المفتوح أخف، و حركته أسرع ظهورا، فلو رام الرائي الإتيان ببعضها و جزئها جاء كلها و جملتها» (٥).

أما الإشمام فإن جمهور النحاة و القراء لا يرون جوازه في غير المرفوع، و ما نقل عن بعض القراء من جوازه في المجرور يحمل على الروم «٦». و قد أطلق بعض العلماء كلمة الإشمام على خلط الضمة بالكسرة في مثل (قيل و ساء) في بعض القراءات. و قد قال مكى: (١) التحديد ٤١ - ٤٢ - ٤٣. و انظر: مكى: الكشف ١ / ١٢٢، و القرطبي: الموضح ١٨٧ ظ.

(٢) جهد المقل ٥٤ ظ.

(٣) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ١٧٣.

(٤) المرادى: شرح التسهيل ٣١٢ ظ.

(٥) الموضح ١٨٧ ظ، و انظر: المرعشى: جهد المقل ٥٤ و.

(٦) أبو حيان: ارتشاف الضرب ص ١٧٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٠

«و هي ترجمة على مذهب الكوفيين لأنهم يترجمون عن الإشمام الذي لا يسمع بالروم و يترجمون عن الروم الذي يسمع بالإشمام» (١). كما أن بعض العلماء أطلق كلمة الإشمام على خلط الصاد بالزاي في مثل (الصراط) «٢».

و علل علماء التجويد وجه انحصار الإشمام بالضمة دون الفتحة و الكسرة، فقال عبد الوهاب القرطبي: «و اختص به المرفوع و المضموم دون المكسور و المجرور و المفتوح و المنصوب لأن الضم من الشفتين، و إذا أوما بشفته نحوه أمكن الإيما و أدركه الرائي و إن انقطع الصوت، لأن الرائي يدرك مخرج هذه الحركة و هو الشفتان، فأمكن أن يدركها، أما في المجرور و المكسور و المنصوب و المفتوح فإنما امتنع لأن الكسر ليس من الشفة، و إنما من مخرج الياء، و مخرج الياء من شجر الفم، و النظر لا يدرك حركته، و

كذلك الفتح من الألف، ولا آله للألف يدركها النظر، لأن مخرجها من الحلق. والرأى لا يدركه ولا يدرك حركته، والصوت ينقطع دون الشروع فى هذا الجزء من الحركة، فلم يبق للنظر ولا للسمع وصول إلى إدراكه فامتنع الإشمام فيه لذلك» (٣). والإشمام لا- يكون خاصا بالوقف، بل قد يكون فى الوصل أيضا، قال الدانى: «و أما المشم من الحروف فى حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومى بالعضو، وهما الشفتان...» (٤). وقال ابن الطحان: «و الإشمام عبارة عن ضم الشفتين، و هو بالأوائل والأواسط والأطراف، يكون دليلا على الضمة... فيكون صوغه بأوائل الكلم مع الشروع فى كسر الحرف المشم، و يكون صوغه بأواسطها (عند)» (٥) سكونها الخالص فى مدغماتها، و يكون صوغه بأطرافها عند سكونها الوقفى و إثر حصوله. و لا يقصد به أن يقرع سمعا فى جميعها، فإن حد الإسماع غير مقصود، فلعله خافية إلا على من اقتدى بسنة التجويد العالية» (٦). و يعلل علماء التجويد ظاهرة الروم و الإشمام فى الوقف بالدلالة على كيفية الحركة فى (١) مكى: الكشف ١/ ١٢٢، و انظر: الدانى: التحديد ١٣ ظ.

(٢) انظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ١٠٥-١٠٦ و المرعى: جهد المقل ٥٤ ظ.

(٣) الموضح ١٨٧ ظ. و انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ٥٠٥.

(٤) التحديد ١٣ ظ.

(٥) ساقطة من الأصل المخطوط.

(٦) مرشد القارئ ١٣٥ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣١

الوصل، قال مكى: «اعلم أن الروم و الإشمام إنما استعملتهما العرب فى الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت فى الوصل. و أصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأن الروم يسمع و يرى، و الإشمام يرى و لا يسمع. فمن رام الحركة أتى بدليل قوى على أصل حركة الكلمة فى الوصل، و من أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك» (١). و لا- نلاحظ اليوم أحدا من متكلمي العربية الفصحى يحرص على روم أو إشمام فى وقفه، حتى بدا ذلك أمرا غريبا على السامع، اللهم إلا إذا كان ذلك لدى نفر قليل من علماء القراءة المتمسكين بالرواية.

## ب- الاختلاس و الإخفاء:

هذان المصطلحان يشيران إلى تقصير يلحق الحركات لكنه غير محدد بمقدار واضح، و يبدو أنهما أعم دلالة على ذلك من الروم، و إن كانا من جنسه، قال الدانى: «فأما ما ضعفت صوتك بحركته و لم تتمه فنحو الروم و الإخفاء و الاختلاس، و قد قدمنا أنه محرك فى الحقيقة» (٢).

و يعرف علماء التجويد الاختلاس بأنه «عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت، و هى كاملة فى الوزن» (٣). و قال الدانى: «و أما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعا، يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، و هى كاملة فى الوزن تامة فى الحقيقة، إلا أنها لم تمطط، و لا ترسل بها، فخفى إشباعها و لم يتبين تحقيقها» (٤).

و قال الدانى أيضا بعد أن ذكر المختلس و المرام: «و كذا المخفى حركته من الحروف سواء. قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر» (٥). و قال غيره: هو بزنته ألا إنه أنقص صوتا منه.

و حقيقته فى اللغة السترة، و من ذلك قوله تعالى إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا [طه: ١٥] أى:

أسترها. و المخفى شيان: حرف و حركة. فإخفاء الحرف نقصان صوته، و إخفاء الحركة نقصان تمطيطها» (٦). (١) الكشف ١/ ١٢٢.

و انظر: القرطبي: الموضح ١٨٧ و.

(٢) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٨ ظ.

(٣) ابن الطحان: مرشد القارئ ١٣٥ ظ.

(٤) التحديد ١٣ و.

(٥) الكتاب ٤ / ٤٣٨.

(٦) التحديد ١٣ و - ١٣ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٢

و تحدث الداني عن إخفاء الحركات أيضا و قال: «فأما إخفاء الحركات فهو اختلاسها و الإسراع باللفظ بها من غير تسكين و لا تشديد، و هو عند النحويين بزنة متحرك، يعنون أن الصوت يضعف لا أنه «١» يسكن رأسا، و ذلك في قوله تعالى: قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا [يوسف: ١١] في قول الجماعة «٢». و قوله شَهْرُ رَمَضَانَ [البقرة: ١٨٥] و يَحِلُّ لَكُمْ [النساء: ١٩] و مِنَ الرِّزْقِ قُلُوبُ [الأعراف: ٣٢]، و شبه ذلك من مذهب أبي عمرو «٣».

و يبدو من ذلك أن الروم و الاختلاس و الإخفاء من حيث تقصير الحركة شيء واحد، حتى قال أحمد بن أبي عمر، و هو يتحدث عن الإخفاء: «و هو بين الأمرين، كالاختلاس بين الحركة و السكون، و كالإشمام بين الحركة و الروم» «٤». و لكن يبدو أن كلما من الاختلاس و الإخفاء يستعمل في موضع معين، و كلاهما يرتبط بمذهب أبي عمرو بن العلاء في القراءة. فمصطلح الاختلاس يستخدم للإشارة إلى مذهب أبي عمرو في مثل بارئكم [البقرة]:

[٥٤] و يُشْعِرُكُمْ [الأنعام: ١٠٩]. قال ابن مجاهد: «و اختلفوا في كسر الهمزة و اختلاس حركتها و إشباعها في قوله إلى بارئكم فكان ابن كثير و نافع و عاصم و ابن عامر و حمزة و الكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس و لا تخفيف. و اختلف عن أبي عمرو ... و قال سيويه «٥»: كان أبو عمرو يختلس الحركة من بارئكم و يَأْمُرُكُمْ و ما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من سمعه أنه قد أسكن، و لم يكن يسكن ... و قال البيهقي في ذلك كله أنه كان يسكن اللام من الفعل في جميعه. و القول ما أخبرتك به من أنه كان يؤثر التخفيف في قراءة ته كلها، و الدليل على إثارة التخفيف أنه كان يدغم من الحروف ما لا يكاد يدغمه غيره، و يلين الساكن من الهمز، و لا يهمز همزتين، و غير ذلك ...» «٦».

و أما إخفاء الحركة فيستخدم في ما أدغمه أبو عمرو بن العلاء من الإدغام الكبير و قبل الحرف الأول حرف ساكن، و ذلك مثل قوله تعالى: مِنَ الرِّزْقِ قُلُوبٌ هَيَّ و قوله شَهْرُ رَمَضَانَ و ما كان مثله. قال سيويه: «و إذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله (١) في الأصل (لأنه).

(٢) انظر: الداني: التيسير ص ١٢٧. و التحديد ١٣٥ ظ، و المرعشي: جهد المقل ٥٥ و.

(٣) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٧ ظ.

(٤) الإيضاح ١١٤ و.

(٥) انظر: الكتاب ٤ / ٢٠٢.

(٦) كتاب السبعة ص ١٥٤ - ١٥٦. و انظر: الداني: التيسير ص ٧٣. و ابن الباذش: الإقناع ١ / ٤٨٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٣

سواء، حرف ساكن لم يجز أن يسكن، و لكنك إن شئت أخفيت و كان بزنته متحركا» «١».

و قال الداني: «و أهل الأداء يقولون ترام حركة أول المدغم في ذلك، فيجعلونه إخفاء، و المخفى بمنزلة المتحرك، و هو الوجه في العربية، و بذلك قرأت و به آخذ» «٢». و قال في موضع آخر: «قال أبو عمرو: و قد اختلف علماؤنا من القراء و النحويين في كيفية

الإشارة إلى حركة المدغم. فقال بعضهم يكون إيماء إليها بالشفيتين من غير إحداث شيء في جسم الحرف، فجعلوا ذلك إدغاما صحيحا، لأن الإيماء بالعضو لا يكون إلا بعد تسكين الحرف رأسا.

وقال آخرون: حقيقة الإشارة في ذلك أن تكون بالحركة إلى الحرف لا بالعضو إليها لأن ذلك أكد في البيان عن كفيته فجعلوا ذلك إخفاء لا إدغاما صحيحا، لأن الحرف إذا أشير إليه بحركته لم تذهب حركته رأسا بل يضعف الصوت بها تضعيفا لا غير. وهي مع ذلك في زنة المتحرك التام الممطظ اللفظ، وإلى هذا ذهب في ذلك عامة أهل الأداء ابن مجاهد و سائر أصحابه: أبي طاهر بن أبي هاشم، و أبي بكر الشذائي، و أبي الفرج الشنوذى، و غيرهم.

و هو اختيار شيخنا أبي الفتح نصر الله وجهه «٣»، أشير بالعضو إلى حركة الحرف المدغم فلا يقرع سمعه، و كان ضريرا، فيرده على حتى أسمعه صوت الحركة فيستحسن ذلك و يرضاه.

و كان ربما لفظ لي بذلك كذلك و وقفني عليه «٤».

و ذكر ابن يعيش أن ابن مجاهد قال: «يترجمون عنه بإدغام و ليس بإدغام، إنما هو إخفاء، و الإخفاء اختلاس الحركة و تضعيف الصوت». ثم قال ابن يعيش: «و على هذا الأصل ينبغي أن يحمل كل موضع يذكر القراء أنه مدغم، و القياس يمنع منه، على الإخفاء، مثل (شهر رمضان) و ما أشبه ذلك من حرف مدغم قبله ساكن صحيح» «٥».

وقال الأسترآباذى: «و أما ما نسب إلى أبي عمرو من الإدغام في نحو خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ وَ شَهْرُ رَمَضَانَ فليس بإدغام حقيقي، بل هو إخفاء أول المثليين إخفاء يشبه الإدغام» «٦». (١) الكتاب ٤ / ٤٣٨.

(٢) الإدغام الكبير ١٢ و.

(٣) يعنى فارس بن أحمد، ت ٤٠١ هـ، انظر: ابن الجزرى: غاية النهاية ٥ / ٢ - ٦.

(٤) الإدغام الكبير ٢٦ و- ٢٦ ظ. و انظر: السيرافى: شرح كتاب سيبويه ٦ / ٢٩٦.

(٥) شرح المفصل ١٠ / ١٤٧، و انظر أيضا ١٠ / ١٢٣ و ١٤٠.

(٦) شرح الشافية ٣ / ٢٤٧، و انظر أيضا ٣ / ٢٧٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٤

و ليس غرضنا هنا الدخول في تفصيلات هذا النوع من الإدغام الكبير لأننا ذكرنا من قبل أن الإدغام الكبير درسه القراء في كتب القراءات، و لم يتعرض له علماء التجويد في كتبهم.

و إنما نريد أن نوضح أن إخفاء الحركات يستخدم في مثل هذا النوع من التركيب، حيث قال عنه بعض القراء بأنه إدغام صحيح، بينما قال عنه بعضهم و أكثر النحويين بأنه ليس بإدغام و لكن يحمل على إخفاء الحركة. و لكن لا بد من أن نذكر قولين من أقوال أئمة النحاة أنصافا و لم يتعصبا، و هما ابن الحاجب و أبو حيان، و كلاهما من القراء، فهما أدري بمذاهب الفريقين.

قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) «و الأولى الرد على النحويين في منع الجواز، و ليس قولهم بحجة إلا عند الإجماع، و من القراء جماعة من النحويين، فلا يكون إجماع النحويين حجة عليهم مع مخالفة القراء لهم، ثم و لو قدر أن القراء ليس فيهم نحوى فإنهم ناقلون لهذه اللغة، و هم مشاركون للنحويين في نقل اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم. و إذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى، لأنهم ناقلوها عن ثبوت عصمته عن الغلط في مثله، و لأن القراء ثبتت تواترا، و ما نقله النحويون آحادا، ثم و لو سلم أنه ليس بتواتر فالقراء أعدل و أكثر، فكان الرجوع إليهم أولى» «١».

و قال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ): «و الذى قرأناه و تلقيناه عن المشايخ أهل الأداء إدغام ما ذكرناه. و الذين رووا ذلك عن أبي عمرو أئمة ثقات، منهم علماء بالنحو كأبى محمد اليزيدى و غيره، فوجب قبوله، و إن لم يجزه البصريون غير أبي عمرو، فأبو عمرو رأس في البصريين، و لم يكن ليقرأ إلا بما قرأ و روى، لأن القراء سنة متبعة، غاية ما فى ذلك أن يكون قليلا فى كلام العرب» «٢».

وقد وازن بعض علماء التجويد بين الحركة المختلصة والحركة المرامئة. قال أبو بكر أحمد بن الجزرى: «و الاختلاس والروم يشتركان فى التبعض، و بينهما عموم و خصوص، فالروم أخص، من كونه لا- يكون فى الفتح و النصب، و يكون فى الوقف دون الوصل، و الثابت من الحركة أقل من المحذوف» (٣). و الاختلاس أعم، من كونه يتناول الحركات الثلاث و لا (١) الإيضاح فى شرح المفصل ١٢ / ٤٧٩. و انظر: الجاربردى: شرح الشافية ص ٢٤٠.

(٢) انظر: المرادى: شرح التسهيل ٣٠٧ و، و السيوطى: همع الهوامع ١٦ / ٢٨٥.

(٣) قال ابن الطحان (مرشد القارئ ١٣٥ و): «و الروم عبارة عن النطق ببعض الحركة، و يكون الفانى منها أكثر من الباقى».

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٥

يختص بالآخر. و الثابت من الحركة أكثر من المحذوف، و ذلك أن تأتى بثلاثها كأن الذى تحذفه أقل مما تأتى به، و هذا لا تحكمه إلا المشافهة» (١). و قال بعض علماء التجويد: أن الروم هو الإتيان بثلاث الحركة (٢). و هو يوافق قول أحمد بن الجزرى أن الذاهب من الحركة أكثر من الثابت.

و يلاحظ الدارس فى بعض النصوص استخدام كلمة (الاختلاس) بمعنى غير المعنى الذى ذكرناه هنا، و هو الإتيان ببعض الحركة. فقول السعيدى مثلاً فى باب الواو إذا انفتحت و ما قبلها مضموم، نحو قوله تعالى هُوَ الَّذِي و ما كان مثله: «ينبغى أن تكون الضمة قبل هذه الواوات و ما أشبهها مختلصة غير مشبعة، و لا يزداد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت فى اللفظ واوين، الأولى ساكنة، و الثانية مفتوحة، كقوله: هو و الذى ...» (٣) فلا يراد بالاختلاس هنا إنقاص الحركة حقها من المد، و إنما يقصد به إعطاؤها حقها مع التحفظ من الإشباع و الزيادة فى المد، لأنه موضع تميل الضمة فيه إلى الطول، فيتولد منها حينئذ حرف من جنسها و هو الواو، و فى ذلك إخلال بالتلاوة.

و قال عبد الوهاب القرطبى: «و يفرق بين المشبع و المختلس فى اللفظ ككسرة ما قبل الياء فى (إنى أخاف) و (يدى إليك) ... فإن هذه الكسرات تشبع ما دامت الياء ساكنة، فإذا تحركت بالفتح عادت الحركة التى قبلها إلى الاختلاس، لأنك لو أشبعت كسرة ما قبلها مع الفتح فيها صارت فى تقدير ياءين، و ذلك مستكره» (٤).

و من ثم قال عبد الوهاب القرطبى نفسه: «فإذا سمعت حض أئمة القراءة و أصحاب الأداء على اختلاس الحركة فى موضع ما فإنما ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف، و فى ذلك المكان، و ينطاع بها اللسان أكثر من انطباعه بها على حرف آخر و فى موضع آخر، فيكون الإشباع إليها أسرع» (٥). (١) الحواشى المفهومة ٧٧ ظ. و انظر: طاش كبرى زاده: شرح المقدمة الجزرية ٤٦ و.

(٢) عبد الدائم الأزهرى: الطرازات المعلمة ٧٥ ظ. و البقرى: غنية الطالبين ص ٨٢.

(٣) التنبيه ٤٨ ظ.

(٤) الموضح ١٨٤ ظ.

(٥) الموضح ١٨٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٦

## ٢- الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بحروف المد:

### إشارة

حروف المد هى الألف، و لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، و الواو التى قبلها ضمة، و الياء التى قبلها كسرة. و تتعرض حروف المد فى التركيب للتقصير حتى تصير حركة، و تتعرض للتطويل حتى تصير ضعف طولها الأصلي أو أكثر. و لكل حالة من ذلك موضع معين



فى التركيب. و كانت عناية علماء التجويد بظاهرة التطويل (أى المد) أكثر من عنايتهم بظاهرة التقصير، و ذلك لتنوع أسباب المد، و تعدد درجاته، و اختلاف القراء فيه. أما تقصير حروف المد فله موضع واحد، و لا اختلاف فيه بين القراء، و من ثم فقد أغفل كثير من العلماء ذكره، استغناء بشهرته عن تكلف الكلام عنه.

و تقصير حروف المد، و يعبرون عنه قديما بحذف حروف المد، و ردت الإشارة إليه فى كلام علماء العربية، لكن ليس فى سياق الحديث عن المد، و إنما فى سياق الكلام عن تميز حروف المد الثلاثة عن سائر الحروف. قال المبرد: «و هى حروف بائنة من جميع الحروف، لأنها لا يمد صوت إلا بها، و الإعراب منها، و تحذف لالتقاء الساكنين فى المواضع التى تحرك فيها غيرها، نحو قولك: هذا الغلام، و أنت تغزو القوم و ترمى الغلام. و لو كان غيرها من السواكن لحرك لالتقاء الساكنين، نحو: اضرب الغلام، و قل الحق» (٢). و قال الأزهرى، و هو يتحدث عن الواو و الياء إذا لم يكن قبلهما حركة من جنسهما:

«و الواو و الياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، و إذا تحركتا كانتا أقوى و من تبيان ذلك أن الألف اللينة و الياء بعد الكسرة و الواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن. كقولك: عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت: ذل. و تقول: رأيت ذا العمامة كأنك قلت: ذل. و تقول: مررت بذي العمامة، كأنك قلت: ذل، و نحو ذلك كذلك فى الكلام أجمع. و الياء و الواو بعد الفتحة إذا سكنتا و لقيهما ساكن بعدهما فإنهما يتحركان و لا يسقطان أبدا، كقولك: لو انطلقت يا فلان. (١) انظر: القرطبي: الموضح ١٧٨ و. المرعى: جهد المقل ٥٣ و.

(٢) المقتضب ١ / ٢١٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٣٩

و قولك للمرأة: اخشى الله، و للقوم: اخشوا الله. و إذا وقفت قلت: اخشوا، و اخشى» (١).

و تحدث بعض علماء التجويد عن ذلك، لكن فى سياق الكلام عن المد، فقال علم الدين السخاوى، و هو يتحدث عن حروف المد الثلاثة: «و لقاءها الساكن على ثلاثة أضرب:

ساكن مدغم، نحو: الضالين. و ساكن غير مدغم، نحو: نون و لام و ميم، و ما جاء فى فواتح السور، فإنها تمد فى ذلك كله مدا ممكنا. فإن كان الساكن فى كلمة أخرى نحو قَالُوا أَطِيزُنَا بِكَ [النمل: ٤٧] حذف حرف المد لانفصاله، و كذلك إن كان الساكن مظهرا نحو: وَ أُولُوا الْعِلْمِ [آل عمران: ١٨]، و كَانَتَا اثْنَتَيْنِ [النساء: ١٧٦]، و عَلَيهِمَا ادْخُلُوا [المائدة: ٢٣]» (٢).

أما موضوع تطويل حروف المد فقد حظى بعناية كبيرة من علماء التجويد المتقدمين و المتأخرين على السواء، فوضحوا و عللوا، و قسموا و بالغوا فى التقسيم. و قد وضع المرادى خطة لدراسة الموضوع فقال: «و الكلام على ذلك يتضح ببيان ستة أشياء هى: المد، و حروفه، و علة اختصاصها به، و الأصل منها، و أمكنها فيه، و سببه» (٣). و قد وضع المرادى موضوع المد على أساس هذه الخطة، و هى تستغرق أكثر المباحث المتعلقة بالموضوع، و نحن ندرس الموضوع فى الفقرات الآتية:

#### أ- تعريف المد:

عرّفه المرادى بقوله: «المد هو تطويل صوت الحرف لإشباع مخرجه» (٤).

و عرفه عبد الدائم الأزهرى بقوله: «و أصل المد فى اللغة الزيادة، يقال: مددت الشئ إذا زدته، و منه يُمِيدُكُمْ رَبُّكُمْ [آل عمران: ١٢٥]. و اصطلاحا: عبارة عن إطالة الصوت بالحرف الممدود» (٥).

و عرفه القسطلانى بقوله: «المد عبارة عن زيادة المط فى حروف المد على المد الطبيعى، و هو الذى لا تقوم ذات الحرف إلا به. و القصر عبارة عن ترك تلك الزيادة و إبقاء المد (١) تهذيب اللغة ١ / ٥٢.



(٢) جمال القراءة ١٨٨ ظ. و انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ٤٦٣.

(٣) المفيد ١٠٣ ظ.

(٤) المفيد ١٠٤ و.

(٥) الطرازات المعلمة ٥٠ و. و انظر: ابن بلبان: بغية المستفيد ٥٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٠

الطبيعي على حاله» (١).

و عرفه طاش كبرى زاده بقوله: «المد في الاصطلاح طول زمان صوت الحرف» (٢).

و هذه التعريفات تقاربت في اللفظ، و تطابقت في الدلالة، فهي تجمع على أن المد إطالة صوت المد زيادة على ما فيه من مد طبيعي لا تقوم ذات الحرف إلا به، و لتلك الزيادة أسباب، و لها مقدار، نوضحها بعد قليل إن شاء الله.

و كان على القارى قد قال: «و لا يخفى أن المد ليس حرفا و لا حركة، بل زيادة على كمية حرف المد» (٣). و هذه ملاحظة ذات معنى بعيد في فهم حقيقة ظاهرة المد. فقول على القارى أن المد ليس بحرف و لا حركة معناه أنه لا يؤدي إلى تغيير المعاني. فالحروف الذائبة في العربية لها درجتان من الطول قصيرة و هي الحركات، و طويلة و هي حروف المد. و كل زيادة في مد الصوت بعد ذلك لا تؤدي إلى درجة ثالثة يكون لها شأن في تغيير المعنى، إنما تكون تلك الزيادة نوعا من التأثير الناتج عن التركيب حين تقع حروف المد في سياقات معينة، و تكون زيادة المد مثل بقية الظواهر التي تلحق الأصوات في التركيب سواء أ كانت جامدة أم ذائبة.

و كان ابن الطحان قد جمع المصطلحات التي تتعلق بموضوع المد و القصر، و قدّم تعريفا موجزا لكل منها. و هو في ذلك يعرف المد بأنه الصوت الجارى في حروف المد، سواء كان ذلك الصوت يمثل ذاتها أو ما يعرض لها من الزيادة. و يبدو لى أن نقل تلك التعريفات ضرورى لتوضيح بعض النصوص القديمة التي تعالج موضوع المد.

قال ابن الطحان:

«و المد: عبارة عن أصوات حروف المد و اللين، و هو نوعان: طبيعي و عرضي.

فالطبيعي هو الذى لا تقوم ذات حرف المد دونه.

و العرضي هو الذى يعرض زيادة على الطبيعي لموجب يوجهه، يرد في مكانه، إن شاء الله.

و المط: هو المد نفسه لغه ثانية فيه.

و اللين: عبارة عن ما يجرى من الصوت في حرف المد ممزوجا بالمد طبيعياً و ارتباطا، لا ينفصل أحد هما في ذلك عن الآخر، و هو

أجرى في الياء و الواو إذا انفتح ما قبلهما. كما أن (١) اللثالي السنية ٢٦ ظ.

(٢) شرح المقدمة الجزرية ٣١ ظ. و انظر: النابلسي: كفاية المستفيد ١٢ ظ.

(٣) المنح الفكرية ص ٤٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤١

المد أجرى فيهما إذا انكسر ما قبل الياء، و انضم ما قبل الواو.

و القصر: عبارة عن صيغة حرف المد و اللين، و هو المد الطبيعي.

و الاعتبار: عبارة عنه أيضا في بعض القراءات، و ذلك أن بعضهم يعتبر حرف المد و اللين مع الهمزة. فإن كانا منفصلين لم يزد على

الصيغة شيئا (١).

و التمكين: عبارة عن الصيغة أيضا. و قد يعبر به عن المد العرضي، يقال منه: مكن، إذا أريدت الزيادة.

و الإشباع: عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك. و يستعمل أيضا عبارة عن أداء الحركات كوامل غير منقوصات و لا مختلسات» (٢).

و يرى بعض علماء التجويد أن الألف أمكن حروف المد، بينما يرى بعضهم أن الواو أمكن ثم الياء ثم الألف. قال ابن الباذش: «و لا خلاف في تمكين حروف المد و اللين، و إن لم يلقهن شيء مما ذكرنا، تمكيننا وسطا، من غير إشباع و لا زيادة، نحو (قال، و قولوا، و قيل، و تاب، و يتوب) و شبهه. و إن سمي هذا مقصورا فعلى معنى أنه قصر عن المد المشبع، لا أنه (٣) لا مد فيه البتة. و أمكنهن في المد الألف ثم الياء، ثم الواو. و كان أبو القاسم يحكى لنا عن أبي بكر الصقلى (٤) أنه كان يذهب إلى أن أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف. و هكذا وضع هذا أبو بكر في كتابه المعروف بالاعتداء» (٥).

و قال المرادى: «و الأصل في حروف المد الألف، لأنها حرف مد، و لأنها أوسع مخرجا من الواو و الياء. و أمكن حروف المد في الألف ثم الياء ثم الواو. و هذا مذهب سيويه. و لذلك اختار بعض القراء تفضيل الألف على الياء، و الياء على الواو في التلاوة. و الذى أخذ به أكثر الأئمة استواء الثلاثة في مقدار المد، و هو الذى قرأنا به. و ما ذهب إليه الصقلى من أن أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف بعيد» (٦). (١) ذكره ابن الباذش في كتابه الإقناع ١/ ٤٦٥.

(٢) مرشد القارئ ١٣٣ و.

(٣) فى الأصل (لأنه)، و هو يعارض معنى سياق الكلام.

(٤) هو محمد بن أبى الحسن، يعرف بابن نبت العروق (عاش فى القرن الخامس). انظر: ابن الجزرى:

غاية النهاية ٢/ ١٢٧.

(٥) الإقناع ١/ ٤٦٨.

(٦) المفيد ١٠٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٢

و لا شك فى أن حروف المد الثلاثة متفاوتة فى سعة المخرج، فبينما تضم الشفتان فى الواو. و يقترب ظهر اللسان من وسط الحنك الأعلى فى الياء، يكون مجرى الهواء فى الحلق و الفم مفتوحا، لا يعترض الصوت معه عارض فى نطق الألف (١)، لكن ذلك لم يؤثر فى مقدار الزيادة التى تلحق كل حرف من حروف المد، و من ثم قال المرادى: (و الذى أخذ به أكثر الأئمة استواء الثلاثة فى مقدار المد).

## ب - سبب المد:

أشار علماء العربية إلى ظاهرة المد، فقد قال ابن جنى: «أ لا ترى أن الألف و الياء و الواو اللواتى هن حروف توأم كوامل قد تجدهن فى بعض الأحوال أطول و أتم منهن فى بعض.

و ذلك قولك: يخاف و ينام، و يسير و يطير، و يقوم و يسوم، فتجد فيهن امتدادا و استطالة ما.

فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً و امتداداً...» (٢).

و ردد علماء التجويد ما ذكره ابن جنى من أسباب المد، لكنهم أفاضوا فى التقسيم و التمثيل و التعليل. قال مكى، و هو يتحدث عن الألف: «فإذا لا صفته همزة لم يكن بد من تمكين مده. و مده إذا كانت الهمزة بعده أكد، نحو جاء، و شاء. و كذلك يمد إذا كان بعده ساكن مشددا و غير مشدد. و زيادة تطويل المد و نقصه فيه على حسب ما ذكرناه فى غير هذا الكتاب مع اختلاف القراء عن القراء» (٣).

و مثل ذلك قول الدانى، و هو يتحدث عن الألف أيضا: «و إن لقي همزة أو حرفا ساكنا، مظهرا أو مدغما، زيد فى تمكينه و إشباع

مده، بيانا للهمزة لخفائها، و ل يتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر و لا يجتمعا. و كذلك حكم الياء المكسور ما قبلها، و الواو المضموم ما قبلها مع الهمزة و الساكن و مع غيرهما كحكم الألف سواء» (٤)».

و قال عبد الوهاب القرطبي: «أما المد فهو حكم يجب لحروف المد و اللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كالسما، و البناء، و قائل، و بائع. و كالألّين، و العادّين، و الصاخّة. و نستعين، و الأبرار، و يوقنون، و يعلمون، إذا وقفت عليها. و ما أشبه ذلك» (٥). (١) انظر: ابن جنى: سر صناعة الإعراب ٨ / ١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩ - ٢٠.

(٣) الرعاية ص ١٣٤.

(٤) التحديد ٢٤ ظ.

(٥) الموضح ١٦٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٣

قال المرادى: «و سبب المد أحد شيئين، و هما: الهمزة و السكون» (١)».

و أضاف بعض علماء التجويد سببا آخر، و هو السبب المعنوي، فقالوا: السبب المقترض لزيادة المد قسمان: معنوي و لفظي، فالمعنوي هو قصد المبالغة في النفي في مثل (لا- ريب فيه) و منه مد التعظيم في نحو (لا- إله إلا- الله). و اللفظي هو ما مد من أجل الهمزة و السكون.

لكن المعنوي سبب ضعيف إذا لم يعاضده سبب آخر كما في (لا إله إلا الله) (٢)». و كلام علماء التجويد عن المد يدور على ما كان سببه الهمزة أو السكون.

### ج- تعليل ظاهرة المد:

تفسير الظواهر الصوتية جزء من مهمات دارس الأصوات، و ذلك لاكتشاف الأسباب التي تكمن وراء الظواهر، و لا يتأتى ذلك دائما. و كان لعلماء التجويد محاولات في تعليل الظواهر الصوتية، معظمها مبني على أسس صوتية. و قد مر منها في هذا البحث شيء غير قليل.

و كان ابن جنى قد حاول تعليل المد قبل الهمزة و المشدد. فقال في تعليل زيادة المد قبل الهمزة: «إنما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأى مشؤه، و تراخي مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحو طلن و شعن في الصوت، فوفين له و زدن في بيانه و مكانه، و ليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها و غير المشدد. ألا تراك إذا قلت: كتاب، و حساب، و سعيد، و عمود، و ضروب، و ركوب، لم تجدهن لدنات و لا ناعمات، و لا وافيات مستطيلات، كما تجدهن إذا تلاهن الهمزة أو الحرف المشدد» (٣)».

و قال أيضا في تعليل المد قبل المشدد: «و أما سبب نعمتهن و وفائهن و تماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن - كما ترى - سواكن و أول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقى ساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها و وفاء الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرّقا، و لا بالاستراحة إليه تعلقا. و ذلك نحو شائبة و دابة...» (٤). (١) المفيد ١٠٤ و.

(٢) انظر: ابن الجزري: النشر ١ / ٣٤٤. و الطبلاوى: مرشدة المشتغلين ١٠ و.

(٣) الخصائص ٣ / ١٢٥.

(٤) الخصائص ٣ / ١٢٦. و انظر: السيوطي: الأشباه و النظائر ١ / ١٦٦.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٤

و اشتغل علماء التجويد بتعليل ظاهرة المد، فكانوا بين موجز و مطيل، فالداني اكتفى بقوله و هو يتحدث عن الألف: «و إن لقي همزة أو حرفا ساكنا مظهرا أو مدغما، زيد في تمكينه و إشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، و ليمتيز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر و لا يجتمعا» (١).

و قال مكى فى تعليل المد قبل الهمزة: «إن هذه الحروف خفية، و الهمزة حرف جلد بعيد المخرج، صعب فى اللفظ، فلما لاصقت حرفا خفيا خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبين بالمد ليظهر» (٢). و تعليل مكى هذا يختلف عن التعليل السابق، لأن المد فى رأى مكى هو حفاظ على حرف المد لخفائه، لا حفاظ على الهمزة.

و علل مكى المد قبل الحرف المشدد بقوله: «فلما وقع بعد حروف المد و اللين و حرفى اللين» (٣) حرف مشدد و أوله ساكن، و حروف المد و اللين و حرفا اللين سواكن لم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله، فاجتلبت مدة تقوم مقام الحركة، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد. و كانت المدة أولى لأن الحرف الذى قبل المشدد حرف مد، فزيد فى مده، لتقوم المدة مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد، و هذا إجماع من العرب و من النحويين.

و العلة فى المد للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد و اللين كالعلة فى المد للمشدد، لأن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد و اللين، فليس فى كلام العرب ساكن يلفظ به إلا و قبله حرف متحرك، أو مده على حرف مد، تقوم مقام الحركة» (٤). و علل عبد الوهاب القرطبي المد ببيان الهمزة، و بالفرق بين الساكنين. و لو لا ما فى كلامه من الوضوح و العمق و بعد النظرة لاكتفيت بالنصوص السابقة. قال: «العلة فى وجوب المد تختلف. فعلة و جوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة أن حرف المد فى غاية الخفاء و الخفة، و الهمزة فى غاية الظهور و الثقل، فهما ضدان، فجاء المد مقربا لهذه الحروف و مظهرا لخفائها، لتحصل هناك مناسبة ما تحصن الهمزة و تحرسها، و لو لا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف و تتلاشى. (١) التحديد ٢٤ ظ.

(٢) الكشف ١ / ٤٦.

(٣) يريد الياء و الواو إذا انفتح ما قبلهما. و فى مدهما اختلاف سوف نذكره.

(٤) الكشف ١ / ٦٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٥

فأما إذا انفتح ما قبل الياء و الواو فإنهما لا يمدان إذا عقبتهما الهمزة فى مثل خَلَوْا إلى [البقرة: ١٤]، و تَعَالَوْا إلى [آل عمران: ٦٤]، و ابْتِئِ آدَمَ [المائدة: ٢٧]، و مَطَرَ السَّوَاءِ [الفرقان: ٤٠]، لأن اللسان ينبسط بهما فتقلان و لا تخفيان خفاء الواو و الياء و الألف مع حر كاتهن، فلم يجب المد لذلك.

فالحاصل أن هذه الحروف إنما مدت لثلاث يكون اللسان منتقلا عن الأخر إلى الأثقل دفعه، فلا يتحقق مخرج الهمزة، فقويت بالمد إرادة لبيان الهمزة، و قصدا لتحقيق مخرجها، و توخى تمكن النطق بها، و لهذه العلة استحب إظهار السكون قبلها إبرازا بينا شافيا. و سيأتى ذلك.

فأما إذا كان بعدها حرف ساكن مظهر أو مدغم فإنما وجب فيه المد للفرق بين الساكنين لما التقيا، لأن الممدود نظير المتحرك، من حيث إن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن، فصار المد فى كونه فاصلا كالحركة. و هو معنى قول سيبويه: إن الإدغام حسن لأن حرف المد بمنزلة المتحرك فى الإدغام (١). يعنى أن الممدود صار بزيادته و طوله كالمتحرك، و لهذا لو أردنا تطويل الحرف أى زمان شئنا لم يمكن إلا فى حروف المد، و المدغم فى مثله ينحى بالحرفين فيه نحو الحرف الواحد، فاجتمع فيه مد الحرف الذى هو قائم مقام الحركة و كون الحرفين كالحرف الواحد، و فى الثانى حركة، فحسن الإدغام لذلك. فصار كأنه لم يلتق ساكنان» (٢).

و يتلخص من ذلك أن علماء العربية و علماء التجويد يجعلون علة المد قبل الهمزة لبيانها هي، و قبل المشدد للفصل بين الساكنين، إلا أن مكيًا جعل المد قبل الهمزة من أجل المحافظة على حرف المد لا لبيان الهمزة، و هو خلاف ما أجمعوا عليه، و قد نقل علم الدين السخاوي أنه: «قال الزجاج و ابن قتيبة موجب تمكين المد بيان الهمزة لا بيان الممدود، لأن الهمزة خفية، و مع خفائها ففي إخراجها كلفة، لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدها و بعد مخرجها فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها. و أما زيادة تمكين المد مع الساكن فلاجل التقاء الساكنين، فكان المد كالحركة، لأنه يتميز به أحد هما عن الآخر» (٣). (١) انظر: الكتاب ٤/ ٤١٩ و ٤٣٨.

(٢) الموضح ١٦٦ و- ١٦٦ ظ.

(٣) جمال القراءة ١٨٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٦

و لم تلق ظاهرة المد عناية من قبل دارسي الأصوات العربية المحدثين، و من ثم فإنها لم تمتحن بوسائل الدرس الصوتي الحديث، إلا ما قاله الدكتور إبراهيم أنيس في تحليل ظاهرة المد، و هو تحليل مبني على الملاحظة الذاتية: «أما السر في هذه الإطالة فهو- كما يبدو لي- الحرص على صوت اللين و طوله، لثلاث- يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام لأن الجمع بين صوت اللين و الهمزة كالجمع بين متناقضين، إذا الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا، و أن تكون فتحه المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحه المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير و إلى عملية صوتية تباين كل المباشنة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين.

«و هذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم، لأن طبيعة اللغة العربية و نسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة (أى حروف المد) حين يليها صوتان ساكنان، فحرصا على صوت اللين و إبقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لثلاث تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها و حديثها، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان» (١).

و تحليل الدكتور إبراهيم أنيس لظاهرة المد قبل الحرف المشدد يوافق ما ذهب إليه جمهور علماء التجويد، لكن مذهبه في تحليل المد قبل الهمزة لا- يوافق إلا- ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب، و مع ذلك فإن تحليل الدكتور إبراهيم أنيس لظاهرة المد قبل الهمزة و الصوت المشدد يصب في نفس الاتجاه الذي سار فيه علماء التجويد، و هو يؤكد موقفهم، فالتحليل للظاهرة واحد، ثم قال علماء التجويد إن المد من أجل المحافظة على الهمزة، و قال الدكتور إبراهيم أنيس أنه من أجل المحافظة على صوت المد.

و لا يعنى الاختلاف في تحليل ظاهرة ما الشك في وجودها، فسواء ثبتت صحة ما قاله جمهور علماء التجويد في تحليل ظاهرة المد أو ما قاله غيرهم فإن ذلك لا يغير شيئا من أصالة المد في العربية عموما و قراءة القرآن خصوصا، فقد ذكر المد علماء العربية، و رواه علماء القراءة مشافهة، و أكدوا ذلك بأحاديث مرفوعة إلى النبي- صلى الله عليه و سلم- تتضمن وصف قراءته بالمد «٢». (١) الأصوات اللغوية ص ١٥٩- ١٦٠.

(٢) انظر: الداني: التحديد ٤ و، و العطار: التمهيد ٦١ ظ، و ٧٠ و. و السيوطي: الإتيان ١/ ٢٧١.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٧

و نحن اليوم إذا أصغينا إلى قراءة القرآن المتقين و هم يطبقون الممدود في مواضعها و يعطون كل حرف حقه من المد وجدنا ذلك لطيفا سائغا لا تكلف فيه و لا اضطراب، و إذا سمعنا قارئًا يمد في غير مواضع المد بدا ذلك نايبا معييا ثقيلًا على الآذان، مما يدل على أن أحكام المد إنما بنيت على أساس صوتي صحيح.

و أثار بعض علماء التجويد قضية قل من تعرض لها، و هي أن مراعاة أحكام المد ليس لازمة في كل أشكال النطق العربي، و أنها تلزم في قراءة القرآن فحسب، فقد قال مكي بن أبي طالب: «و الهمزة إذا وقعت بعد حرف المد و اللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام،

فتقول:

صائم وقائم بغير إشباع، قد ثبتت الألف والهمزة ولا تشبع، فأما في القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعاً للرواية» (١). و ما قاله ابن جنى من أن حروف المد الثلاثة: «إذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً و امتداداً» (٢). يشير إلى أن المد ثابت في كلام العرب.

كل ما في الأمر أن قراءة القرآن يجب أن تتوفر فيها كل مظاهر العناية والإتقان في توفية الحروف حقوقها من الأحكام الخاصة بها، بينما تتفاوت درجة عناية المتكلم بنطقه فيما عدا القرآن الكريم.

#### د- أقسام المدود:

ترتبط ظاهرة المد بسببين هما: وقوع الهمزة أو الساكن بعد حرف المد، وقد قسم علماء التجويد المتقدمون المد على هذا الأساس، لكن غلب على كثير من المتأخرين منهم الحرص على تنوع تلك الأقسام حتى خرج الأمر إلى ما لا فائدة منه. و كان الداني (ت ٤٤٤ هـ) من أوائل علماء التجويد الذين حاولوا وضع مصطلحات محددة لأقسام المد، وذلك حيث قال: «و أما الممدود فعلى ضربين: طبيعي و متكلف.

فالتطبيعي: حقه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المد واللين ممكنات على مقدار ما فيهن من المد الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع، وذلك إذا لم تلق واحدة منهن همزة ولا حرفاً ساكناً، و يسمى هذا الضرب القراء مقصوراً... و المتكلف حقه أن يزداد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من المد الذي لا يوصل إلى النطق لهن إلا به، من غير إفراط في التمكين، و لا إسراف في التمثيط، و ذلك إذا (١) الكشف ١/ ٦٨.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٨

لقين الهمزات و الحروف السواكن لا غير ...» (١).

و استخدم ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠ هـ): المد الطبيعي و المد العرضي، حيث قال:

«و هو نوعان طبيعي و عرضي، فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه. و العرضي هو الذي يعرض زيادة على الطبيعي لموجب يوجه» (٢).

و قد سمي بعض المتأخرين من علماء التجويد قسمي المد المذكورين باسم المد الأصلي و المد الفرعي (٣). لكنهم لم يكتفوا بذلك، بل فصلوا في ذكر أقسام المد الفرعي حتى تجاوزت عند بعضهم العشرين قسماً.

و هناك رواية تجعل أقسام المد الفرعي عشرة، أقدم من ذكرها من علماء التجويد ممن اطّلت على كتبهم هو علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ)، لكنه لم يعين القائل بذلك و اكتفى بالقول: «و قد سمي قوم من القراء المد بأسماء مختلفة باختلاف مواضعه، و جعلوه متفاوتاً على حسب مواقعه، و جعلوه عشرة أنواع، فقالوا...». ثم ذكر تلك الأنواع مع التوضيح و التمثيل، و هي مد الحجز، و العدل و التمكين، و الفصل، و الروم، و الفرق، و البنية، و المبالغة، و البدل، و الأصل. ثم قال: «فهذه عشرة أسماء ما أرى لها كبيرة فائدة» (٤).

و نقل السيوطي تلك الرواية منسوبة لأبي بكر بن مهران النيسابوري، و ذلك حيث قال:

«قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري: مدات القرآن على عشرة أوجه...» (٥).

ثم ذكرها على نحو ما وردت في الرواية التي نقلها علم الدين السخاوي. و ابن مهران هو مؤلف كتاب (الغاية في القراءات العشر)، و غيره، و كان قد توفي سنة ٣٨١ هـ.

و يبدو أن الرواية السابقة هي جزء من كتاب لابن مهران وضعه في المدود. فقد قال ابن (١) التحديد ١٤ و- ١٤ ظ.

(٢) مرشد القارئ ١٣٣ و.

(٣) انظر: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص ٥. و الوفاي: الجواهر المضئية ٨٠ و، و ابن بلبان: بغية المستفيد ٥٦ و.

(٤) جمال القراء ١٨٨ ظ.

(٥) الإتقان ١/ ٢٧٥، و هذه أمثلة تلك الأنواع كما ذكرها السيوطي: فمد الحجز نحو (أ أنذرتهم)، و مد العدل نحو (الضالين)، و مد التمكين نحو (الملائكة)، و مد البسط و يسمى مد الفصل أيضا نحو (بما أنزل)، و مد الروم نحو (ها أنتم)، و مد الفرق نحو (الآن)، و مد البنية نحو (ماء)، و مد المبالغة نحو (لا إله إلا الله)، و مد البدل نحو (آدم)، و مد الأصل نحو (جاء).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٤٩

الجزري في كتابه (النشر) و هو يتحدث عن مد المبالغة: «قال ابن مهران في كتاب المدات له:

إنما سمي مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه» (١). و ذكر ابن الجزري كتاب (المدات) في ترجمة ابن مهران في كتاب (غاية النهاية) (٢). و إذا صح أن تلك الأقسام العشرة للمد وردت في كتاب (المدات) لابن مهران، فإن ذلك يعنى أن هذه الأقسام كانت معروفة قبل القرن الخامس حين ظهرت المؤلفات الكبرى في علم التجويد، لكن لم ترد أى إشارة إلى تلك الأقسام في كتب علم التجويد التي ظهرت في ذلك القرن مثل (الرعاية) لمكي (ت ٤٣٧ هـ) و (التحديد) للداني (ت ٤٤٤ هـ) و (الموضح) للقرطبي (ت ٤٦٢ هـ). و قد أشرت قبل قليل إلى أن أقدم مصدر ذكرت فيه، من المصادر التي اطلعت عليها هو كتاب (جمال القراء) لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.

و قد أثرت الرواية المنقولة عن ابن مهران في ألقاب المدود و أقسامها على طريقة تقسيم المد عند المتأخرين من علماء التجويد فقد أخذوا بتلك الألقاب و زادوا فيها، فجعلها خالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ) أربعة عشر قسما «٣». و ذكر السمرقندى (ت ٧٨٠ هـ) ستة عشر قسما «٤».

و ذكر أبو الفتوح الوفاي (ت ١٠٢٠ هـ) أن بعضهم ذكر للمد تسعة و عشرين لقبا «٥».

و كان علم الدين السخاوي قد قال عن أسماء المد العشرة المذكورة في الرواية التي نقلها: «فهذه عشرة أسماء ما أرى لها كبيرة فائدة» «٦». و قال على القارى: «و أما ما ذكره خالد من أن أقسام المد أربعة عشر، و كذا عد غيره تسعة و عشرين فكلها مندرجة فيما ذكر إجمالاً، و إنما اختلف باختلاف الأسماء» «٧». و قال الوفاي بعد أن ذكر التسعة و العشرين لقبا: «و إذا تأملت وجدت أكثر هذه الألقاب متداخلا، و أكثر التعاليل غير ناهض، و مرجع ما عد منها زيادة على المد الطبيعي إلى الهمزة و السكون» «٨». و قال المرعشى: «و الاشتغال بمعرفة تلك (١) النشر ١/ ٣٤٤.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥٠.

(٣) الحواشي الأزهرية ص ٣٧.

(٤) روح المريد ١٣٨ و، و انظر: الطبلاوي: مرشدة المشتغلين ١١ ظ.

(٥) الجواهر المضئية ٨٠ ظ.

(٦) جمال القراء ١٨٨ ظ- ١٨٩ و.

(٧) المنح الفكرية ص ٥٠.

(٨) الجواهر المضئية ٨٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٠

الأسامي قليل الجدوى» (١). و اعتقد أن هؤلاء العلماء أنصفوا و لم يتجاوزوا الحقيقة في موقفهم من تلك الأقسام.

و كان بعض المتأخرين أكثر اعتدالا ممن ذكرنا في موضوع ألقاب المدود. فقسّموا المدود باعتبار السبب، فما كان بسبب الهمزة



قسموه إلى متصل و منفصل، و ما كان بسبب السكون قسموه إلى لازم و عارض «٢». و بعضهم قسم اللازم إلى كلمي مثقل نحو (الصاخة)، و إلى حرفي مخفف نحو (صاد و قاف) «٣».

و من الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى عناية علماء التجويد بموضوع الحروف المقطعة، و كيفية نطقها، و مقدار المد فيها. و قد أفرد لها بعضهم بابا مستقلا «٤». و قد أدرج المتأخرون هذه الحروف في أنواع المدود التي ذكروها على نحو ما سبق من قريب. و قد لخص عبد الوهاب القرطبي أحوال تلك الحروف في المد حيث قال:

«فالحاصل أن هذه الحروف على ستة أضرب:

ضرب لا مد فيه و لا تمكين، و هو ألف.

و ضرب دون الممكن المقصور و فوق الحركة، و هو العين.

و ضرب ممكن مقصور، و هو الطاء و الحاء و الهاء، و ما أشبه ذلك.

و ضرب فوق ذلك بأدنى مد، و هو الكاف و القاف و صاد و نون في قراءة من أظهر، و نستعين في حال الوقف بغير روم.

و ضرب ممدود أتم المد في (لم) و (صاد ذكر) و (نون و القلم) في قراءة من أمحض الإدغام. و كذلك (زكرياء) و (السماء) و (الضالين) و ما أشبهه.

و ضرب ممدود مدا وسطا بين مد القاف و الكاف، و بين مد (لم) و (صاد ذكر) في قراءة من أدغم، و هو النون إذا أدغمت بغنة في (نون و القلم) و في (نستعين) إذا وقف عليها بروم أو إشمام «٥». (١) جهد المقل ٣٧ ظ.

(٢) المرادى: المفيد ١٠٤ و.

(٣) انظر: زكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص ٥، و الوفاي: الجواهر المضية ٨٠ و.

(٤) انظر: السعيدى: التنبيه ٥٣ و، و العطار: التمهيد ١٥٧ و.

(٥) الموضح ١٦٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥١

و يشير بعض علماء التجويد إلى أن الواو و الياء إذا انفتح ما قبلهما و كانتا ساكنتين أو متحركتين خرجتا عن مضارعة الألف و دخلتا في شبه الحروف الصراح في خلو المد «١». قال المرعشى: «إن حرفي اللين لما اشتركا مع حروف المد في عدم الصلابه و ضعف المخرج، و هذا معنى اللين، سهل فيهما إحداث المد و إن لم يكن لهما مد أصلي، فقد يسبق اللسان إلى «٢» إحداث المد معهما بدون سبب يدعو إليه. و هذا لحن. و لذا يلفظ بعض الناس الياء في الشيطان و عليهم، و الواو في يوم و أمثالها كالمد الطبيعي. و بعض من أراد الحذر يسكت على الواو و الياء، و ذلك لا يجوز. فطريق الحذر عن ذلك سرعة التلفظ في الواو و الياء، و عدم السكت عليهما قدر ألف إذ بذلك يحدث مد طبيعي البتة. و إنما قيدنا عدم المكث بقدر ألف لأن حروف الرخو لا تخلو عن مكث قليل عليها لأنها زمانية يجرى فيها الصوت زمانا» «٣».

و يشترط لحصول المد في الواو و الياء إذا انفتح ما قبلهما أن تقعا قبل ساكن عارض للوقف، سواء كان الساكن همزة نحو شيء و سوء بفتح السين، أم لم يكن همزة مثل الصيف و خوف. و القراء مختلفون في مقدار مده على تفصيل يمكن أن يعرف من كتب القراءات «٤».

## ٥- مقادير المدود:

إن أهم ما تتميز به حروف المد هو قابليتها على الامتداد بعد أن تستوفى نصيبها من المد الذي ينقلها من الحركة إلى الحرف، بخلاف غيرها من الأصوات الجامدة، لا سيما الشديدة (أى الانفجارية) فإنها آنية الحدوث، و كذلك الرخوة (الاحتكاكية) فإنها و إن كانت

زمانية يمتد بها الصوت مدة، لكن ذلك الامتداد لا يبلغ مقدار ألف، أى مقدار نطق حرف المد.

وقد لخص المرادى مذاهب القراء فى اعتبار الزيادة فى المد وعدم اعتبارها، فقال:

«و سبب المد أحد شيئين، وهما الهمز والسكون. أما الهمز فقسمان: لاحق وسابق.

فالسابق نحو (آمنوا). وهذا لم يعتبره من القراء إلا ورش فى بعض طرقه. واللاحق نوعان:

متصل مثل (جاء)، ومنفصل مثل (يا أيها). والمتصل معتبر عند جميع القراء، والمنفصل معتبر عند أكثرهم، ولم يعتبره ابن كثير و

السوسى. واختلف فى ذلك عن قالون، (١) انظر: الدانى: التحديد ٤٣. و العطار: التمهيد ١٤٨ ظ، و ابن بلبان: بغية المستفيد ٥٧. و

(٢) فى الأصل (عن).

(٣) جهد المقل ٦٢ ظ - ٦٣. و

(٤) انظر: مكى: الكشف ١/ ٤٥، و السمرقندى: روح المريد ١٣٧. و ابن الجزرى: النشر ١/ ٣٤٨ - ٣٥٠، و المرعى: جهد المقل ٣٧

ظ - ٣٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٢

و الدورى «١». و منهم من أجرى فى المتصل الخلاف المذكور فى المنفصل «٢».

و أما السكون فقسمان لازم و عارض للوقف. فاللازم معتبر عند الجميع، و العارض للوقف يجوز اعتباره و عدم اعتباره، و تفصيل

ذلك فى كتب القراءات «٣».

و فرق بعض علماء التجويد بين ما كان سبب المد فيه همزة و بين ما كان سبب المد فيه التشديد، قال السعيدى «تجعل المدد التى

جاءت للتشديد، نحو: يبلغان [الإسراء]:

[٢٣] «٤»، و الصَّاحَةُ [عبس: ٣٣]، و الطَّامَةُ [النازعات: ٣٤]، و أُتْحَاوُنِي [الأنعام]:

[٨٠]، و ما أشبهها دون المدد التى تجىء للهمزة: نحو قوله: قائماً [آل عمران: ١٨]، و قائلون [الأعراف: ٤]، و نائمون [الأعراف: ٩٧]، و

التَّائِبُونَ [التوبة: ١١٢] و ما أشبهها «٥».

لكن عبد الوهاب القرطبى قال: «و سواء كان المد موجودا فى كلمة واحدة ك السَّمَاءِ [البقرة: ١٩]، و ال بِنَاءٍ «٦»، و الأَخِلَاءِ [الزخرف:

٦٧]، و الضَّالِّينَ [الفاتحة]:

[٧]، و العَادِّينَ [المؤمنون: ١١٣]، و الصَّافِنَاتُ [ص: ٣١]، أو متركبا من كلمتين كقوله تعالى: مِنَ الرَّبِّ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ٢٧٨]، و

الرَّزِيِّ إِنَّهُ كَانَ [الإسراء]:

[٣٢]، و ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [مريم: ١-٢]، و ن وَ الْقَلَمِ [القلم: ١] مدغما أو مظهرا فكله فى وجوب المد فيه على حد سواء، و إنما

يختلف فى الطول و القصر باختلاف اللغات و يزيد و ينقص بحسب طرق القراءات.

و ذكر بعض المتأخرين إن المد فيما مده لأجل الساكنين فى مثل قوله تعالى:

الضَّالِّينَ، و الطَّائِبِينَ [الفتح: ٦]، و ما أشبه ذلك - أقصر من المد فيما مده لأجل الهمز كالسما، و زكرياء، و ما أشبه ذلك. قالوا: من

أجل أن المد فيه بدل من حركة. و أكثر القراء (١) السوسى يروى قراءة أبى عمرو بن العلاء، و قالون يروى قراءة نافع، و الدورى

يروى قراءة الكسائى.

(انظر: الدانى: التيسير ص ٤-٧).

(٢) أنكر ابن الجزرى أن يكون هناك خلاف فى اعتبار المد المتصل (انظر: النشر ١/ ٣١٥).

(٣) المفيد ١٠٤. و

(٤) قرأ حمزة و الكسائى (يبلغان) بألف قبل النون المشددة و الباقون بدون ألف (انظر: الدانى: التيسير ص ١٣٩).

(٥) التنيه ٤٧ ظ، و مثله: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٧١ و.

(٦) في القرآن (بناء) البقرة ٢٢، و غافر ٦٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٣

و جمهورهم على التسوية بين البابين في المد، و هو الوجه، لأن المد إنما جعل بدلا من الحركة ليقوى به الساكن، كذلك أيضا ألحق قبل الهمز ليقوى به الحرف الضعيف. فقد استويا في استيجابه من وجه واحد، فلا وجه للفرق» (١).

و ذكر عبد الوهاب القرطبي أيضا «أن المد يقصر في حروف المد و اللين، إذا كان بعدها ساكن يوقف عليه في مثل قوله تعالى: يَوْمَ الدِّينِ [الفاتحة: ٤]، نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ٥]، الظَّالِمُونَ [البقرة: ٢٢٩]، الْخَاسِرُونَ [البقرة: ٢٧]، (القنطار) «٢»، وَ الْكُفَّارَ [المائدة: ٥٧]، الْأَبْرَارَ [آل عمران: ١٩٣]، و ما أشبه ذلك- عن المد في دَائِيَّةِ [البقرة: ١٦٤]، وَ الضَّالِّينَ [الفاتحة: ٧]، و إن كان المراد به الفصل بين الساكنين. و إنما قصر عنه و إن استويا في السبب من أجل أن الساكن هاهنا موقوف عليه، و الجمع بين الساكنين في الوقف غير ممتنع، فلم تمس الحاجة إلى الفصل بينهما بالمد في الموضع الذي يجوز فيه الجمع بين الساكنين، و هو الوقف، كما مست إلى الفصل به في الموضع الذي لا يجوز فيه الجمع، و هو الوسط. فجعل المد في حرف المد و اللين إذا كان الساكن بعده وسطا أتم منه إذا كان بعد حرف المد و اللين حرف ساكن يوقف عليه للمعنى الذي أشرنا إليه، و هو لطيف جدا، فتدبره إن شاء الله» (٣).

و يلاحظ أن كلام متقدمي علماء التجويد ينحو منحى عاما في تحديد مراتب المدود، بينما يغلب على كلام المتأخرين النزوع نحو تقييد أنواع المدود و قياسها. فالداني (ت ٤٤٤ هـ) حين ذكر المد الطبيعي قال عنه: «و يقدرونه مقدار ألف إن كان ألفا، و مقدار ياء إن كان ياء، و مقدار و او إن كان واوا». و قال عن المتكلف: «و حقيقة النطق بذلك أن تمد الأحرف الثلاثة ضعفي مدهن في الضرب الأول، و القراء يقدرون ذلك مقدار ألفين، إن كان حرف المد ألفا، و مقدار ياءين إن كان ياء، و مقدار واوين إن كان واوا، لما دخلته من زيادة التمكين و إشباع المد دلالة على تحقيقه و تفاضله» (٤).

ثم تغلب على علماء التجويد نزعة التفصيل كلما تقدمنا مبتعدين عن عصر الداني. فنجد أبا العلاء الهمداني العطار يقول عن مقدار المد فيما كان المد فيه لأجل الساكن المشدد: (١) الموضح ١٦٨ و.

(٢) آل عمران (بقنطار).

(٣) الموضح ١٦٧ و. و انظر: ابن الجزري: النشر ١ / ٣١٨.

(٤) التحديد ١٤ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٤

«و اختلف أهل الأداء في مقدار هذا المد: فأهل التحقيق يمدونه على قدر أربع ألفات، و بعضهم على قدر ثلاث ألفات. و أهل الحدر يمدونه على قدر ألفين إحداهما حرف المد الساكن، و الثانية الفاصلة بين الساكنين، فأما المحققون فعذرهم في تطويل المد في هذا الباب أن الحادرين يمدونه بقدر ألفين. و شرط التحقيق أن يزداد على الحدر مثله. ثم كل من نقص تحقيقه نقص مده» (١).

و تكاد مقادير المد الزائد على أنواعها تنحصر بين المد مقدار ألفين، أى ضعف المد الطبيعي، و بين المد قدر خمس ألفات، و بين ذلك مراتب من المد بحسب مذاهب القراء، و بحسب نوع المد و مكانه، و بحسب أسلوب القراءة من الحدر و التحقيق» (٢).

و يشير علماء التجويد أن ضبط تلك المقادير هو من باب التقريب لا التحديد، قال السمرقندی: «و ذلك يكون تقريبا لا تحديدا، فمن يحقق القراءة و يمكنها فمده على قدر تحقيقه، و من يحدر مده على قدر حدره، و ذلك يفهم من أفواه الرجال مشافهة و عيانا» (٣).

و قال أحمد بن الجزري: «و هذا كله تقريب لا تحديد، و لا يضبطه إلا المشافهة و الإدمان» (٤).

و حاول بعض علماء التجويد المتأخرين ابتكار وسائل لقياس مقادير المد و ضبطها، فالقول إن مقدار المد ألف أو ألفان مثلا لا يكفي لبيان الزمن الذي يحتاجه نطق المد، فلا بد من إيجاد وسيلة تساعد في ضبط زمن نطق الوحدة المستعملة في قياس طول المد و هي

الألف، أى زمن نطق صوت الألف. و لدينا نصان حول الموضوع، لاثنين من شراح المقدمة الجزرية، و ليس لدى دليل الآن على وجود محاولة أقدم منهما.

قال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ): «و يعرف مقدار المدات:

إما بقولك (آ) مرة أو مرتين، إلى غير ذلك.

أو تعد عددا، و تمد صوتك بقدر ذلك. (١) التمهيد ١٥٩ و.

(٢) انظر: المرادى: المفيد ١٠٤ ظ، و السمرقندى: روح المريد ١٣٧ ظ- ١٣٨ و. و أحمد بن الجزرى:

الحواشى المفهمة ٥١ ظ- ٥٣ و. و على القارى: المنح الفكرية ص ٥٠. و الوفاى: الجواهر المضية ٧٦ و- ٧٨ و. و تفصيل ذلك كله عند ابن الجزرى: النشر ١/ ٣١٣- ٣٦٢.

(٣) روح المريد ١٣٨ و.

(٤) الحواشى المفهمة ٥٣ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٥

أو تعقد الأصابع و تمد بقدر ذلك.

لكن هذا كله تقريب، و لا يضبطه إلا المشافهة من لفظ المشايخ و السماع من فم الأستاذ الراسخ. ثم الإدمان على ذلك» (١). و فى هذا النص ثلاث طرق لقياس زمن نطق الألف.

و قال على القارى (ت ١٠١٤ هـ): «و إما معرفة مقدار المدات المقدره بالألفات فأن تقول (آ) «٢» مرة أو مرتين أو زيادة. و تمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف، أو كتابتها، أو بقدر عقد أصابعك فى امتداد صوتها. و هذا كله تقريب لا تحديد للشأن. إذ لا يضبطه إلا المشافهة و الإدمان» (٣). و فى هذا النص أربع طرق لقياس زمن نطق الألف.

و يتحصل من الجمع بين النصين خمس طرق لقياس زمن نطق الألف الذى اتخذه علماء التجويد أساسا لقياس مقادير المدود و تلك الطرق هى:

١- أن تقول (آ) مرة أو مرتين أو أكثر، كل مرة تساوى نطق ألف.

٢- العقد بالأصابع، و لعل معناه الطرق بأى من الأصابع على الإبهام، كل طرقة تقابل نطق ألف.

٣- أن تعد عددا، فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة ... الخ. و قد انفرد بذكر هذه الطريقة طاش كبرى زاده، و هى موضع نظر، لأن كل واحد من الأعداد المذكورة يتضمن صوت الألف إلى جانب أصوات أخرى، فكل كلمة تعادل فى النطق أكثر من ألف.

٤- أن تمد صوتك بقدر قولك: ألف ألف.

٥- أو كتابتها، أى كتابة (ا)، و ليس كتابة (ألف) فيما نرجح، و انفرد على القارى بذكر هاتين الطريقتين.

و إذا كان استخدام أجهزة القياس الدقيقة فى ضبط مقادير المدود غير متيسر الآن «٤»، فإن الطرق السابقة التى ذكرها علماء التجويد تظل صالحة للاستخدام حتى يتيسر استخدام طرق أكثر دقة و تحديدا لقياس مقادير المدود.

و كان واضحا لدى علماء التجويد أن مقادير المدود تختلف باختلاف أسلوب القراءة، (١) شرح المقدمة الجزرية ٣٣ و.

(٢) (آ) ليست فى الأصل، و أثبتنا استنادا إلى النص السابق.

(٣) المنح الفكرية ص ٤٨.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٥٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٦

فالقراءة بالتحقيق تحتاج إلى وقت أطول من القراءة بالحدرد، و هو ما ينعكس على زمن نطق المدات. على نحو ما سنذكر عند بحث

موضوع أساليب القراءة إن شاء الله تعالى.

## و- محاذير المدود:

### إشارة

حروف المد تقبل التمطيط و الزيادة ما أسعف النفس في ذلك، لكنّ للمد عند علماء الأداء حدا إذا تجاوزه أحل بالقراءة، و صار ذلك لحنا، و قد درس علماء التجويد ما يمكن أن يعرض للمد من محاذير و عيوب. و يمكن أن نلخص ما قالوه في النقاط الآتية:

### ١- الإفراط في المد:

قال ابن البناء في كتابه (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء): «و كذلك يحذر من زيادة الممدود الذي يخرج عن حده، فيعتقد أنه تجويد، و إنه فيه من المحسنين، و لا يعلم أنه من المسيئين» (١).

و التحذير من الزيادة في المد قديم، فقد روى السعيدى أن عبد الله بن صالح العجلي (ت في حدود ٢٢٠ هـ) قال: «قرأ أخ لى أكبر منى على حمزة فجعل يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أن ما كان فوق الجعودة فهو ققط، و ما كان فوق البياض فهو برص، و ما كان فوق القراءة فليس بقراءة» (٢).

و تحدث الحسن بن قاسم المرادى عن ذلك فقال: «الإفراط في مد حروف المد، و هو تجاوز الحد. يقال أفرط في الأمر، أى جاوز فيه الحد، و ليس من التجويد فى شىء، بل هو من اللحن الخفى، و ربما خرج إلى الجلى. و للمد حد يوقف عنده و مقدار لا يصح تجاوزه.

و مراتب القراء فيه مختلفة بحسب تفاوتهم فى الترتيل و الحدر و التوسط. و أطولهم مدا ورش و حمزة، و مقدار مدهما ثلاث ألفات تقريبا. و لا تحصيل لمن قال. مقدار خمسة» (٣).

و قال على القارى: «و الحاصل أنه لا يجوز الزيادة على مقدار خمس ألفات إجماعا، فما يفعله بعض الأئمة، و أكثر المؤذنين فمن أقبح البدع، و أشد الكراهة» (٤). و يقصد على القارى إبطالهم الممدود فوق ما هو مقرر لذلك. (١) بيان العيوب ١٧٥ ظ.

(٢) التنبيه ٤٦ و.

(٣) المفيد ١٠٣ و.

(٤) المنح الفكرية ص ٥٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٧

و قال المرعشى و هو يعلق على كلام لابن الجزرى فى الترفيق و التفخيم: «تبين من كلام ابن الجزرى فى النشر «١» أن أكثر غلطات قراء الزمان فى تفخيم الحروف المرققة ... أقول (المرعشى): ينبغى أن يزداد و يقال أكثر غلطاتهم أيضا فى زيادة المد الطبيعى فى غير محل زيادة، و ترك الزيادة فى محلها، و إحداث مد فيما ليس فيه مد أصلا» (٢). و لا يزال كلام المرعشى ينطبق بدرجة كبيرة على قراء زماننا، و إن كانت النسبة تتفاوت بين بلد و آخر و قارئ و آخر.

### ٢- الترعيد:

من عيوب المد ترعيد الصوت بالمدا. و هو مكروه منهى عنه. و قد وضع ابن البناء الترعيد بقوله: «و من العيوب الترعيد، و صفته تعليق الصوت بتريد الحنجره، كأنه يروم منزلة من التطريب و الحدر فى إفساد الحروف، و منع لمداجج الكلام من امضائها على سواء» (٣).

وقال عبد الوهاب القرطبي: «أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطرباً كأنه يرتعد من برد أو ألم» (٤). وقد حذر من ذلك السعيدى حيث قال: «و مما يحفظ أيضا ترعيد المدات في مثل قوله بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك [البقرة: ٤] ... وكذلك السّفهاء [البقرة: ١٣]، و الشّعراء [الشعراء: ٢٢٤]، و الفَحْشاءِ [البقرة: ١٦٩]، و ما يَشَاءُ [آل عمران: ٤٠]، و جاء [النساء: ٤٣] و ما أشبه هذه الحروف، تمدّ مدّا حسنا مستويا مستقيما، بلا ترعيد و لا تهزيز و لا اضطراب عند إخراجهن» (٥).

وقال عبد الوهاب القرطبي بعد أن تحدث عن أحكام المد: «وقد بقى الآن أن نبين ما يستكره في المد و نبه عليه ليتجنب، و نمثله في مواضع قريبة ليستدل بالأقل على الأكثر. فنقول: ينبغي أن يكون الصوت في حال المد سليما من ترعيد و تمطيط. خالصا من اضطراب و تهزيز، صافيا في إجراء النفس معه و تكدير رونقه به» (٦). (١) النشر ١/ ٢١٥-٢٢٢.

(٢) جهد المقل ٥٧ ظ.

(٣) بيان العيوب ١٧٥ ظ.

(٤) الموضح ١٨٨ و، و انظر: ابن الباذش: الإقناع ١/ ٥٥٦.

(٥) التنبيه ٥٢ ظ.

(٦) الموضح ١٦٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٨

### ٣- إشراب المد غنة:

يحدث في بعض الأحيان أن يجرى نفس من الألف أثناء نطق حروف المد، فيؤدى ذلك إلى سماع غنة خفيفة تلابس أصوات حروف المد: و هذا هو معنى إشراب المد غنة.

وقد حذر علماء التجويد من ذلك و عدوه لحنا يجب أن تبرأ القراءة منه. و قد قال أحمد بن أبي عمر: «فإن سكنت الياء و انكسر ما قبلها أو سكنت الواو و انضم ما قبلها أشبعتهما من غير غنة نحو يؤمنون، و المؤمنون، و المؤمنين» (١).

وقال الحسن بن شجاع التونى: «و يحترز من إدغام حرف المد، نحو في يوسف [يوسف: ٧] و قالوا و هم [الشعراء: ٩٦]. و إذا وقفت على مثل (يعلمون، و يؤمنون) فاحذر من الغنة فيها» (٢).

و كان المرعى أكثر علماء التجويد عناية بهذه الظاهرة و التحذير منها، فقد قال:

«و ليحذر عن ... إعطاء الغنة لغير حروفها، كما يفعل بعض الناس في الياء المدية و الواو المدية، في مثل: نستعين، و طس، و يستهزون، تبعا لغنة النون» (٣).

وقال في مكان آخر: «إن الغنة لما أشبهت المد ... يلائم إحداث الغنة مع تلفظ المد، و لذا يلفظ بعض الناس المد مصحوبا بالغنة. في مثل (نستعين) و هو لا يشعر بذلك، و هو لحن. و طريق معرفة حدوثها في مثل ذلك أن تلفظه مرة مع الإمساك على أنفك، و مرة بدونه، فإن اختلف صوت المد في الحالين فاعلم أنه مصحوب بها. و طريق الحذر عنها منع النفس الجارى مع المد من التجاوز إلى الخيشوم، و امتحان صوته بالإمساك على الأنف و تركه إلى أن يتعود تخليص المد عنها» (٤).

و كلام المرعى عن ظاهرة إشراب المد صوت الغنة يدل على فقه عميق بإنتاج الأصوات و ما لها من صفات، و ما يلحقها في التركيب من شوائب و انحرافات، و قد عز أن توجد مثل هذه النصوص فيما كتب الدارسون المحدثون عن الأصوات العربية، فله ذر المرعى كم عنده من دقائق الأقوال و عظيم الأفكار! (١) الإيضاح ٧١ و.

(٢) المفيد في علم التجويد ١٠ و.

(٣) جهد المقل ٦١ ظ.

(٤) جهد المقل ٦٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٥٩

و ما يتصل بما نحن بصدده من إشراب المدود غنة ما قاله أحمد بن أبي عمر عما يلحق الألفات في اللحن: «و يختلف اللحن في الألفات عند الوقف عليها، كقوله: لشتى، اليسرى، والعسرى، وقديرا، عليما، و نحو ذلك. فمن الناس من يقف عليها و على أمثالها بنبرة الألف.

و منهم من يقف عليها بالغنة، و منهم من يقف عليهم بالهاء، و كلها لحن» (١).

\*\*\*

(١) الإيضاح ٧٢ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٠

## الملحقات

### ملحق رقم (١) علم التجويد في القرن الرابع الهجري

#### إشارة

المتأمل فيما ذكرناه في الفصل الأول عن نشأة علم التجويد يجد أن مدة من الزمن تفصل بين ظهور قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (ت ٣٢٥ هـ) و بين ظهور أول كتاب في علم التجويد يؤلف بعدها، و هو كتاب (التبيين على اللحن الجلي و اللحن الخفي) للسعيدى (ت في حدود ٤١٠ هـ)، و لا نجد خلال تلك الفترة التي قد تبلغ خمسا و ثمانين سنة أى ملمح عن نشاط تأليفى في علم التجويد، على الرغم من أن هذه المدة التي تستغرق معظم سنى القرن الرابع للهجرة تعد من الفترات المتميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية. فهل كانت هذه الفترة خالية فعلا من أى جهد في علم التجويد أو أن هناك جهودا ذهبت أخبارها و اندثرت نصوصها عبر القرون؟

لا نجد في المصادر التاريخية المتيسرة ما يساعدنا على الإجابة عن ذلك السؤال على نحو مفصل و أكيد، و قد عثرت على نص في أحد كتب أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) المخطوطة يمكن أن يكون أساسا يبنى عليه الجواب عن السؤال السابق. أما الكتاب فهو الأرجوزة المسماة (المنبهة في الحذق و الإتقان و صفة التجويد للقرآن) التي مطلعها:

الحمد لله العليّ الفرد أهل المعالي و الثنا و المجد

و هي تتألف في الأصل من ألفين و ستمائة بيت، لكن النسخة التي نعتمد عليها ناقصة، و لا تتضمن إلا أربعمائة و اثنين و ستين بيتا من أولها (١).

أما النص فهو أحد الفصول الباقية من (المنبهة) و هو الفصل الرابع عشر الذي جعل المؤلف عنوانه: (القول في أهل الأداء)، و هو يتألف من واحد و عشرين بيتا، و تحدث في (١) تحتفظ الخزانة العامة للكتب و الوثائق بالرباط بهذه النسخة تحت رقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦١

الفصول الثلاثة التي تسبقه عن القراء السبعة و شيوخهم و الرواة عنهم، و قراء الشواذ من غيرهم، و تحدث في الفصل الذي يليه عن المصنفين للحروف الذين جمعوا في كتبهم وجوه القراءات، و لا- يساورنا شك في أن مراد الداني بقوله (أهل الأداء) هو أصل



التجويد أى علماء التجويد، لا سيما أنه يستخدم هذه العبارة فى كتابه (التحديد فى الإتقان و التجويد) مريدا بها علماء التجويد «١». فهو يريد أن يتحدث إذن عن علماء التجويد الذين سبقوه، و عاشوا فى الحقبة التى نحن بصدددها، و هو قد خصص فصلا آخر للحديث عن المؤلفين فى القراءات و ميزه عن الفصل الذى تحدث فيه عن أهل الأداء. و سوف نورد أولا نص ذلك الفصل، ثم نعود إليه ندرسه بعد ذلك.

قال أبو عمرو الدانى بعد أن ذكر القراء السبعة و أئمتهم و روايتهم و غيرهم من القراء «٢»:

القول فى أهل الأداء ١- و قد سما «٣»

فى هذه الصناعة قوم هم أئمة الجماعة

٢- من اقتدى بقولهم مسدد موفق لرشداهم مؤيد

٣- فابن مجاهد بهذا العلم مضطلع مشتهر بالفهم

٤- و بعده محمد بن الصلت و أحمد بن جعفر ذو الثبت

٥- و مثلهم فى الضبط و الإتقان محمد النقاش ذو البيان

٦- و مثله محمد المعدل و هو رويس ضابط مفضل

٧- و مثله ابن عابد الرزاق إمام مصره أبو إسحاق

٨- و مثلهم محمد الداجونى و أحمد المعروف باليقطين

(١) انظر مثلا: التحديد ورقة ٢٣ و، ٢٥ و، ٤١ و، ٤٢ ط، ٤٣ و. و انظر أيضا: كتاب الإدغام الكبير (له):

١٣ و، ٢٠ ط، ٢١ و. و قد قال المرعشى فى كتابه (ترتيب العلوم ص ٥٧): «و أما علم التجويد، و يسمى علم الأداء...».

(٢) المنبهي ص ١٦-١٧.

(٣) رسمت فى الأصل المخطوط بالياء، و قد قرأتها فى أول وهلة (تسمى) و هكذا أثبتتها فى الرسالة، لكن الدكتور حسام النعمى نبهنى وقت مناقشة هذه الرسالة إلى أن الوزن لا يستقيم معها، و حين عدت إلى النسخة المصورة للمخطوطة وجدت أنها (سمى)، و هو ما يستقيم معه الوزن لكن رسمها الاصطلاحى يكون بالألف لأن أصلها الواو.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٢

٩- و أحمد التائب و الصواف و جعفر بن أحمد الخصاف

١٠- و ابن عبيد الله ذو الإتقان موسى أبو مزاحم الخاقانى

١١- و أحمد بن الفضل و ابن مقسم و كلهم مفضل مقدم

١٢- و أحمد بن جعفر الحوفى و ابن أبى هاشم النحوى

١٣- و ابن بنان و اسمه بكار و هو جليل و له مقدار

١٤- و مثلهم على القزاز و أحمد بن صالح البزاز

١٥- و ابن على زيد الكوفى و الشنبوذى الفتى الذكى

١٦- و صالح و ابن الجلندى الموصلى و أحمد الجلاء ذو التبتل

١٧- و أحمد (الدقنى) «١»

و ابن أشته و لست مثلهم تراه البتة

١٨- و أحمد بن نصر الشذائى و هؤلاء جلة القراء

١٩- فى عصرهم فكل ما رووه لنا قبلناه كما أدوه

٢٠- إذ كلهم أئمة ثقات لفضلهم كأنهم ما ماتوا

٢١- أخبارهم موضوعه موقوفه مشهورة مروية معروفة

و لست أقصد هنا تقديم ترجمة مفصلة لهؤلاء العلماء الذين ذكرهم الداني، و لكنى سوف أتحدث عن أربعة منهم فقط أذكر بعض أخبارهم و أتبع نشاطهم المتعلق بعلم التجويد و هو الأمر الذى نهدف إلى الكشف عنه فى هذه المحاولة، بقدر ما تسعف به المصادر:

### ١- ابن مجاهد:

هو أحمد بن موسى بن العباس البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، و هو كما وصفه ابن الجزرى:

«شيخ الصنعة، و أول من سبغ السبعة» (٢). و لا- نجد من بين الكتب التى ألفها و ذكرها ابن النديم كتابا يمكن أن يكون فى علم التجويد (٣)، و مع ذلك فهناك عدد من الروايات التى نقلت عن ابن مجاهد و هى تعالج أدق القضايا الصوتية، و لا نجدها فى كتابه المطبوع (السبعة فى القراءات).

من ذلك ما رواه الداني عنه أنه قال: «اللحن لحنان، جلى و خفى، فالجلى لحن (١) كلمة غير واضحة فى الأصل.

(٢) غاية النهاية ١/ ١٣٩، و انظر: كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ١٨٨.

(٣) انظر: الفهرست ص ٣٤.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٣

الإعراب، و الخفى ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه» (١). و قد صارت هذه المقولة أساسا لدراسات علماء التجويد: و من ذلك ما نقله الداني أيضا عنه من قوله: «النون الساكنة و التنوين تبيان عند الحاء و الهاء و العين ضرورة من غير تعمل» (٢).

### ٢- أحمد بن جعفر (ورد ذكره فى البيت الرابع):

أرجح أنه ابن المنادى المتوفى سنة ٣٣٦هـ، قال ابن النديم: «و له مائة و تيف و عشرون كتابا فى علوم متفرقة، و كان الغالب عليه علوم القرآن» (٣)، و لا نعرف عن تلك الكتب شيئا محددًا، لكنى وجدت ابن البناء (ت ٤٧١هـ) يقول عن ابن المنادى بعد أن ذكر جملة من (عيوب الأصوات): «و هذا و ما أشبهه من المعايير كرهاها العلماء بالقراءة و ذوو المعرفة بالأخذ، و ذكروا فيها التصانيف، و ناهيك بصاحبنا أبى الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادى- رحمه الله- فإنه أخذ من ذلك الحظ الأوفر و النصيب الأكبر» (٤).

و وجدت محمدا المرعشى (ت ١١٥٠هـ) يقول فى أول كتابه (جهد المقل): «و متى قلت علماء الأداء، و أهل الأداء فالمراد منهم علماء هذا الفن كمكى و ابن المنادى و أبى عمر و الدانى» (٥). و نجد فى كتاب (التحديد) لأبى عمرو الدانى عددا من النصوص منقولة عن ابن المنادى من ذلك «قال أبو الحسين بن المنادى: «أخذنا عن أهل الأداء بيان الميم الساكنة عند الواو و الفاء فى حسن من غير إفحاش» (٦). و من ذلك أيضا ما نقله الدانى عن أحمد بن نصر الشذائى أنه قال: «و إلى هذا كان يذهب ابن مجاهد، فى هذه القراءة و غيرها، و به قرأنا، و به كان يختار، و يمثله كان يأخذ ابن المنادى، رحمه الله عليهما» (٧).

### ٣- ابن أشتة (ورد ذكره فى البيت السابع عشر):

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت بمصر سنة ٣٦٠هـ)، قال عنه ابن الجزرى: «أستاذ كبير، و إمام شهير، و نحوى محقق، ثقة، سكن مصر، قال الدانى: ضابط (١) التحديد ٢٢ ظ.

- (٢) المصدر نفسه ٢٠ ظ.
- (٣) الفهرست ص ٤١.
- (٤) بيان العيوب ١٧٦ و.
- (٥) جهد المقل ٢ و.
- (٦) التحديد ٤١ و.
- (٧) المصدر نفسه ١٢ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٤

مشهور مأمون ثقة عالم بالعربية بصير بالمعاني، حسن التصنيف، صاحب سنه، قلت: و كتابه المحبر كتاب جليل يدل على عظم مقداره و له كتاب المفيد في الشاذ، قرأ على أبي بكر بن مجاهد...» (١).

وقد صرح ابن خير الإشبيلي في فهرسته أن كتاب المحبر في القراءات (٢)، و لكن يبدو أنه بحث في مقدماته بعض المباحث المتعلقة بعلم التجويد كمخارج الحروف و صفاتها، نستدل على ذلك بما ذكره نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) في مقدمه معجمه المسمى (شمس العلوم و دواء كلام العرب من الكلوم) في فصل (مخارج الحروف و تقسيمها) فقد قال «و حروف الاستعلاء سبعة، يجمعها قولك: قظ ضغط خص. جمع ذلك أبو بكر بن أشته البغدادي في كتاب المحبر...» (٣).

#### ٤- أحمد بن نصر الشذائي (ورد ذكره في البيت الثامن عشر):

هو أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور الشذائي البصري (ت ٣٧٣ هـ)، قال عنه الداني: «مشهور بالضبط و الإتقان، عالم بالقراءة بصير بالعربية» (٤). و ذكر الذهبي أن فارس بن أحمد قال: «أمن أصحاب ابن مجاهد أربعة: أبو طاهر بن أبي هاشم، و أبو بكر بن أشته، و أبو بكر الشذائي، و نسي الرابع» (٥).

وقد نقل الداني في كتاب (التحديد) كثيرا من النصوص عن الشذائي، كما نقل بواسطته كثيرا من الروايات عن ابن مجاهد، فمما أسنده الداني إليه قوله: «حدثني الحسين بن علي حدثنا أحمد بن نصر بن منصور، و وصف قراءة أئمة القراءة السبعة، فقال: «فأما صفة قراءة...» (٦). و قوله: «و قال لي الحسين بن علي: قال لنا أحمد بن نصر: المخفى ما تبقى معه غنة» (٧).

و مما نقله عن ابن مجاهد من طريق الشذائي النسان اللذان أوردناهما قبل قليل عند (١) غاية النهاية ١٨٤ / ٢.

(٢) فهرسة ابن خير ص ٢٤.

(٣) شمس العلوم ١ / ٢٢.

(٤) نقلا عن الذهبي: معرفة القراء ١ / ٢٥٨.

(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٥٨.

(٦) التحديد ١٢ و.

(٧) المصدر نفسه ١٥ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٥

حدثنا عن ابن مجاهد، و من ذلك أيضا قوله: «... و هذا مذهب ابن مجاهد فيما حدثنا به الحسين بن علي، عن أحمد بن نصر، عنه، قال: و الميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى، لأن لها صوتا في الخياشيم، توأخى به النون الخفيفة» (١).

و إنما اكتفيت بالحديث عن هؤلاء الأربعة، مع ما تقدم من كلامنا عن أبي مزاحم في الفصل الأول، من مجموع من ذكرهم الداني، و هم ستة و عشرون، لأنني وجدت عن هؤلاء الأربعة روايات توضح جانبنا من نشاطهم في الدرس الصوتي أكثر مما وجدت عن

سواهم، كما أنى وجدت الدانى نفسه يكثر من ذكرهم فى كتابه (الإدغام الكبير)، قال مرة: «و اختلف أهل الأداء فى قوله فى غافر (و إن يك كاذبا) فكان ابن مجاهد و ابن المنادى يختاران فيه الإظهار» «٢». و قال و هو يتحدث عن منع إمالة الألف قبل الراء فى مثل (النهار): «و هذا مذهب ناس من البصريين النحويين، و قوم من أهل الأداء المتصدرين، منهم أبو الحسين بن المنادى، و أحمد بن نصر الشذائى، و محمد بن عبد الله بن أشتة، و الحسين بن محمد بن حبش الدينورى ... و قال آخرون و هم الأكثر الإمالة ثابتة» «٣». و ينبغى أن أشير هنا إلى أن الوثيقة التاريخية الموجودة أمامنا، و هى الفصل الذى نقلناه عن (المنبهة) جاءت عن عالم خبير متخصص فى هذا الشأن، و كان قد كتب كتابا مستقلا فى طبقات القراء «٤»، فاتنا بفقدانه علم كثير، و لم يبق منه إلا روايات تضمنتها بعض الكتب لا سيما (معرفة القراء) للذهبي، و (غاية النهاية) لابن الجزرى.

و النتيجة التى نستخلصها مما ذكره الدانى فى (المنبهة) عن أهل الأداء، و من النصوص التى أوردناها عن بعض من ذكرهم الدانى هى أن النشاط المتعلق بعلم التجويد لم ينقطع فى تلك الفترة الفاصلة بين ظهور قصيدة أبى مزاحم الخاقانى و ظهور أول كتاب فى علم التجويد بعدها، و ما النصوص و الروايات التى ذكرناها عن ابن مجاهد و ابن المنادى و ابن أشتة و الشذائى إلا دليل أكيد و معلم بارز من معالم ذلك النشاط، و غاية ما فى الأمر أن ذلك النشاط غابت عنا تفصيلاته و حجت عنا مؤلفاته. (١) المصدر نفسه ٤٠ ظ - ٤١ و. و انظر أيضا: ٢٢ ظ، ٢٣ و، ٢٤ و.

(٢) الإدغام الكبير ١٣ و.

(٣) المصدر نفسه ٢٠ ظ.

(٤) انظر: ابن خير: فهرسة ابن خير ص ٧٢، و الذهبي: معرفة القراء ١ / ٣٢٦، و ابن الجزرى: غاية النهاية ١ / ٥٠٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٦

و لنا أن نتساءل هنا عن النصوص التى نقلناها قبل قليل هل أوردها المصنفون فى كتب القراءات التى ألفوها، أو أنهم ذكروها فى كتب مستقلة صنوها فى علم التجويد؟ الإجابة القاطعة عن هذا التساؤل غير متيسرة الآن، لأن ما وصل إلينا من كتب القراءات المؤلفة فى تلك المدة قليل جدا بل نادر لا يوضح لنا شيئا من الأمر، و مع ذلك فإنى أميل إلى القول بوجود كتب مستقلة عالجت موضوع الأصوات العربية فى إطار علم التجويد، ترجع إلى ذلك العصر، إما أنها ذهبت، أو أن وقت ظهورها و كشفها لم يحن بعد، و يمكن الرجوع إلى ما نقلته عن مؤلفات ابن المنادى، و قول ابن البناء فيه، للوقوف على أساس ميلنا إلى هذا القول.

و سواء أ كان ذلك النشاط التجويدى قد وقع فى كتب مستقلة أم تضمنته كتب القراءات فإنه يشير إلى أن القرن الرابع الهجرى قد شهد نشأة علم التجويد و أن القصيدة الخاقانية لم تكن العمل الوحيد الذى أنتجته جهود علماء الأداء فى هذا القرن، و إنما كانت بدايته المتميزة التى انتهت إلى العديد من الكتب فى القرن الخامس للهجرة و ما تلاه من قرون.

\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٧

## ملحق رقم (٢) أساليب القراءة

### إشارة

يتفاوت النطق بالألفاظ عند الكلام بين السرعة و التمهّل حسب حاجة المتكلم و ما يقتضيه المقام، و يمكن للمتكلم أن يرفع صوته و أن يخفضه كما يريد. و قد درس علماء التجويد الكيفية التى يجب أن يسلكها قارئ القرآن فى نطق ألفاظ الذكر الحكيم من حيث السرعة و التمهّل، و وضحو الطرائق المأثورة التى التزمها القراء و تناقلوها، و بينوا مذهب القراء السبعة فى ذلك، و حددوا المختار

لدى كل واحد منهم.

وقد سمي بعض علماء القراءة و التجويد الكيفية التي يجب أن يقرأ بها القرآن باسم (أسلوب القراءة)، فقال ابن الباذش (ت ٥٥٤٠هـ) في (باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة و تجويد الأداء): «اعلم أن القراء مجتمعون على التزام التجويد، و هو إقامة مخارج الحروف و صفاتها، فأما أسلوب القراءة من حدر و ترتيل، بعد إحراز ما ذكرنا، فهم فيه متباينون غير مستوين» (١).

وقد سماها بعضهم باسم (مراتب القراءة) فقال ابن الكيال (ت ٩٢٩هـ): «واعلم أن التجويد على ثلاثة مراتب: ترتيل و تدوير و حدر بإسكان الدال» (٢). و سماها أبو الفضل الرازي (ت ٤٥٤هـ) بأوجه القراءة، حيث قال: «القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل و حدر و زمزمة» (٣).

و سواء أ كانت الكلمة المستخدمة في ذلك: أسلوباً أم مرتبة أم وجهاً، فإن القرآن كما قال ابن الجزرى: «يقرأ بالتحقيق و بالحدر و بالتدوير، الذى هو التوسط بين الحالين، مرتلاً مجوداً بلحون العرب و أصواتها و تحسين اللفظ و الصوت بحسب الاستطاعة» (٤). (١) الإقناع ١/ ٥٥٢.

(٢) الأنجم الزواهر ٨٢ ظ.

(٣) نقلاً عن أحمد بن أبى عمر: الإيضاح ٦٧ و.

(٤) النشر ١/ ٢٠٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٨

و يفهم من النصوص السابقة أن الترتيل يستخدم مرادفاً للتحقيق، فبعض علماء التجويد يستخدم التحقيق فى مقابل الحدر، و بعضهم يستخدم الترتيل فى مقابل الحدر. و أما التدوير فالتوسط بين المنزلتين. و قد قال أبو العلاء الهمذانى العطار بعد أن ذكر مذاهب القراء فى كيفية القراءة: «و من بعد فاعلم أن هذه الأوجه التى ذكرناها تؤول إلى ضربين: أحدهما التحقيق، و الآخر الحدر» (١).

## ١- التحقيق:

أما التحقيق فهو «مصدر من حققت الشىء، أى عرفته يقيناً. و العرب تقول: بلغت حقيقة هذا الأمر، أى بلغت يقين شأنه. و الاسم منه الحق، فمعناه أن يؤتى بالشىء على حقه من غير زيادة فيه و لا نقصان منه» (٢).

و معنى التحقيق فى الاصطلاح هو كما يقول الدانى (ت ٤٤٤هـ): «التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حده أن توفى الحروف حقوقها من المد إن كانت ممدودة، و من التمكين إن كانت ممكنة، و من الهمز إن كانت مهموزة، و من التشديد إن كانت مشددة، و من الإدغام إن كانت مدغمة، و من الفتح إن كانت مفتوحة، و من الإمالة إن كانت ممالئة، و من الحركة إن كانت متحركة، و من السكون إن كانت مسكنة، من غير تجاوز و لا تعسف و لا إفراط و لا تكلف.

على ما نبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى. فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط فى التمطيط، و التعسف فى التفكيك و الإسراف فى إشباع الحركات و تخلص السواكن إلى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة و المذاهب المكروهة- فخارج عن مذاهب الأئمة و جمهور سلف الأمة. و قد وردت الآثار بكراهة ذلك و بكيفية حقيقته...» (٣).

وقد أكد الدانى هذا المعنى فى كتاب آخر من كتبه حيث قال: «ينبغى لمن أخذ نفسه من القراء بالتحقيق أن لا يفرط فى ذلك، و أن يكون جميع ما يلفظ به من الممدود و الممكن و المدغم و المظهر و المهموز و المشدد و المسكن و إشباع الحركات و غير ذلك على وزن و مقدار، و لا يجاوز به الحد الذى علم من مذاهب الأئمة، و لا يتعدى فى ذلك المنهاج و الطريق الذى عليه الأكابر من علماء هذه الصناعة، فإن استعمل خلاف ما ذكرناه و أفرط فى (١) التمهيد ٨٨ و.

(٢) التحديد ٢ ظ- ٣ و. و انظر: ابن الجزرى: النشر ١/ ٢٠٥، و ابن منظور: لسان العرب ١١/ ٣٣٣ حقق.

(٣) التحديد ٩ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٦٩

جميع ذلك، و تكلف الزيادة في التمطيط و التعسف في التفكيك فقد خرج بفعله ذلك عما عليه الجمهور من أئمة القراءة، و عن السائر الموجود المتعارف عليه في لغة العرب» (١).

و ذكر أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) أركان قراءة التحقيق حيث قال: «و معناه أن يقرأ القرآن فيؤدى كل حرف منه حقه من التشديد و التخفيف، و المد و القصر، و التسكين و التحريك، و الوصل و القطع، و الإشباع و الاختلاس، و الإظهار و الإدغام و الإخفاء، و التفخيم و الاضجاع، و الهمز و ترك الهمز، لا زيادة في كل ذلك و لا نقصان. فحد الحرف المشدد أن لا يكون مخففاً، و حد الحرف المخفف أن لا يكون مشدداً ... فهذه الأشياء التي وصفناها هي حدود التحقيق» (٢).

و ما ذكره أحمد بن أبي عمر لا يخرج عما ذكره الداني من صفة قراءة التحقيق، فقد اتضح من هذا الوصف العام لها أنها تقتضى العناية بتأديء الأصوات من مخرجها و توفيتها صفاتها و ما لها من أحكام تنشأ عن التركيب، و لا يؤخذ في قراءة التحقيق بالسرعة بل بالتمكث و الأناة مع عدم الخروج عن حدها بالمبالغة في أداء ما للحروف من أحكام مثل المد و الإدغام و التشديد و نحوها بل توفى هذه الأحكام بقدر ما تحتاج من العناية.

## ٢- الترتيل:

أما الترتيل فقد نقلنا في أول هذا الملحق بعض النصوص التي يفهم منها أن الترتيل و التحقيق واحد، و هناك نصوص أخرى في هذا الاتجاه فقد نقل أحمد بن أبي عمر عن أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب أنه قال: «التحقيق و الترتيل واحد» (٣). و يفهم من كلام أحمد بن أبي عمر أنه يأخذ بقول ثعلب حيث قال: «فالترتيل مأمور به، و مرغوب فيه، و هو مثل التحقيق و التفخيم، و هو المختار عندنا في قراءة القرآن، لأن الذي بلغنا من صفة قراءة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أنها كانت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً» (٤). و نقل أحمد بن أبي عمر أيضاً عن الشيخ أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى (ت ٤٥٤ هـ) أنه قال: «القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل و حدر و زمزمه، و التجويد و الإحسان (١) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٦ و- ١٣٦ ظ.

(٢) الإيضاح ٦٦ و.

(٣) الإيضاح ٦٦ ظ.

(٤) الإيضاح ٦٦ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٠

مصحوبها. فالترتيل للفكرة و الإفادة و الرياضة، و الحدر للاستكثار و الدراسة. و الزمزمه القراءة في النفس خاصة (١). و هي ضرب من الحدر» (٢). و واضح من هذا النص أن الرازى استخدم الترتيل في معنى مطابق لمعنى التحقيق.

و ذهب بعض علماء التجويد إلى التمييز بين التحقيق و الترتيل، فبعضهم يجعل الترتيل صفة من صفات التحقيق، و بعضهم يجعله درجة أقل من التحقيق. قال الداني: «و الترتيل مصدر من رتل فلان كلامه: أتبع بعضه بعضاً على مكث و تودة، و الاسم منه الرتل. و العرب تقول: نغر رتل، إذا كان متفرقا. و هو صفة من صفات التحقيق و ليس به، لأن الترتيل يكون بالهمز و تركه و القصر لحرف المد، و التخفيف و الاختلاس، و ليس ذلك في التحقيق» (٣). و قال في موضع آخر: «و الترتيل يكون للتدبر و التفكير و الاستنباط، و التحقيق لرياضة الألسن و ترقيق الألفاظ الغليظة، و إقامة القراءة، و إعطاء كل حرف حقه من المد و الهمز و الإشباع و التفكيك، و يؤمن معه تحريك ساكن، و اختلاس حركة متحرك» (٤).

و نحا هذا المنحى أيضاً أبو العلاء الهمداني العطار (ت ٥٦٩ هـ)، و ذلك حيث قال:

«اعلم أن التحقيق و الترتيل يتفقان من وجه و يفترقان من وجه. فأما وجه اتفاقهما فمن حيث إن الترتيل صفة من صفات التحقيق و ليس به، و ذاك أنه مصدر رتل الرجل كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على تؤدة و تمهل، و التحقيق مصدر حققت الشيء و الاسم منه الحق، و معناه أن يؤتى بالشيء على حقه. و قد علمت أن إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها و مراتبها إلى غير ذلك مما أوضحناه قبل موجود في كلا المذهبين.

و أما وجه افتراقهما فمن حيث أن الترتيل يكون بتحقيق الهمزات و تخفيفها و اختلاس الحركات و إقرارها، و التحقيق بخلاف ذلك» (٥).

و الفرق عند من ميز بين التحقيق و الترتيل ليس كبيرا كما ترى، و من ثم تغاضى كثير من علماء التجويد عن ذلك الفرق و عدو هما مترادفين. و قد قال الشيخ أحمد فائز الرومي في (١) قال ابن البناء (بيان العيوب ١٨٠ ظ): «و الهمهمة إخراج أذنى صوت لا تفهم معه الحروف. و الزمزمة إفهام بعض الحروف دون بعض».

(٢) الإيضاح ٦٧ و.

(٣) التحديد ٢ ظ. و انظر: ابن منظور: لسان العرب ١٣ / ٢٨١ رتل.

(٤) التحديد ٣ و.

(٥) التمهيد ٨٩ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧١

شرحه على (الدر اليتيم): «كيفية التلاوة لها حالات ثلاث: تحقيق، و هو عند الجمهور بمعنى الترتيل، فسره به فقال: أى ترتيل. و فرق بعضهم بينهما بأن التحقيق يكون للرياضة و التعليم و التمرين ... و الترتيل يكون للتدبر و التفكير» (١).

### ٣- الحدر:

#### إشارة

أما الحدر «فأصله الحط، و كل ما حططته من علو إلى سفلى فقد حدرته» (٢). و هو «مصدر من حدر بالفتح يحدر بالضم، إذا أسرع، فهو من الحدر الذى هو الهبوط، لأن الإسراع من لازمه، بخلاف الصعود» (٣). و لدينا عدة نصوص قديمة فى بيان معنى الحدر فى الاصطلاح.

من ذلك قول أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١ هـ): «هو أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة ... من غير أن يخل بحرف، بل يؤدى كل حرف حقه من السكون و الحركة و المد و التشديد، و هو يمر فى قراءته مع هذه الشرائط مرا سريعا» (٤).

قال ابن البناء فى (باب وصف حدر القراءة): «يجب أن يراعى فى حدره المفتوح فيدنيه عن التبليغ، و المنخفض و المرفوع فيوقعهما بلا تخفيف، و يمرن لسانه على المشدد و المهموز و المنون و الممدود و المقصور و المدغم و المظهر فى إعطاء كل نوع من ذلك حقه فى سرعة غير قلقلة و لا رخوة، و لا يستلن مدارج النفس يطلب غايته دون استيداع الحروف مقارها.

و ليحذر أن يفسد بإسراعه الحروف المأخوذة عليه رعايتها، فليس الحدر يوجب ترك ممدود، و لا منون مظهر، و لا مدغم، و لا مخفى، و إنما روى عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يترك الهمز إذا أدرج القراءة تخفيفا. فمن لم يحرس فى درجه ما ذكرت كان خلله كثيرا و فساده عظيما» (٥).

و قال أبو على الأهوازي فى وصف قراءة الحدر: «و أما الحدر فإنه القراءة السهلة السمحة الرتلة، العذبة الألفاظ، اللطيفة المعنى، التى لا يخرج القارئ فيها عن طباع العرب، (١) شرح الدر اليتيم ٢٧ و.



(٢) العطار: التمهيد ٨٧ و.

(٣) ابن الجزرى: النشر ٢٠٧/١. وانظر: ابن منظور: لسان العرب ٥/٢٤٤ حدر.

(٤) نقلا عن: أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٦ ظ.

(٥) بيان العيوب ١٧٧ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٢

وعما تكلمت به الفصحاء بعد أن يأتي بالرواية عن الإمام من أئمة القراءة على ما نقل عنه من المد والهمز، والقطع والوصل، والتشديد والتخفيف، والإمالة والتفخيم، والاختلاس والإشباع، فإن خالف شيئا من ذلك كان مخطئا» (١). وقد وضع ابن الجزرى معنى الحدر أيضا بما لا يخالف ما ورد في هذه النصوص من وصف الحدر بإدراج القراءة و سرعتها وتخفيفها (٢).

ويذكر علماء التجويد أن الغرض من القراءة حدرا هو كثرة القراءة و سرعتها لمن يرغب في ختم القرآن و كثرة الحسنات. قال الخزاعي: «إنما يستعمل القارئ الحدر و سرعة القراءة مع تقويم الألفاظ لتكثر حسناته إذ كان له بكل حرف عشر حسنات، و ذلك بعد معرفته بالمد من غير تمطيط و بالهمز من غير لكز لساكنه و متحركه، بل يأتي بها بسهولة من غير عنف و لا صعوبة» (٣).

وقال الداني: «فأما الحدر و الهدرمة فلا بأس أن يستعملها من أراد درس القرآن لكي تكثر حسناته. إذ له بكل حرف عشر حسنات، أو من رغب في كثرة الختم لما لمن ختم من الأجر لنزول الرحمة عند الختم» (٤).

### العلاقة بين الحدر و التحقيق:

التدوير هو عبارة عن التوسط بين المقامين من التحقيق و الحدر (٥). و لم يطل علماء التجويد في الكلام عنه، لأن المهم أن يضبط طرفا القراءة: التحقيق و الحدر، و قد اتضح بما سقناه من النصوص أن صفة التحقيق هي التأنى في القراءة مع إيفاء الأصوات حقوقها من المخارج و الصفات و ما ينشأ لها عن التركيب من الأحكام، و صفة الحدر هي السرعة في القراءة، إلى الحد الذي لا تختل به صفة القراءة و تبطل أحكامها. و كل أوجه القراءة، كما قال أبو العلاء الهمداني العطار (تؤول إلى ضربين: أحد هما التحقيق، و الآخر الحدر) (٦).

ولا- تتضح من النصوص السابقة حدود فاصلة بين قراءة التحقيق و قراءة الحدر إلا ما (١) انظر: القرطبي: الموضح ١٨٨ ظ. و ابن الباذش: الإقناع ١/٥٥٩. و المرادى: المفيد ١٠٠ ظ.

(٢) النشر: ١/٢٠٧.

(٣) نقلا عن أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٦ ظ- ٦٧ و.

(٤) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٢ و.

(٥) ابن الجزرى: النشر ١/٢٠٧.

(٦) التمهيد ٨٨ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٣

ذكرناه من اقتران التحقيق بالتأني، و اقتران الحدر بالسرعة، و ما يناسب ذلك من المحافظة على أحكام التركيب، لكن أبا العلاء الهمداني العطار قدّم لنا ميزانا دقيقا نادرا للفصل بين الحدر و التحقيق، و هو أن «شرط التحقيق أن يزداد على الحدر مثله».

فقد قال و هو يتحدث عن المد بسبب الساكن المشدد: «و اختلف أهل الأداء في مقدار هذا المد. فأهل التحقيق يمدونه على قدر أربع ألفات، و بعضهم على قدر ثلاث ألفات. و أهل الحدر يمدونه على قدر ألفين إحداهما حرف المد الساكن، و الثانية المدة الفاصلة بين الساكنين. فأما المحققون فعذرهم في تطويل المد في هذا الباب أن الحادرين يمدونه بقدر ألفين، و شرط التحقيق أن يزداد على

الحدرد مثله، ثم كل من نقص تحقيقه نقص مده» (١).

وهذه القاعدة التي ذكرها أبو العلاء الهمذاني العطار (شرط التحقيق أن يزداد على الحدرد مثله) يمكن أن تطبق على المدود بشكل واضح، لكن تطبيقها على الظواهر يحتمل مثل هذه النسبة، ولعل ما كانت الغنة فيه ظاهرة يمكن أن تطبق عليه القاعدة السابقة، على اعتبار أن الغنة تشبه المد في طول الزمن الذي يستغرقه نطق صوتها.

و يؤكد علماء التجويد على أن مراعاة أحكام التجويد مطلوبة في الحدرد كما هي مطلوبة في التحقيق، فقال بعضهم: «أحق الناس بالتجويد من راعاه في الحدرد» (٢). و ينقلون أن ابن مجاهد سئل: «من أقرأ الناس؟ فقال: من حقق في الحدرد» (٣).

وقال المرادى في ذلك المعنى: «و القراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة من ترتيل و حدر و توسط، وربما توهم قوم أن التجويد إنما يكون مع الترتيل، لاعتقادهم أن التجويد إنما هو الإفراط في المد و إشباع الحركات و نحو ذلك مما لا يتأتى مع الحدرد، و ليس كما توهموه. و إنما حقيقة تجويد القراءة ما قدمته لك» (٤). و ذلك متأثراً مع الحدرد كما يتأتى مع الترتيل. و لا ينكر أن الترتيل أتم مداً و تحريكاً و إسكاناً من الآخذ بالحدرد، و لكن في جميع ذلك لا بد من إقامة مخارج الحروف و صفاتها» (٥). (١) التمهيد ١٥٩ و.

(٢) العطار: التمهيد ٨٨ ظ.

(٣) أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٧ و. و العطار: التمهيد ٨٨ ظ.

(٤) يشير إلى قوله قبل هذا النص: «إن التجويد هو إعطاء كل حرف حقه من مخرجه و صفته».

(٥) المفيد ١٠٠ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٤

### تقسيم الأهوازي لأساليب القراءة:

و قد نقلت عن أبي على الأهوازي رواية جعل القراءة فيها على عشرة أضرب و هي قوله:

«اعلم أن القرآن يقرأ على عشرة أضرب: بالتحقيق، و باشتقاق التحقيق، و بالتجويد، و بالتمطيط، و بالحدرد، و بالترعيد، و الترقيص، و بالتطريب، و بالتلحين، و بالتحزين.

قال الأهوازي: سمعت جماعة من شيوخى يقولون: لا يجوز للمقارئ أن يقرئ منها بخمسة أضرب: بالترعيد، و الترقيص، و التطريب، و التلحين، و التحزين. و أجازوا الإقراء بالخمسة الباقية، إذ ليس للخمسة أثر، و لافيه نقل عن أحد من السلف، بل ورد إلينا أن بعض السلف كان يكره القراءة بذلك» (١).

أما الخمسة التي يجوز القراءة بها فقد تحدثنا عن اثنين منها، و هما التحقيق و الحدرد.

و الثلاثة الباقية بين التحقيق و الحدرد على هذا الترتيب: الحدرد، و التجويد، و التتمطيط، و اشتقاق التحقيق، و التحقيق. و مع أننا نعتقد أن هذا التقسيم لا يخرج عما حددناه من قبل فإن توضيح المصطلحات الثلاثة صار أمراً ضرورياً حتى يعرف القارئ حقيقتها.

أما التجويد عند الأهوازي، و هو هنا يستخدمه بمعنى خاص فهو «أن يضيف إلى ما ذكرت في الحدرد مراعاة تجويد الإعراب، و إشباع الحركات، و تبيين السواكن و إظهار بيان حركة المتحرك بغير تكلف و لا مبالغة» (٢).

«و أما التتمطيط فهو أن يضيف إلى ما ذكرت زيادة المد في حروف المد و اللين، مع جرى النفس في المد، و لا- تدرك حقيقة التتمطيط إلا مشافهة» (٣).

«و أما اشتقاق التحقيق فهو أن يزيد على ما ذكرت من التجويد روم السكوت على كل ساكن و لا يسكت، فيقع للمستمع أنه يقرأ بالتحقيق، و كذلك جميع ما نذكره من التحقيق فإنه يرومه. و هي تقرأ بعد القراءة بالتحقيق ليعلم أنه قد ضبط ذلك» (٤).

و ربما كان كلام الأهوازي عن ضروب القراءة الخمسة التي لا تجوز بها القراءة أكثر فائدة للدارس و هو يبحث في تاريخ الظواهر الصوتية، لأنها تشير إلى شيوع ظواهر صوتية معينة في (١) نقلا عن: القرطبي: الموضح ١١٨ و، و ابن الباذش: الإقناع ١ / ٥٥٥. و المرادى: المفيد ١١٧ ظ.

(٢) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٨ ظ، ١ / ٥٦٠، ١١٨ و على الترتيب السابق.

(٣) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٩ و، ١ / ٥٦٠، ١١٨ و.

(٤) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٩ و، ١ / ٥٦١، ١١٨ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٥

عصر معين، قل أن يعثر على نصوص تتحدث عنها. و سبق أن ذكرنا الترعيد في محاذير المد.

«و أما الترقيص فهو أن يروم السكوت على السواكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو و هرولة. و ربما دخل ذلك على من يطلب التجويد و التحقيق، و هو أدق معرفة من الترعيد».

«و أما التطريب فهو أن يتنغم بالقراءة و يترنم، و يزيد في المد في موضع المد و غيره، و ربما أتى في ذلك بما لا يجوز في العربية، و لا ربما دخل ذلك على من يقرأ بالتمطيط».

«و أما التلحين فهو الأصوات المعروفة عند من يغنى بالقصائد و إنشاد الشعر، و هي سبعة ألحان ...

«و قد اختلف السلف في جواز ذلك، فكرهه قوم و أجازه آخرون. فأما الإقراء به فلا- يجوز، و لا- بالتطريب، و لا- بالترقيص، و لا بالتحزين، و لا بالترعيد، على ذلك وجدت علماء القراءة في سائر الأمصار ...

«و أما التحزين فإنه ترك القارئ طباعه و عادته في الدرس إذا تلا، فيلين الصوت، و يخفض النغمة كأنه ذو خشوع و خضوع، و يجرى ذلك مجرى الرياء، لا يؤخذ به، و لا يقرأ على الشيوخ إلا بغيره».

قال الأهوازي: و إنكار شيوخنا الأخذ بما ذكرت عنهم نقل نقلوه، لأنهم متبعون غير مبتدعين» (١).

### القراءة بالألحان:

و ما ذكره الأهوازي من عدم جواز قراءة القرآن بالتلحين أمر أجمع عليه علماء التجويد بالقراءة، و لم ينفرد به، حتى لقد ألف أبو البركات محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الكيال «٢». كتابا مستقلا، سماه (الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق و الكبائر) قال في أوله: «و بعد فهذا كتاب مختصر مفيد في تحريم قراءة القرآن المجيد بلحون أهل الفسق و الكبائر الداخلين في الوعيد، و استحباب قراءته و فضلها بلحون العرب و أصواتها، بالترتيل و التجويد، و ردع قراء المحافل و الجنائز الجهلة الطغام، الذين لم يستضيئوا بنور (١) المصادر الثلاثة السابقة ١٨٨ و- ١٨٨ ظ، ١ / ٥٥٦- ٥٥٨، ١١٧ ظ- ١١٨ و. على الترتيب السابق.

(٢) ذكر البغدادي في إيضاح المكنون (١ / ١٣١) أنه توفي سنة ٩٢٩ هـ، لكن ذكره مع اختلاف يسير في الاسم.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٦

القرآن ...» (١).

و كان الداني قد قال: «إذا قرأ القرآن فليستعمل عند قراءته الخشية و التباكي و التفهم لما يتلو، و ليزينه بصوته الذي خصه الله عز و جل به، و وهبه إياه، و ليتجنب عند ذلك الألحان المطرية و الأصوات المستعملة و النغمات الملهية، فإنها مكروهة عند أهل العلم حديثا و قديما» (٢).

و قال ابن البناء في (باب وصف قراءة الألحان): «و قد كرهها جماعة من العلماء و أئمة القرآن لخروجها عن سنن القراءة المألوفة و شرائطها الموصوفة و مراعاة أصوات مصنوعة و أدوات موضوعة. و هم في الاهتمام بمراعاة شرائط التلاوة أولى، فإن استعملوها أخلوا

بما وضعوه، وإن لم يستعملوها أخلوا بواجب فيها لا بد منه، فكم فيها من قصر لممدود و مد لمقصور و تحريك لساكن و تسكين لمتحرك و همز لمخفف و مخفف لهمز، و إظهار لمدغم و مدغم لمظهر، مع أشياء كثيرة يطول شرحها و تعدادها حققها العلماء و ميزها القراء.

فإن سمعها سامع فأنكر نسب إلى اللفظة و الغلط، و إن أقرهم على ذلك مع الكراهة فهو إقرار على الخطأ مع العلم به، و إن غلب عليه هواه بتحسين ما يلحنون، و هم في التحقيق عنده يلحنون، فصدف عن الكراهة و أقر المكروه عند اللذة الداخلة على سمعه و قلبه فهذا ممن غلب هواه، و كان من الغاوين. و الأسلم على جميع الأحوال مجانبتها، كما ذكر العلماء، و حذر منها الأتقياء: سفيان بن عيينة، و أحمد بن حنبل، و ابن المبارك و غيرهم» (٣).

و قال أبو العلاء الهمداني العطار: «و تزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها على ما بيناه قبل، لا ما أحدثه العمى المقبريون، و الغثر الأعجميون، لأن ذلك يفضي إلى تغيير المقاصد و المعاني و يقرب قراءة الوحي المنزل من ألحان الأغاني» (٤).

و ينبغي أن يفرق بين القراءة بالألحان و بين الأمر بتحسين الصوت بالتلاوة، فتحسين الصوت مطلوب و ردت فيه الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أجمع العلماء على مراعاة ذلك في قراءة القرآن، فقد رووا أن النبي صلى الله عليه و سلم، قال: (زينوا القرآن بأصواتكم) و أنه قال: (ليس منا من (١) الأنجم الزواهر ٧٩ ظ.

(٢) شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٥ و.

(٣) بيان العيوب ١٧٨ و.

(٤) التمهيد ١١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٧

لم يتغن بالقرآن). و تأويل ذلك عند أكثر العلماء أنه تزيين الصوت و تحسينه و تحزينه. و قد قيل لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أ رأيت إن لم يكن حسن الصوت قال: يحسنه ما استطاع (١).

و طريق تحسين الصوت في القراءة هو مراعاة أحكام التجويد لا مراعاة ما تقتضيه الألحان. و تزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها من المخارج و الصفات لا بما أحدثه العمى المقبريون و الغثر الأعجميون، كما وصفهم من قبل أبو العلاء الهمداني العطار رحمه الله تعالى، و رحم من سواه من علماء التجويد، الذين بفضل جهودهم ظل القرآن يقرأ بلحن العرب و أصواتها مميذا عن الألحان المخترعة التي تناسب الغناء، و لا تليق بكلام الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

### التنغيم:

يمكن تعريف التنغيم بأنه (ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الكلام) (٢). و تستخدم كلمة (موسيقى الكلام) مكان التنغيم عند بعض الدارسين (٣). أو كلمة التلوين الموسيقي عند بعضهم (٤). و كل لغة لها، بالنسبة لكل مجموعة من الكلمات أو الجمل، نماذج للتنغيم متميزة تماما إلى الحد الذي يمكن الشخص من أن يتعرف على اللغة المتكلمة أمامه، حتى إذا لم يميز فعلا واحدة من كلماتها (٥).

و دراسة التنغيم جديدة على الدرس الصوتي العربي، نقلها دارسو الأصوات العربية المحدثون عن الدرس الصوتي الغربي، و لا تزال البحوث التطبيقية الخاصة باللغة العربية محدودة. و هناك شكوى من صعوبة البحث عن نظام التنغيم في العربية (٦). حتى إن بعضهم قال: «إن تعيده أمر يكاد يكون مستحيلا»، لأن معظم أمثلة التنغيم في العربية و لهجاتها من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصة لهجية أو عادة نطقية للأفراد (٧). (١) انظر: الداني: شرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٥ و، و أحمد بن أبي عمر: الإيضاح ٦٥ و. و العطار: التمهيد ٤٦ و.

(٢) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ١٦٤.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٧٦.

(٤) كمال محمد بشر: الأصوات ص ٢٤٥.

(٥) ماريوباي: أسس علم اللغة ص ٩٥.

(٦) إبراهيم أنيس: الأصوات العربية ص ١٧٦.

(٧) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٥.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٨

و تكاد الأمثلة القليلة لتطبيق دراسة التنغيم في اللغة العربية تقصر في استخدام التنغيم للتفريق بين الجملة الخبرية و الجملة الاستفهامية، و كذلك الجملة التعجبية، فالتنغيم عنصر أساسي في تمييز هذا النوع من الجمل، على الرغم من وجود عناصر أخرى تركيبية تساعد في الوصول إلى ذلك التمييز «١».

إن من الأمور التي لم يعرفها دارسو الأصوات العربية من المحدثين أن علماء التجويد أدركوا ظاهرة التنغيم و عرفوا أمثلتها، و استخدم بعضهم كلمة النغمة، بينما اكتفى آخرون باستخدام عبارة (رفع الصوت و خفضه) و هو معنى التنغيم عند المحدثين.

و من أقدم النصوص المتعلقة بظاهرة التنغيم، مما اطلعت عليه من مصادر علم التجويد، ما قاله أبو العلاء الهمداني العطار و هو يتحدث عن اللحن الخفي: «و أما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء و مشاهير العلماء، و هو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته و لا تدرك حقيقته إلا بالمشاهدة و بالأخذ من أفواه أولى الضبط و الدراية. و ذلك نحو مقادير المدات، و حدود الممالات و الملطفات و المشبعات و المختلصات، و الفرق بين النفي و الإثبات، و الخبر و الاستفهام، و الإظهار و الإدغام، و الحذف و الإتمام، و الروم و الإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، و اللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان و الضبط» «٢». فقول أبي العلاء: الفرق بين النفي و الإثبات، و الخبر و الاستفهام داخل في موضوع التنغيم، و إن جاءت العبارة عامة موجزة.

و كان محمد بن محمود بن محمد السمرقندي الأصل، الهمداني المولد، البغدادي الدار، المتوفى سنة ٧٨٠ هـ قد فصل هذا الموضوع تفصيلا لم يسبق إليه، فيما عرفت من كتب هذا العلم، كما أن أحدا من الذين جاءوا بعده لم يبلغوا مبلغه، و لا أباغ إن قلت: إن كلام المحدثين في الموضوع لا يصل إليه من حيث القيمة العملية لا التفصيلات النظرية، فيما نجده مكتوبا عن الموضوع بالعربية.

قال السمرقندي في قصيدته (العقد الفريد):

إذا (ما) لنفي أو لجحد فصوتها ار فعن و للاستفهام مكنن و عدلا

و في غير اخفض صوتها و الذي بما شبيه بمعناه فقسه لتفضلا

(١) انظر: كمال محمد بشر: الأصوات ص ٢٤٥-٢٤٦، و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣١٥.

(٢) التمهيد ١١٩ ظ - ١٢٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٧٩

كهمزة الاستفهام مع من و أن و إن و أفعل تفضيل و كيف و هل و لا

قال في الشرح: «مثال ذلك: (ما قلت)، و برفع الصوت ب (ما) يعلم أنها نافية، و إذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، و إذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية. و هذه العادة جارية في جميع الكلام و في جميع الألسن» «١». و هذا كلام غاية في الوضوح و الدقة، و هو يتميز بنظرة شمولية نادرة، تتجاوز المثال الجزئي الواحد إلى عموم اللغة، و تتجاوز اللغة الواحدة إلى غيرها من اللغات، و قوله: (و هذه العادة جارية في جميع الكلام، و في جميع الألسن) دليل أكيد على ما نقول.

و قد طبّق السمرقندي فكرة رفع الصوت و خفضه على عدة صور نطقية متماثلة في البنية و لا يفرق بينها إلا طريقة التنغيم. من ذلك صيغة (أفعل) التي تكون للتفضيل، فقد قال:

«فينبغي أن يفرق بالصوت بين الذى بمعنى التفضيل، و الذى ليس بمعنى التفضيل» «٢». وكذلك الفرق بين (لا) النافية و (لا) الناهية «٣». و كذلك اللام التى لتأكيد الفعل و بعدها همزة وصل مثل (لا تبعتم) تشته بلا النافية التى بعدها همزة وصل فى التلظظ نحو (لا انفصام لها)، و قال السمرقندى: «و الفرق بينهما أنه فى نحو (لا انفصام) يكتب بألفين، و فى نحو (لا تبعتم) يكتب بألف واحدة، و يرفع الصوت على (لا) و يخفض على اللام ... فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية و دراية و مشافهة و بيانا» «٤».

و استخدم المرعى كلمة (النعمة) نقلا عن النسفى صاحب التفسير المسمى (مدارك التنزيل و حقائق التأويل) و ذلك حيث قال: «قال صاحب المدارك فى قوله تعالى: قَالَ: اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ [يوسف: ٦٦]: بعضهم يسكت على (قال) لأن المعنى: قال يعقوب، غير أن السكت يفصل بين القول و المقول. و ذا لا يجوز، فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت، فيقصر بقوة النعمة اسم الله تعالى، انتهى «٥». أقول (المرعى): قوله (فيقصر) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أى يكون فاعلا لقال بقوة النعمة، فيعلم أنه ليس بفاعل لقال» «٦».

(١) روح المرید فى شرح العقد الفريد ١٣٩ ظ.

(٢) روح المرید ١٤١ و- ١٤١ ظ.

(٣) روح المرید ١٤١ ظ.

(٤) روح المرید ١٤١ ظ.

(٥) انظر: مدارك التنزيل (طبعة دار الكتاب العربى - بيروت) ٢ / ٢٣٠.

(٦) جهد المقل ٥٦ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٠

و كذلك استخدم الدر كزلى كلمة (نعمات) و ذلك حيث قال: «قال بعض المحققين:

ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع نعمات: فما جاء من أسمائه تعالى و صفاته فبالتعظيم و التوقير، و ما جاء من المفتريات عليه فبالإخفاء و التريق، و ما جاء فى ردها فبالإعلان و التفخيم، و ما جاء من ذكر الجنة فبالشوق و الطرب، و ما جاء من ذكر النار و العذاب فبالخوف و الرهب، و ما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة و الرغبة، و ما جاء من ذكر المناهى فبالإبانه و الرهبة. انتهى» «١».

و لا شك فى أن أكثر هذه الأقسام يتضح فيها إمكانية تنوع النعمة عند نطقها، لكن بعضا منها لا يتبين فيه ذلك.

و مهما تكن هذه الملاحظات التى أبداها علماء التجويد فى موضوع التنعيم موجزة و بحاجة إلى التدقيق و التوضيح فإنها تبدو أسعد حظا مما كتبه دارسو الأصوات العربيه فى كثير من الجوانب. لا سيما ما كتبه السمرقندى الذى له كتاب اسمه (نجوم البيان فى الوقوف، و ماءات القرآن) ذكره فى (روح المرید فى شرح العقد الفريد) أثناء كلامه عن الماءات «٢». لا أستبعد أن يكون فصل فيه فكرته عن رفع الصوت و خفضه التى ذكرها فى (روح المرید).

\*\*\*

(١) خلاصة العجالة ٢١٣ و.

(٢) روح المرید ١٤٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨١

**ملحق رقم (٣) عيوب النطق**

**إشارة**

يعجز بعض الناس عن نطق صوت معين أو أكثر من أصوات اللغة، فيبدل الصوت الذى يعجز عنه بصوت آخر، و تتفاوت درجات



العجز، و يظل هذا العجز مصاحبا للإنسان، و قد ينفع في تجاوزه العلاج و المران. و تدرس هذه الظاهرة في إطار ما يسمى بأمراض الكلام أو عيوب النطق.

و على الرغم من أن كثيرا من الدارسين المعاصرين لا يعدون البحث في عيوب النطق و علاجها من اختصاص علماء الأصوات، إنما يدخل في أبحاث علم النفس و حقل الطب، إلا أن الدراسات الصوتية تظل ضرورية لهذا النوع من البحث، لأن تشخيص عيوب النطق و محاولته علاجها يتطلب معرفة تامة بطبيعة الصوت اللغوي و كيفية إنتاجه و فهم خواصه، مثل ما يتطلب معرفة بوسائل العلاج النفسى و الطبى على حد سواء «١».

و قد كان يظن أن اللغة العربية لم تعرف هذا اللون من البحث و لا التأليف فيه حتى الوقت الحاضر، فقد قال أحد المشتغلين في هذا الميدان: «عند ما تقلب الطرف في المكتبة العربية يلفت نظرك أمر له شأنه و خطورته، و ترى في جانب من جوانبها ثغرة تتطلع إلى من يسدها، و فراغا ينتظر من يملؤه، و أحسننا جميعا بالحاجة إلى كتاب يتناول عيوب النطق و الكلام» «٢».

و ظهر لى بعد تتبع كتب علم التجويد و دراستها أن علماء التجويد كانوا قد درسوا موضوع عيوب النطق و كيفية علاجها، و ألفوا فى ذلك كتبا مستقلة منذ ما يقرب من ألف سنة، إلا- أن جهودهم فى هذا المجال لم تكن معروفة لدى المعاصرين، مثل ما كانت جهودهم فى (١) انظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ٢٤. و كمال محمد بشر: الأصوات ص ٢٢ هامش ١.

و أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٥٣.

(٢) مصطفى فهمى: أمراض الكلام ص ٣. و انظر أيضا مقدمة تحقيق كتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جنى ص ١٩.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٢

دراسة موضوع علم الأصوات بشكل عام مهملة و مجهولة أيضا.

و قد كتب عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) فصلا موجزا عن عيوب النطق فى آخر كتابه (الموضح فى التجويد) «١». و ألف ابن البناء (و هو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي، المعروف بابن البناء ت ٤٧١ هـ) كتابا مستقلا فى عيوب النطق هو كتاب (بيان العيوب التى يجب أن يجتنبها القراء، و إيضاح الأدوات التى بنى عليها الإقراء) «٢». و يبدو أن كتاب (بيان العيوب) لم يكن الكتاب الوحيد المؤلف فى هذا الموضوع قديما «٣». فقد قال ابن البناء، بعد أن ذكر جملة من عيوب الأصوات: «و هذا و ما أشبهه من المعايب كرهها العلماء بالقراءة و ذوو المعرفة بالأخذ، و ذكروا فيها التصانيف، و ناهيك بصاحبنا أبى الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادى، رحمه الله، فإنه أخذ من ذلك الحظ الأوفر و النصيب الأكبر» «٤».

و ابن المنادى هذا هو أحد أعلام بغداد فى القرن الرابع الهجرى (ت ٣٣٦ هـ). قال عنه ابن النديم: «و له مائة و نيف و عشرون كتابا، فى علوم متفرقة» «٥». و لكن لم يصل إلينا من تلك الكتب سوى كتاب واحد، هو كتاب (متشابه القرآن) «٦». و نرجح اعتمادا على قول ابن البناء السابق أن من بين كتب ابن المنادى المفقود ما عالج فيه موضوع (عيوب النطق) لا سيما أن ابن البناء نقل مادة (باب وصف العوارض باللسان و الحيلة فى إذهاب بعضها من الإنسان) عن ابن المنادى «٧».

و يمكن أن نصنف الظواهر التى درسها علماء التجويد فى باب عيوب النطق إلى الأصناف الآتية: (١) الموضح ١٨٩ ظ- ١٩٠ ظ.

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل. ضمن مجموع رقمه (٥/ ٢٠) مخطوطات المدرسة الإسلامية و تقع فى عشر ورقات.

(٣) هناك كتاب (اللغة) لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى المتوفى سنة ٢٥٢ هـ. توجد منه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، تحت رقم ١٦٣ فلسفة و منطق، و قد ورد وصف لمحتوياته فى كتاب (فى البحث الصوتى عند العرب) للدكتور خليل إبراهيم العطية. ص ٩٤-٩٦.

(٤) بيان العيوب ١٧٦ و.



(٥) الفهرست ص ٤١.

(٦) انظر: فوائد سزكين: تاريخ التراث العربي ١/ ٢١٣.

(٧) بيان العيوب ١٨١ ظ.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٣

### ١- أمراض الكلام:

وهي الناشئة عن خلل في آله النطق، وذلك مثل: التتممة وهي التردد في التاء، والفأفة وهي التردد في الفاء، والحبسة وهي تعذر الكلام عند إرادته، واللثغة أن تعدل بحرف إلى حرف، والغنة أن تشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنة أشد منها «١».

### ٢- عيوب الأصوات:

وهي العيوب التي يقع فيها المتكلم لا بسبب خلل في آله النطق، وإنما بسبب عادات نطقية منحرفة للمتكلم يسهل علاجها بالتنبيه عليها، وذلك مثل: الترعيد الذي ذكرناه في محاذير المدود، ومثل اللكز وهو خاص بالهمز وهو «دفع الحرف بالنفس عن شدة إخراج له به» «٢». وقد قال علماء التجويد: «إن الهزمة يجب أن تخرج إخراجا سهلا على تؤدة من غير لكز ولا اعتماد عليها» «٣».

### ٣- عيوب الجوارح والهيئات:

وذلك مثل تحريك الرأس عن يمين و شمال، كالاتفات، أو تحريكه بزعة من سفلى إلى علو أو علو إلى سفلى، كالإيماء بنعم ولا فى المخاطبات. ومنه عبوس الوجه و تقطيعه و نحو ذلك من هيئات الجوارح «٤».

### ٤- انحرافات النطق اللهجية:

وذلك مثل الكشكشة، و التلثة، و الطمطمائية، و العنعة «٥».

و لم يكتف علماء التجويد الذين درسوا موضوع أمراض الكلام الناشئة عن نقص آله النطق بوصف العيوب، بل حاولوا علاجها. و قد عقد ابن البناء بابا فى كتابه (بيان العيوب) عن (وصف العوارض باللسان و الحيلة فى إذهاب بعضها من الإنسان) نقله عن ابن المنادى. و هذا مقطع مما ورد فى ذلك الباب: «فإن كان القارئ أرتأ، و هو الذى يدغم حرفا فى حرف، فإنه يجب أن يصر حين القطع ليتمكن بمدافعة النفس علوا، ثم يأخذ فى قراءته و ليعل من صوته (١) انظر: القرطبي: الموضح ١٨٩ ظ. و ابن البناء: بيان العيوب ١٨٢ ظ.

(٢) ابن البناء: بيان العيوب ١٧٥ و.

(٣) العطار: التمهيد ١٥١ ظ. و انظر: السعيدى ٥٢ و.

(٤) ابن البناء: بيان العيوب ١٧٤ ظ - ١٧٥ و.

(٥) القرطبي: الموضح ١٩٠ و.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٤

قليلا- فى تعاهد حسن و إقدام على درسه. و إن كان تماتا، و هو الذى يكرر التاء فإنه يستعمل مثل ما ذكرناه من الأرت و زيادة بحسب قوة العارض من كل ما يدفعه به، فيشدد صوته، و يمد نفسه، و يصلب فكيه ...» «١».

و ختم ابن المنادى كلامه فى معالجة أمراض الكلام بقوله: «فإن جاهد ذلك بطول السعى و تكرير التثليل فانفع به و إلا فلا بد له من الدنو إلى الصواب فإن لم يغلب شهوته لدفع ذلك عنه فليخفف صوته بالحرف المعلول، و ليجهر بما سواه، فإن تجويده للعليل زيادة

فى علته، و إن كان كذلك فهمسه أصلح من جهره» (٢).

و لا يقلل من قيمة كلام التجويد فى موضوع أمراض الكلام و عيوب النطق أن دراسة هذا الموضوع تقدمت فى عصرنا كثيرا، فإن عناية علماء التجويد بهذا الموضوع دليل على بعد نظرهم و عمق تفكيرهم. و يكفى أنهم درسوا هذا الموضوع منذ عشرة قرون «٣»، بينما لم يعرف العالم هذا النوع من الدراسة إلا منذ وقت قريب.

\*\*\*

(١) بيان العيوب ١٨١ ظ- ١٨٢ و.

(٢) بيان العيوب ١٨٢ ظ.

(٣) كان الجاحظ (عمرو بن بحدت ٢٥٥ هـ) قد ذكر بعض عيوب اللفظ فى كتابه (البيان و التبيين)، انظر: ١٢ / ١ و ٣٤ و ٣٩ و ٧٣ من الطبعة التى حققها عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٨ م. كذلك فعل المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) فى كتابه (الكامل فى اللغة و الأدب) انظر ٢ / ٥٧٨-٥٨٢ من الطبعة التى حققها د. زكى مبارك، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٣٧ م. و ذكر ثابت بن أبى ثابت فى كتابه (خلق الإنسان) بعض تلك العيوب (انظر ص ١٨٢-١٨٦).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٥

## الخاتمة

استوفيت فى الفصول الثلاثة التى يتألف منها هذا البحث الكلام عن علم التجويد من جانبيه التاريخي و الموضوعي، فقد تتبعت فى الفصل الأول تاريخ علم التجويد نشأه و تأليفه و منهجه، و تناولت فى الفصل الثانى جهود علماء التجويد فى دراسة الأصوات من حيث كيفية نطقها و تحديد مخارجها و صفاتها. ثم تناولت فى الفصل الثالث جهودهم فى دراسة الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، و هذه هى الموضوعات الرئيسية لعلم الأصوات النطقى، قد أشبعها علماء التجويد بحثا و تأليفا.

إن أهم نتائج هذا البحث من الناحية اللغوية الكشف عن علم التجويد مصدرا أصيلا من مصادر الدراسة الصوتية العربية، و هذه النتيجة ليست مبنية على أساس كثرة الكتب المؤلفة فى علم التجويد، و لا على أساس المادة الغزيرة التى تتضمنها تلك الكتب فحسب، و إنما على الإنجازات القيمة التى حققها علماء التجويد فى مجال دراسة الأصوات أيضا. و إذا كان من غير الممكن أن نذكر كل تلك الإنجازات على نحو مفصل فى الخاتمة فإن تلخيص أهمها أمر يكفى فى تأكيد النتيجة المذكورة.

فى الفصل الأول وردت جملة حقائق تتعلق بتاريخ علم التجويد و كتبه و منهج علماء التجويد فى دراسة الأصوات اللغوية. و قد تبين فى المبحث الأول أن نشأه علم التجويد ترجع إلى أوائل القرن الرابع الهجرى، حين ظهرت قصيدة أبى مزاحم الخاقانى (ت ٣٢٥ هـ) التى قالها فى حسن أداء القرآن، كما ظهر أول مرة مصطلح (التجويد) حين استخدمه ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، و لم يحل القرن الخامس حتى كانت أكبر كتب علم التجويد قد ظهرت فى مشرق العالم الإسلامى و مغربه. مثل (الرعاية) لمكى، و (التحديد) للدانى، و (الموضح) للقرطبي، و (التحديد) لابن البناء.

و فى المبحث الثانى الذى تتبع فيه الكتب المؤلفة فى علم التجويد تجلت كثرة تلك المؤلفات و تنوع موضوعاتها و طريقة التأليف فيها، نظما و نثرا، عامة و خاصة. و هذا أمر له دلالة كبيرة فى الدراسة الصوتية العربية، إذ أنه يعنى وجود علم موضوعه دراسة الأصوات له

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٦

كتبه المستقلة الخاصة به.

و فى المبحث الثالث تبين الأساس الذى قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، و هو اجتناب اللحن الخفى، و كان ابن

مجاهد قد قسم اللحن قسمين: اللحن الجلي و اللحن الخفي. فالجلي هو تغيير حركات الإعراب، و الخفي هو ترك إعطاء الحرف حقه من مخرجه و صفته، و قد صارت قضايا اللحن الجلي ميدان دراسة علماء النحو، و قضايا اللحن الخفي ميدان دراسة علماء التجويد. و قد اتضح من هذا المبحث أن الدراسة الصوتية عند علماء التجويد ليست وسيلة لدراسة معجمية أو صرفية، كما هو الحال عند علماء اللغة و النحو، بل كانت عنده لأغراض صوتية خالصة.

و في المبحث الرابع بيان لمنهج علماء التجويد في دراسة الأصوات، هو منهج يتميز بأنه شامل لكل جوانب الدرس الصوتي، و يتمثل ذلك الشمول بقول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ): «إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور: أحدهما: معرفة مخارج الحروف. و الثاني: معرفة صفاتها.

و الثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام. و الرابع: رياضة اللسان بذلك و كثرة التكرار».

و كان علماء التجويد قد أفاضوا في بحث هذه الأمور الأربعة، لكن المشتغلين بدراسة الأصوات العربية من المحدثين لم يتمكنوا من إيفاء هذه الأمور حقها من البحث، و لا سيما الأمر الثالث الذي أهمل أكثرهم دراسته.

و قد تميز منهج علماء التجويد أيضا بأنه منهج صوتي خالص لم تختلط بمباحث علم الأصوات فيه بمباحث علوم لغوية أخرى. و اتضح في المبحث الخامس أن علم التجويد علم لغوي محض، و هو يقابل ما يسمى في زماننا بعلم الأصوات اللغوية، و كل ما في الأمر أن ميدان علم التجويد لم يتجاوز نص القرآن الكريم، و كان ارتباط علم التجويد بالقرآن الكريم قد أعطى هذا العلم حياة متجددة نشطة.

و قد اتضح لنا في الفصل الثاني أن علماء التجويد كانوا مدركين لطبيعة الصوت الإنساني، و كيفية إنتاجه، و أسس تصنيفه، و خصائص كل صنف.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٧

فتبين في المبحث الأول أن علماء التجويد كانوا على معرفة تامة بأعضاء آلة النطق و دور كل عضو في إنتاج الأصوات، و قد عرف بعضهم الحنجرة، و إن لم تصل تلك المعرفة إلى حد إدراك دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات، و هو أمر لا يغض من قيمة كلامهم في الموضوع، بل إننا نلاحظ في كلامهم عن أعضاء آلة النطق ميزات جديدة قياسا على ما نجده عند علماء العربية، و تتلخص تلك الميزات في:

١- أنهم وصفوا أعضاء آلة النطق و لم يكتفوا بذكر أسمائها.

٢- استعان بعضهم بعلم التشريح في وصفها.

٣- خصص بعضهم فصلا للحديث عنها.

٤- استعان عدد منهم بالرسم التوضيحي لتوزيع مخارج الحروف على أعضاء آلة النطق.

و في المبحث الثاني تبين أن علماء التجويد عرفوا كيفية إنتاج الأصوات اللغوية بكل تفصيلاتها، فقد عرفوا أن الهواء الخارج من الرئتين هو مادة الصوت الإنساني، و أدرك بعضهم أثر الوترين الصوتيين فيه، و قد سمي بعضهم النغمة التي يصدرها الوتران مع بعض الأصوات (صوت الصدر) اقتداء سيوييه، و سماها ابن البناء (ت ٤٧١هـ) (ترديد الحنجرة)، و سماها طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) و محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) باسم (الصوت القوي) و (الصوت الجهري). و قد سموا الصوت الذي تصاحب إنتاجه تلك النغمة مجهورا، و الصوت الذي لا تصاحب إنتاجه تلك النغمة مهموسا. و كان علماء العربية قد سبقوا إلى استخدام هذين المصطلحين.

و عرف علماء التجويد أن الذي ميز بين الأصوات بعد ذلك هو اختلاف مواضع القطع، أي اختلاف المخارج، ثم اختلاف الكيفيات

(الصفات) المصاحبة لحدوث الصوت في مخرجه من جهر و همس، و شدة و رخاوة و توسط، و إطباق و انفتاح.

و في المبحث الثالث تبين كيف استخدم علماء التجويد مصطلح (الحروف الجامدة) و (الحروف الذائبة) للتعبير عن صنفى الأصوات اللذين اضطرب المشتغلون بدراسة الأصوات العربية من المحدثين استخدام مشى شىء مصطلحين مناسبين للتعبير عنهما، فاستخدم بعضهم (الحرف و الحركة) و بعضهم (الساكن و العلة) و بعضهم (الصامت و المصوت)، و لم يجمعوا على استخدام شىء معين منها، و ذلك لعدم كفايتها في التعبير عن المعنى الذى يريدون التعبير عنه. و قد جاء استخدام علماء التجويد لمصطلح (الجامد و الذائب) في غاية الدقة و الوضوح في التعبير عن المقصود، و أرجو أن يشيع بعد الآن استخدام هذين المصطلحين، فلعل دارسى

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٨

الأصوات العربية المحدثين يجدون فيهما المصطلحين اللذين يؤديان المعنى المقصود بدقة كاملة.

و في المبحث الرابع اتضحت طريقة علماء التجويد في تحديد مخارج الحروف الجامدة، و هم في ذلك يسرون على خطى سيبويه بشكل عام، مع بعض الإضافات التي توضح كلام سيبويه، أو تكمله، أو تعدله على نحو مذهب بعضهم في جعل الحروف العربية الأصلية واحدا و ثلاثين حرفا بدل التسعة و العشرين، و ذلك بإضافة ياء المد و واو المد على التسعة و العشرين، و هذا مذهب يؤيده المدرس الصوتى الحديث. و قد أفرد علماء التجويد حروف المد الثلاثة و خصصوا لها مخرجا مستقلا، و لم يعد أكثرهم الألف من حروف الحلق، و ميزوا بين الياء و الواو الجامدتين، و بينهما حينما تكونان ذائبتين (أى حرفى مد).

و لا يعنى التزام علماء التجويد بطريقة سيبويه في ترتيب المخارج أن ذلك ناتج عن قصور منهم في تحديد المخارج، بل لأن طريقة سيبويه في ترتيب المخارج كانت في غاية الدقة و الضبط و هذه حقيقة اعترف بها المحدثون بكل صراحة، و يؤيد هذا أن علماء التجويد حين رأوا أن تحديد سيبويه لمخارج حروف المد غير منضبط لم يترددوا في الخروج عليه.

و نجد في المبحث الخامس الذى بينت فيه تصنيف الأصوات الجامدة بحسب الصفات طريقة جديدة في دراسة صفات الحروف، و ذلك بتقسيمها إلى صفات مميزة مثل الجهر و همس، و الشدة و الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح و إلى صفات محسنة مثل القلقله، و الغنة، و الصفير، و التكرير، و التفشى، و الاستطالة، و الانحراف، و هذه الطريقة تدل على إدراك عميق لطبيعة تلك الصفات و أثرها في تنوع الصوت الإنسانى. و ختمت هذا المبحث بتوضيح عناية علماء التجويد بوصف الأصوات و تحديد صفات كل صوت و الطريقة المثلى لذلك.

و قد تحدثت في هذا المبحث عن بعض المشكلات الصوتية التى أثارها وصف علماء العربية و علماء التجويد لكل من الهمزة و القاف و الطاء بأنها أصوات مجهورة، و هى الآن ليست كذلك. فبينت موقف علماء التجويد من هذه القضية. و قد اتضح لى أن بعض علماء التجويد كان مدركا للتحويل الذى أصاب صوت الطاء حتى صار صوتا مهموسا.

و كانت مشاركة علماء التجويد في دراسة مشكلة الضاد العربية مشاركة كبيرة، و قد اتبعوا في معالجة هذه المشكلة منهجا صوتيا، بخلاف اللغويين و النحاة الذين كانت عنايتهم متجهة نحو إحصاء الألفاظ التى يرد فيها الضاد و الطاء. و ألف علماء التجويد في هذا الموضوع عدة كتب تتسم بالنظرة الدقيقة لجوانب هذه المشكلة، على نحو ما لاحظنا في كتاب (بغية المرتاد

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٨٩

لتصحيح الضاد) لعلى بن محمد المعروف بابن غانم المقدسى (ت ١٠٠٤ هـ) و كتاب (كيفية أداء الضاد) لمحمد المرعشى (ت ١١٥٠ هـ).

و في المبحث السادس يتضح مقدار عناية علماء التجويد بدراسة الأصوات الذائبة (حروف المد و الحركات) سواء أ كان ذلك من حيث تخصيص فصول مستقلة في كتب علم التجويد لبحثها، أم من حيث طريقة دراستها. و قد تمكن علماء التجويد من إدراك ما تتصف به الأصوات الذائبة من اتساع مخارجها و حرية مرور الهواء فى أثناء النطق بها. و هى تكوّن عندهم مجموعة واحدة من

الأصوات تتألف من حروف المد الثلاثة: الألف، والواو والياء إذا كانت حركة ما قبلهما من جنسهما، إضافة إلى الحركات الثلاث: الفتحة والضممة والكسرة.

ومذهب جمهور علماء التجويد أن الفتحة من الألف، والكسرة من الياء والضممة من الواو.

وقد أدرك عدد منهم العلاقة بين الحركة والحرف الذى هي منه، فقال بعضهم الحركة ثلث الحرف، ومذهب الأكثرين أن الحركة نصف الحرف، وأن الألف مركب من فتحتين، والياء مركب من كسرتين، والواو مركب من ضمتين. وقد حددوا مخارج حروف المد وربطوا بين مخارجها ومخارج الحركات، وميزوا بين قيمتين صوتيتين للواو والياء، وذلك حين تكونان حرفي لين مرة (أى جامدتين)، وحين تكونان حرفي مد مرة أخرى (أى ذائبتين).

ولم يستطع دارسو الأصوات العربية المحدثون أن يقدموا فى دراستهم للأصوات الذائبة (حروف المد والحركات) شيئاً متميزاً على ما قدمه علماء التجويد. وقد تبين لى أن سبب ما يذكره بعض المحدثين من أن علماء العربية أهملوا دراسة موضوع الأصوات الذائبة أو أنهم قصروا فيه هو عدم تعمقهم فى دراسة كتب علماء العربية وعدم اطلاعهم على كتب علم التجويد.

وكانت دراسة الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، وما يلحق الأصوات من تغيير بسبب المجاورة من الأمور التى تميز ببحثها علماء التجويد، فكانت معالجتهم لهذا الموضوع أعمق وأوسع من معالجة علماء العربية، ولم يبحث هذا الموضوع إلا عدد قليل من الدارسين المحدثين، على نحو ما بينا فى الفصل الثالث.

كان علماء التجويد على معرفة تامة بميل الأصوات نحو التماثل عند ما تتجاوز فى الكلام المتصل على ما تبين فى المبحث الأول، لأن المجاورة لها تأثير، كما يقول عبد الدائم الأزهرى (ت ٨٧٠هـ) وأدرك علماء التجويد أن ما يحصل للأصوات عند المجاورة من تغيير هو من باب الاقتصاد بالمجهود والميل نحو الأسهل والأخف فى النطق.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٠

ولم يكتف علماء التجويد بذلك بل نجدهم يتعمقون فى دراسة ظواهر التأثير الخاصة بالأصوات الجامدة فقسّموا التأثير إلى ما يسمى بالمقبل والمدبر والمتبادل، والإدغام إلى صغير وكبير، وناقص و تام، وإلى إدغام تماثلين ومتجانسين ومتقاربين، وإلى قوى وضعيف، وقد تميز بعض علماء التجويد بالكلام عن الشوائب الصوتية التى تلحق بعض الحروف بسبب المجاورة، مثل الجهر والهمس، والإطباق والانفتاح والأنفية. ولم تغادر هذه التقسيمات شيئاً من الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب إلا شملته.

ويتميز كلام علماء التجويد عن الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة بالشمول والعمق، فلم يدعوا قضية إلا درسوها وتعمقوا فى فهمها وتفسيرها، وهو أمر قصرت فيه دراسات المحدثين كثيراً، وكتب علم التجويد يمكن أن تسد ذلك النقص الكبير فى الدرس الصوتى العربى الحديث، كما وضعنا ذلك فى المبحث الثانى.

ولم تقف عناية علماء التجويد بالظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الجامدة بل تجاوزت ذلك إلى دراسة ما يتعلق بالأصوات الذائبة. فقد تحدثوا عن الظواهر النوعية والظواهر الكمية حديثاً مفصلاً، تجاوز الظواهر العامة الواضحة إلى معالجة قضايا تميز بالدقة والعمق مثل تحديدهم العيوب الصوتية التى يمكن أن تلحق أصوات المد، على نحو ما ورد فى المبحث الثالث.

وإذا ضمنا ما قاله علماء التجويد عن الظواهر الصوتية التأثيرية الخاصة بالأصوات الذائبة إلى ما قالوه عن كيفية إنتاج هذه الأصوات وأنواعها ومخارجها وصفاتها والعلاقة بينها تكونت لدينا دراسة متكاملة عن الأصوات الذائبة، لا يزال الدرس الصوتى العربى الحديث يفتقر إليها، على الرغم من أن كثيراً من الدارسين المحدثين يأخذون على علماء العربية عدم عنايتهم بهذا النوع من الأصوات.

أما الملحقات فالأول منها يؤكد على أن القرن الرابع الهجرى شهد دراسات صوتية كثيرة قام بها كبار علماء القراءة، ولا يتضح الآن هل قاموا بتلك الدراسات فى إطار كتب القراءة أو فى كتب خاصة بعلم التجويد، وذلك لاندثار أكثر كتب تلك الحقبة.

وفى الملحق الثانى كان حديث علماء التجويد عن أساليب القراءة شديد الصلة بعلم التجويد، لأن بعض الأحكام التجويدية تتغير تبعاً

لطريقة الأداء أو أسلوب القراءة من حدر و ترتيل و تحقيق. و يتصل بهذا الموضوع قضية القراءة بالألحان المخترعة المعروفة لدى أصحاب الموسيقى، و قد أنكر علماء التجويد هذا النوع من القراءة، و فرقوا بين القراءة بتلك

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩١

الألحان و بين الأمر بتحسين الصوت بالقراءة و التغنى بالقرآن على نحو لا يخرج عن طريقة العرب المعهودة في النطق التي تكفل علم التجويد ببيانها. و من الموضوعات الدقيقة التي ألمح إليها علماء التجويد و تتعلق بالأداء موضوع التنغيم، الذي لا تزال مباحثه في اللغة العربية محدودة، و قد وردت إشارات قيمة عنه لدى بعض علماء التجويد.

و في الملحق الثالث تبين لنا مشاركة علماء التجويد الواسعة في دراسة موضوع عيوب النطق أو أمراض الكلام. و قد بلغ اهتمام بعض علماء التجويد بهذا الموضوع أن أفرده بتأليف مستقل، كما فعل ابن البناء (ت ٤٧١ هـ) في كتابه (بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء).

و هو عمل كان مجهولاً- لدى المحدثين حتى زعم بعضهم أن المكتبة العربية لم تعرف التأليف في هذا الموضوع إلا في العصر الحديث.

و قد ظهرت لي من خلال هذا البحث جملة حقائق تتصل بطبيعة الدرس الصوتي في كتب علم التجويد، و بموقف المحدثين من تلك الكتب، و بمستقبل الدراسات الصوتية العربية، منها:

١- إن علم الأصوات العربي القديم يتمثل بكتب علم التجويد أكثر مما يتمثل بالنصوص الموثقة في كتب النحو و الصرف و المعاجم، و ذلك لأن كتب علم التجويد كتب مخصصة لدراسة الأصوات، دون غيرها، و ربط علم الأصوات العربي بكتب التجويد، مع عدم إهمال دراسات علماء العربية، سوف يكون أمراً مفيداً.

٢- إن الإهمال التام و التجاهل الكامل لكتب علم التجويد من قبل المشتغلين بدراسة الأصوات العربية يناقض مقتضى المنهج العلمي الصحيح، ففي الوقت الذي يكثرون فيه من ترديد أقوال الخليل و سيويه و ابن جنى لا نجد أحداً منهم يعنى بالمادة الصوتية التي تضمنتها كتب علم التجويد. و إذا كان لهم عذر في أن أهم كتب علم التجويد لا يزال مخطوطاً فإني أرجو أن يكون هذا البحث كافياً لإقناعهم بضرورة الالتفات إلى تلك الكتب و الاحتفال بها دراسة و تحقيقاً.

٣- إن محافظة اللغة العربية على نظامها الصوتي منذ نزول القرآن الكريم حتى عصرنا أمر يعد من الحالات الفريدة التي يحق للأمة أن تعتر بها، و تعود هذه الظاهرة في جملتها إلى ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، و قد أسهمت جهود علماء التجويد في استمرار النطق الفصيح في ألسنة الناطقين بالعربية، و كانت كتب علم التجويد تقدم الإطار النظري الذي ظل يحرس تلك الجهود و يوجهها.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٢

و لا أشك في أن إهمال تدريس مبادئ علم التجويد و ترك العناية بالجانب العملي منها يعد من أسباب ضعف الملكة اللغوية لدى عامة المثقفين في بلادنا، و يتجلى ذلك الضعف في تشوّه صورة النطق الفصيح على ألسنتهم، و مما يزيد الأمر سوءاً عدم ضبط القواعد النحوية.

و ما قامت به وزارة التربية في السنوات الأخيرة من تدريس القرآن الكريم في مرحلتى الدراسة الابتدائية و الثانوية و فتح دورات لتزويد المعلمين و المدرسين بمبادئ النطق الفصيح- يعد خطوة مهمة تبشر بخير كبير. و أعتقد أن العناية بعلم التجويد في مراحل الدراسة المتقدمة خاصة في معاهد إعداد المعلمين و دور المعلمين و أقسام اللغة العربية و كلية الشريعة أمر ضروري لترسيخ النطق العربي الفصيح في ألسنة الذين سوف يتصدون لمهمة تعليم اللغة العربية و تعليم قراءة القرآن في المدارس.

٤- إن هذا البحث هو في الواقع بداية لأبحاث أخرى يمكن أن تعنى بالدراسات الصوتية عند علماء التجويد، إذ أن علماء كباراً مثل مكى بن أبى طالب، و أبى عمرو الدانى، و عبد الوهاب القرطبي، و محمد المرعشى، جديرون بأبحاث مستقلة تهتم بكتبهم و تعنى



بإبراز جهودهم في دراسة الأصوات العربية.

٥- إن النهوض بالدراسات الصوتية العربية يقتضى عملاً مزدوجاً يهتم في أحد جوانبه بالدراسات الصوتية العربية القديمة، لا سيما كتب علم التجويد التي ظل معظمها مجهولاً لدى الدارسين المحدثين. و يهتم في جانبه الآخر بترجمة نتائج الأبحاث الصوتية الحديثة المكتوبة باللغات الأجنبية، مع الاهتمام باستخدام أجهزة الاختبار الصوتي، و لعل إنشاء مركز للدراسات الصوتية العربية كفيل بالقيام بأعباء ذلك العمل، إن شاء الله.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين\*\*\*

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٣

## فهرس الأعلام

١) إبراهيم أنيس (دكتور): ١٣، ٨٥، ٩٢، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٩، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٤، ٤٤٦، ٤٥٥، ٤٧٧.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري: ٣٥.

إبراهيم بن عمر أبو الحسن البقاعي: ٣٩.

إبراهيم محمد نجا (دكتور): ٤٣.

أحمد بن أحمد بن إبراهيم الطيبي: ٣٩.

أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين المعروف بابن المنادي: ٧٦، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٦، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤.

أحمد حسن فرحات (دكتور): ٢٧.

أحمد بن حنبل: ٤٧٦.

أحمد (الدقني، كذا): ٤٦٢.

أحمد بن أبي سريح: ٣٩٠.

أحمد بن صالح: ٣٩٢، ٤٦٢.

أحمد بن جعفر الحوفي: ٤٦٢.

أحمد الجلاء (أحمد بن إبراهيم): ٤٦٢.

أحمد بن عبد اللطيف البركوي: ٣٩.

أحمد بن عبد الله بن الزبير أبو العباس الخابوري الحلبي: ٣٠.

أحمد بن علي المقيني: ٣٢.

أحمد بن عمّار المهدي: ٢٥، ٧٦، ١٥٩، ١٧٢، ١٨٦، ٣٦٨.

أحمد بن أبي عمر (أبو عبد الله الأندرابي الخراساني): ١٥، ١٧، ٢٥، ٤٨، ٥٢، ٥٨، ٦٦، ٦٩، ١١٨، ١٢٩، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٧، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٢، ٤٥٢، ٤٥٨.

٤٥٩، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٧.

أحمد بن عمر أبو السعود الأسقاطي: ٣٦.



أحمد فائز الرومي: ٤٠، ٩٣، ١٢٦، ١٥٧، ٢٠٣، ٢٦٠، ٢٦٦، ٣٩٧، ٤٢٣، ٤٧٠.

أحمد بن فارس: ٢١٤، ٢١٥.

أحمد فروخي: ٤٣.

أحمد بن الفضل: ٤٦٢.

أحمد بن نصر بن منصور الشذائي: ١٧، ٤٨، ٥٩، ٣٤٨، ٣٦٣، ٣٨٥، ٣٩١، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥.

أحمد مختار عمر (دكتور): ١٣، ١٥، ٨٥، ٩٠، ٩١، ١٠١، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٦.

٢١٣، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٦٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٦٤، ٣٧٩، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨١.

أحمد بن يحيى السوسى: ٣٧.

أحمد بن يحيى ثعلب: ٤٦٩.

أحمد بن يعقوب التائب: ٣٩١.

أحمد اليقطين (أحمد بن محمد بن عبد الله):

٤٦١.

ابن أبى الأحوص الحسين بن عبد (١) جعلت هذا الفهرس شاملا- للأعلام الواردة فى الهوامش أيضا، وقد انتويت فى أول الأمر تمييزها بعلامة، و لكنى وجدت أن ذلك يطيل الفهرس لكثرتة، وقد رتبت الأعلام من غير التفات إلى: ال، وابن، و أبو، و نحوها.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٤

العزیز.

الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة):

١١٢، ١١٣، ١١٥، ٢٥٤.

إدريس الكلاك: ٤٣.

الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد):

٢٠، ٤٥، ١٠٨، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢١، ٤٣٨، ٤٣٩.

الأسترآبازى محمد بن الحسن.

أبو الأسود الدولى: ٣٠٢.

ابن أشته (محمد بن عبد الله): ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥.

الأشنادانى (سعيد بن هارون): ٢٥٤.

الأصمعى (عبد الملك بن قريش): ٩٧.

الأهوازى الحسن بن على.

أوتو برتزل (مستشرق): ٢٥، ٧٦.

ابن الباذش (أحمد بن على بن أحمد): ٢٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٥٧، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦.

٣٧٨، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٤.

برافمان (مستشرق): ٢٩٨.

برتزل أوتو برتزل.

برجستراسر (مستشرق): ١٠٨، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٩٨.

ابن بضحان محمد بن بضحان.

البغدادي (إسماعيل باشا بن محمد أمين):

٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧٥.

البقرى محمد بن القاسم.

بكار بن بنان (بكار بن أحمد بن بكار بن بنان): ٤٦٢.

أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري: ١٣، ٣٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ١٠١، ١٠٧، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٠، ٢٠٣، ٢٦٦، ٢٨٢، ٢٩٩، ٣٣٦، ٤٣٣، ٤٣٥.

أبو بكر بن محمد البروسي: ٣٨.

أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري:

١٥.

ابن بلبان محمد بن بدر الدين.

ابن البناء (أبو علي الحسن بن عبد الله البغدادي): ٢٨، ٦٤، ٦٦، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧.

تمام حسان (دكتور): ٨٥، ١١٣، ١٤٨، ١٦٩، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٤٠، ٢٨٧، ٢٧٧، ٢٧٧.

التونى الحسن بن شجاع بن محمد.

ثابت بن أبى ثابت: ٨٩، ٩١، ٩٣، ٤٨٤.

الجاحظ (عمرو بن بحر): ٤٨٤.

الجاربردى (أحمد بن الحسن بن يوسف):

٩٣، ١٢٣، ١٣٠، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٩٧، ٤٣٤.

جان كاتينو (مستشرق): ١٤، ٩٧، ١١١، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٢٨، ٣٦٤.

جبله بن سحيم: ٣١٨.

الجرمى (صالح بن إسحاق): ١٥٣، ١٥٤.

ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد): ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٢، ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٩، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٣.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٥

٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩،

جعفر بن محمد المستغفرى: ٢٩.

ابن الجلندا الموصلى (محمد بن على):

.٤٦٢

ابن الجندى (أبو بكر عبد الله بن آى دغدى بن عبد الله): ٣٣، ٤٢٣، ٤٢٤.

ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى): ٧، ١٠، ٢٠، ٤٦، ٧٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١٢٣، ١٤٧، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠،

١٩٢، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤١٦،

.٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٨١، ٤٩١.

أبو حاتم (سهل بن محمد السجستاني): ٥٢.

حاتم الضامن (دكتور): ٢٢٨.

ابن الحاجب (أبو عمرو عثمان بن عمر):

٧٥، ١٠٦، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٨، ٢١٥، ٢١٦، ٣٢٩، ٢٤٦، ٣٣٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٣، ٤٣٤.

حاجى خليفه (مصطفى بن عبد الله): ٢٤، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٦٦.

حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام: ١١٦، ١٢٥.

حسام سعيد محمود النعيمى (دكتور): ١٦٦، ١٧٢، ١٨٧، ١٩٣، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٨٠، ٣٤٠، ٤٦١.

الحسن بن أحمد، أبو العلاء الهمداني العطار: ٢٩، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٧٨، ١٢٥، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٣،

٣١٨، ٣٤٨، ٣٦١، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤١٤، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨.

حسن بن إسماعيل بن عبد الله الدركرلى الموصلى: ٤١، ٤٢، ٥٤، ٦٥، ٧٤، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٥٢، ٣٠٤، ٣١١، ٣٢١،

٣٨١، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤١٦، ٤٣٦، ٤٨٠.

الحسن بن شاکر (انظر: الحسين بن شاکر):

.٤١٣

الحسن بن شجاع بن محمد بن الحسن التونى: ٣٩، ٢٠٢، ٢٦٣، ٢٧٦، ٤٠٠، ٤٥٨.

حسن ظاذا (دكتور): ١٦٦.

الحسن بن على بن إبراهيم، أبو على الأهوازی: ٢٦، ٣٩١، ٤١٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥.

الحسن بن قاسم بن عبد الله، المعروف بابن أم قاسم المرادى: ١٣، ٣٣، ٣٤، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٨١، ١٠٢، ١٢٤،

١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٩، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٤،

٤٠٥، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٦.

حسنى شيخ عثمان: ٤٣.

الحسين بن شاکر السمسار: ١٧، ٤٨.

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص الأندلسى، المعروف بابن الناظر

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٦

الغرناطى: ٤، ٣١، ٤٨، ٧٦، ٧٧، ٣٧٣.

الحسين بن على: ٣٦٣، ٣٩١، ٤٦٤، ٤٦٥.

الحسين بن محمد بن حبش الدينورى: ٤٦٥.

الحسيني (أبو الفضائل عباد بن أحمد بن إسماعيل): ١٨١، ٢٦٣.

حفص (ابن سليمان الكوفي): ٤٥٢.

حمزة الأصفهاني: ٣٠٦.

حمزة (ابن حبيب الزيات): ٣٤٤، ٣٦٩، ٤٣٢، ٤٥٢، ٤٥٦.

الحميدي (محمد بن فتوح): ٢٨.

أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): ٤٦، ٤٧، ٧٥، ١٢٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٦، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٦٩، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٦.

خالد الأزهرى: ١٣، ٣٥، ٥٥، ٩٣، ٤٤٩.

ابن خالويه (الحسين بن أحمد): ٣٦٧.

ابن خروف علي بن محمد بن علي.

خليل إبراهيم العطية (دكتور): ٤٨٢.

الخليل بن أحمد: ١٠، ٢٠، ٤٥، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١٣٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٣، ١٨٠، ١٩٠، ١٩١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٢،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٩٤، ٤٩١.

خليل بن عثمان بن عبد الرحمن القرافي، المعروف بابن المشيب: ٣٤.

ابن خير الإشبيلي (محمد بن خير بن عمر):

٢٦، ٤٦٤، ٤٦٥.

الداني عثمان بن سعيد: ٢٧٥، ٢٨٥.

ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان): ١٥.

داود عبده (دكتور): ٣٩٨.

داود العطار: ٤٣.

داود بن عمر الأنطاكي الحكيم: ٩٥.

ابن درستويه (عبد الله بن جعفر): ٣٠٦.

الدركزلي حسن بن إسماعيل. ابن دريد (محمد بن الحسن): ٢٠، ١٥٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٦٤.

الدلجي (شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد): ٣٦.

ابن الدهان (أبو شجاع محمد بن علي): ٨٥، ١٣٧، ١٤١.

الدوري (حفص بن عمر): ٤٥٢.

الذهبي (محمد بن أحمد): ١٨، ٤٦٤، ٤٦٥.

الربيعي (علي بن عيسى): ١١٨.

الرجبي محمد بن علي بن محمد.

رضي الدين الأسترآبادي محمد بن الحسن.

الرماني (علي بن عيسى): ١١٨.

رمضان عبد التواب (دكتور): ٣٢٥.

روح بن عبد المؤمن البصري: ٤١٣.

الزبيدي (محمد بن الحسن): ٢٠.

الزجاج (إبراهيم بن السري): ١١٢، ٤٤٥.

الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق): ٢٠، ٣٣٨.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):

١٦.

زكريا الأنصاري (زكريا بن محمد بن أحمد): ١٣، ٣٤، ٣٦، ٣٦١، ٣٨١، ٣٨٤، ٤٤٨، ٤٥٠.

زكي مبارك (دكتور): ٤٨٤.

الزمخشري (محمود بن عمر): ٧٥، ١٢٣، ٢٥٦.

ابن أبي زهران (علي بن يعقوب عماد الدين الموصلي): ٣٠، ٢٧٧.

زيد بن علي الكوفي: ٤٦٢.

أبو زيد اللغوي (سعيد بن أوس): ٩١.

زين العابدين بن محيي الدين الأنصاري:

٣٦.

ابن السراج (محمد بن السري): ٢٥٥.

السعيدى (علي بن جعفر الرازي): ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٧٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٦٢، ٣٧٦، ٣٧٧.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٧

٣٨١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٥، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٨٣.

سفيان بن عيينة: ٤٧٦.

السكاكي (يوسف بن أبي بكر): ٩٦.

السلامي (محمد بن إبراهيم بن محمد): ٤٢.

سليمان الجمزوري: ٤٣.

السمرقندي (محمد بن محمود بن محمد بن أحمد): ١٦، ٣٣، ٤٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٢٧٦، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧١،

٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠.

السمنودي منصور بن عيسى.

سهل بن محمد بن أحمد الأصبهاني الحاجي:

٢٨.

السوسي (أبو شعيب صالح بن زياد): ٤١٣، ٤٥١.

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): ١٠، ٢٠، ٤٦، ٧٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ١٢٣، ١٢٤،

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٤، ١٦٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨،

٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٧،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤،

٤١٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١.

السيد الشريف علي بن محمد.

- السيرافي (الحسن بن عبد الله): ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٤٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٦، ٣٨١، ٤٣٣.
- ابن سينا (أبو علي الحسين بن سينا): ٨٧، ٨٨، ٩٥، ١٣٧، ١٤١، ٣١٥.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): ١٥، ٢٤، ٤٧، ٧٦، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٤٥، ٤١٦، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٨.
- شاده (مستشرق): ١٠٧، ١١٣، ١٣٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٤٦.
- الشاطبي (القاسم بن فيرة): ٤٢، ٢٦٥، ٢٨٢.
- أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل): ٤٨، ٤٨، ٩١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٦٠.
- الشذائي أحمد بن نصر.
- شريح بن محمد بن شريح أبو الحسن الرعيني: ٤، ٢٨، ٤٦، ٧٦، ٧٧، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ٢٤٢، ٢٧٠، ٣٥٧.
- شعلة الموصلي (محمد بن أحمد): ٤٨، ١٥٧.
- شوقي ضيف (دكتور): ٢١.
- ابن أبي شيبه (عبد الله بن محمد): ١٥.
- صالح (لعله: صالح بن إدريس): ٤٦٢.
- صالح القرمادي: ٨٥، ١١١.
- صبيح حمود الشاتي: ١٤٢.
- الصفاقسي علي بن محمد بن سليم.
- الصواف (الحسن بن الحسين): ٤٦٢.
- طاش كبرى زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى): ٣٦، ٧٠، ٨٥، ٩٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٢٦، ٤٩٨.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٨.
- ١٣٠، ١٦٤، ١٩٥، ٢١٠، ٣٥٧، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٨٧.
- أبو طاهر بن أبي هاشم (عبد الواحد بن عمر): ٤٣٣، ٤٦٤.
- الطبلاوي محمد بن سالم.
- ابن الطحان (أبو حميد عبد العزيز علي الإشبيلي): ٤، ٢٨، ٩١، ١٧٤، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٧، ٢٥٥، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٧٧، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٨.
- ابن عابد الرزاق (إبراهيم بن عبد الرزاق): ٤٦١.
- عاصم (ابن أبي النجود): ٤٥١، ٤٥٢، ٤٠٧، ٤٣٢.
- ابن عامر (عبد الله بن عامر اليحصبي): ٤٣٢.
- عامر السيد عثمان (الشيخ): ٣٩٤.
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله): ٢٧.

عبد الدائم بن علي الأزهرى الحديدي: ٣٥، ٥٥، ٦٠، ٩٩، ١٦٤، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٣، ٢٦٦، ٣٠١، ٣٢٩، ٣٣٧، ٤٣٥، ٤٨٩.

عبد الرحمن أيوب (دكتور): ١٣، ٨٥، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٩٥، ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٨، ٣٠٧، ٤٨١.

عبد الرحمن أبو النصر النحراوى: ٣٦.

عبد السلام هارون: ١٧٤، ١٧٦، ٤٨٤.

عبد الصبور شاهين (دكتور): ١١٣، ١٤١، ١٤٢، ٢١٤، ٢٤١، ٢٨٠، ٣٩٤، ٣٩٨.

عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني:

٣٠.

عبد العزيز بن علي الإشيلى أبو الأصبغ:

١٤٤.

عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسي: ٤١، ٦٧، ٧٢، ٧٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٨١، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٣٦، ٤٤٠.

عبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور): ٣١٧، ٣١٨.

عبد القادر الجيلاني: ٤١.

عبد الكريم بن عبد البارى بن عبد الرحمن الصعدي: ٣١.

عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي:

٣٠٢.

عبد الله توفيق الصباغ: ٤٣.

عبد الله الجبوري: ٣٧.

عبد الله بن صالح العجلي: ٤٥٦.

عبد الله بن عمر: ٣١٨.

عبد الله بن مسعود: ١٥.

عبد المجيد الخطيب: ٤٣.

عبد المنعم بن غلبون: ٣١٧.

عبد الهادي الفضلي (دكتور): ٢٠، ٣٣.

عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي: ٤، ٢٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٩٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٠.

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٤٩٩

٤١١، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٩٢.



أبو عبيد (القاسم بن سلام): ١٥، ٥٢.

عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني: ٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٧٢، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٥، ٤٩٢.

عدنان محمد سلمان (دكتور): ١١.

ابن عصفور (علي بن مؤمن): ١١٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٨٢، ١٨٧، ٢٣٩، ٣٣٨.

عضد الدين الإيجي (عبد الرحمن بن محمد): ١٢٧.

العطار الحسن بن أحمد. علاء الدين الطرابلسي: ٣٧.

أبو العلاء الهمداني العطار الحسن بن أحمد.

علم الدين السخاوي (علي بن محمد بن عبد الصمد): ٣٠، ٣٣، ٥٥، ٨٨، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢١، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٩١، ٤١٢، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩.

علي أحمد صبره: ٤٣.

أبو علي الأهوازي الحسن بن علي.

علي بن بري اللغوي: ٣١.

علي بن بشر: ٣٩١.

علي بن سليمان المنصوري: ٣٨.

علي بن أبي طالب: ١٦.

علي بن علي أبو الضياء الشبراملسي: ٣٦.

علي القاري (ابن سلطان محمد): ١٣، ٣٧، ٦٠، ٦٨، ٩٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٩، ١٢٧، ١٤٤، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٢، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٣٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦.

علي القزاز: ٤٦٢.

علي بن محمد الجرجاني، السيد الشريف:

١٢٧، ٢٧١.

علي بن محمد بن خليل المعروف بابن غانم المقدسي: ٣٠، ٣٨، ٤٦، ٩١، ٢٠٩، ٢١١، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٨٩.

علي بن محمد بن سليم النوري الصفاقسي:

١٣، ٤١، ٤٢٤، ٤٢٥.

علي بن محمد بن علي بن بزي.

علي بن محمد بن علي الإشبيلي المعروف بابن خروف: ١٥٩، ١٧٠، ٢٣٩، ٣٢٠.

- عمر بن إبراهيم المسعدى: ٣٧.
- عمر بن الخطاب: ٢٢٨.
- عمر رضا كحالة: ٣٤، ٣٧، ٨٥، ٩٥.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٠.
- ١١٨، ٤٦٢.
- عمر بن علي بن عمر السراج القزويني:
- ٣٣.
- أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد.
- أبو عمرو بن العلاء: ١٣٨، ٣٣٩، ٣٥٣، ٣٧٦، ٤١٣، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٧١.
- عياض (ابن موسى القاضي): ٢٨.
- ابن غانم المقدسى علي بن محمد بن خليل.
- فارس بن أحمد: ٣٦٥، ٤٣٣، ٤٦٤.
- الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد): ٢٣٩، ٤١٧.
- الفاسي محمد بن الحسن: ٢٨٢، ٢٨٣.
- أبو الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي:
- ٣٧، ٦٧، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٢٢، ١٢٩، ١٦٤، ١٧٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٥٧، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٤.
- الفخر الرازي (محمد بن عمر): ١٣٧، ٢٠٢، ٢٥٢.
- الفخر الموصلي (أبو المعالي محمد بن أبي الفرج بن بركة): ٢٩، ٦٩، ١٨٣، ٢٠٦، ٢٧٠.
- الفراء (يحيى بن زياد): ١٤٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٧٦، ٣٧٧.
- فرج توفيق الوليد: ٤٣، ٢٦٤.
- أبو الفرج الشنبوذى (محمد بن أحمد):
- ٤٣٣.
- أبو الفضل الخزاعى (محمد بن جعفر):
- ٥٩، ٤١٢.
- أبو الفضل الرازي (عبد الرحمن بن أحمد بن بندار العجلي): ٢٧، ٥٨، ١٣٩، ١٤٠، ٣٣٠، ٤٦٧، ٤٧٠.
- فندريس: ٣٩٨.
- فؤاد سزكين: ٢٦. ابن الفوطى (عبد الرزاق بن أحمد): ٢٩.
- ابن أم قاسم: الحسن بن قاسم.
- أبو القاسم (خلف بن إبراهيم): ٤٤١.
- قاسم دو براجا: ٣٩.
- ابن القاصح (علي بن عثمان بن محمد):
- ٣٤، ٣١٧.
- قالون (عيسى بن مينا): ٤٥١، ٤٥٢.

- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): ٤٤٥.
- القرطبي عبد الوهاب بن محمد.
- القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر):
- ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٥٥، ٧٨، ٨٧، ١٠١، ١٠٧، ١٤٤، ١٥٥، ١٦٤، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠١، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٧٤، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٧، ٤٣٩.
- قطرب (محمد بن المستنير): ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.
- القيرواني مكي.
- ابن كثير (القارئ): ٤٣٢، ٤٥١.
- كحالة عمر رضا كحالة.
- الكسائي (علي بن حمزة): ٢٤٩، ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٩٠، ٤٣٢، ٤٥٢.
- كمال الدين الطائي: ٤٣.
- كمال محمد بشر (دكتور): ١٣، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ١١٠، ١١١، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٨، ١٤١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٥، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨١.
- الكندي (يعقوب بن إسحاق): ٤٨٢.
- ابن الكيال (محمد بن أحمد بن محمد):
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠١.
- ٤٦٧.
- ابن كيسان (محمد بن أحمد): ١١٧، ١١٨، ١٥٣، ٣٦٩.
- المارديني محمد بن قيصر:
- ماریوبای: ١٠٨، ٢٤٢، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٠٧، ٤٧٧.
- المازني (أبو عثمان بكر بن محمد): ١٩٩، ٣٧٨.
- ابن مالك (محمد بن عبد الله بن مالك): ٧٥، ١٤٦، ١٥١، ٢٢٨.
- المميرك: ١٠٢.
- المبارك بن الحسن الشهرزوري: ٢٥.
- ابن المبارك (عبد الله): ٤٧٦.
- المبرد (محمد بن يزيد): ٢٠، ٤٦، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٤، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢١، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٧، ٤٣٨.
- ٤٨٤.
- ميرمان (أبو بكر محمد بن علي): ٢٣٩.
- ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس):
- ١٧، ١٨، ٢١، ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٩، ٧٦، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٨، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٧٣، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٤١٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٨٥، ٤٨٦.
- محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي: ٣٦.



محمد الصادق قمحاوي: ٤٣.

محمد بن الصلت: ٤٦١.

محمد ضياء أبو البقاء: ٣٧.

محمد بن عبد الله بن محمد الرحبي (انظر:

محمد بن علي بن محمد الرحبي): ٤٢.

محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي:

٣٠.

محمد بن علي بن خلف الحسيني الحداد:

٤٣.

محمد بن علي بن طولون: ٥٧.

محمد بن علي بن محمد الرحبي: ٤٢.

محمد بن علي المرشدي: ٤٠.

محمد بن عمر (المعروف بقورد أفندي):

٣٧.

محمد بن عمر بن عبد القادر الكفيري الدمشقي: ٤١.

محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي الملقب ب (بحرق): ٣٦، ٣٠٠.

محمد عواد حمودي العاني: ٤٣.

محمد بن أبي الفتح البعلبي: ٣٧.

محمد بن القاسم بن إسماعيل البقري: ٣٤، ٤٠، ١٨٩، ٢٦٣، ٢٦٩، ٣٦١، ٤٣٥.

محمد بن قيصر بن عبد الله المارديني: ٣١، ٣٠٠.

محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الخراز: ٣١.

محمد بن محمد بن رجب البهنسي الدمشقي:

٣٤.

محمد محمود المشهور بأبي ريمه: ٤٣. محمد المعدل: ٤٦١.

محمد مكى نصر: ٤٣.

محمد النقاش: ٤٦١.

محمد يعقوب تركستاني (دكتور): ٢٨.

محمد بن يونس النحوي المقرئ: ٣٩١.

محمود السعران (دكتور): ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١١٠، ١١١، ١٢١، ١٢٥، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،

٢١٢، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠٦.

محيي الدين عبد القادر الخطيب: ٤٣.

المرادى الحسن بن قاسم.

المرعشي محمد بن أبي بكر.



- نصير (ابن يوسف النحوى): ٣٥٦.
- هاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبي: ٢٩.
- الهدلى (أبو القاسم يوسف بن علي).
- هنرى فليش (مستشرق): ١١٤، ١٤١، ١٤٢، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٥.
- الوادى آشى (محمد بن جابر): ٣٢.
- ابن وثيق (إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الإشبيلي): ٣٠، ٩٦، ٢٢٩، ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٨، ٤٠٠.
- ورش (عثمان بن سعيد): ٣١٩، ٣٣٠، ٣٦٣، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤٥١، ٤٥٦.
- الوفائى أبو الفتوح: ٢٨٥، ٢٨٧.
- ياقوت (ابن عبد الله الحموى):
- اليزيدى (يحيى بن المبارك): ٤١٣، ٤٣٢.
- يعقوب الحضرمى: ٤١٣، ٤٧٩.
- ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش): ٤٦، ١٠٧، ١١٣، ١٢٩، ١٤٧، ١٨٥، ١٨٨، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧٣، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٨٨، ٣٩٤، ٤٣٣، ٤٣٦.
- يوسف الخليفة أبو بكر: ٤٣، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٧.
- يوسف بن علي بن محمد الحلالي: ٣٧، ٤٨.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٥.

## المصادر

- ١- آلورد: فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية فى برلين (بالألمانية) ج ١- ١٠ برلين ١٨٨٧- ١٨٩٩ م. (فيه نصوص عربية منقولة من المخطوطات، وقد استفدت من هذه النصوص الواردة فى الجزء الأول فقط).
- ٢- إبراهيم أنيس (دكتور): الأصوات اللغوية، ط ٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١ م.
- ٣- أحمد بن أبى عمر (أبو عبد الله الأندرابى الخراسانى ت بعد ٥٠٠هـ): الإيضاح فى القراءات العشر و اختيار أبى عبيد و أبى حاتم مخطوط فى جامعة استانبول (رقم ١٣٥٠) و منه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩ قراءات و تجويد).
- ٤- أحمد مختار عمر (دكتور): البحث اللغوى عند العرب، مطابع سجل العرب، توزيع دار المعارف بمصر ١٩٧١ م.
- ٥- أحمد مختار عمر (دكتور): دراسة الصوت اللغوى، ط ١، مطابع سجل العرب، توزيع مكتبة عالم الكتب، القاهرة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.
- ٦- الأزهرى (الشيخ خالد بن عبد الله ت ٩٠٥هـ): الحواشى الأزهرية فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية، مكتبة و مطبعة محمد على صبيح و أولاده بميدان الأزهر بمصر (د. ت).
- ٧- الأزهرى (عبد الدائم بن علي ت ٨٧٠هـ): الطرازات المعلمة فى شرح المقدمة، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (رقم ٢٠١٦٥)، طبع فى دار عمار للنشر و التوزيع، عمان- الأردن.
- ٨- الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة ج ١، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
- ٩- الأسترآبازى (رضى الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ): شرح شافية ابن الحاجب، ج ٣، تحقيق محمد الزفراف و آخرين، مطبعة حجازى بالقاهرة.



الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٦

- ١٠- الأصبهاني (محمد حسين): أرجوزة البيان في حكم تجويد القرآن، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (رقم ١٠١٩).
- ١١- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشارت ٣٢٨ هـ): كتاب إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز و جل، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ م.
- ١٢- الأنصاري (القاضي زكريا بن محمد بن أحمد ت ٩٢٦ هـ): تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة و التنوين و المد و القصر، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ١٢١٢).
- ١٣- الأنصاري (السابق): الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، هامش متن الجزرية لابن الجزري، مكتبة و مطبعة محمد صبيح بمصر ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م.
- ١٤- الأهوازي (أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم ٤٤٦ هـ): الوجيز في شرح أداء القراء الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، و هم السبعة المشهورون و يعقوب، مخطوط في مكتبة جسترستي (الرقم ٣٦٠٣) و قد اعتمدت على النسخة المصورة التي يحتفظ بها الدكتور حاتم الضامن.
- ١٥- أوتو برتزل (مستشرق ألماني): علم القراءات. مجلة إسلاميكا (بالألمانية) سنة ١٩٣٤ (ص ١-٤٧ و ٢٣٠-٢٤٦ و ٢٩٠-٣٣١) (في المقال نصوص عربية منقولة من كتب القراءات و التجويد المخطوطة، و قد استفدت من هذه النصوص).
- ١٦- ابن البادش (أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد ت ٥٤٠ هـ): الإقناع في القراءات السبع، ط ١، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، من منشورات مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة و الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مطبعة دار الفكر بدمشق، ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- برجستراسر (مستشرق ألماني ت ١٩٣٣ م): التطور النحوي للغة العربية، (سلسلة محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ م)، عنى بطبعها محمد حمدي البكري، مطبعة السماح، القاهرة.
- ١٨- البغدادي (إسماعيل باشا بن محمد أمين ت ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عنى بتصحيحه و طبعه محمد شرف الدين يالتقيا و رفعت بيلكه الكليسي، ج ١، استانبول ١٩٤٥ م، ج ٢، استانبول ١٩٤٧ م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٧
- ١٩- البغدادي (السابق): هدية العارفين (أسماء المؤلفين و آثار المصنفين)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبتها البهية، ج ١، استانبول ١٩٥١ م، ج ٢، استانبول ١٩٥٥ م.
- ٢٠- البقاعي (أبو الحسن إبراهيم بن عمر ت ٨٨٥ هـ): القول المفيد في أصول التجويد، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، الرقم ٦٣٤ (٥٠٣ د) الأوراق ١٦٧ و- ١٧٢ و.
- ٢١- البقري (محمد بن القاسم ت ١١١١ هـ): غنية الطالبين و منية الراغبين، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٢٩٧٥).
- ٢٢- ابن بلبان الحنبلي (شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادرت ١٠٨٣ هـ):
- بغية المستفيد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (الرقم ١١/٥٤٣٧ مجاميع)، الأوراق ٥٤ و- ٦٤ ظ.
- ٢٣- ابن البناء (أبو علي الحسن بن عبد الله ت ٤٧١ هـ): بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء و إيضاح الأدوات التي بنى عليها الإقراء، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٥/٢٠ من مخطوطات المدرسة الإسلامية) الرسالة السادسة من المجموع، الأوراق ١٧٤ و- ١٨٤ و، ط. دار عمار-الأردن.
- ٢٤- تمام حسان (دكتور): اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٢٥- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ط ٢، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

- ٢٦- التوني (الحسن بن شجاع بن محمد بن الحسن، عاش في القرن التاسع تقديراً):  
المفيد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة الفاتيكان (الرقم ٥٨١)، الأوراق ١-٢٠.
- ٢٧- ثابت بن أبي ثابت (من علماء القرن الثالث الهجري): كتاب خلق الإنسان، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة الحكومة، الكويت ١٩٦٥ م.
- ٢٨- الجاربردي (فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف التبريزي، ت ٧٤٦هـ): شرح الشافية، طبعه حجرية قديمة سنة ١٣٠٥هـ.
- ٢٩- جان كاتينو (مستشرق فرنسي): دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية ١٩٦٦ م.
- ٣٠- ابن الجزري (أبو بكر أحمد بن محمد. ت بعد سنة ٨٢٩هـ): الحواشي المفهمة  
الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٨  
في شرح المقدمة، مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٤).
- ٣١- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ): التمهيد في علم التجويد، ط ١، القاهرة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م.
- ٣٢- ابن الجزري (السابق): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي بمصر ج ١ سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م، ج ٢ سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م.
- ٣٣- ابن الجزري (السابق): متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية (و هو الأرجوزة المسماة بالمقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)، بهامشه: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة للقاضي زكريا الأنصاري، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر بمصر ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م.
- ٣٤- ابن الجزري (السابق): النشر في القراءات العشر، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- ٣٥- الجعبري (برهان الدين إبراهيم بن عمر ت ٧٣٢هـ): تحقيق التعليم في التريق و التفخيم (نظم) مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٣/١٠٠٢). الأوراق ٢٨-٣٥.
- ٣٦- الجعبري (السابق): الهبات الهيات في المصنفات الجعبريات، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٣٠١٢٤).
- ٣٧- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ): الخصائص، ط ٢، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر بيروت.
- ٣٨- ابن جنى (السابق): سر صناعة الإعراب، ط ١، تحقيق مصطفى السقا و آخرين، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م.
- ٣٩- حاتم الضامن (دكتور): مقدمة تحقيق كتاب (الاعتماد في نظائر الظاء و الضاد لابن مالك) مجله المجمع العلمي العراقي، ج ٣، مج ٣١ السنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
- ٤٠- ابن الحاجب (أبو عمرو عثمان بن عمر ت ٦٤٦هـ): الإيضاح في شرح المفصل، ج ٢، تحقيق د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني بغداد ١٩٨٣، سلسلة إحياء التراث الإسلامي رقم ٥٠ تصدرها وزارة الأوقاف بغداد.
- ٤١- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ ١٦٥٧ م): كشف الظنون عن  
الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥٠٩
- أسامي الكتب و الفنون، عني بتصحيحه و طبعه محمد شرف الدين يالتقايا و رفعت بيلكه الكليسي، مج ١، استانبول ١٩٤١ م، مج ٢، استانبول ١٩٤٣ م.
- ٤٢- حسام سعيد النعيمي (دكتور): الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جنى، من منشورات وزارة الثقافة و الإعلام في الجمهورية العراقية ١٩٨٠ م.

٤٣- حسن ظاظا (دكتور): كلام العرب، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م.

٤٤- الحسيني (أبو الفضائل عباد بن أحمد بن إسماعيل، كان حيا سنة ٧٠٤هـ):

كاشف المعاني في شرح حرز الأمانى، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢/٣ مخطوطات حسن باشا الجليلي).

٤٥- الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح ت ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوى النباهة و الشعر، ط ١، صححه محمد بن تاويت الطنجي، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م.

٤٦- أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ت ٧٤٥هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب، مخطوط في المكتبة الأحمدية بحلب (الرقم ٨٩٩)، و قد اعتمدت على النسخة المصورة عنها التي يحتفظ بها الدكتور حاتم الضامن.

٤٧- الخاقاني (أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى البغدادي ت ٣٢٥هـ): القصيدة الخاقانية، تحقيق غانم قدوري حمد، منشورة ضمن بحث (علم التجويد نشأته و معالمه الأولى) في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

٤٨- ابن خالويه (الحسين بن أحمد): الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت ١٩٧١ م.

٤٩- خليل إبراهيم العطيبة (دكتور): في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم (١٢٤) بغداد ١٩٨٣.

٥٠- ابن خير الإشبيلي (أبو بكر محمد بن خير بن عمر ت ٥٧٥هـ): فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم و أنواع المعارف، الطبعة الثانية المنقحة و المنقطة، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

٥١- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ): كتاب الإدغام الكبير، مخطوط في

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٠

مكتبة المتحف البريطاني (الرقم ٣٠٦٧ مشرقيات)، و منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (الرقم ٣ قراءات و تجويد).

٥٢- الداني (السابق): التحديد في الإتيان و التجويد، مخطوط في مكتبة وهبي أفندي (ملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول) (الرقم ١٤٠/١)، طبع في دار عمار- الأردن، بتحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد.

٥٣- الداني (السابق): التيسير في القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو برتزل، مطبعة الدولة باستانبول ١٩٣٠ م.

٥٤- الداني (السابق): شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، مخطوط في مكتبة جسترنتي (الرقم ٣٦٥٣/١٠)، الأوراق ١٢٧-١٤٣.

٥٥- الداني (السابق): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة و الإرشاد، دمشق ١٩٦٠ م.

٥٦- الداني (السابق): المنبهة في الحذق و الإتيان و صفة التجويد للقرآن، مخطوط في الخزانة العامة للكتب في الرباط، الرقم ٢٨٠٩ (د ٢١٨٦).

٥٧- الداني (السابق): الموضح لمذاهب القراء و اختلافهم في الفتح و الإمالة، مخطوط في المكتبة الأزهرية رقم ١٠٣ (٧٦٦١) قراءات. و منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (رقم ٩٦ قراءات و تجويد).

٥٨- ابن أبي داود (أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٣١٦هـ):

كتاب المصاحف، ط ١، صححه آرثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦.

٥٩- داود عبده (دكتور): أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٣ م.

٦٠- الدر كزلي (حسن بن إسماعيل بن عبد الله الموصلي ت ١٣٢٧هـ): خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٢٣٥١٣).

- ٦١- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأنزدي ت ٣٢١ هـ): كتاب جمهرة اللغة، ط ١، مطبعة دائرة المعارف، حيدرآباد الدكن ١٣٤٤ هـ).
- ٦٢- ابن الدهان (أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب ت ٥٩٢ هـ): تقويم النظر في الأدلة و اختلاف الفقهاء. مخطوط في دار الكتب المصرية (الرقم ٥٢ فقه شافعي). وقد اعتمدت على النسخة المصورة عنها التي يحتفظ بها الدكتور عبد القادر رحيم الهيتي. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١١
- ٦٣- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ): معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، ط ١، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٦٤- رمضان عبد التواب (دكتور): فصول في فقه العربية، ط ١، مكتبة دار التراث القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٦٥- الرومي (الشيخ أحمد فائز): شرح الدر اليتيم للبركوي (ت ٩٨١ هـ) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٦١٠).
- ٦٦- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٧٩ هـ): الواضح في علم العربية، تحقيق د. أمين علي السيد، دار المعارف بمصر ١٩٧٥.
- ٦٧- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١٦ هـ): معاني القرآن و إعرابه، ج ١، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، منشورات المكتبة العصرية بيروت- صيدا، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٦٨- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٣٧ هـ): كتاب الجمل، ط ٢، تحقيق ابن أبي شنب، مطبعة كلنكسيك، باريس ١٩٥٧ م ١٣٧٦ هـ.
- ٦٩- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ هـ): البرهان في علوم القرآن، ط ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٧٠- السخاوي (علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد ت ٦٤٣ هـ): جمال القراء و كمال الإقراء، مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق، الرقم ٣٣٣ (٤٤ القراءات).
- ٧١- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري ت ٣١٦ هـ): الاشتقاق، ط ١، تحقيق محمد صالح التكريتي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٣ م.
- ٧٢- السعيدى (أبو الحسن علي بن جعفر الرازى ت في حدود ٤١٠ هـ): اختلاف القراء في اللام و النون، مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني الرقم (٤٢٥٤ مشرقيات) الأوراق ٦٠ و- ٦١ ظ.
- ٧٣- السعيدى (السابق): التنبيه على اللحن الجلى و اللحن الخفى، مخطوط في مكتبة وهبي أفندي (ملحق بالمكتبة السليمانية باستانبول) (الرقم ٢/٤٠)، الأوراق ٤٥-٥٤.
- ٧٤- السكاكى (أبو يعقوب بن محمد بن علي ت ٦٢٦ هـ): مفتاح العلوم، ط ١، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٢
- المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ.
- ٧٥- السمرقندى (محمد بن محمود بن محمد ت ٧٨٠ هـ): روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢/٢٢ مخطوطات مدرسة الحجيات)، الأوراق ١٢٤ ظ- ١٤٣ ظ.
- ٧٦- السمنودى (منصور بن عيسى بن غازى الأنصارى، كان حيا سنة ١٠٨٤ هـ): تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين. مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٣/١٩ مخطوطات جامع النبي شيت)، الأوراق ١- ٢٥.
- ٧٧- سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠ هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ٢، دار الكتاب العربى القاهرة ١٩٦٨ م،

ج ٣ و ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣ م، ١٩٧٥ م.

٧٨- السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨ هـ): شرح كتاب سيويه، ج ٦ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٥٢٨) نحو تيمور) نسخة مصورة يحتفظ بها الدكتور محمد البكاء.

٧٩- السيرافي (السابق): ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تحقيق صبيح حمود الشاتي، مجلة المورد، مج ١٢، ع ٢، السنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٨٠- ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ت ٤٢٨ هـ): أسباب حدوث الحروف، نشره ولاديمير أخو ليداني، دار النشر متسناربا، تفليس ١٩٦٦.

٨١- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ): الإتقان في علوم القرآن، ط ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة و مطبعة المشهد الحسيني القاهرة ١٩٦٧ م.

٨٢- السيوطي (السابق): الأشباه و النظائر في النحو، ط ٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٥٩ هـ.

٨٣- السيوطي (السابق): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج ٦، تحقيق د.

عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

٨٤- أ. شاده (مستشرق ألماني): علم الأصوات عند سيويه و عندنا (محاضرة ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية) و نشرت في صحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٣

١٩٣١ م، العدد الخامس ص ٣-١٩، و العدد السادس ص ١٣-٢٦.

٨٥- أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥ هـ): إبراز المعاني من حرز الأمانى، مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد (الرقم ٢٤٠٧).

٨٦- الشريف الجرجاني (علي بن محمد ت ٨١٦ هـ): شرح المواقف، ج ٥، ط ١، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م.

٨٧- شعله الموصلي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ت ٦٥٦ هـ): كنز التهاني في شرح حرز الأمانى، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (الرقم ٢٤٠٦).

٨٨- ابن أبي شيبه (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٢٣٥ هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث و الآثار ج ١، تحقيق محمد جهانكير على الأنصاري، حيدرآباد، الهند ١٣٨٦ هـ.

٨٩- الصفاقسي (أبو الحسن علي بن محمد النوري ت ١١١٨ هـ): تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عما يقع من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تقديم و تصحيح محمد الشاذلي النيفر، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٧٤ م.

٩٠- طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى ت ٩٦٨ هـ): شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٣/٦٢١).

٩١- الطبلاوي (شيخ الإسلام ناصر الدين محمد بن سالم بن علي ت ٩٦٦ هـ): مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة و التنوين. مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٥/٦٩٠)، الأوراق ١-١٤.

٩٢- ابن الطحان (أبو الأصغ عبد العزيز بن علي بن محمد الإشبيلي ت بعد ٥٦٠ هـ):

مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ. مخطوط في مكتبة جستررتي بدبلن (الرقم ٤/٣٩٢٥)، الأوراق ١٢٨-١٣٦.

٩٣- ابن الطحان (السابق): نظام الأداء (مقدمة في الوقف و الابتداء) مخطوط في مكتبة جستررتي بدبلن (الرقم ٥/٣٩٢٥)، الأوراق ١٣٧-١٤٤.

- ٩٤- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري ت ٤٦٣ هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد الجاوي، مكتبة نهضة مصر و مطبعتها.
- ٩٥- عبد الرحمن أيوب (دكتور): أصوات اللغة، ط ١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣ م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٤
- ٩٦- عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦ م.
- ٩٧- عبد الصبور شاهين (دكتور): في التطور اللغوي، ط ١، مكتبة دار العلوم، القاهرة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.
- ٩٨- عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٩٩- عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنى العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
- ١٠٠- عبد الفتاح إسماعيل شلبي (دكتور): الإمالة في القراءات و اللهجات العربية، ط ٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م.
- ١٠١- عبد الهادي الفضلي (دكتور): القراءات القرآنية تاريخ و تعريف ط ٢، دار القلم بيروت ١٩٨٠ م.
- ١٠٢- أبو عبيد (القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ): غريب الحديث ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد- الهند ١٩٦٤-١٩٦٧ م.
- ١٠٣- ابن عصفور (علي بن مؤمن ت ٦٦٩ هـ): المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجوازي و عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧١-١٩٧٢ م.
- ١٠٤- ابن عصفور (السابق): الممتع في التصريف، ط ١، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.
- ١٠٥- العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ت ٥٦٩ هـ): التمهيد في التجويد، مخطوط في مكتبة جسترنتي بدبلن (الرقم ٣٩٥٤)، وهو منسوب في فهرس المكتبة (ج ٤ ص ٧٠) إلى أبي بكر جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢ هـ (يراجع رقم ١٢ من مصادر علم التجويد في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا البحث)، و قد كتبت بحثا في تحقيق نسبة الكتاب لأبي العلاء، منشور في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد العددان ١٧٨-١٧٩ بغداد ١٩٨٥ م، طبع في دار عمار- الأردن، تحقيق د. غانم قدوري الحمد.
- ١٠٦- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، المكتبة العربية بدمشق ١٩٥٧ م.
- ١٠٧- عياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ت ٥٤٤ هـ): ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق د. أحمد بن بكر محمود، دار الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٥
- مكتبة الحياة، بيروت.
- ١٠٨- ابن غانم المقدسي (علي بن محمد بن خليل ت ١٠٠٤ هـ): بغية المرئاد لتصحيح الضاد، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٧/١١٠٦٨)، الأوراق ١/ ١٠.
- ١٠٩- غانم قدوري حمد: علم التجويد نشأته و معالمه الأولى، مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد السادس ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م (ص ٣٣١-٩٣٦).
- ١١٠- غانم قدوري حمد: قضية الجيم في العربية، مجلة الأقلام، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة، بغداد ١٩٧٨ م.
- ١١١- غانم قدوري حمد: مؤلف التفسير المسمى (المباني لنظم المعاني)، مجلة الرسالة الإسلامية، العددان ١٦٤-١٦٥ بغداد ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
- ١١٢- غانم قدوري حمد: المصوتات عند علماء العربية، مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد الخامس ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م (ص ٣٩١-٤٥٦).
- ١١٣- ابن فارس (أبو الحسين أحمد ت ٣٩٥ هـ): الصحاحي في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر،

- مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧ م.
- ١١٤- الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد ت ٣٧٧ هـ): الحجّة في علل القراءات السبع، ج ١، تحقيق علي النجدي ناصف و آخرين، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٥ م ١٣٨٥ هـ.
- ١١٥- الفاسي (أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد ت ٦٥٦ هـ): اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٦٣٤)، و هي مجهولة المؤلف لسقوط الورقة الأولى من المخطوط، و توصلت إلى معرفة المؤلف بمقارنتها بالمخطوط المرقم (٢٤٥٣) في مكتبة الأوقاف في بغداد.
- ١١٦- الفخر الموصلي (أبو المعالي محمد بن أبي الفرج ت ٦٢١ هـ): الدر الموصوف (لعله المرصوف) في صف مخارج الحروف، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (الرقم ٢٠ / ٥ مخطوطات المدرسة الإسلامية، الرسالة الخامسة)، الأوراق ١٦٨-١٧٣.
- ١١٧- الفخر الرازي (محمد بن عمر ت ٦٠٦ هـ): التفسير الكبير، ط ٢، دار الكتب العلمية، طهران.
- ١١٨- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ م): معاني القرآن تحقيق محمد علي الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٦
- النجار و آخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ١١٩- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد) كتاب العين، ج ١، تحقيق د. مهدي المخرومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة و الإعلام في الجمهورية العراقية، مطابع الرسالة، الكويت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
- ١٢٠- فرج توفيق الوليد: قواعد التلاوة و علم التجويد، ط ١، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
- ١٢١- ج. فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠ م.
- ١٢٢- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ١، ج ١، ترجمة د. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة ١٩٧١ م.
- ١٢٣- فؤاد السيد: فهرس المخطوطات المصورة، ج ١، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٤ م.
- ١٢٤- ابن الفوطي (أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الحنبلي ت ٧٢٣ هـ): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج ٤، ق ٣، تحقيق د. مصطفى جواد، وزارة الثقافة و الإرشاد، دمشق ١٩٦٥ م.
- ١٢٥- القاري (الملا علي بن سلطان محمد المكي ت ١٠١٤ هـ): المنح الفكرية على متن الجزرية، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٢ هـ.
- ١٢٦- ابن القاصح (علي بن محمد بن عثمان ت ٨٠١ هـ): نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة و التنوين، مخطوط في مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٤ / ٦٩٠).
- ١٢٧- القرطبي (أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ت ٤٦٢ هـ):  
الموضح في التجويد، مخطوط في مكتبة الأوقاف في الموصل (الرقم ٢٢ / ٢ مخطوطات مدرسة الحجيات)، الأوراق ١٤٤ - و ١٩٠ ظ، طبع في دار عمار- الأردن، تحقيق د. غانم قدور الحمد.
- ١٢٨- القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٩٢٣ هـ): لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج ١، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، و الشيخ عامر السيد عثمان، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٧
- ١٢٩- القسطلاني (السابق): اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد (الرقم ٢٤٠٢).
- ١٣٠- كمال محمد بشر (دكتور): دراسات في علم اللغة، ج ١، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.



- ١٣١- كمال محمد بشر: علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات، ط ٢، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م.
- ١٣٢- ابن الكيال (أبو البركات محمد بن أحمد بن محمد ت ٩٢٩ هـ): كتاب الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق و الكبائر، مخطوط في مكتبة جسترى الرقم (٣٤١٩/٢)، الأوراق ٧٩-١٠٠.
- ١٣٣- الماردى (شمس الدين محمد بن قيصر النحوى ت ٧٢١ هـ): الدر النضيد في معرفة التجويد (نظم)، مخطوط في مكتبة جسترى (الرقم ٣٦٥٣/٤)، الأوراق ٦٠-٧٥.
- ١٣٤- ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمه د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس بليبيا ١٩٧٣ م.
- ١٣٥- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ): المقتضب، ج ١، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامى فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- ١٣٦- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس البغدادى ت ٣٢٤ هـ): كتاب السبعة فى القراءات، تحقيق د. شوقى ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.
- ١٣٧- محمد الأنطاكى: الوجيز فى فقه اللغة، مكتبة الشهباء، حلب ١٩٦٩ م.
- ١٣٨- محمود السعرا (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربى، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م.
- ١٣٩- المرادى (بدر الدين الحسن بن قاسم المشهور بابن أم قاسم ت ٧٤٩ هـ): شرح التسهيل، نسخة مصورة تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا فى كلية الآداب بجامعة بغداد (الرقم ٢٠٥٢).
- ١٤٠- المرادى (السابق): شرح الواضحة فى تجويد الفاتحة، تحقيق د. عبد الهادى الفضلى، دار القلم، بيروت.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٨
- ١٤١- المرادى (السابق): المفيد فى شرح عمدة المجيد فى علم التجويد، مخطوط فى مكتبة جسترى ببلن (الرقم ٣٦٥٣/٧)، الأوراق ١٠٠-١١٨.
- ١٤٢- المرعى (محمد بن أبى بكر المعروف بساجقلى زاده ت ١١٥٠ هـ): بيان جهد المقل، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٥/١١٠٦٨).
- ١٤٣- المرعى (السابق): جهد المقل، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٤/١١٠٦٨)، طبع فى دار عمار للنشر و التوزيع- الأردن، تحقيق د. سالم قدورى الحمد.
- ١٤٤- المرعى (السابق): كيفية أداء الضاد. مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٦/١١٠٦٨).
- ١٤٥- مصطفى فهمى (دكتور): أمراض الكلام، ط ٤، مكتبة مصر ١٩٧٥ م.
- ١٤٦- مكى بن أبى طالب القيسى (ت ٤٣٧ هـ): الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دمشق ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، طبع فى دار عمار- الأردن.
- ١٤٧- مكى (السابق): الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، تحقيق د. محبى الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
- ١٤٨- ملا حسين بن اسكندر الحنفى (ت فى حدود ١٠٨٤ هـ): بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد فى القرآن المبين، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ٢٤٣٨٠) و هناك نسخ أخرى مخطوطة فى المكتبة نفسها.
- ١٤٩- ملا حسين (السابق): لباب التجويد للقرآن المجيد، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم ١٠١٠٤).
- ١٥٠- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ): لسان العرب، ط ١، بولاق.
- ١٥١- النابلسى (عبد الغنى بن إسماعيل ت ١١٤٣ هـ): كفاية المستفيد فى علم التجويد، مخطوط فى مكتبة المتحف ببغداد (الرقم

(١٠٨٩٥).

١٥٢- ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق رضا- تحديد، طهران ١٩٧١ م.

١٥٣- نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ): شمس العلوم و دواء كلام العرب من

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٥١٩

الكلام، ج ١، ق ١، تحقيق ك. و. سترستين، مطبعة بريل بليدن ١٣٧٠ هـ ١٩٥٣ م.

١٥٤- الهمذاني (المنتجب بن يعقوب ت ٦٤٣هـ): الدرّة الفريدة في شرح القصيدة، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد (الرقم ٢٣٧٩).

١٥٥- هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢٣، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

١٥٦- هنري فليش (الأب اليسوعي): العربية الفصحى، ط ١، تعريب د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦ م.

١٥٧- ابن وثيق (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الإشبيلي ت ٦٥٤هـ):

كتاب في تجويد القراءة و مخارج الحروف، مخطوط في مكتبة أيا صوفيا باستانبول (الرقم ٧/٣٩). و منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (الرقم ٦٢ قراءات و تجويد)، الأوراق ٧٦-٧٩.

١٥٨- الوفائي (أبو الفتوح سيف الدين بن عطا الله ت ١٠٢٠هـ): الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد، الرقم (٢/٢٤٠٢).

١٥٩- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، لبيزج ١٨٦٧ م.

١٦٠- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣هـ): شرح المفصل، إرادة الطباعة المنيرية بمصر.

١٦١- يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، ط ١، مكتبة الفكر الإسلامي، الخرطوم ١٣٩٢ هـ ١٩٧٣ م.

١٦٢- يوسف بن محمد الحلالي (عاش قبل ٨٥٩هـ): موجز في التجويد، مخطوط في مكتبة جسترمتي (الرقم ١١/٣٦٥٣)، الأوراق ١٤٧ ظ- ١٥٦ و.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَارِ - فِي تَلْخِيصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَّامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عِيُونَ أَخْبَارِ الرَّضَا(ع)، الشَّيْخِ الصَّدُوقِ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطقي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و

عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلاَئِيْثِ المَبْتَدَلَة أو الرَّدِيئَة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيَّة واسعة جامعة ثقافيَّة على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السَّلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هُوَارة برامج العلوم الإسلاميَّة، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...  
- منها العَدالة الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.  
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرُّسوم المتحرِّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترننتي "القائميَّة" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدَّة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرُّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رَمضان " و مُفترق "وفائي" / "بنايه" القائميَّة

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويَّة الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترننتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التَّجاريَّة و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانيَّة الحاليَّة لهذا المركز، شَعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيبت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيَّة و العلميَّة الحاليَّة و مشاريع التوسعة الثقافيَّة؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى

بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

